

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وليّ كلّ نعمة ، وصلواته على نبيه الهادي من كلّ ضلالة ، وعلى آله
المتّجيبين^(١) الأخيار ، وعترته المصطفين الأبرار .

[قال أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل رحمه الله لبعض إخوانه : اعلم -
علّمك الله الخير ، ودلّك عليه ، وقبضه لك ، وجعلك من أهله]^(٢) أن أحقّ العلوم
بالتعلّم ، وأولّها بالتحفّظ - بعد المعرفة بالله جلّ ثناؤه - علم البلاغة ، ومعرفة
الفصاحة ، الذي به يُعرف إعجاز كتاب الله تعالى ، الناطق بالحقّ ، الهادي إلى
سبيل الرشد ، المدلول به على صدق الرسالة وصحة النبوة ، التي رفعت أعلام الحقّ ،
وأقامت منار الدين ، وأزالت شبه الكفر يراها، وهتكت حُجُب الشكّ ييقنها .
وقد علمنا أن الإنسان إذا أغفل علم البلاغة ، وأخلّ بمعرفة الفصاحة لم يقع
علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصّه الله به من حُسن التأليف ، وبراعة التركيب ،
وما شجّنه به من الإيجاز البديع ، والاختصار اللطيف ؛ وضمنّه من الخلاوة ،
وجلّله من رونق الطلاوة ، مع سهولة كليمه وجزّ آلتها ، وعذوبتها وسلاستها ،
إلى غير ذلك من محاسنه التي عجز الخلق عنها ، وتميّزت عقولهم فيها .

ولمّا يُعرف إعجازه من جهة عجز العرب عنه ، وقصورهم عن بلوغ غايته ،
في حسنه وبراعته ، وسلاسته ونصّاءته^(٣) ، وكال معانيه ، وصفاء ألفاظه . وقبيح
لعمري بالفقيه المؤتمّ به ؛ والقارئ المهتدي بهديه ، والتكلم المشار إليه في حُسن
مناظرته ، وتمام آتته في مجادلتها ، وشدة شكيمة في حجّاجه^(٤) ؛ وبالعربي الصليب^(٥)

(١) المتّجب : المختار (٢) ما بين المربعين ساقط من الأصول عدا ط .

(٣) النصاعة هنا : الوضع . (٤) شديد الشكيمة : أبا لا ينقاد . والحجاج :

مصدر حاجه : إذا غلبه في الحجة . (٥) الصليب : الخالص النسب .

والقرشي الصريح^(١) ألا يعرف إعجازَ كتابِ الله تعالى إلا من الجهة التي يعرفه منها الزنجي^(٢) والنبطي^(٣) ، أو أن يستدلَّ عليه بما استدلَّ به الجاهلُ النبي .

فيبنى من هذه الجهة أن يُقدِّم اقتباسُ هذا العلم على سائر العلوم بعد توحيد الله تعالى ومعرفة عدله والتصديق بوعده ووعيده على ما ذكرنا ؛ إذ كانت المعرفة بصحة النبوة تلو المعرفة بالله جل اسمه .

ولهذا العلم بعد ذلك فضائل مشهورة ، ومناقب معروفة ؛ منها أن صاحب العربية إذا أخلَّ بطلبه ، وفرط في التماسه ، ففاته فضيلته ، وعَلِقَتْ به رذيلة فَوْتِه ، عَفَى على جميع محاسنه ، وغمى^(٤) سائر فضائله ؛ لأنه إذا لم يفرق بين كلامٍ جيد ، وآخر ردى ؛ ولفظٍ حسن ، وآخر قبيح ؛ وشعرٍ نادر ، وآخر بارد ، بان جهله ، وظهر نقصه .

وهو أيضاً إذا أراد أن يصنع قصيدة ، أو يُنشى رسالة - وقد فاته هذا العلم - مزج الصفو بالكدر ، وخلط الفرر بالعرر^(٥) ، واستعمل الوخشي العكر ؛ فجعل نفسه مهزأة^(٦) للجاهل ، وعبرة للعاقل ؛ كما فعل ابن جعدر في قوله :

خلفتُ بما أرقلتُ خوله همرجلة خلقها شيطم^(٧)

وما شبرقت من تنوفية بها من وحي الجن زيزيم^(٨)

وأنشده ابن الأعرابي ، فقال : إن كنت كاذبا فالله حسبك .

وكان ترجم بعضهم كتابه إلى بعض الرؤساء : مكر كسة تر بوتاً ومحبوسة سريتا^(٩) ؛

(١) الصريح : الخالص النسب . (٢) الزنجي ، بفتح الزاى وكسرهما : واحد الزنوج وهم جيل من السودان . (٣) النبطي ؛ واحد النبط بفتحين وهم جيل من العجم كانوا ينزلون بالطائع بين العراقيين . (٤) غمى : أخفى . والسائر : الباقي . (٥) الغرة : النفيس من كل شيء ، والغرة : القدر . (٦) هزوا . (٧) أرقلت : أسرع . والهمرجلة : الناقة . والشيطم : الطويل الجسيم الفقى من الإبل والحيل والناس . (٨) شبرقت . الشبرقة : عدو الدابة وخدا . والتنوفية : المفازة والأرض الواسعة البعيدة الأطراف والوحي : الصوت الحفى . وزيزيم : صوت الجن . (٩) كذا فى ط ، وفى ا العبارة من غير قطع ، وفى ب « مكر كسة بربويا ومحبوسة سريتا » .

فَدَلَّ عَلَى سَخَافَةِ عَقْلِهِ ، وَاسْتِحْكَامِ جَهْلِهِ ؛ وَضَرَّ الْغَرِيبُ الَّذِي أَتَقَنَّهُ وَلَمْ يَنْفَعُهُ ، وَحَطَّهُ وَلَمْ يَرْفَعْهُ ، لَمَّا فَاتَهُ هَذَا الْعِلْمُ ، وَتَخَلَّفَ عَنْ هَذَا الْفَنِّ .

وَإِذَا أَرَادَ أَيْضًا تَصْنِيفَ كَلَامٍ مَشْهُورٍ ، أَوْ تَأْلِيفَ شِعْرِ مَنْظُومٍ ، وَتَخَطَّى هَذَا الْعِلْمُ سَاءَ اخْتِيَارِهِ لَهُ ، وَقَبَّحَتْ آثَارُهُ فِيهِ ؛ فَأَخَذَ الرَّدَى الْمُرْذُولَ ، وَتَرَكَ الْجَيْسِدَ الْمَقْبُولَ ، فَدَلَّ عَلَى قُصُورِ فَهْمِهِ ، وَتَأَخَّرِ مَعْرِفَتِهِ وَعِلْمِهِ .

وَقَدْ قِيلَ : اخْتِيَارُ الرَّجُلِ قِطْعَةً مِنْ عَقْلِهِ ؛ كَمَا أَنَّ شِعْرَهُ قِطْعَةٌ مِنْ عِلْمِهِ . وَمَا أَكْثَرَ مَنْ وَقَعَ مِنْ عِلْمَاءِ الْعَرَبِيَّةِ فِي هَذِهِ الرَّذِيلَةِ مِنْهُمْ الْأَصْمَعِيُّ فِي اخْتِيَارِهِ قَصِيدَةِ الْمَرْقَشِ ^(١) :

هَلْ بِالْدِّيَارِ أَنَّ تُجِيبَ صَمَمٍ . لَوْ أَنَّ حَيًّا نَاطِقًا كَلَّمَ ^(٢)

وَلَا أَعْرِفُ عَلَى أَى وَجْهِ صَرَفَ اخْتِيَارَهُ إِلَيْهَا ، وَمَا هِيَ بِمُسْتَقِيمَةِ الْوِزْنِ ، وَلَا مُؤَيَّدَةٌ ^(٣) الرُّوْيَ ، وَلَا سَلْسَلَةُ الْفَلِظِ ، وَلَا جَيِّدَةُ السَّبْكِ ، وَلَا مُتَلَامَةٌ النَّسْجِ . وَكَانَ الْمَفْضَلُ يَخْتَارُ مِنَ الشِّعْرِ مَا يَقُلُّ تَدَاوُلُ الرُّوَاةِ لَهُ ، وَيَكْثُرُ الْغَرِيبُ فِيهِ ؛ وَهَذَا خَطَأٌ مِنَ الْاخْتِيَارِ ؛ لِأَنَّ الْغَرِيبَ لَمْ يَكْثُرْ فِي كَلَامٍ إِلَّا أَفْسَدَهُ ، وَفِيهِ دَلَالَةُ الْاسْتِكْرَاهِ وَالتَّكْلُفِ .

وَقَالَ بَعْضُ الْأَوَائِلِ : تَلْخِصُ الْمَعَانِي رِفْقًا ، وَالتَّشَادُقُ ^(٤) مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ مُبْغِضٌ ، وَالنَّظَرُ فِي وَجْهِ النَّاسِ عِيٌّ ، وَمَسُّ اللَّحْيَةِ هَلْكَ ^(٥) ، وَالِاسْتِمَانَةُ بِالْغَرِيبِ عَجْزٌ ، وَالْخُرُوجُ عَمَّا بُنِيَ عَلَيْهِ الْكَلَامُ إِسْهَابٌ . وَكَانَ كَثِيرٌ مِنْ عِلْمَاءِ الْعَرَبِيَّةِ يَقُولُونَ : مَا سَمِعْنَا بِأَحْسَنَ وَلَا أَفْصَحَ مِنْ قَوْلِ ذِي الرُّمَّةِ ^(٦) :

(١) القصيدة في الفضليات ٢ - ٣٧ ، وهو المرقش الأكبر . . (٢) في الفضليات :
* لو كان رسم ناطقاً كلم * (٣) الموق : اللجب .
(٤) التشادق : تشادق : لوى شدقه للتفصح . (٥) اللهلل بفتحين : الخوف والإحجام .
(٦) اللسان : (لوط) ، (شمس) ، (ضمن) ، (مضم) .

رَمْتَنِي مَيَّ بِالْهَوَى رَمَى مُنْضَعٍ مِنْ الْوَحْشِ لَوَطٍ لَمْ تَعْقُهُ الْأَوَانِسُ^(١)
بَعَيْنَيْنِ نَجَلَاوَيْنِ لَمْ يَجْرِ فِيهِمَا ضَمَانٌ وَجِيدٌ حُلَّى الدَّرِّ شَامِسُ^(٢)
وهذا - كما ترى - كلامٌ فجعٌ غليظٌ ، ووَحْمٌ ثَقِيلٌ ، لاحظْ له من الاختيار .

وحكى العنبي عن الأصمعي أنه كان يستحسن قول الشاعر :

ولو أُرْسِلْتُ مِنْ حَبِّكَ مَهْبُوتًا مِنَ الصَّيْنِ^(٣)

لَوَافِيَتِكَ قَبْلَ الصُّبْحِ أَوْ حِينَ تَصْلِيْنِ

وهما على ما تراهما من دَنَاءَةِ اللَّفْظِ وَخَسَاسَتِهِ ، وخلوقة المَعْرِضِ وَقَبَاحَتِهِ .

وذكر العنبي أيضاً أن قول جرير^(٤) :

إِنَّ الْعِيُونَ أَلَّتْ فِي طَرْفِهَا مَرَضٌ قَتَلْنَنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنِ قَتْلَانَا

يَصْرَعَنَّ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَ^(٥) بِهِ وَهَنْ أَضْعَفُ خَلْقِ اللَّهِ أَرْكَانَا

وقوله^(٦) :

إِنَّ الَّذِينَ غَدَوْا بِبُلْبُكِ غَادَرُوا وَشَلَّا بِعَيْنِكَ لَا يَزَالُ مَعِينَا^(٧)

غَيْضُنْ مِنْ عَبْرَاتِهِنَّ وَقُلْنِ لِي مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهَوَى وَلَقِينَا^(٨)

من الشعر الذي يُسْتَحْسَنُ لجودة لفظه ، وليس له كبير معنى . وأنا لا أعلم معنى

أجود ولا أحسن من معنى هذا الشعر .

فلما رأيتُ تخليطَ هؤلاء الأعلام فيما رَأَوْه من اختيارِ الكلام ، ووقفتُ على مَوْقعِ هذا العلم من الفضل ، ومكانه من الشرف والنبل ، ووجدتُ الحاجةَ إليه ماسةً ، والكتبُ المصنَّفةُ فيه قليلة ، وكان أكبرها وأشهرها كتابُ «البيان والتبيين»

(١) المضع : المطعم للصيد . اللوط : اللازق . في ط الأوالس ورواية للسان : «الأوانس»

مادة (مضع) . (٢) الضمان : العاهة . والشمس : معلق القلادة في العنق والجمع شمس . وجيد

شامس : دوشمس على النسب . وفي رواية للسان : «وجيد حل الشذر» . (٣) المهبوت :

السائر على غير هداية . وجاء في بعض النسخ - مبهوتاً - بتقديم الباء أى مدهوشاً .

(٤) ديوانه : ٥٩٥ . (٥) في الديوان : «حتى لأصراع به» . (٦) ديوانه : ٥٧٨ .

(٧) غادروا : تركوا . والوشل : القليل من الدمع . وللعين : الجارى . (٨) غيظ دمه : قصه .

لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، وهو لعمري كثير الفوائد ، جمُّ المنافع ؛ لِمَا اشتمل عليه من الفصول الشريفة ، والفقر اللطيفة ، والخطب الرائعة ، والأخبار البارة ، وما حواه من أسماء الخطباء والبلغاء ، وما نبه عليه من مقاديرهم في البلاغة والخطابة ؛ وغير ذلك من فنونه المختارة ، ونمونه المستحسنة ، إلا أن الإبانة عن حدود البلاغة ، وأقسام البيان والفصاحة مبثوثة في تضايعه ، ومنشرة في أثنائه ؛ فهي ضالة بين الأمثلة ، لا توجد إلا بالتأمل الطويل ، والتصفح الكثير ؛ فرأيت أن أعمل كتابي هذا مشتملا على جميع ما يحتاج إليه في صنعة الكلام : نثره ونظمه ، ويُسعمل في محلوله ومعقوده ، من غير تقصير وإخلال ، وإسهاب وإهدار . وأجعله عشرة أبواب مشتملة على ثلاثة وخمسين فصلا :

الباب الأول : في الإبانة عن موضوع البلاغة في أصل اللغة وما يجري معه من تصرف لفظها وذكر حدودها وشرح وجوهها وضرب الأمثلة في كل نوع منها وتفسير ما جاء عن العلماء فيها ، ثلاثة فصول .

الباب الثاني : في تمييز الكلام جيده من رديه ومحموده من مذمومه فصلان .

الباب الثالث : في معرفة صنعة الكلام ، فصلان .

الباب الرابع : في البيان عن حُسن السبك وجودة الرصف^(١) ، فصل واحد .

الباب الخامس : في ذكر الإيجاز والإطناب ، فصلان .

الباب السادس : في حسن الأخذ وقبحه وجودته ورداءته ، فصلان .

الباب السابع : القول في التشبيه ، فصلان .

الباب الثامن : في ذكر السجع والازدواج ، فصلان .

الباب التاسع : في شرح البديع والإبانة عن وجوهه وحصر أبوابه وفنونه ، خمسة وثلاثون فصلا .

الباب العاشر : في ذكر مقاطع الكلام ومبادئه والقول في الإساءة في ذلك والإحسان فيه ، ثلاثة فصول .

وأرجو أن يُعين الله على البراد من ذلك والمقصود فيما نَحْوَنَا إليه ويقرنه بالتوفيق ويشفعه بالتسديد ؛ إنه سميع مجيب .

(١) في ط : « الرصف » ، وصوابه من ا ، ب .

البَابُ الْأَوَّلُ

الفَصْلُ الْأَوَّلُ

في الإبانة عن موضوع البلاغة في اللغة ، وما يجري معه من تصرفٍ لفظيها ،
والقول في الفصاحة ، وما يتشعبُ منه

البلاغة البلاغة من قولهم : بلغتُ الغايةَ إذا انتهيتُ إليها وبلغتُها غيري . ومبلغُ الشيء :
مُنْتَهَاهُ . والمبالغةُ في الشيء : الانتهاء إلى غايته . فسميتُ البلاغةُ بلاغةً لأنها تُنهي
المعنى إلى قلب السامع فيفهمه . وسميتُ المُبلَّغةُ مُبلَّغةً لأنك تتبلغُ بها ، فتنتهى بك
إلى ما فوقها ، وهي البلاغُ أيضاً . ويقال : الدنيا بلاغٌ ؛ لأنها تؤدِّيك إلى الآخرة .
والبلاغُ أيضاً : التبليغ ، في قولِ الله عزَّ وجل : ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ ﴾ أى تبليغ .
ويقال : بَلَغَ الرجلُ بلاغةً ؛ إذا صار بليفاً . كما يُقالُ نبُلُ نبالةً ؛ إذا صار نبيلاً .
وكلامٌ بليغٌ وبلغ (بالفتح)^(١) ، كما يقال : وجيزٌ ووجَزٌ^(٢) . ورجلٌ بلغ (بالكسر) :
يَبْلُغُ ما يريد . وفي مثل لهم «أحقُّ بُلغ» . ويقال : أبلغتُ في الكلام إذا أتيت بالبلاغة
فيه . كما تقول : أبرحتُ إذا أتيت بالبرحاء وهو الأمرُ الجسيم . والبلاغةُ من صفة
الكلام لا من صفة المتكلم .

فلهذا لا يجوزُ أن يسمَّى اللهُ جلَّ وعزَّ بأنه بليغٌ ؛ إذ لا يجوزُ أن يوصفَ بصفةٍ
كان موضوعها الكلام . وتسميتُنا المتكلم بأنه بليغٌ توسعٌ . وحقيقته أن كلامه
بليغٌ ، كما تقول : فلان رجلٌ محكمٌ ، وتُعني أن أقواله محكمة . قال الله تعالى : ﴿ حِكْمَةٌ
بَالِغَةٌ ﴾ . فجعل البلاغةَ من صفةِ الحكمة ، ولم يجعلها من صفةِ الحكيم ، إلا أن كثرةَ

(١) وبكسر كافى القاموس . (٢) الوجز : الشيء الموجز .

الاستعمال جعلت تسمية التكلم بأنه بليغ كالحقيقة ، كما أنها جعلت تسمية المزايدة رَاوِيَةً كالحقيقة ، وكان الراوية حامل المزايدة وهو البعير وما يجري مجراه .

ولهذا سُمِّي حاملُ الشعرِ رَاوِيَةً ، وكما صار تسميةُ البَيْغِيِّ المكتسبةً بالفجور القَحْبَةَ حقيقةً ، وإنما القُحَابُ السُّمَالُ . وكانوا إذا أرادوا الكِنَايَةَ عن زَنْتٍ وتكسَّبَتْ بالفُجُور قالوا : قَحَبَتْ ، أَيْ سَمَعَتْ .

ومن ذلك النَّجْوُ ؛ لأنَّ الرجلَ كان إذا أراد قضاء الحاجة استترَ بِنَجْوَةٍ ، والنَّجْوَةُ : الارتفاعُ من الأرض ؛ فسمي ذلك الشيء نَجْوًا مجازاً ، ثم كثر استعمالهم له فصار كالحقيقة وصرَّفوه ، فقالوا : ذهبَ يَنْجُو ، كما يقال : ذهبَ يتفَوِّطُ ، إذا صار إلى الغائط ، وهو البَطْنُ من الأرض لقضاء الحاجة ، وسَمَّوا الشيء الغائط ، وصار كالحقيقة حين كثر استعمالهم له . وقالوا ، إذا غسل ذلك الموضع من النجوى : يَسْتَنْجِي ، ومثل هذا كثيرٌ ليس هذا موضع استيعابه .

فأما الفصاحة فقد قال قوم : إنها من قولهم : أَفْصَحَ فلانٌ عما في نفسه إذا أظهره ، والشاهد على أنها هي الإظهار قولُ العربِ : أَفْصَحَ الصَّبْحُ إذا أضاء . وَأَفْصَحَ اللَّبَنُ إذا انجلمت عنه رَغْوَتُهُ فظهر . وَفَصَّحَ أَيْضاً . وَأَفْصَحَ الْأَعْجَمِيُّ إذا أَبَانَ بعد أن لم يكن يُفْصَحُ وَيُبَيَّنُ ؛ وَفَصَّحَ اللِّحَانُ إذا عَبَّرَ عما في نفسه وأظهره على جهة الصواب دون الخطأ .

والفرق بين الفصاحة والبلاغة وإذا كان الأمرُ على هذا فالفصاحةُ والبلاغةُ ترجعان إلى معنى واحد وإن اختلفت أصلاهما ؛ لأنَّ كُلَّ واحدٍ منهما إنما هو الإبانةُ عن المعنى والإظهارُ له .

وقال بعضُ علمائنا : الفصاحةُ تمامُ آلهِ البيانِ ؛ فلهذا لا يجوزُ أن يسمَّى اللهُ تعالى فصيحاً ؛ إذ كانت الفصاحةُ تتضمن معنى الآلةِ ولا يجوزُ على الله تعالى الوصفُ بالآلةِ ؛ ويوصفُ كلامُهُ بالفصاحة ؛ لما يتضمنُ من تمامِ البيانِ .

والدليلُ على ذلك أن الألفَ والتَّامَ لا يسمَّيان فصيحين لنقصانِ آليتهما عن إقامة

الحروف . وقيل زياد الأعجم لنقصان آلة نطقه عن إقامة الحروف ، وكان يعبر عن الحمار بالهمّار ، فهو أعجم ، وشعره فصيح لتمام بيانه .

فعلى هذا تكون الفصاحة والبلاغة مختلفتين ؛ وذلك أن الفصاحة تمام آلة البيان فهي مقصورة على اللفظ ؛ لأن الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى ؛ والبلاغة إنما هي إنهاة المعنى إلى القلب فكأنها مقصورة على المعنى .

ومن الدليل على أن الفصاحة تتضمن اللفظ ، والبلاغة تناول المعنى أن الببغاء يُسمى فصيحاً ، ولا يسمى بليغاً ، إذ هو مقيم الحروف وليس له قصد إلى المعنى الذى يؤدّيه .

وقد يجوز مع هذا أن يسمى الكلام الواحد فصيحاً بليغاً إذا كان واضح المعنى ، سهل اللفظ ، جيد السبك ، غير مستكره فيج ، ولا متكلف وخم ، ولا يمنعه من أحد الاسمين شئ ، لما فيه من إيضاح المعنى وتقويم الحروف .

وشهدت قوما يذهبون إلى أن الكلام لا يسمى فصيحاً حتى يجمع مع هذه النوعت فخامة وشدة جزالة ، فيكون مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم « ألا إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى » . ومثل كلام الحسين بن على رضى الله عنهما : إن الناس عبيد الأموال ، والدين لغو على ألسنتهم يحوطونه ما درت به معاشهم فإذا محصوا بالابتلاء قلّ الديانون . ومثل المنظوم قول الشاعر :

ترى غابة الخطى فوق رؤوسهم كما أشرقت فوق الصّوارِ قرونها^(١)
قالوا : وإذا كان الكلام يجمع نموت الجودّة ، ولم يكن فيه فخامة وفضل جزالة سُمى بليغاً ولم يسم فصيحاً ؛ كقول بعضهم - وقد سئل عن حاله عند الوفاة

(١) الخطى : الرماح نسبت إلى الخط ، وهو مرفأ السفن بالبحرين . والصّوار (بالضم وبكسر) : القطيع من بقر الوحش .

فَقَالَ : مَا خَالَ مِنْ يَرِيدُ سَفَرًا بَعِيدًا بَلَا زَادَ ، وَيَقْدَمُ عَلَى مَلِكٍ عَادِلٍ بِغَيْرِ حُجَّةٍ ،
وَيَسْكُنُ قَبْرًا مُوحِشًا بَلَا أَنْيَسَ .

وقول آخر لآخر له : مَدَدْتَ إِلَى الْمَوَدَّةِ يَدًا فَشَكَرْنَاكَ ، وَشَفَعْتَ ذَلِكَ بَشِيءٌ مِنَ
الْجَفَاءِ فَعَذَرْنَاكَ ، وَالرَّجُوعُ إِلَى مَحْمُودٍ الْوَدَّ أَوْلَى بِكَ مِنَ الْقَامِ عَلَى مَكْرُوهِ الصَّدِّ .

وَأَنشَدَنَا أَبُو أَحْمَدُ^(١) عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصَّوَلِي لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ^(٢) :

تَمُرُّ الصَّبَا صَفْحًا بِسَاكِتَةِ الْفَضَا^(٣) وَيَصْدَعُ قَلْبِي أَنْ يَهْبَّ هَبُوبُهَا

قَرِيبَةً عَهْدٍ بِالْحَبِيبِ وَإِنَّمَا هَوَى كُلُّ نَفْسٍ حَيْثُ حَلَّ حَبِيبُهَا

فَالْبَيْتُ الْأَوَّلُ فَصِيحٌ وَبَلِيغٌ ، وَالْبَيْتُ الثَّانِي بَلِيغٌ وَلَيْسَ بِفَصِيحٍ .

وَاسْتَدَلُّوا عَلَى صِحَّةِ هَذَا الْمَذْهَبِ بِقَوْلِ الْعَاصِ بْنِ عَدَى : الشَّجَاعَةُ قَلْبُ رَكَبَيْنِ ،
وَالْفَصَاحَةُ لِسَانُ رَزَيْنِ . وَاللِّسَانُ هَاهُنَا : الْكَلَامُ ، وَالرَّزَيْنُ الَّذِي فِيهِ نَخَامَةٌ وَجَرَالَةٌ .

وَلَيْسَ الْغَرَضُ فِي هَذَا الْكِتَابِ سَلُوكُ مَذْهَبِ الْمُتَشَكِّمِينَ ، وَإِنَّمَا قَصِدْتُ فِيهِ مَقْصِدَ
مَذْهَبِ الْكِتَابِ صُنَاعِ الْكَلَامِ مِنَ الشُّعْرَاءِ وَالْكِتَابِ ؛ فَلِهَذَا لَمْ أُطِلِ الْكَلَامُ فِي هَذَا الْفَصْلِ .

(١) هُوَ أَبُو أَحْمَدَ الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدِ الْعَسْكَرِيِّ ، شَيْخُ الْمُؤَلِّفِ .

(٢) الْأَمَالِيُّ ٣ - ٩٢ ، الطَّرَائِفُ الْأَدَبِيَّةُ : ١٣٩ (٣) فِي الطَّرَائِفِ : « بِسَاكِنِ ذِي الْفَضَا » .

الفصل الثاني

في الإبانة عن حدّ البلاغة

فنقول : البلاغةُ كُلُّ ما تُبَلِّغُ به المعنى قلبَ السامع فتَمَكَّنَه في نفسه كَتَمَكَّنَه في نفسك مع صُورَةٍ مقبولة ومعرض حسن .
وإنما جعلنا حُسْنَ المعرض وقَبُولَ الصورة شرطاً في البلاغة ؛ لأنَّ الكلامَ إذا كانت عبارته رثّةً ومعرضه خَلَقاً لم يُسَمَّ بليغاً ، وإن كان مفهومَ المعنى ، مكشوفَ المَعْرَی .

ألا ترى إلى معنى الكاتب الذي كتب إلى بعض معاملیه : قد تأخَّرَ الأمرُ فيما وعدت حملة ضِجَّةِ النهار ، والقومُ غيرُ مقيمين ، وليس لهم صَبْرِي ، وهم في الخروج أنفاً ؛ فإن رأيتَ في إزاحة العَلَّةِ مع الجُهْدِ^(١) فعلتَ إن شاء الله . فعنائه مفهوم ومَنزَّاه معلوم ، وليس كلامه بيلغي .
فهذا يدلُّ على أنَّ من شرط البلاغة أن يكون المعنى مفهومًا واللفظُ مقبولاً على ما قدمناه .

ومن قال : إن البلاغة إنما هي إنباهُ المعنى فقط ، فقد جعل الفصاحة ، واللُّكْنَةَ ، والخطأ ، والصواب ، والإغلاق ، والإبانة سواء .

وأيضاً فلو كان الكلام الواضح السهل ، والقريب السلس الحلو بليغاً ، وما خالفه من الكلام المستهجن المستغلق والمتكلف المتعقد أيضاً بليغاً لكان كلُّ ذلك محموداً وممدوحاً مقبولاً ، لأنَّ البلاغة اسمٌ يُمدَّحُ به الكلام .
فلما رأينا أحدهما مستحسنًا ، والآخر مستهجنًا علمنا أنَّ الذي يُستحسن البليغ ، والذي يستهجن ليس بيلغي .

(١) الجهد : النقاد الخير .

وقال العتّابي : كلُّ مَنْ أفهمك حاجته فهو بليغ . وإنما عني : إن أفهمك حاجته بالالفاظِ الحسنة ، والعبارةِ النيرة فهو بليغ .

ولو حملنا هذا الكلام على ظاهره للزم أن يكون الأكنُّ بليغا ؛ لأنه يُفهمنا حاجته ؛ بل ويلزم أن يكون كلُّ الناس بُلغَاء حتى الأطفال ، لأنَّ كلَّ أحد لا يعدم أن يدلَّ على غرضه بمُجمِّته أو لُكنَّته أو إيمائه أو إشارته ؛ بل لزم أن يكون السَّنور بليغا ؛ لأنَّا نستدلُّ بضغائه^(١) على كثير من إرادته . وهذا ظاهرُ الإحالة .

ونحن نفهم رِطانة السُّوق^(٢) . وجَمَجَمَة^(٣) الأعجميِّ لِلْعَادَةِ التي جرت لنا في سماعها . لا لأنَّ تلك بلاغة ؛ ألا ترى أن الأعرابيَّ إن سمع ذلك لم يفهمه ؛ إذ لا عادة له بسماعه .

وأراد رجلٌ أن يسألَ بعضَ الأعراب عن أهله فقال : كيف أهلك ؟ بالكسر . فقال له الأعرابي : صلبا ؛ إذ لم يشكَّ أنه إنما يسأله عن السبب الذي يهلك به . وقال الوليدُ بن عبد الملك لأعرابي شكّا إليه خَتَنًا^(٤) له ، فقال : من خَتَنَكَ ؟ ففتح النون . فقال : مُعَذِّر^(٥) في الحى ؛ إذ لم يشكَّ في أنه إنما يسأله عن خاتِنه . وقال رجل لأعرابي : أتى عليك بيتا . فقال : أتى على نفسك . وسمع أعرابي قصيدة أبي تمام^(٦) :

طَلَلَ الْجَمِيعَ لَقَدْ عَفَوْتَ حَمِيدًا^(٧)

فقال : إن في هذه القصيدة أشياء أفهمها ، وأشياء لا أفهمها ؛ فإما أن يكون قائلها أشعرَ من جميع الناس ، وإما أن يكون جميعُ الناس أشعرَ منه . ونحن نفهم

(١) الضغاء من السنور : صياحه . (٢) الرطانة ، بفتح الراء وكسرها : السلام بالأعجمية .

(٣) الجمجمة : ألا يبين الإنسان كلامه . (٤) الختن : الصهر . (٥) الإغذار : الختان .

(٦) ديوانه : ٨٧ يمدح خالد بن يزيد الشيباني . (٧) بقيته :

* وكفى على رزئي بذلك شهيدا *

معاني هذه القصيدة بأثرها ؛ لعادتنا بسماع مثلها ، لا لآثنا أعرفُ بالكلام من الأعراب .

ومما يؤيدُ ما قلنا من أنَّ البلاغة إنما هي إيضاحُ المعنى وتحسينُ اللفظ قولُ بعض الحكماء : البلاغةُ تصحيحُ الأقسام ، واختيارُ الكلام . إلى غير ذلك مما سنذكره ونفسره في هذا الباب إن شاء الله .

وقال محمد بنُ الحنفية رضى الله عنه : البلاغةُ قولٌ تضطرُّ العقولُ إلى فهمه بأسهلِ العبارة ؛ فقوله : « تضطرُّ العقولُ إلى فهمه » عبارةٌ عن إيضاحِ المعنى ، وقوله : « بأسهلِ العبارة » تنبيهٌ على تسهيلِ اللفظ وتركِ تنقيحه . ومثل ذلك من النثر قول بعضهم لأخ له : ابتدأتنى بلطفٍ من غيرِ خِبرة ، ثم اعقبتنى جفاً من غيرِ هفوة ، فأطمعنى أولئك في إخالِكَ ، وأيأسنى آخرُكَ من وفائِكَ ؛ فسبحانَ من لو شاء كشفَ إيضاحِ الرأي في أمرِكَ عن عزيمةِ الشكِّ في حالِكَ ؛ فأقمنا على ائتلافٍ ، أو افرقنا على اختلافٍ .

وقول الآخر : لم يدع انقباضك عن الوفاء ، وانجذابك مع سوء الرأي في ملاحظة الهجر ، والاستمرار على العذر ، محرراً من القلب عليك ، ولا خاطراً يؤمى إلى حُسنِ الظنِّ بك . هيئات انقضت مُدَّةُ الانجذاب لك حين أخلفت عدة الأمانى فيك ، وما وجدنا سائراً من تأييب النصحاء في الليل إليك ، والتوفُّر عليك ؛ إلا الإقرارَ بطاعةِ الهوى ، والاعترافَ بسوء الاختيار .

وكتب بعضُ الكتاب إلى أخ له : تأخرت عني كتبك تأخراً ساء له ظنى ، إشفافاً من الحوادث عليك ، لا توهُماً للجفاء منك ؛ إذ كنت أثقُ من مودَّتِكَ بما يُعِينُنِي عن مُعَاتَبَتِكَ .

ومما هو في هذه الطريقة ، وهو أجزلُ مما تقدَّم ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبي بكر ابنِ دريد ، عن عبد الرحمن ، عن عمه ، قال : وقف علينا أعرابي ونحن برملة اللوى ،

فقال : رَحِمَ اللهُ امرأاً لم تَمَجِّ أذناه كَلأى ، وقدم مَعَاذَهُ ^(١) من سُوءِ مَقَامى ؛ فَإِنَّ
الْبَلَادَ مُجْدِبَةً ، وَالْحَالَ مُسْغِبَةً ^(٢) ، وَالْحَيَاءَ زَاجِرٌ يَمْنَعُ مِنْ كَلَامِكُمْ ، وَالْفَقْرَ عَازِرٌ
يَدْعُو إِلَى إِخْبَارِكُمْ ، وَالِدَعَاءَ إِحْدَى الصَّدَقَتَيْنِ ؛ فَرَحِمَ اللهُ امرءاً أَمَرَ بِمَيْرٍ ^(٣) ، أَوْ
دَعَا بِخَيْرٍ .

وقول بمضهم - يمدح رجلاً : كَانَ وَاللَّهُ بَعِيدَ مَسَافَةِ الرَّأْيِ ، يَرَى بِهِمَّتِهِ حَيْثُ
أَشَارَ السَّكْرَمُ ، يَصَافِحُ عَنْ صَاحِبِهِ نُوبَ الزَّمَانِ ، وَيَتَحَسَّى مَرَارَةَ الْإِخْوَانِ ، وَيُسَيِّفُهُمُ
الْعَذَبَ ، وَيَمْطِفُهُمْ مِنْهُ عَلَى مَا جِدَّ نَدَبٌ ^(٤) .

(١) المَعَاذُ : الَّذِي يَمَازُ بِهِ . (٢) أَسْغَبَ : دَخَلَ فِي الْمَجَاعَةِ .
(٣) مَارَ : جَلَبَ الطَّعَامَ . (٤) النَّدَبُ : الْحَقِيفُ فِي الْحَاجَةِ ، الظَّرِيفُ النَّجِيبُ .

الفصل الثالث

وهو القول في تفسير ما جاء عن الحكماء والعلماء في حدود البلاغة

فحقيقة البلاغة هي ما ذكرته . وقد جاء عن الحكماء فيه ضروبٌ أنا ذاكرها ومفسرٌها لتكمل فائدة الكتاب إن شاء الله .

قال إسحق بن حسان : لم يفسر أحدُ البلاغة تفسيرَ ابنِ المقفع ؛ إذ قال : البلاغة اسمُ لمعانٍ تجري في وجودٍ كثيرة ؛ منها ما يكونُ في السكوتِ ، ومنها ما يكونُ في الاستماعِ ، ومنها ما يكونُ شعراً ، ومنها ما يكونُ سجعاً ، ومنها ما يكونُ خطباً ، وربما كانت رسائل . فعامةُ ما يكونُ من هذه الأبواب فالوَحْيُ فيها والإشارة إلى المعنى أبلغ ، والإيجازُ هو البلاغة .

فقوله : «منها ما يكونُ في السكوتِ» ، فالسكوتُ يسمَّى بلاغةً مجازاً ، وهو في حالةٍ لا ينبعُ فيها القولُ ولا ينفعُ فيها إقامةُ الحجج . إما عند جاهلٍ لا يفهمُ الخطاب ، أو عند ضييعٍ لا يرهبُ الجواب ، أو ظالمٍ سَلِيطٍ يحكمُ بالهوى ، ولا يرتدع بكلمة التقوى . وإذا كان الكلامُ يعرَى من الخير ، أو يجلب الشرَّ فالسكوتُ أولى ؛ كما قال أبو المتاهية^(١) :

ما كُلُّ نطقٍ له جوابٌ جَوَابُ مَا يُسْكِرُهُ السكوتُ

وقال معاوية رضي الله عنه لابن أوس : ابغِ لي محدثاً . قال : أو تحتاجُ معي إلى محدث ؟ قال : أسترخُ منه إليك ، ومنك إليهِ ، وربما كان صمتُك في حال أوفق من كلامك .

وله وجهٌ آخر ؛ وهو قولهم : كلُّ صامتٍ ناطقٌ من جهة الدلالة ، وذلك أن دلائل الصنعة في جميع الأشياء واضحة ، والموعظة فيها قائمة .

وقد قال الرقاشي : سل الأرض ؛ مَنْ شَقَّ أنهارك ، وغرس أشجارك ، وجنى ثمارك ؟ فإن لم تُجِبْكَ جِوَاراً^(٢) أجابتك اعتباراً .

(١) ديوانه : ٥٥ (٢) الحوار ، بالفتح وبكسر : المجاوبة ومراجعة الكلام .

ولما مات الإسكندر وقف عليه بعض اليونانيين فقال: قد طالما وعظنا هذا الشخص بكلامه ، وهو اليوم لنا بسكوتِهِ أَوْعَظَ ، فنظم هذا الكلام أبو العتاهية في قوله:

وكانت في حياتك لي عِظَاتٌ وَأَنْتَ اليومَ أوعِظُ منك حَيًّا

وأحسن من هذا الكلام كله وأبلغ قولُ الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ، وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ ﴾ . معناه يدلُّ على الله بصنْعَتِهِ فِيهِ ؛ فَكَيْفَ يَسْجُدُ ، وَإِنْ لَمْ يَسْجُدْ وَلَمْ يَقْرَأْ بِذَلِكَ . وقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغَدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ . وقوله سبحانه: ﴿ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِيحُ بِحَمْدِهِ ، وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ . أي لا تفهمونه من جهة السمع ، وإن كنتم تفهمونه من جهة العقل .

وقد قال بعض المهند: جُمَاع^(١) البلاغة: البَصَرُ بالحِجَّةِ ، والمعرفةُ بمواقع الفرصة . ومن البَصَرِ بالحِجَّةِ أَنْ يَدَعَ الإفصاحَ بها إلى الكناية عنها إذا كان طريقُ الإفصاحِ وَغَرًّا ؛ وكانت الكنايةُ أَحْصَر^(٢) نَفْعًا . وذلك مثل ما أخبرنا به أبو أحمد ، عن أبيه ، عن عسل بن ذكوان ، قال : دخل عبيد الله بن زياد بن ظبيان على عبد الملك بن مروان ، وأراد أن يَقْعُدَ معه على سريره ، فقال له عبد الملك : ما بالُ العربِ تَزْعُمُ أَنَّكَ لَا تُشَبِّهُ أَبَاكَ ؟ قال : والله لأنا أَشَبُّهُ بِأَبِي مِنَ اللَّيْلِ بِاللَّيْلِ ، والغرابِ بالغرابِ ، ولكن إن شئتَ خَبِرْتُكَ عَنْ لَيْلٍ لَا يُشَبِّهُ أَبَاهُ ! قال : مَنْ ذَاكَ ؟ قال : مَنْ لَمْ تُنْضِجْهُ الْأَرْحَامُ ، وَلَمْ يُولَدْ لِتَمَامٍ ، وَلَمْ يُشَبِّهِ الْأَخْوَالُ وَالْأَعْمَامُ . قال : وَمَنْ ذَاكَ ؟ قال : سويد بن منجوف . قال عبد الملك : أَكْذَاكَ أَنْتَ يَا سَوِيدُ ؟ قال : نعم . فلما خرجا قال عبيد الله لسويد : وَرَيْتُ بِكَ زِنَادِي ، وَاللَّهِ مَا يَسُرُّنِي بِجَلِّهِ عَنِي حَمْرُ النَّمَمِ ! قال سويد : وَأَنَا وَاللَّهِ مَا يَسُرُّنِي أَنَّكَ نَقَصْتَهُ حَرْفًا ، وَإِنِّي لِي سَوْدُ النَّمَمِ^(٣) .

(١) هو من كل شيء : مجتمع أصله . (٢) في ١ ، ب « أَحْصَرُ نَفْعًا » .

(٣) النمم : المال الراعى ، وأكثر ما يطلق على الإبل . والحمر : خيار الإبل .

وإنما كان عَرْضَ بمعد الملك وكان وَلَدَ سَبْعَةِ أشهر .

وربما كانت البلاغة سبباً للحِرْمَان . وأسبابُ الأمور طريفة والانفاقات عجيبة : أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن عسل بن ذكوان ، قال : كتب بعضهم إلى النصور كتاباً حسناً بليغاً يستمنحه فيه . فكتب إليه النصور : البلاغةُ والفِئسَى إذا اجتمعا لأمريء أبطراه ؛ وأميرُ المؤمنين مُشْفِقٌ عليك من البَطَر ، فاكتفِ بأحدهما .

وقوله ^(١) : «ربما كانت البلاغةُ في الاستماع» ، فإنَّ المخاطبَ إذا لم يُحَسِّنِ الاستماعَ لم يقفْ على المعنى المؤدَّى إليه الخطاب . والاستماعُ الحسنُ عَوْنٌ للبلغِ على إفهام المعنى . وقال إبراهيم الإمام : حَسْبُكَ من حظِّ البلاغةِ ألاَّ يؤتَى السامع من سوء إفهام الناطق ، ولا يؤتَى الناطق من سوء فهم السامع . وقال الهندي أيضاً : البلاغةُ وضوحُ الدَّلَالَةِ ، وانتهازُ الفرصة ، وحُسْنُ الإشارة . وقول عبید الله بن عتبة : البلاغةُ دُنُوُّ المأخذ ، وقرعُ الحجة ، وقليل من كثير .

فأما البصر بالحجَّة فتل ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبيه عن عسل قال : قال الهيثم بن عدى : أنبأني عطاء بن مصعب ، قال : كان أبو الأسود شبيعةً لعلَّ بن أبي طالب رضى الله عنه ، وكان جيرانه عثمانية فرمَوْه يومًا ؛ فقال : أرموني ؟ قالوا : بل الله يرْميك . قال : كذبتُم ، إنكم تخطئون ، وإنَّ الله لورماني لما أخطأ . وقال بعضهم لأبي علي محمد بن عبد الوهاب : ما الدليلُ على أنَّ القرآن مخلوق ؟ قال : إنَّ الله قادرٌ على مثله . فما أحرَّ السائل جواباً .

ومثل ذلك ما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه - وهو يومئذ خليفةٌ وكان على المنبر يخطب في يومِ جمعة ، فدخل عثمان بن عفَّان رضى الله عنه عليه . فقال عمر : ما بال أقوام يسمعون الأذان ويتأخرون ؟ فقال عثمان : والله ما تأخرتُ إلاَّ ريثما توضأتُ . فقال عمر : وهذا أيضاً ، أما سمعت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من أتى الجمعة فليغتسل» .

(١) من كلام ابن الفقع ص ١٤ وعبارته هناك : « ومنها ما يكون في الاستماع » .

ومثله قول أبى يوسف بعرفة وقد صلى خلف الرشيد فلما سلم فى الركنين -
قال : يا أهل مكة ؛ أتموا صلاتكم فإننا قوم سفر^(١) . فقال بعض أهل مكة : من عندنا
خرج العلم إليكم . فقال أبو يوسف : لو كنت فقيهاً لما تكلمت فى الصلاة .

وأخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن عسل بن ذكوان ؛ قال : أقام شاعر يباب معن بن
زائدة خوفاً لا يصل إليه ، فكتب إليه رقعة ودفعها إليه^(٢) :

إذا كان الجواد له حجاب فما فضل الجواد على البخيل !
فكتب معن فيها^(٣) :

إذا كان الجواد قليل مال ولم يُمذر تكلل بالحجاب
فانصرف الرجل يائساً ؛ ثم حمل إليه معن عشرة آلاف درهم .

ومن ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبيه عن عسل بن ذكوان قال : بلغ على
ابن الحسين رضى الله عنهما أن عروة بن الزبير وابن شهاب الزهرى يتناولان عليا
ويتبثان به ؛ فأرسل إلى عروة ؛ فقال : أما أنت فقد كان ينبغي أن يكون فى نكوص
أبيك يوم الجمل وفراره ما يحجزك عن ذكر أمير المؤمنين ، والله لئن كان على
باطل لقد رجع أبوك عنه ، ولئن كان على حق لقد فرأ أبوك منه .
وأرسل إلى ابن شهاب ، فقال : وأما أنت يا ابن شهاب فما أراك تدعى حتى
أعرفك موضع كثير^(٣) أبيك .

ومن وضوح الدلالة وقرع الحجة قول الله سبحانه : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا
وَنَسِيَ خَلْقَهُ . قَالَ : مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ : يُحْيِيهَا الَّذِى أَنْشَأَهَا أَوَّلَ
مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ .

(١) مسافرون . (٢) العقد : ١ - ٨٦ .

(٣) الكبير ، بالسكسر : زق ينفخ فيه الحديد . وأما المبنى من طين فهو كور .

فهذه دلالة واضحة على أن الله تعالى قادر على إعادة الخلق، مستغنيةً بنفسها عن الزيادة فيها ؛ لأن الإعادة ليست بأصعبَ في العقول من الابتداء . ثم قال تعالى : ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ ؛ فزادها شَرْحاً وقوة ، لأنَّ من يُخْرِجُ النَّارَ من أجزاء الماء، وهما ضدان، ليس بمنكرٍ عليه أن يُعيد ما أفناه . ثم قال تعالى : ﴿وَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ . فقوَّاهَا أيضاً، وزاد في شَرْحِهَا، وبلغ بها غايةَ الإيضاح والتوكيد ؛ لأنَّ إعادة الخلق ليست بأصعبَ في العقول مِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ابتداءً .

وحضر أبو الهذيل جنازة فلما دفن الميت قال رَجُلٌ : يا أبا الهذيل ؛ الإيمان برجوع هذا صعب . فقال أبو الهذيل : يميده الذي أنشأه أول مرة ، إنه على رَجْعِهِ لقادر .

وأما انتهاز الفرصة فثأله أيضاً قولُ أبي يوسف مع أكثر ما جرى في هذا الفصل .

ومنه ما أخبرني به أبو أحمد قال أخبرني الحلواني ^(١) ، قال حدثني محمد بن زكريا ، قال حدثنا محمد بن عبد الله الجشمي ، عن المدائني ، قال : دخل عمرو بن العاص على معاوية وهو يتغدى فقال له : هلم ياعمرو . فقال : هنيئاً يا أمير المؤمنين ، أكلتُ آنيافاً . فقال : أما علمتَ ياعمرو أن من شراهة الرءى ألا يدعَ في بطنه مستراداً لستريد ! فقال : قد فعلت يا أمير المؤمنين . فقال : ويحك لمن بقيته ؟ ألِمَنْ هُوَ أَوْجَبُ حَقًّا من أمير المؤمنين ؟ قال : لا ، ولسكن لمن لا يعذر عُذْرَ أمير المؤمنين . قال : فلا أراك إلا ضيقتَ حقاً لحقٍّ لملك لا تُدْرِكُه . فقال عمرو : ما لقيت منك يا معاوية ! ثم دنا فأكل .

وقال أبو العيْناء لابن ثوابة : بلغني ما خاطبت به أبا الصقر، وما منعه من استقصاء الجواب إلا أنه لم ير عِرضاً فيمضغه ، ولا مجدداً فيهدمه . وبعد فإنه عافَ لحك أن

(١) في ط « أخبرني الجلودى الحلواني » .

يَأْكَلَهُ ، وَسَهَكَ^(١) دَمَكَ أَنْ يَسْفِكَه ، فقال : ما أنت والكلام يا مُكْدِي^(٢) ؟ فقال : لا ينكر على ابن ثمانين سنة ، قد ذهب بصره ، وجفأه سلطانُه ، أن يعول على إخوانه ؛ فيأخذ من أموالهم ، ولكن أشد من هذا أن تستنزل ماءً أَصْلَابِ الرجال فتستفرغه في حقيبتك . فقال ابن ثوبة : الساعة أمر أحد غلمانِي بك . فقال : أيهما ؟ الذى إذا خلوت ركب ، أم الذى إذا ركبْتَ خلا ؟ فقال ابن ثوبة : ما تسابَّ اثنتان إِلَّا غَلَبَ الْأُمُّهُمَا . قال أبو العيناء : بها غلبت أبا الصقر .

فانظر إلى انتهاز الفرصة في قوله : بها غلبت أبا الصقر .
ومنه أن بعض الكتاب لقي أبا العيناء في السَّحَرِ ، فجعل يتعجب من بُكُورِهِ ؛ فقال : أنشركننى في الفعل وتنفرد بالتعجب .

وقالت له قينةٌ : هَبْ لِي خاتمك أَذْكَرُكَ بِهِ . قال : اذكُرْنِي بِالْمَنْعِ .
وقيل له : لا تَعْجَلْ فَإِنَّ الْمَجَلَ^(٣) من عمل الشيطان . فقال : لو كانت من عمل الشيطان لما قال موسى عليه السلام : ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾ .
وقال عبيد الله بن سليمان : إن الأخبار المذكورة في السخاء وكثرة العطاء من تصنيف الوراقين وأكاذيبهم . فقال أبو العيناء : ولِمَ لا يكذبون على الوزير أَيْدَهُ اللَّهُ !

وأما الإشاعة فسنذكرها في موضعها إن شاء الله .
وقال حكيمُ الهند : أولُ البلاغة اجتماعُ آلةِ البلاغة ، وذلك أن يكون الخطيبُ رَاطِطَ الْجَأْشِ ، سَاكِنَ الْجَوَارِحِ ، متخير اللفظ ، لا يكلمُ سَيِّدَ الْأُمَّةِ بكلامِ الْأُمَّةِ ، ولا الملوكَ بكلامِ السُّوقَةِ . ويكون في قواه التصرف في كل طبقة ، ولا يدققُ المعاني كلَّ التدقيق ، ولا يُتَفَحُّ الألفاظَ كلَّ التَّنْقِيحِ ، ويُصَفِّيها كلَّ التَّصْفِيَةِ ، ويَهْدِيها

(١) سهك : كره سفك دمه ، استعاره من السهك ، وهى ربح كريمة تجدها من الإنسان إذا عرق . (٢) المكدي هنا : الذى لا يقدر على الإبانة ، وأصله فى الجذب . (٣) العجل والعجلة : السرعة .

كلَّ التهذيب ؛ ولا يفعل ذلك حتى يصادفَ حكيمًا ، وفيلسوفًا عظيمًا ، ومن تمودَّ
حَذَفَ فضولَ الكلامِ ، وإسقاطَ مشتركاتِ الألفاظِ ؛ ونظر في صناعة المنطق على جهة
الصناعة والمبالغة فيها ، لا على جهة الاستطراف والتطرف لها .

قال : واعلم أنَّ حقَّ المعنى أن يكونَ الاسمُ له طبقاً^(١) ، وتلك الحال له وفقاً ،
ولا يكونَ الاسمُ فاضلاً ، ولا مقصراً ، ولا مشتركاً ، ولا مضمناً ؛ ويكونَ تصفُّحه
لمصادر كلامه بقدرِ تصفُّحه لمواردِه ؛ ويكونَ لفظه مَوْثِقاً ، ومعناه نيراً واضحاً .
ومَدَّارُ الأمرِ على إفهامِ كلِّ قومٍ بقدرِ طاقتهم ، والحملُ عليهم على قدرِ منازلهم ؛ وأن
تَوَاتَرِيهَ آلتُهُ ، وتتصرف معه أدواتُهُ ، ويكونُ في التهمة لنفسه معتدلاً ، وفي حُسْنِ
الظنِّ بها مقتصداً ؛ فإنه إنَّ تجاوزَ الحقِّ في مقدارِ حسنِ الظنِّ أودعها تهاونُ الآمنينَ ،
وإنَّ تجاوزَ بها مقدارَ الحقِّ في التهمة ظلمها وأودعها ذلُّ المظلومينَ . ولكلُّ ذلك
مقدارٌ من الشغل ، ولكلُّ شغلٍ مقدارٌ من الوهن ، ولكل وهن مقدارٌ
من الجهل .

فَقَوْلُهُ^(٢) : «أولُ البلاغةِ اجتماعُ آلةِ البلاغةِ» وأولُ آلاتِ البلاغةِ جَوْدَةُ القريحةِ
وطلاقةُ اللسانِ . وذلك من فِعْلِ اللَّهِ تعالى ؛ لا يَقْدِرُ العبدُ على اكتسابه لنفسه
واجتلابه لها .

ومن الناس مَنْ إذا خلا بنفسه وأَعْمَلَ فِكْرَهُ أُنِيَ بالبيانِ العَجِيبِ ، والكلامِ
البديعِ المَصِيبِ ، واستَخْرَجَ المعنى الرائقَ ، وجاء باللفظِ الرائعِ . وإذا حاورَ أو ناظرَ
قَصَرَ وتأخَّرَ . نَحَقُّ هَذَا أَلَّا يَتَمَرَّضَ لَارْتِجَالِ الخطبِ ، ولا يُجَارِي أصحابَ البدائِهِ
في ميدانِ القريضِ ، ويكتفى بنتائجِ فِكْرِهِ .

والناسُ في صناعةِ الكلامِ على طبقاتٍ : منهم من إذا حاورَ وناظرَ أبلغَ وأجَادَ ،
وإذا كتبَ وأهْلَى أَخْلَ وتَخَلَّفَ . ومنهم من إذا أَمْلَى بَرَزَ ، وإذا حاورَ أو كتبَ

(١) الطبق من كل شيء : ماساواه . (٢) أي قول حكيم الهند ص ١٩ .

قَصْر . ومنهم مَنْ إذا كتب أحسن ، وإذا حاور وأملى أساء . ومنهم من يُحَسِّن في جميع هذه الحالات . ومنهم من يُسِيء فيها كلَّها .
فأحسنُ حالاتِ المِسيء الإمساك ، وأحسنُ حالاتِ الحسنِ التوسُّط ؛ فإنَّ الإكثارَ يُورِثُ الإملاَل ، وقلَّما يَنْجُو صاحِبُه من الزَّلَلِ والعيبِ والخطَلِ^(١) .
وليس ينبغي للحسنِ في أحدِ هذه الفنونِ المِسيء في غيرها أن يتجاوزَ ما هو مُحسِّنٌ فيه إلى ما هو مِسيءٌ فيه ؛ فإن اضطرَّ في بعض الأحوالِ إلى تجاوزه بغيرِ سبيلٍ فيه قَصْدُ الاختصارِ ، وتجنُّبُ الإكثارِ والإهذارِ ؛ لِقِلَّةِ السَّعْيِ في كلامه ، ولا يَكْثُرُ العيبُ في منطقته .

وقيل لابن المقفَّع : لِمَ لا تُطِيلُ القصائد ؟ قال : لو أَطَلَّهَا عُرِفَ صاحبُها .
يريد أن المُحَدَّثَ يَتَشَبَّهُ بالقديمِ في القليلِ من الكلامِ ، فإذا أطال اختلَّ ، فعرفَ أنه كلامٌ مولدٌ . على أن السابقَ في ميادينِ البلاغةِ إذا أَكْثَرَ سَقَطَ ، فكيف المقصِّرُ عن غايتها ، والمتخلِّفُ عن أمدِّها ؟

ومن تمامِ آلاتِ البلاغةِ التوسُّعُ في معرفةِ العربيةِ ، ووجوهُ الاستعمالِ لها ؛ والعلمُ بفاخِرِ الألفاظِ وساقِطِها ، ومتخَيِّرِها ، ورديِّها ؛ ومعرفةُ المقاماتِ ، وما يصلحُ في كلِّ واحدٍ منها من الكلامِ ، إلى غيرِ ذلك مما سنذكره في البابِ الثاني عند ذكر صَنَعَةِ الكلامِ إن شاء الله .

وقوله^(٢) : وهو « أن يكون الخطيبُ رابطَ الجأشِ » ساكنَ النفسِ جدًّا ؛ لأنَّ الحَيَرَةَ والذَّهْشَ^(٣) يُورِثَانِ الحُبْسَةَ والحَصَرَ^(٤) ؛ وهما سببُ الإرتاجِ والإجبالِ^(٥) .

(١) الخطل : الخطأ . (٢) أي حكيم الهندس ١٩ ، وعبارته هناك : « وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش » . (٣) الدهش : التحير . (٤) الحبسة : تعذر الكلام عند إرادته . والحصر : العي في المنطق . (٥) أرَّج عليه : استغلق عليه الكلام . وأجبل الشاعر : صعب عليه القول .

وقد بلغك ما أصاب عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ رضى الله عنه أول ما صعد المنبر فَأَرْتَجَّ عليه ، فقال : إِنْ اللَّذَيْنِ كَانَا قَبْلِي كَانَا يُعِدَّانِ لِهَذَا الْمَقَامِ مَقَالًا ، وَأَنْتُمْ إِلَى إِمَامٍ عَادِلٍ أَحْوَجُ مِنْكُمْ إِلَى إِمَامٍ قَائِلٍ ، وَسَتَأْتِيكُمْ الْخُطْبَةُ عَلَى وَجْهِهَا . ثُمَّ نَزَلَ .

وصعد بعضُ العرب منبراً بخُرَّاسَانَ فَأَرْتَجَّ عليه ، فقال حين نَزَلَ (١) :

لَكِنْ لَمْ أَكُنْ فِيكُمْ خَطِيبًا فَإِنِّي بَسَيْفِي إِذَا جَدَّ الْوَعَى لَخَطِيبٍ
ومن حسن الاعتذار عند الارتجاج ما أخبرنا به أبو أحمد ، قال : أخبرنا الشطرنجى :
قال : أخبرنا الغلابي قال : أخبرنا المثنبي عن أبيه ؛ قال : خطب دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ ، فحمد
الله جَلَّ وَعَزَّ وَأَثْنَى عليه وصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلما قال : «أَمَّا بَعْدُ» ،
امتنعَ عليه الكلام ، ثم قال : أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ يَجِدُ الْمُعْسِرُ ، وَيُعْسِرُ الْمُؤَسِّرُ ، وَيُقَلُّ
الحديد ، وَيَقْطَعُ الْكَلِيلُ ، ؛ وَإِنَّمَا الْكَلَامُ بَعْدَ الْإِخْلَامِ كَالْإِشْرَاقِ بَعْدَ الْإِظْلَامِ . وَقَدْ
يَعَزُّبُ الْبَيَانُ ، وَيَعْتَمُ الصَّوَابُ ؛ وَإِنَّمَا اللِّسَانُ مُضْغَةٌ مِنَ الْإِنْسَانِ . يَقْتَرِفُوتُورِهِ
إِذَا نَكَلَ ، وَيَتُوبُ بِانْبِسَاطِهِ إِذَا ارْتَجَلَ . أَلَا وَإِنَّا لَا نَنْطِقُ بَطَرًا ، وَلَا نَسْكُتُ
حَصْرًا ؛ بَلْ نَسْكُتُ مُعْتَبِرِينَ ، وَنَنْطِقُ مُرْشِدِينَ ، وَنَحْنُ بَعْدُ أَمْرَاءُ الْقَوْلِ ، فِينَا
وَشَجَّتْ (٢) أَعْرَاقُهُ ، وَعَلَيْنَا عَطَفَتْ أَغْصَانُهُ ، وَلَنَا تَهْدَلَتْ ثَمَرَتُهُ . فَتَنْخِيَرُ مِنْهُ
مَا أَحْوَلَى وَعَذَّبَ ، وَنَطْرَحُ مِنْهُ مَا أَمْلَوْحُ وَخَبِثَ ، وَمِنْ بَعْدِ مَقَامِنَا هَذَا مَقَامٌ ،
وَبَعْدَ أَيَّامِنَا أَيَّامٌ ، يُعْرَفُ فِيهَا فَضْلُ الْبَيَانِ ، وَفَصْلُ الْخِطَابِ ، وَاللَّهُ أَفْضَلُ مُسْتَعْمَانٍ .
ثُمَّ نَزَلَ (٣) .

وعلامَةُ سَكُونِ نَفْسِ الْخَطِيبِ وَرَبَاطَةُ جَأَشِهِ هَدْوُهُ فِي كَلَامِهِ ، وَتَمَثُّلُهُ فِي
مَنْطِقِهِ .

(٢) وشجت : اشتبكت .

(١) المقد الفريد : ٤ - ٩٦ ، ١٤٧

(٣) تروى هذه الخطبة لصالح بن علي ، وتروى لأبي العباس السفاح . وانظر زهر الآداب

(٢ : ٢٨٥) ، وأمالى المرتضى (٤ : ١٩) .

وقال ثمامة : كان جعفر بن يحيى أنطقَ الناس ، قد جمع الهدوء والتمهل ،
والجزالة والحلاوة . ولو كان في الأرض ناطقٌ يستغنى عن الإشارة لكانه .
وقوله ^(١) : «متخير الألفاظ» . فدارُ البلاغة على تحيُّر اللفظ ؛ وتحيرُه أصعبُ
من جمعه وتأليفه . وسنُشبع الكلام في هذا إن شاء الله .

وقوله : « يكون في قواه فضلُ التصرف في كل طبقة » ، وهو أن يكون
صانعُ الكلام قادراً على جميع ضروبه ، متمكناً من جميع فنونه ، لا يمتص ^(٢) عليه
قسم من جميع أقسامه . فإن كان شاعراً تصرّف في وجوه الشعر ؛ مديحٍ وهجائه
ومراثيه وصفاته ومفاخره ، وغير ذلك من أصنافه .

ولاختلاف قوَي الناس في الشعر وفنونه ما قيل : كان امرؤ القيس أشعر
الناس إذا ركب ، والنايفة إذا رهب ، وزهير إذا رغب ، والأعشى إذا طرب .
وكذلك الكاتب ربما تقدّم في ضربٍ من الكتابة وتأخّر في غيره ، وسهل
عليه نوعٌ منها وعيّر نوعٌ آخر .

وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر الصولى ، قال : حدثنا القاسم بن إسماعيل ، قال :
حدثنا إبراهيم بن العباس ، قال : سمعت أحمد بن يوسف يقول : أمرنى المأمون أن
أكتبَ إلى النواحي في الاستكثار من القناديل في المساجد في شهر رمضان ، فبتُّ
لا أدرى كيف أحتذى ، فأتانى آتٍ فى منامى فقال : قل : « فإنّ في ذلك عمارةٌ
للمساجد ، وأنساً للسابلة ^(٣) ، وإضاءةً للمتجدين ، ونفياً لمكامن الرّيب ،
وتنزيهاً لبيوت الله جلّ وعزّ عن وحشة الظلم » . فانتبهتُ وقد انفتح لى ما أريد ،
فابتدأت بهذا وأتممتُ عليه .

والمقدّم في صنعة الكلام هو المستولى عليه من جميع جهاته ، المتمكّن من

(١) حكيم الهند ص ١٩ . (٢) لا يعتاص : اعتناص الأمر عليه : اشتد عليه فلم يهتد
لصواب . (٣) السابلة : القوم المختلفون على الطرق السلوك .

جميع أنواعه ، وبهذا فضّلوا جريراً على الفرزدق . وقالوا : كان له في الشعر ضروب لا يعرفها الفرزدق . وماتت امرأته النّوار فَناحَ عليها بشعر جرير^(١) :

لَوْلَا الْحَيَاءُ لَهَا جَنِي اسْتِمْبَارُ وَلَزَرْتُ قَبْرَكَ وَالْحَبِيبُ يُزَارُ
وكان البحترى يفضل الفرزدق على جرير ، ويّزعم أنه يتصرّف من المعاني فيما لا يتصرّف فيه جرير ، ويؤرّد منه في شعره في كلّ قصيدة خلاف ما يورده في الأخرى . قال : وجرير يكرّر في هجاء الفرزدق ذكر الزبير ، وجعثن ، والنّوار^(٢) ، وأنه قَيْنُ مُجَاشِع . لا يذكر شيئاً غير هذا .

وسئل بعضهم عن أبي نواس ومسلم : فذكر أن أبا نواس أشعر ؛ لتصرّفه في أشياء من وجوه الشعر وكثرة مذاهبه فيه ، قال : ومسلم جارٍ على وتيرة واحدة لا يتغيّر عنها .

وأبلّغ من هذه المنزلة أن يكون في قوة صائرغ الكلام أن يأتي مرّةً بالجزل ، وأخرى بالسهل ؛ فليّن إذا شاء ، وبشدد إذا أراد . ومن هذا الوجه فضّلوا جريراً على الفرزدق ، وأبا نواس على مسلم . قال جرير^(٣) :

طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ وَلَيْسَ ذَا وَقَتُّ الزَّيَادَةِ فَارْجِعْ بِسَلَامٍ
تَجْرِي السُّوَالِكُ عَلَى أَغْرٍ كَأَنَّهُ بَرْدٌ تَحْدَرُ مِنْ مُتُونٍ غَمَامٍ
فانظر إلى رِقّة هذا الكلام . وقال أيضاً^(٤) :

وَابْنُ اللَّبُونِ إِذَا مَا لَزَّ فِي قَرْنٍ لَمْ يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ الْبَزْلِ الْقَنَاعِيسِ^(٥)
فانظر إلى صلابة هذا الكلام .

(١) ديوانه ١٩٩ . (٢) الزبير وجعثن والنّوار أسماء كان جرير يعير بها الفرزدق في شعره . وانظر الموشح ص ١٢٢ . (٣) ديوانه : ٥٥١ .
(٤) ديوانه : ٣٢٣ . (٥) ابن اللبون : ولد الناقعة إذا طعن في الثالثة . ولز : شد .
والقرن : الحبل . والبزل : واحده بزل : البعير الذي دخل في السنة التاسعة . والقناعيس : جمع قنعايس : العظيم من الإبل .

والفرزدقُ يَجْرَى على طريقة واحدة ، والتصرفُ في الوجوه أبلغ .
وقال أبو نواس^(١) :

قُلْ لِيذَى الْوَجْهِ الطَّرِيرُ^(٢) وَلِيذَى الرَّذْفِ الْوَيْثِرُ^(٣)
وَلِمَنْ لَاقَ هُمُومِي وَلِفَتْحِ سُورِي
يَا قَلِيلًا فِي التَّلَاقِ وَكَثِيرًا فِي الضَّمِيرِ

فانظرُ إلى سلاسةِ هذا الكلامِ وسُهولتهِ ، وقال^(٤) :

مَا هُوَ إِلَّا لَهُ سَبَبٌ يَبْتَدِي مِنْهُ وَيَنْشَعِبُ^(٥)
فَتَنَتْ قَلْبِي مُحِبَّةٌ بِرِذَاءِ الْحُسْنِ تَنْتَبُ
خُلِّيتَ وَالْحُسْنُ تَأْخُذُهُ تَنْتَقِي مِنْهُ وَتَنْتَخِبُ
فَانْتَقَتْ مِنْهُ طَرَائِفُهُ وَاسْتَزَادَتْ فَضْلَ مَا تَهَبُ
صَارَ جَدًّا^(٦) مَا مَزَحَتْ بِهِ رَبُّ جِدِّ جَرَّةِ اللَّعِبِ

فهذا أَجْزَلُ من الأولِ قليلا . وقال في صفة الكلب^(٧) :

أَنْتُمْ كَلْبًا جَالٌ فِي رَبَاطِهِ جَوْلَ مَصَابٍ فَرٍّ مِنْ إِسْعَاطِهِ^(٨)
[عِنْدَ طَيْبٍ خَافَ مِنْ سِبَاطِهِ] هَيْجَنًا بِهِ وَهَاجَ مِنْ نَشَاطِهِ
كَالْكُوكِبِ الدُّرِيِّ فِي انْحِطَاطِهِ^(٩) عِنْدَ تَهَاوِي الشَّدِّ وَانْبِسَاطِهِ
يُقَعِّمُ^(١٠) الْقَائِدَ فِي حِطَاطِهِ^(١١) وَقَدَّه الْبَيْدَاءَ فِي اغْتِبَاطِهِ^(١٢)

(١) ديوانه ٤٢١ (٢) الطرير: ذو المنظر والرواء . (٣) في الديوان: لذى . (٤) ديوانه ٣٦١

(٥) يشعب : يتفرق . (٦) الجد : ضد الهزل . (٧) ديوانه ٢٠٧ .

(٨) الإسعاط : أسعط الدواء : أدخله في أنفه . (٩) في الديوان : « انخرطه » .

(١٠) قحمته الفرس تقحيمًا : رفته على وجهه . (١١) الحطاط : حط البعير حطاطًا : اعتمد

في الزمام على أحد شقيه كأنه حط . (١٢) قد المسافر القلاة : خرقها أي قطعها . الاعتباط : التبجح

على حسن حال ومسرة . وفي الديوان « الاعتباط » بالعين المهملة ، من قولهم : اعتبطت الريح وجه الأرض

قشرته ؟ ونسب ذلك إلى الكلب مباغلة في شدة عدوه .

لَمَّا رَأَى الْعَلِيبَ فِي أَقْوَاطِهِ سَابَحَهُ وَمرَّ فِي التَّبَاطِطِ (١)
 كَالْبَرْقِ يَقْرَى الْمَرْوُ بِالتَّقَاطِطِ مِثْلَ قَلَى طَارَ فِي أَنْفَاطِهِ (٢)
 وَأَنْصَاعَ يَتْلُوهُ عَلَى قِطَاطِهِ أَغْضَفَ لَا يَبْأَسُ مِنْ خِلَاطِهِ (٣)
 يَصِيدُ بَعْدَ الْبَعْدِ وَأَنْبِسَاطِهِ إِنْ لَمْ يَبْتَ الْقَلْبَ مِنْ نِيَّاطِهِ (٤)
 فَلَمْ يَزَلْ يَأْخُذُ فِي لَطَاطِهِ كَالصَّغْرِ يَنْقَضُ عَلَى غَطَاطِهِ (٥)
 يَقْشُرُ جِلْدَ الْأَرْضِ مِنْ بِلَاطِهِ (٦) بِأَرْبَعٍ يَذْهَبُ فِي إِفْرَاطِهِ
 لِشِدَّةِ الْجَرَى وَلَا سَتَ حُطَاطِهِ مَا أَنْ يَمْسَ الْأَرْضَ فِي أَشْوَاطِهِ
 قَدْ خَدَشَتْ رِجْلَاهُ فِي آبَاطِهِ وَخَرَقَ الْأُذُنَيْنِ بَانْتِشَاطِهِ (٧)
 خَلَجُ ذِرَاعِيهِ إِلَى مِلَاطِهِ يَنْقَدُّ عِنْدَ الضِّيقِ بَانِمِطَاطِهِ (٨)
 فِي هَبَوَاتِ الضِّيقِ أَوْ رِيَّاطِهِ فَأَدْرَكَ الظَّبْيَ وَلَمْ يُبَاطِهِ (٩)
 وَلَفَّ عَشْرِينَ إِلَى أَشْرَاطِهِ فَلَمْ نَزَلْ نُقَرَّنْ فِي رِبَاطِهِ

- (١) العليب : التيس الطويل القرنين . والأقواط : جمع قوط القطيع من الغنم ، وسابحه أبعد منه في السير . والالتباط : العدو في وثب . (٢) يقال : قروت الأرض وكروتها : تتبعها . والمرو : حجارة بيض براقه تورى النار . أو أصل الحجارة . والأنفط : من تفتت القدر تنفط ؛ إذا غلت . (٣) انصاع : اقتتل راجعاً مسرعاً . والقطاط : المثال يحذو عليه الحاذي . غضف الكلب أذنه : أرخاها وكسرها . والخلاط : اختلاط الإبل والناس والمواشي . (٤) البت . القطع . النياط : معلق كل شيء . وفي الديوان : « في نياطه » . (٥) اللطاط : الملازمة . والغطاط : بالفتح : القطا أو ضرب منه . (٦) البلاط : الأرض المستوية للمساء . (٧) الانتشاط : النشاط وفي الديوان : وخرم . (٨) الخلع : الجذب والانتزاع ، وهو القشر . والملاط : الجنب . والانعطاط : الثني من غير كسر . ورواية الديوان :

خلج ذراعيه إلى ملاطه ينقد عنه الصيق بانعطاطه

والصيق ، بكسر الصاد : القبار الجائل في الهواء .

- (٩) الهبوات : جمع هبوة ، بالفتح وهي النفرة . والرياط : من راط الوحش بالأكمة يروط ويربط ؛ أي لاذ .

وَيُعْجِلُ^(١) السَّائُونَ مِنْ خَاطِهِ وَيَطْبِخُ الطَّايِخُ مِنْ أَسْقَاطِهِ^(٢)
حتى عَلَا فِي الْجَوِّ مِنْ شَيَاطِهِ^(٣)

فَانْظُرْ إِلَيْهِ كَيْفَ يَتَصَرَّفُ بَيْنَ الشَّدَةِ وَاللَّيْنِ ، وَيَضَعُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي
مَوْضِعِهِ ، وَيَسْتَعْمَلُهُ فِي حِينِهِ .

وقوله : « وَلَا يَكَلِّمُ سَيِّدَ الْأُمَّةِ بِكَلَامِ الْأُمَّةِ ، وَلَا الْمَلُوكَ بِكَلَامِ السُّوْقَةِ » . لِأَنَّ
ذَلِكَ جَهْلٌ بِالْمَقَامَاتِ ، وَمَا يَضِلُّ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنَ الْكَلَامِ . وَأَحْسَنَ الَّذِي
قَالَ : لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ . وَبِمَا غَلَبَ سُوءُ الرَّأْيِ ، وَقَلَّةُ الْعَقْلِ عَلَى بَعْضِ عُلَمَاءِ
الْعَرَبِيَّةِ ؛ فَيَخَاطَبُونَ السُّوْقِيَّ وَالْمَلُوكَ وَالْأَعْجَمِيَّ بِالْفَظَائِلِ أَهْلُ نَجْدٍ ، وَمَعَانِي أَهْلِ
السَّرَاةِ ؛ كَأَنِّي عَلِقْتُهُ إِذْ قَالَ الْحِجَّامُ : أَشَدُّ قَصَبِ الْمَلَّازِمِ^(٤) ، وَأَرْهَفُ ظُبَاةِ
الْمَشَارِطِ ، وَأَمْرَ الْمَسْحِ ، وَاسْتَنْجِلِ الرَّشْحَ^(٥) ، وَخَفِّفِ الْوَطْءَ ، وَعَجِّلِ التَّرْعَ ،
وَلَا تَكْرِهَنَّ أَيْبَاً ، وَلَا تَتَمَنَّ أَنْبَاً . فَقَالَ لَهُ الْحِجَّامُ : لَيْسَ لِي عِلْمٌ بِالْحُرُوبِ .
وَرَأَى النَّاسَ قَدْ اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ ، فَقَالَ : مَا لَكُمْ تَكَا كَأَنْتُمْ عَلَى كَأَنْكُمْ قَدْ
تَكَا كَأَنْتُمْ عَلَى ذِي جَنَّةٍ ، أَفَرْتَقِعُوا^(٦) عَنِّي .

وَأَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدَ عَنِ الصَّوْلِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَسَدِيِّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْمَغَازِلِ
الضَّبِّيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : كَانَ لَنَا جَارٌ بِالْكُوفَةِ لَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا بِالْعَرَبِيِّ ، فَخَرَجَ إِلَى
ضَيْعَةٍ لَهُ عَلَى حِجْرٍ^(٧) مَعَهَا مَهْرٌ ، فَأَفْلَتَتْ ، فَذَهَبَتْ وَمَعَهَا مَهْرُهَا ، فَخَرَجَ يَسْأَلُ

(١) فِي الدِّيَّانِ « وَيَخْمَطُ » ، مِنْ خَطِّ اللَّحْمِ يَخْمَطُهُ خَطًّا فَهُوَ خَيْطٌ إِذَا شَوَاهُ .

(٢) السَّقَطُ : مَا أَسْقَطَ مِنَ الشَّيْءِ ، وَمَا لَاحِظٌ مِنْهُ وَجَعَهُ أَسْقَاطٌ .

(٣) شَاطُ : احْتَرَقَ أَوْ لُضِجَ حَتَّى كَادَ يَهْلِكُ .

(٤) الْمَلَّازِمُ . جَمْعُ مَلَزَمٍ ، بِكَسْرِ الْمِيمِ وَإِسْكَانِ اللَّامِ : خَشِيبَتَانِ تَشُدُّ أَوْسَاطَهَا بِمَحْدِيدَةٍ .

(٥) الظُّبَاةُ : وَاحِدَةٌ ظُبَّةٌ وَهِيَ حَدَّ سَيْفٍ أَوْ سَنْتَانٍ وَنَحْوُهُ . وَالْمَشَارِطُ : مَبْضَعُ الْحِجَامِ
الَّذِي يَشْرَطُ بِهِ الْجِلْدَ ، وَاسْتَنْجِلِ الرَّشْحَ : اسْتَخْرِجْهُ . أَمْرُ الْحَبْلِ : أَجَادَ فَتْلَهُ ، وَالْمُرَادُ الْإِحْكَامُ .

(٦) تَكَا كَأَ — بِالْهَمْزِ : تَجَمَّعَ . وَافَرْتَقِعُوا : أَذْهَبُوا . (٧) الْحِجْرُ : الْأَثَرُ مِنَ الْخَيْلِ .

عنها ، فر بنحيّاط ، فقال : ياذا النَّصَّاح^(١) ، وذات السَّم^(٢) ؛ الطامع بها في غير
وَعَى ، لغير عِدَى ؛ هل رأيت الخَيْفَانَةَ القَبَاءَ^(٣) ، يَتَّبِعُهَا الحَاسِنُ المُسْرَهَفَ^(٤) .
كَانَ غَرَّتَهُ القَمَرُ الأزهر ، يُنِيرُ في حُضْرِهِ كَالخَلْبِ الأَجْرَدِ . فقال الخِيَّاطُ :
اطْلُبْهَا في تَرْخٍ^(٥) . فقال : وَيَلَك . وما تقول قَبْحَكَ الله ؟ فما أَعْلَمَ رَطَانَتَكَ . فقال :
لن الله أَبْغَضُنَا لفظاً ، وأَخْطَانَا مَنَظِقاً .

ومثله ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبي بكر الصولي قال : حدثنا أحمد بن إسماعيل ،
قال حدثني سعيد بن حميد ، قال : نظر رجلٌ إلى أبي علقمة ، وتحتَه بَغْلٌ مِصْرِي
حَسَنُ المَنْظَرِ ؟ فقال : إِنْ كَانَ مَخْبَرُ هَذَا البَغْلِ كَمَنْظَرِهِ فَقَدْ كَمُلَ . فقال أبو
علقمة : والله لقد خرجتُ عليه من مصر ، فتَنَكَّبْتُ الطريق ، مخافة السُّراق ، وجَوَرِ
السلطان ؛ فبينما أنا أُسِيرُ في ليلة ظَلَمَاءَ قَتَمَاءَ طَخِيَاءَ^(٦) مُدْلِهَمَةٌ حِنْدُسُ^(٧)
دَاجِيَةٍ ، في صَحْصَحٍ^(٨) أَمْلَسَ ، إِذْ أَحَسَّ بِنَبَأٍ^(٩) من صوت نُفَرٍ^(١٠) ، أو طيران
ضَوْعٍ^(١١) ، أو نَفْضِ سُبَيْدٍ^(١٢) ؛ فخاصَّ عن الطريق متنكباً لعِزَّةِ نَفْسِهِ ، وفضل
قِرَّتِهِ ، فبَعَثَهُ بِاللَّجَامِ فَعَسَلَ^(١٣) ، وحرَّ كُتَّهُ بالركاب فنَسَلَ^(١٤) . وانتعل الطريق
يقتاله معترماً ، وَالتَّحَفَ اللَّيْلَ لايهاهُ مُظْلِمًا . فوالله ما شَبِهَتْهُ إِلَّا بظبية نَافِرَةٍ ،
تَحْفِزُهَا^(١٥) فَتَخْأَ شَاغِيَةً^(١٦) . قال الرجل : ادعُ الله وسلهُ أَنْ يَحْشُرَ هَذَا البَغْلَ

(١) النصاح : الخياط (٢) ذات السم : الإبرة ذات الثقب

(٣) الخيفانة : الناقة السريعة . والقباء : الدقيقة النخر الضامرة البطن . (٤) الحاسن
الحسن . والمسرَهَف من سرهف الصبي : أحسن غذاءه ونعمته (٥) قوله : في تَرْخٍ ، أراد
به التهمك ، والتَرْخُ : المزلة تزل منها الأقدام .

(٦) الطخياء : الليلة المظلمة . (٧) الحندس : الليل المظلم . (٨) الصحصح :
ما استوى من الأرض . (٩) النبأة : الصوت الخفي . (١٠) النفر : الليل وفراخ
العصافير . (١١) والضوع : طائر من طير الليل . (١٢) النفض : التحرك . والسبد ،
كصرد : طائر لين الريش إذا وقع عليه قطران من الماء جرى . (١٣) عسل : اضطرب
في عدوه وهز رأسه . (١٤) نسل : أسرع . (١٥) الحفز : الدفع من خلف .

(١٦) الفتخاء : العقاب اللينة الجناح . والشاغية : وصف لنوع منها .

معك يوم القيامة ، قال : ولم ؟ قال : لِيُجِيزَكَ الصَّرَاطُ بِطَفْرَةٍ^(١) .

وقال أبوعلقة لطبيب : أَجِدَ رَسِيْسًا فِي أَسْنَاخِي^(٢) ، وأرى وَجَعًا فيما بين الوابلة إلى الأُطْرَةِ^(٣) من دَايَاتِ العنق . فقال الطبيب : هي هي هذا وَجَعُ القُرْشَى ، قال : وما يُبْعِدُنَا مِنْهُمْ يَا عُدُوَّ نَفْسِهِ ؟ نحن من أرومة واحدة ، ونجل واحد . قال الطبيب : كذبت ، وكما خرج هذا الكلامُ من جَوْفِكَ كان أَهْوَنَ لك ، قال : بل لك الهَوَانُ والخَسَارُ والحَقَارَةُ والسبَابُ ، اخرجُ عني قَبْحَكَ الله .

وقال الجارية كان يهواها : يا خَرِيْدَةٌ ، قد كنتِ إِخَالُكِ عَرُوبًا ، فإذا أنتِ نَوَارٌ^(٤) ، مَالِي أَمِيقُكَ وَتَشَنَّتِيْنِي ! قالت : يا رَقِيع ، ما رأيتُ لِمُحَدٍّ أَحَدًا يَحِبُّ أَحَدًا فَيَشْتَمُهُ !

وإذا كان موضوعُ الكلامِ على الإِفْهَامِ فالواجب أن تَقَسِّمَ طبقاتَ الكلامِ على طبقاتِ الناسِ ، فيخاطبُ السُّوْقِيَّ بكلامِ السُّوْقَةِ ، والبَدُوِّ بكلامِ البَدُوِّ ، ولا يتجاوزُ به عما يعرفه إلى ما لا يعرفه ؛ فتذهبُ فائدةُ الكلامِ ، وتعدمُ منفعةُ الخطابِ .

وقوله : «ولا يدقق المعاني كلَّ التدقيق» . لأنَّ الغايةَ في تدقيق المعاني سبيلٌ إلى تَعَمُّيَّتِهِ ، وَتَعَمُّيَّةُ المعنى لُكْنَةٌ ؛ إلا إذا أُريدَ به الإِلْفَازُ وكان في تَعَمُّيَّتِهِ فائدةٌ ، مثلُ آيَاتِ المعاني ، وما يجري معها مِنَ اللُّحُونِ التي استعملوها وَكُنُوا بها عن المراد لِبَعْضِ الغرضِ .

فَأَمَّا مَنْ أَرَادَ الإِبَانَةَ فِي مَدِيحٍ ، أَوْ غَزَلٍ ، أَوْ صِفَةِ شَيْءٍ فَأَتَى بِإِغْلَاقٍ دَلَّ ذَلِكَ عَلَى عَجْزِهِ عَنِ الإِبَانَةِ ، وَقُصُورِهِ عَنِ الإِفْصَاحِ ، كَأَبِي تَمَامٍ حَيْثُ يَقُولُ^(٥) :

خَانَ الصَّفَاءُ أَخَا خَانَ الزَّمَانَ أَخًا عَنْهُ فَلَمْ يَتَخَوَّنْ جِسْمَهُ السَّكَمُ^(٦)

(١) الطفر : وثب في ارتفاع . (٢) الرسيس : ابتداء الحمى ، والأسناخ : الأصوغ

ومفرده سنخ . (٣) الوابلة : طرف الكتف ، والأطرة — بضم فسكون : عطف النعى ، ودايات العنق : نقارها . (٤) العروب : المتحبة إلى زوجها ، والنوار المرأة النفور .

(٥) ديوانه ٣٦٦ . (٦) رواية الديوان :

خَانَ الصَّفَاءُ أَخَا خَانَ الزَّمَانَ لَهُ أَخَا

وقوله (١) :

يَوْمَ أَفَاضَ جَوِّي أَغَاضَ تَمَرِيَا خَاضَ الْهُوَى بِجَحْرِى حِجَاهِ الْمُرِيدِ

وقوله (٢) :

وَأَنَّ نَجْرِيَّةً بَانَتْ جَارَتْ لَهَا إِلَى يَدَى جَلْدَى فَاسْتَوْهَكَ الْجَلْدُ (٣)

وقوله (٤) :

جَهْمِيَّةٌ (٥) الْأَوْصَافِ إِلَّا أَنَّهُمْ قَدْ لَقَّبُوهَا جَوْهَرَ الْأَشْيَاءِ

وقوله : «ولا تنقح الألفاظ كل التنقيح» . وتنقيح اللفظ أن يُبدن منه بناء
لا يَكْثُرُ في الاستعمال . كما قال بعضهم لبعض الوزراء : أحسن الله إِبَاتَكَ . فقال له
الوزير : عَجَّلَ اللهُ إِمَاتَكَ .

ويدخل في تنقيح اللفظ استعمال وَخْشِيَّةٍ وترك سلسه وسهله . وقد أخذ الرواة
على زهير (٦) قوله :

نَقَى نَقَى لَمْ يَكْثُرْ غَنِيمَةً بِنَهْكَةِ ذَى الْقُرْبَى وَلَا بِحَقْلَدٍ
فَاسْتَبْشَمُوا الْحَقْلَدَ وَهُوَ السِّبْءُ الْخَلْقِ . وقالوا : ليس في لفظ زهير أنكر منه .
وقال يحيى بن يعمر لرجل حاكمته امرأته إليه : أَيْنَ سَأَلْتُكَ ثَمَنَ شَكْرِهَا
وَشَبْرَكَ أَنْشَأَتْ تَطْلُهَا وَتَضْهَكُهَا .

الشكر : الرضاع . والشبير : النكاح . وتطلها : تسعى في بطلان حقها .
وتضهكها : تعطيها الشيء القليل .

(١) ديوانه : ١١١ (٢) ديوانه : ٣٦٧ (٣) رواية الديوان :

ولأن بجزرية نابت جارت لها إلى ذرا جلدى فاستوهل الجلد

الجزيرية : الداهية . نابت : أصابت . جارت : رفعت صوتي . استوهل : استوجب .

(٤) ديوانه : ٣ (٥) جمة الليل : قريب من السحر ، قال الجعدي :

وقهوة صباء باكرتها بجممة والديك لم ينعب

والمراد هنا مظلمة الأوصاف . (٦) ديوانه : ٢٣٤

قال أبو عثمان : رأيتهم يديرون في كتبهم هذا الكلام ، فإن كانوا إنما رَوَوْهُ ودَوَّنُوهُ لأنه يدلُّ على فصاحةٍ وبلاغةٍ فقد باعده الله من صِفَةِ الفصاحة والبلاغة ؛ وإن كانوا فعلوا ذلك لأنه غريب فأبياتٌ من شعر العجاج ، وشعر الطرماح ، وأشعار هذيل ، يأتي لهم مع الرصف الحسن على أكثر من ذلك . ولو خاطب أحدُ الأصمعيِّ بِمِثْلِ هذا الكلام لظننتُ أنه سيجْهَلُ بمضه . وهذا خارج عن عادةِ البلغاء .

وقوله : «ويصفِّيها كَلَّ التَّصْفِيَةِ ، ويُهذِّبُها كَلَّ التَّهْذِيبِ» . فتَصْفِيَّتُهُ تَعْرِيفَتُهُ من الوَحْشِيِّ ، ونَفَى الشواغل عنه . وتهذيبُهُ تبرئته من الرديِّ المردُّول ، والسوقِ المردود .

فإن الكلام المَهْذَبَ الصافي قولُ بعض الكتاب : مِثْلُكَ أَوْجَبَ حَقًّا لا يَجِبُ عليه ، وسمح بحقِّه وجب له ، وقيلَ واضحَ العُدْرِ ، واستكثر قليلَ الشكر ، لا زالتْ أياديكَ فوق شُكْرِ أوليائِكَ ، ونعمةُ الله عليك فوق آمالهم فيكَ .

ومثله قول آخر : ما أُنْتَهَى إلى غايَةٍ من شُكْرِكَ إِلَّا وَجَدْتَ وِراءَها حادثًا من بَرِّكَ ؛ فلا زالتْ أياديكَ ممدودةٌ بين آملٍ فيكَ تَبْلُغُهُ ، وآملٍ فيكَ تَحْقِقه ، حتى تَتِمَّلَى^(١) من الأعمار أطولها ، وتنبالَ من الدرجات أفضلها .

وقول أحمد بن يوسف : يومنا يومَ لَيْلِ الحَوَاشِي وَطِيءِ النِّوَاحِي ، وهذه سمايا قد تَهَلَّلَتْ بِوَدِّهِها^(٢) ، وضحكت بعماس غيمِها ولا مع بَرِّقِها ، وأنتَ قُطْبُ السرور ، ونظامُ الأمور ؛ فلا تَغِبْ عنا فنقل ، ولا تُفَرِّدنا فنستوحش ؛ فإنَّ الحبيب بحبيبه كثير ، وبمساعديه جدير .

وقوله : ولا يفعل ذلك حتى يَلْقَى حَكِيمًا ، وفيلسوفًا عايمًا ، ومن تعودَ حَذْفَ فضولِ الكلام ، ومشتركات الألفاظ ، ونظر في المنطق على جهة الصناعة فيها ،

(١) تَمَلَّى عمره : استمتع منه . (٢) الودق : المطر .

لا على جهة الاستطراف والتطرف لها .

يقول : ينبغي أن يتكلم بفاخر الكلام ، ونادره ورصينه ومحكمه عند من يفهمه عنه ، ويقبله منه ، ممن عرف المعاني والألفاظ علماً شافياً ؛ لنظيره في اللغة والإعراب والمعاني على جهة الصناعة ، لا كمن استطرف شيئاً منها ؛ فنظر فيه نظراً غير كامل ، أو أخذ من أطرافه ، وتناول من أطرافه ^(١) ، فتحلى باسمه ، وخلا من وسمه . فإذا سمع لم يفقه ، وإذا سئل لم ينقّه . وإذا تكلم عند من هذه صفته ذهبت فائدة كلامه ، وضاعت منفعة منطقه ؛ لأنّ العاى إذا كلته بكلام العلية سخّر منك ، وزرّى عليك ؛ كما روى عن بعضهم أنه قال لبعض العامة : بم كنتم تلتقون البارحة ؟ يعنى على الذبيذ . فقال : بالحمالين . ولو قال له : أى شيء كان نقلكم ^(٢) أسلم من سبخريته . فينبغى أن يخاطب كلّ فريق بما يعرفون ، ويتجنب ما يجهلون .

وأما قوله : « من تمود حذف فضول الكلام » . فحذف فضول الكلام هو أن يسقط من الكلام ما يكون الكلام مع إسقاطه تاماً غير منقوص ، ولا يكون في زيادته فائدة .

وذلك مثل ما روى عن معاوية أنه قال لصحار العبدي : ما البلاغة ؟ فقال : أن تقول فلا تخطئ ، وتسرع فلا تبطل . ثم قال : أقرئني ؛ هو ألا تخطئ ولا تبطل . فألقى اللفظتين ؛ لأنّ في الذى أبقي غنى عنهما ، وعوضاً منهما . فأمّا إذا كان في زيادة الألفاظ وتكثيرها ، وترديدّها وتكريرها ، زيادة فائدة فذلك محمود ، وهو من باب التذليل . ونشرحه في موضعه إن شاء الله .

وقوله : ومشتركات الألفاظ ؛ وقول جعفر بن يحيى : وتخرجهم من الشركة ؛ فهو أن يريد الإبانة عن معنى فيأتى بألفاظ لا تدلّ عليه خاصة ؛ بل تشترك معه فيها معانٍ آخر ، فلا يعرف السامع أيها أراد . وربما استبهم الكلام في نوع من هذا الجنس

(١) أطرافه : أطرافه (٢) النقل : ما يتعل به على الشراب .

حتى لا يُوقَفَ على معناه إلا بالتوهم . فمن الجنس الأول قول جرير^(١) :
لو كنت أعلم أن آخر عهدكم يوم الرحيل فعلت ما لم أفعل
فوجه الاشتراك في هذا أن السامع لا يدري إلى أي شيء أشار من أفعاله
في قوله : «فعلت ما لم أفعل» . أراد أن يبكي إذا رحلوا ، أو يهيم على وجهه من الغم
الذي لحقه ، أو يتبهمهم إذا ساروا ، أو يمنعهم من المضي على عزمة الرحيل ، أو يأخذ
منهم شيئاً يتذكّروهم به ، أو يدفع إليهم شيئاً يتذكرونه به ، أو غير ذلك ، مما يجوز أن
يفعله الماشق عند فراق أحبه ، فلم يُبين عن غرضه ؛ وأخوَجَ السامع إلى أن يسأله
عما أراد فعله عند رحيلهم .

وليس هذا كقولهم : لو رأيت علياً بين الصفيين ؛ لأن دليل البسالة والنكابة
في هذا الكلام بين ؛ وأمارة النقصان في بيت جرير واضحة ؛ فمن يسمعه وإن
لم يكن من أهل البلاغة يستبرده ويستغفّه ، ويسترجم الآخر ويستجيده .

ومثله قول سعد بن مالك الأزدي :

فإنك لو لاقيت سعد بن مالك للاقيت منه بعض ما كان يفعل
فلم يُبين هماً أراد بقوله يلقي . أخيراً أراد أم شراً ؟ إلا أن يسمع ما قبله أو ما
بعده ؛ فيتبين معناه ، وأما في نفس البيت فلا يتبين مغزاه .
ومثله قول أبي تمام^(٢) :

وقنا قلنا بعد أن أفرد الثرى به ما يقال في السحابة تُقلع
فقول الناس في السحاب إذا أُلْعَ على وجوه كثيرة ؛ ففهم من يمدحُه ، ومنهم
من يذمُّه ، ومنهم من كان يحبُّ إقلاعه ، ومنهم من يكره إقشاعه^(٣) ، على حسب
ما كانت حالاتها عندهم ، ومواقفها منهم ؛ فلم يُبين بقوله ما يقال في السحابة تُقلع
معنى يمتدُّه السامع . وأبين منه قول مسلم :

فاذهب كما ذهبت غواذي مُزنة أثنى عليها السهل والأوعار

(١) ديوانه : ٤٣ ؛ (٢) ديوانه : ٣٧٣ ، وفيه «أفردالدى» (٣) أفضعت الرخ السحاب : كشفته .

على أن المحتج له لوقال: إن أكثر العادة في السحاب أن يُحمَد أمره، ويُثنى عليه
بمده لما كان مُبْعِداً . ولم أرَ عيبَ أبي تمام بما قلت، وإنما أردتُ الإخبارَ عن وجوه
الاشتراك، وذكر ما يشعَبُ منه، وما يَقْرُبُ من بابه، وينظرُ إليه من قريب أو بعيد.
ومثل قول أبي تمام قول ابن قيس الرقيات:

إن تعش لا نزل بحير وإن تهـ لك نزل مثل ما يزول العماء
والعماء: السحاب. بل هذا أجود من بيت أبي تمام وأبين.
ومن اللفظ المشترك قول أبي نواس:

وخبن ما يُخْبِن من آخرٍ منسه ولطائين أمهار^(١)
الأمهار هاهنا جمع مهر، من قولهم: مهرَ عمرَ مهراً: والمصدر لا يُجْمَع،
ولا يشكُّ سامعُ هذا الكلام أنه يريدُ جمع مهر فيشكلُ المعنى عليه.
وخطبَ بعضُ التكلمين، فقال في صفة الله تعالى: لا يُقَاسُ بالقياس، ولا يدرك
بالالاس. أراد جمع لس؛ فأصاب السجعَ وأخطأ المعنى.

وأما ما يستنبههم فلا يُعرَفُ معناه إلا بالتوهم فهو مثل قول أبي تمام^(٢):
جَهْمِيَّةُ الْأَوْصافِ إِلَّا أَنَّهُمْ قَدْ لَقَّبُوهَا جَوْهَرِ الْأَشْيَاءِ
فوجهُ الاشتراك في هذا: أن لجَّهْمَ مذاهبَ كثيرة، وآراءَ مختلفة متشعبة،
لم يدلَّ فَحْوَى كلامِ أبي تمام على شيء منها يصلح أن يُشَبَّه به الخمر وينسب إليه،
إلا أن يتوهم المتوهم فيقول: إنما أراد كذا وكذا، من مذاهب جَهم، من غير أن
يدلَّ الكلامُ منه على شيء بعينه.

ولا يُعرَفُ معنى قوله: « قَدْ لَقَّبُوهَا جَوْهَرِ الْأَشْيَاءِ » إلا بالتوهم أيضاً.
ومن الكلام الخالي من الاشتراك قول بعضهم لأخ له أراد فراقه: لما تصفَّحتُ
أخلاقك فوجدتها مباينةً لساكتي، زائغةً عن قصدِ طريقي— صبرتُ عليها؛ رياضةً
لنفسي على الصبرِ لساوى أخلاقِ المعاشرين، ولعلمي بكامن المدوان في جميع العالمين،
والذي رجوتُ من مذمة خصالك بما أقبلها به من التجاوز، وأسحبُ على سوء آثارها

(١) في الديوان ص ٩٢ «وخبن ما يخبن من بعده». الطائين: الفطن. (٢) ديوانه: ٣

أذبال التَّعَاضِي ، وأنت مع ذلك دَائِبٌ لا تُقَوِّمُ اعوجاجَ مذاهيك ، ولا يَعْطِفُ بِكَ
الرَّأْيُ إِلَى رُشْدِكَ ؛ فلَمَّا فَنَيْتَ حَيْكَتِي فِيكَ ، وانْقَطَعَتْ أَسْبَابُ أَمَلِي مِنْكَ ، ورَأَيْتُ
الدَّاءَ لَا يَزِيدُنِي عَلَى التَّمَهُدِ بِالدَّوَاءِ إِلَّا فُسَادًا ، والْحَرْقَ عَلَى التَّرْقِيعِ إِلَّا اتِّسَاعًا قَدَمْتُ
الْيَأْسَ مِنْكَ عَلَى الرَّجَاءِ فِيكَ ، واحتَسَبْتُ أَيَّامِي السَّالِفَةَ فِي اسْتِضْلَاحِي لَكَ .

وقوله : وحقُّ المعنى أن يكون له الاسم طَبَقًا ؛ أى يكون الاسم طَبَقًا لِلْفِظِّ بِقَدَرِ
المعنى غَيْرَ زَائِدٍ عَلَيْهِ ، ولا نَاقِصٍ عَنْهُ . وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ (١) :

* طَبَقُ الْأَرْضِ تَحَرَّى وَتَدَرَّ *

أى هى على الأرض كالتَّبَقِ عَلَى الْإِنَاءِ لَا يَنْقُصُ مِنْهُ شَيْءٌ . وسنأتى بالكلام
على هذا فى فصل الإيجاز إن شاء الله .

وقوله : ولا يكون الاسم فاضلا ولا مُقَصَّرًا . فهذا داخلٌ فى الأوَّل من قوله :
وحقُّ المعنى أن يكون الاسم له طَبَقًا .

ومثالُ الفاضل من اللفظ عن المعنى قول عروة بن أذينة (٢) :

وَاسْقِ الْعَدُوَّ بِكَأْسِهِ وَاعْلَمْ لَهُ بِالْغَيْبِ أَنْ قَدْ كَانَ قَبْلُ سَقَاكُمَا
وَاجِزِ الْكَرَامَةَ مَنْ تَرَى أَنْ لَوْلَهُ يَوْمًا بِذَلِكَ كَرَامَةٌ لَجَزَاكُمَا
ومعنى هذا الكلام محصورٌ تحت ثلاثِ كلمات : أَجِزْ كَلًّا بِفِعْلِهِ . وكان السكوتُ
لِعُرْوَةَ خَيْرًا مِنْهُ .

ومن الكلام الفاضل لفظُهُ عن معناه قولُ أَبِي الْعِيَالِ الْهَذَلِي (٣) :

ذَكَرْتُ أَخِي فَعَاوَدَنِي صُدَاعُ الرَّأْسِ وَالْوَصْبُ
فذكر الرأس مع الصداع فَضْلًا .

وقول أَوْسَ بْنِ حَجَرَ (٤) :

وَهُمْ لِمَقِلِّ الْمَالِ أَوْلَادُ عِلَّةٍ وَإِنْ كَانَ مُحْضًا فِي الْعُمُومَةِ غَوْلًا
فقوله : «المال» مع «المقل» فَضْلَةٌ .

(١) ديوانه : ١٣١ واللسان مادة طبق ، وصدره : * ديمة هطلاء فيها وطف *

(٢) الموشح ٢١٢ (٣) شعراء الهذليين : ٢ - ٢٤٢ . (٤) الموشح ٩٠

والقصّر من الكلام : مالا يُنبّيك بمعناه عند سماعك إياه ويُحوّجك إلى شرح ؛
كبيت الحارث بن حلّزة^(١) :

والعَيْشُ خَيْرٌ فِي ظِلِّهِ لِ النُّوكِ مِمَّنْ رَامَ كَدًّا
وسندكر وجه العيب فيه بعد هذا .

وقوله : ولا مضمّنًا : التضمين أن يكون الفصل الأول مفتقرًا إلى الفصل الثاني ،
والبيت الأول محتاجا إلى الأخير كقول الشاعر :

كأنَّ القلبَ ليلةٌ قيل يُغدى بليلي المامرية أو يُراح
قطاةٌ غرّها شركٌ فباتت تُجاذبه وقد علقَ الجناحُ

فلم يتم المعنى في البيت الأول حتى أتته في البيت الثاني ، وهو قبيح .
ومثاله من نثر الكتاب قول بعضهم : وجعل سيدنا آخذًا من كل ما دعى
ويُدعى به في الأعياد ، بأجزل الأقسام وأوفر الأعداد .

وقد تسمى استعارتك الأنصاف والأبيات من شعر غيرك ، وإدخالك إياه في أثناء
أبيات قصيدتك تَضْمِينًا ؛ وهذا حسن وهو كقول الشاعر :

إذا دلهُ عزّمٌ على الحزمِ لم يُقلْ « غداً غداها إن لم تُعقها العوائقُ »
ولكنّه ماضٍ على عزّمِ يومِهِ فيفعل ما يرضاهُ خلقٌ وخالقُ

فقوله : « غداً غداها إن لم تُعقها العوائق » من شعر غيره وهو هاهنا مضمّن .
وكقول الآخر :

عوذَ لَمّا بُتْ ضيفاً له أقرّاصه بُخلاً بيّاسين
فَبِتْ والأرضُ فراشي وقد غنت « قفانبك »^(٢) مصاريبي

وقول الآخر :

ولقد سما للخُرْمِيّ ولم يُقلْ بعد الوغا « لَكِنْ تَضايِقَ مَقْدِي »^(٣)

(١) نقد الشعر: ١٢٧ ، الموشح ٢٣٢ . (٢) من كلام امرئ القيس . (٣) لعنته .

وقول ابن الرومي في معنى :

مَجْلِسُهُ مَأْتَمُ اللِّدَاذَةِ وَالْ
يُنْشِدُنَا اللَّهَ عِنْدَ طَلْعَتِهِ
قَصْفِ عُرْسِ الْمَمُومِ وَالسَّقَمِ
« مَنْ أَوْحَشَتْهُ الدِّيَارُ لَمْ يُقِمِ »

وكقول جحظة :

أَصْبَحْتُ بَيْنَ مَعَاشِرِ هَجْرٍ وَالنَّدَى
قَوْمٌ أَحَاوِلُ نَيْلَهُمْ فَكَأَنَّمَا
وَهْتَبُلُوا الْأَخْلَاقَ عَنْ أَسْلَافِهِمْ
خَاوِلَاتُ نَتَفِ الشَّعْرِ مِنْ آثَانِهِمْ
هَاتِ اسْقِينَهَا بِالْكَبِيرِ وَغَنَّنِي
« ذَهَبَ الدِّينُ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ »
وباقى كلامه يتضمنُ صفةَ المتكلم لا صفةَ الكلام . إلا قوله : ويكون تصفُّحه
لموارده بقدرِ تصفُّحه لمصادره . وسنأتى على الكلام في هذا ونستقصيه في فصل
المقاطع والمبادئ .

وقال بعض الحكماء : البلاغة قولٌ يسير ، يشتملُ على معنى خطير . وهذا مثلُ
قولِ الآخر : البلاغة حكمة تحت قولٍ وجيز . وقول الآخر : البلاغة علمٌ كثير
في قولٍ يسير .

ومثاله قولُ الأعرابي ، وقد سئل عن مالٍ يسوقه ، لِمَنْ هو ؟ فقال : لله في
يَدِي . فأى شيء لم يدخل تحت هذا الكلام القليل من الفوائد الخطيرة ، والحكم
البارعة الجسيمة .

وقال الله عز وجل اسمه : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ . قد دخل تحت
قوله : فهو حَسْبُهُ من المعاني ما يطولُ شرحُه من إيتاء ما يُرجى ، وكفاية
ما يُخشى .

وهذا مثل قوله عز وجل : ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِي الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ﴾ .
وسئل بعض الأوائل : ما كان سببُ موتِ أخيك ؟ قال : كونه . فأحسنَ
ما شاء .

وقد تنازع الناس في هذا المعنى . أخبرنا أبو أحمد قال : أخبرنا أبو بكر بن دريد عن الرياشي ، قال : قيل لأعرابي : كيف حالك ؟ فقال : ما حال من يقفني بيمانه ، ويسقم بسلامته ، ويؤتي من مأمنه .

وأخبرنا أبو أحمد قال : حدثنا محمد بن يحيى ، قال : حدثنا الغلابي ، قال : حدثنا ابن عائشة ، قال : قلت لأبي : حدثني حماد بن سلمة ، عن حميد بن ثابت ، عن أنس والحسن ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كَفَى بِالسَّلَامَةِ دَاءً . قال : يابني ، ولا أراه إلا مسنداً ؛ فقد قال حميد بن ثور^(١) :

أَرَى بَصْرِي قَدْ رَأَيْتُ بَعْدَ صِحَّةٍ وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصِحَّ وَتَسَلَّمَ
وقال آخر :

كَانَتْ قَنَاتِي لَا تَلِينُ لِفَاحِزٍ فَأَلَانَهَا الْإِصْبَاحُ وَالْإِمْسَاءُ
وَدَعَوْتُ رَبِّي بِالسَّلَامَةِ جَاهِدًا لِيَصِحَّنِي فَإِذَا السَّلَامَةُ دَاءُ
وأول من نطق بهذا المعنى النمر بن تولب في الجاهلية^(٢) :

يَوَدُّ الْفَتَى طَوْلَ السَّلَامَةِ وَالْفَتَى وَكَيْفَ يَرَى طَوْلَ السَّلَامَةِ تَفْعَلُ
يَرَدُّ لِلْفَتَى بَعْدَ اعْتِدَالٍ وَصَحَّةٍ يَنْبُو إِذَا رَامَ الْقِيَامَ وَيُحْمَلُ
وقال آخر^(٣) :

مَا حَالُ مَنْ أَفْتَهُ بَقَاؤُهُ نَفَسَ عَيْشِي كُلَّهُ فَنَاوَهُ
وقال ابن الرومي^(٤) :

لِعَمْرِكَ مَا الدُّنْيَا بِدَارٍ إِقَامَةٍ إِذَا زَالَ عَنِ نَفْسِ الْبَصِيرِ غَطَاؤُهَا
وَكَيْفَ بَقَاءُ الْمَيْشِ فِيهَا وَإِنَّمَا يُنَالُ بِأَسْبَابِ الْفَنَاءِ بَقَاؤُهَا
ونقله إلى موضع آخر فقال^(٥) :

(١) ديوانه ٧ ، التبيان : ٢ - ٢٩٠ (٢) ديوان المعاني : ٢ - ١٣٨ (٣) ديوان

المعاني : ٢ - ١٨٣ (٤) ليس في ديوانه الذي بأيدينا (٥) ديوان المعاني : ٢ - ١٨٤

فإن الداء أكثر ما تراه من الأشياء تخلو في الخلق .
 وقريب من ذلك قول محمد بن علي رضي الله عنهما : مالك من عيشك إلا لذة
 تزدلف بك إلى حاكمك ، وتقربك من يومك ، فأية أكلة ليس معها غصص ،
 وشربة ليس معها شرقة ؛ فتأمل أمرك ؛ فكأنك قد صرت الحبيب المفقود ،
 أو الخيال المحترم . وقال أبو العتاهية :

* أسرع في نقص امرئ عماه *

ومن الأمثال : كل من أقام شخص ، وكل من زاد نقص ، ولو كان يميت
 الناس الداء لأحيائهم الدواء . وقال آخر :

إذا تم أمر دناءة نقصه توقع زوالاً إذا قيل تم

وقلت :

ما خير عيش صفوه يكدره	لا بد أن يشكوه من يشكره
والمرء ينسى المنايا تذكره	يمتته بقاؤه فيقبره
وكثره منه الذي لا يجبره	يطويه من مداه مالا ينشره
في كل مجرى نفيس يكرره	يهدم من عمره مالا تعممه

وقلت :

قد قرب الأمر بعد بعده	وأسعف الإلف بعد صده
وبعد بؤس وضيق عيش	صرت إلى خفضه ورغده
لكنه ملبس ممار	لا بد من نزعه وزده
وهل يسر الفتى بحظ	وجوده علة لفقده

وقال الروي : البلاغة حسن الاقتضاب عند البداهة ، والفزارة عند

الإطالة .

الاقتضاب : أخذ القليل من الكثير ؛ وأصله من قولهم : اقتضبت الفصن

إذا قطعتهُ من شجرته . وفيه معنى السرعة أيضاً ؛ فيقول : البلاغة إجادة في إسراع ، واقتصارٌ على كفاية .

فمن البديهة الحسنة ما أخبرنا به أبو أحمد قال أخبرنا إبراهيم بن محمد الشطني قال : حدثني أحمد بن يحيى ثعلب قال : دخل المأمون ديوان الخراج فرأى بعلام جميل على أذنيه قلم فأعجبه ما رأى من حسنه ؛ فقال : مَنْ أَنْتَ يَا غِلاَمُ ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، الناشئ في دَوْلَتِكَ ، وخريج أدَبِكَ ، والتقلب في نعمتك ، الحسن بن رجاء . فقال المأمون : بالإحسان في البديهة تفاضلت العقول . ثم أمر أن يُرْفَعَ عن مرتبة الديوان ويُعطى مائة ألف درهم .

ومن الاقتضاب الجيد : ما أخبرنا به أبو أحمد قال : أخبرني أبو أحمد الواداري عن شبيب له قال : قال أبو حاتم : سمعت أبا عبيدة يقول : استفتحت غلامين في الصبا . فزكيت^(١) منهما بلوغ الغاية ، فجاءا كما زكيتُ : بلغني أن النظام يتعاطى علم الكلام فرأى وهو غلامٌ على حمارٍ يطيرُ به ، فقلت له : يا غلامُ ؛ ما عيبُ الزجاج ؟ فالتفت إلي وقال : يُسرِعُ إليه الكسرُ ، ولا يقبلُ الجبر . وبلغني أن أبا نواس يتعاطى قرض الشعر ، فتلقاني وهو سكران ملتخ^(٢) ، وما طرَّ شاربه بعد ؛ فقلت له : كيف فلانٌ عندك ؟ فقال : ثقيلُ الظل ، جامدُ النسيم . فقلت : زد . فقال : مُظْلِمُ الهواء ، مُنْتِنُ الفناء . فقلت : زد . فقال : غليظُ الطبع ، يغيضُ الشَّكْل . فقلت : زد . فقال : وَخِمُ الطلعة ، عسيرُ القلعة . قلت : زد . قال : نَابِي الجنبات ، باردُ الحركات . ثم قال : زدني سؤالاً أزدك جواباً . فقلت : كفى من القِلَادَةِ ما أحاط بالعُنُقِ .

ومن جيد البدائه ما أخبرنا به أبو أحمد قال : أخبرني أبي عسل بن ذكوان قال :

(١) زكته كفرح وأزكنه : علمه وفهمه وفهرسه وظنه .

(٢) التخ في الأمر : اختلط . وسكران ملتخ : مختلط لا يفهم شيئاً .

قال المأمون ليحيى بن أكرم : صف لي حالي عند الناس . فقال : يا أمير المؤمنين ! قد انقادت لك الأمور بأزميتها ، وملكتك الأمة فضول أعنتها ؛ بالرغبة إليك والمحبة لك ، والرفق منك ، والعباذ بك ، بعدك فيهم ، ومنك عليهم ، حتى لقد أنسيهم سلفك ، وآيستهم خلفك . فالحمد لله الذي جمعنا بك بعد التقاطع ، ورفعنا في دولتك بعد التواضع .

فقال : يا يحيى ، أتخبراً ، أم ارتجالاً ؟ قال : قلت : وهل يمتنعُ فيك وصفٌ ، أو يتمدُّرُ على مادحك قول ، أو يفحمُ فيك شاعر ، أو يتلججُ فيك خطيب ؟
وقدم على المهدي رجل من أهل خراسان ، فقال : أطال الله بقاء أمير المؤمنين ؛ إنا قومٌ نأيننا عن العرب ، وشغلتننا الحروبُ عن الخطب ، وأمير المؤمنين يعلمُ طاعتنا ، وما فيه مصلحتنا ؛ فيكتفي منا باليسير عن الكثير ، ويقتصرُ على ما في الضمير دون التفسير . فقال المهدي : أنت أخطبُ من سمعته .

وأخبرنا أبو القاسم عبد الوهاب بن محمد الكاغذي ، قال : أخبرنا أبو بكر العقدي ، قال : أخبرنا أبو جعفر الخراز ، قال : أخبرنا المدائني : أن أعرابياً دخل على المنصور فتكلم ؛ فأعجبَ بكلامه ، فقال له : سل حاجتك ، فقال : يُبقيك الله ، ويزيد في سلطانك . فقال : سل حاجتك ، فليس في كل وقت تؤمرُ بذاك . قال : ولِمَ يا أمير المؤمنين ؟ فوالله ما أَسْتَقْصِرُ عُمرَكَ ، ولا أَخَافُ بُخْلَكَ ، ولا أَعْتِمُ مَالَكَ ؛ وإنَّ سؤالك لشرفٌ ، وإنَّ عطاءك لزین ، وما بامرئٌ بذل وجهه إليك نقصٌ ولا شين .

أخذَ المعنى الأخير من أمية بن الصلت في عبد الله بن جعدان ^(١) :

عَطَاؤُكَ زَيْنٌ لَامَرِيٌّ ، إِنَّ حَبَوْتَهُ بِسَيِّبٍ وَمَا كُلُّ الْعَطَاءِ يَزِينُ
وَلَيْسَ بِشَيْنٍ لَامَرِيٌّ ، بَذْلُ وَجْهِهِ إِلَيْكَ ، كَمَا بَعْضُ السُّؤَالِ يَشِينُ

وقال جعفر بن يحيى : البلاغة أن يكون الاسمُ يحيطُ بمعناك ؛ ويُجَلَّى عن مَعْرَاكَ ، وتُخْرِجُهُ من الشَّرَكَةِ ، ولا تستعين عليه بطولِ الفِكْرَةِ ، ويكون سليماً من التَّكَلُّفِ ، بعيداً من سوء الصَّنْعَةِ ؛ بريئاً من التعقيد ، غنياً عن التأمل .

قوله : أن يكون الاسمُ يحيطُ بمعناك . فالاسمُ ها هنا : اللفظُ ؛ أى يَحْصُرُ اللفظُ جميعَ المعنى ويشتمِلُ عليه . فلا يشذُّ منه شئٌ لا يحتاج أن يُعرَفَ بشرحٍ ، أو تفسيرٍ ؛ فإذا سَمِعْتَ اللفظَ عرفتَ أَقْصَى المعنى ، وهذا مِثْلُ قولِ الآخر : البليغُ من طَبَقِ الْمُفْصِلِ فَأَغْنَاكَ عَنِ الْمُفَسِّرِ (١) .

ولا يكون الكلامُ بليغاً مع ذلك حتى يَعْرِى من العَيْبِ ، ويتضمن الجزالةَ والسهولةَ وجودةَ الصنعة ، كما ذكرنا قبل .

ومِثَالُ ذلك ما كتب بعضهم إلى أخيه له : أما بعدُ فإنَّ المرءَ ليسرُّه دَرَكُ ما لم يكن ليفوته ، ويسوءه فَوْتُ ما لم يكن ليدركه ؛ فليكن سرورك فيما قدمت من خير ، وأسفك على ما فاتك من برٍّ .

وقول أعرابي لابنه : يا بُنَيَّ ؛ إن الدنيا تسمى على مَنْ يسمي لها ، فالهرب قبل المطب . فقد أَزْنَتِكَ بَيْنِي ، وانطوت لك على حَيْنٍ . قال الشاعر :

حلالٌ لِلْيَمَلِ أَنْ تَرُوعَ فَوَادَهُ بهَجَرٍ وَمَنْفُورٌ لِلْيَمَلِ ذُنُوبُهَا
تَطْلُعُ مِنْ نَفْسِي لِلْيَمَلِ نَوَازِعُ عوارف أن اليأس منك نصيبها
وَزَالَتْ زَوَالُ الشَّمْسِ عَنْ مُسْتَقَرِّهَا فَمَنْ مُخْبِرِي فِي أَيِّ أَرْضٍ غُرُوبُهَا
وقال آخر :

وماذا عسى الواشون أن يتحدثوا سوى أن يقولوا إننى لك عاشق
أَجَلُ صدق الواشون أنت حبيبة إلى وإن لم تصف منك الخلائق
وقوله : ويُجَلَّى عن مَعْرَاكَ . أى يوضحُ مقصدك ، ويبينُ للسامع مرادك ؛ ينهى عن التعمية والإغلاق .

(١) المفسر : مصدر ميمي كالفسر بمعنى التفسير .

وقوله : ويخرجه من الشرِّكة . فقد مضى تفسيره .

وقوله : ولا يستعينُ عليه بطولِ الفِكرَةِ . هذا لأنَّ الكلامَ إذا انقطعت أجزاؤه ، ولم تتَّصلْ فصولُهُ ذهبَ رَوْقُهُ ، وغاضَ مأوُهُ ، وإنما يَرُوقُ الكلامُ إذا جرى جَرَيَانُ السيل ، وانصبَّ انصبابُ القطرِ .

وقال ثمامة : ما رأيتُ أحداً إذا تكلمَ لا يتحبَّسُ ، ولا يتوقَّفُ ، ولا يتلفَّفُ ، ولا يتلجَّجُ ، ولا يتنَحَّجُ ، ولا يترقَّبُ لفظاً استدعاه من بُعد ، ولا يتلمَّسُ التخلُّصَ إلى معنى قد اعتاصَ عليه بعد طَلَبِهِ ، إلا جعفر بن يحيى .

فن الكلام الجارى مجرى السيل قولُ بعضِ العربِ لبعضِ ملوكِ بني أمية : أقطمتُ فلانا أرضاً ، ومنسَطَ محلَّتينا ، وسواءَ خطَّتينا ، ومَرَكزِ رِمَاحِنَا ، ومَبَرَكِ لِقَاحِنَا ، ومَخْرَجِ قَسَائِنَا ، ومُنْقَلَبِ إِمَائِنَا ، ومسرحِ شَائِنَا ، ومندى بَهْمِنَا^(١) ، ومحلِّ ضَيْفِنَا ، ومَشْرِقِ شِتَائِنَا ، ومصباحِنَا فى صيفِنَا . فقال : تُكفون . وعَوَّضَهُ عنها وردَّها عليهم .

وأخبرنا أبو أحمد قال : أخبرنى أبى عن عسل بن ذكوان أن الحسن بن علي رضى الله عنهما خطب فقال : اعلُّوا أنَّ الحكمةَ زَيْنٌ ، والوفارُ مروءةٌ ، والصلةُ نعمةٌ ، والإكثارُ صَلَفٌ ، والمجلةُ سَفَهٌ ، والسَّفَهَ ضَعْفٌ ، والغلقُ ورطةٌ ، ومُجَالَسَةُ أَهْلِ الدَّنَاءَةِ شَيْنٌ ، ومغالطةُ أَهْلِ الفسوقِ رِيبةٌ .

فهذه هى البلاغةُ التامةُ ، والبيانُ الكاملُ .

وكما قال بعضهم : البلاغةُ صوابٌ ، فى سرعةِ جوابٍ ؛ والعِثُّ إكثارٌ فى إهذارٍ ، وإبطاءُ يردِّفه أخطاءُ .

وقال بعضهم : لست ممن يتوهمُ بجهله ، ويظنُّ بقلَّةِ عقله ، أنَّ الديانةَ ، والأمانةَ ، والنزاهةَ ، والصيانةَ ، إنما هى فى تسميرِ ثوبه ، وإحفاءِ شاربه ، وكشفِهِ

(١) البهم : جمع بهمة : أولاد الضأن والمعز والبقر .

عن ساقه ، وزهوه بأطماره ، وإنعال خفّه ، وترقيع ثوبه ، وإظهار سَجَادَتِهِ ؛ وتعليق
سُبُحَتِهِ ، وخَفَضِ صَوْتِهِ ، وخشوع جسمه دون قلبه ، واختلاس مَشِيَّتِهِ ،
وخِفَّةِ وطئه بين قومه . ولا يرتشي في حكمه ، وبأخذ على علمه ، ويطلب الدنيا بدينه ،
ولا يرفع طرفه من عظمتها وكبريائه ، ولا يكلم الناس من تصنعه وريائه ،
فهذا الكلام وأمثاله في طول النفس يدل على اقتدار المتكلم ، وفضل قوته في
التصرف .

وقوله : ويكون سليما من التكلف . فالتكلف طلب الشيء بصعوبة للجهل
بطرائق طلبه بالسهولة . فالكلام إذا أُجْمِعَ وُطِبَ يتعب وجهه ، وتُنَوَّلَتِ ألفاظه من
بُمدٍ فهو متكلف . مثاله قول بعضهم في دعائه : اللهم ربنا وإلهنا ، صلِّ على محمد
نبيِّنا ؛ ومن أراد بنا سوءاً فأحيطْ ذلك السوء به ، وأرسخه فيه كرسوخ السَّجِيلِ
على أصحاب الفيل ، وانصرنا على كلِّ باغٍ وحسود ، كما انتصرت لِنَاقَةِ نَمُود .
وقوله : برياً من سوء الصنعة . فسوء الصنعة يتصرف على وجوه : منها
سوء التقسيم وفساد التفسير ، وقُبْحُ الاستعارة والتطبيق ، وفساد النسخ والسبك .
وسندكر المحمود من هذه الأبواب ، والمذموم منها فيما بعد إن شاء الله .
وروى أنه قال : برياً من الصنعة . فالصنعة نقصان عن غاية الجود ،
والقصور عن حدِّ الإحسان . وهو مثل قول العائب في هذا الأمر - بعد عمل -
معناه أنه لم يحكم .

ولمَّا دخل النابغة يثرب^(١) وغنى بقوله^(٢) :

* أَمِنْ آلِ مِيَّةٍ رَاحٍ أَوْ مُغْتَدِي *

ومن هذه القصيدة^(٣) :

(١) يثرب : اسم مدينة الرسول . (٢) ديوانه ٣٤ ، وتام البيت :

* بجلان ذا زاد وغير مزود *

(٣) ديوانه ٢٧ ، وصدر البيت : * بمخضب رخص كأن بنانه *

* عَمَّ (١) يَكَادُ مِنَ اللَّطَافَةِ يُعْقَدُ *

وعرف أنه عيب (٢) خرج وهو يقول : دَخَلْتُ يَرْبَ فَوَجَدْتُ فِي شِعْرِي صَنْعَةً ،
نَفَرَجْتُ مِنْهَا وَأَنَا أَشْعَرُ الْعَرَبِ ؛ أَيِ وَجَدْتُ نُقْصَانًا عَنْ غَايَةِ التَّمَامِ .
وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر الصولي ، قال : كَانَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ يَأْمُرُ بِكَتْبِ
جَمِيعِ مَا يَجْرِي فِي مَجْلِسِهِ ، قَالَ : فَأَنْشَدَهُ رَجُلٌ يَوْمًا أَرْجُوزَةَ أَبِي تِمَامٍ فِي وَصْفِ
السَّحَابِ عَلَى أَنَّهَا لِبَعْضِ الْعَرَبِ :

سَارِيَّةٌ لَمْ تَسْكُتْ لِحِلِّ بَعْضِ كَدَرَاءِ ذَاتِ هُطْلَانٍ مَحْضِ
مَوْقَرَةٍ مِنْ خُلَّةٍ وَنَحْمِضِ تَمْضِي وَتَبْقَى نَمَّا لَا تَمْضِي
قَضَتْ بِهَا السَّمَاءُ حَقَّ الْأَرْضِ (٣)

فَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : أَكْتَبْتُهَا ، فَلَمَّا كَتَبُوهَا قِيلَ لَهُ : إِنَّهَا لِحَبِيبِ بْنِ أَوْسٍ ؛
فَقَالَ : خَرَقُ خَرَقٍ (٤) ، لَا جَرَمَ إِنْ أَثَرَ الصَّنْعَةِ فِيهَا بَيِّنٌ .
وقال الفرزدق القصائد تصدأ ؛ أَيِ مَعَابَا وَمَنْقُصَةً عَنْ حَدِّ الْإِحْسَانِ .

وقوله : بِمِثْلِ عَنِ التَّمْقِيدِ . وَالتَّمْقِيدُ ، وَالْإِغْلَاقُ ، وَالتَّقْمِيرُ سَوَاءٌ . وَهُوَ اسْتِمَالُ
الْوَحْشِيِّ ، وَشِدَّةُ تَعْلِيقِ الْكَلَامِ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ ؛ حَتَّى يَسْتَبِينَ الْمَعْنَى . وَقَدْ ذَكَرْنَا
أَمثلةَ ذَلِكَ فِيمَا تَقَدَّمَ ، وَنَذَكُرُ هَاهُنَا مِنْهَا شَيْئًا :

فَقَالَ الْوَحْشِيُّ قَوْلُ بَعْضِ الْأُمَرَاءِ وَقَدْ اعْتَلَّتْ أُمُّهُ فَكَتَبَ رِقَاعًا وَطَرَحَهَا
فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ : صَيَّنَ أَمْرًا وَرَعَى ، دَعَا لِمَرْأَةٍ إِنَّهُ خَلَّةٌ (٥) مُقْسِنَةٌ ،
قَدْ مُنِيتَ بِأَكْلِ الطَّرْمُوقِ ؛ فَأَصَابَهَا مِنْ أَجْلِهِ الْإِسْتِمْسَالُ ، أَنْ يَمُنَّ اللَّهُ عَلَيْهَا .

(١) الْعَمَّ : نَبَتٌ أَحْمَرٌ يَصْبُغُ بِهِ . (٢) الْعَيْبُ فِي «يُعْقَدُ» بِالرَّفْعِ ، وَهُوَ مَا يَمِيسُ بِالْإِقْوَاءِ ،
وَهُوَ اخْتِلَافُ حَرَكَةِ الْتُرُوي .

(٣) السَّارِيَّةُ : السَّحَابَةُ تَأْتِي لَيْلًا . وَالْخَلَّةُ ، بِالضَّمِّ : مَا فِيهِ حَلَاوَةٌ مِنَ النَّبَاتِ . وَالْحَمْضُ :
مَا مَلَحَ وَأَمَرَ مِنَ النَّبَاتِ ، وَعَلَيْهِ قَوْلُهُمْ : الْخَلَّةُ خَيْرُ الْإِبِلِ ، وَالْحَمْضُ فَكَهْتَهَا .

(٤) التَّخْرِيقُ : التَّمْزِيقُ .

(٥) قَعْلُ الشَّيْخِ : يَبْسُ جِلْدُهُ عَلَى عَظْمِهِ وَهُوَ قَعْلٌ وَاقْعَلٌ . وَاقْسَانُ الرَّجُلِ : كِبَرُ وَعَسَا .

بالا طِرْغَشَاش ، والا طِرْغَشَاش . فَكُلُّ مَنْ قَرَأَ رُقْعَتَهُ دَعَا عَلَيْهَا ، وَلَعَنَهُ وَلَعَنَ أَمَهُ .
الطَّرْمُوقُ^(١) ؛ الطين . والاستِمصَال : الإسهال ، واطرغش ، وابرغش : إذا
أبلَّ وبرأ .

ومثال الشديدي التعليل بعض ألفاظه ببعض حتى يَسْتَبِيهِمُ المعنى ، كقول
أبي تمام^(٢) :

جَارِي إِلَيْهِ الْبَيْنُ وَصَلُ خَرِيدَةٍ مَاشَتْ إِلَيْهِ الْمَطْلُ مَشَى الْأَكْبَدِ^(٣)
يَا يَوْمَ شَرَّدَ يَوْمٌ لَهْوَى لَهْوَهُ بَصَبَا بَيْتِي وَأَذَلَّ عِزَّ تَجَلْدِي
يَوْمٌ أَفَاضَ جَوَى أَغَاضَ تَعَزَّيَا خَاضَ الْهَوَى بِحَرَى حِجَاةِ الْهَزْبِ
جَمَلُ الْحِجَا مُزِيدًا .
وقوله أيضًا^(٤) :

وَالْحِجْدُ لَا يَرْضَى بَأَنَّ تَرْضَى بَأَنَّ يَرْضَى الْمَعَاشِرُ مِنْكَ إِلَّا بِالرِّضَا^(٥)
وَبَلَعْنَا أَنَّ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ سَمِعَهُ يُنْشِدُ هَذَا وَأَمَثَالَهُ عِنْدَ الْحَسَنِ بْنِ وَهْبٍ ؛
فَقَالَ : يَا هَذَا ، لَقَدْ شَدَّدْتَ عَلَى نَفْسِكَ . وَالْكَلَامُ إِذَا كَانَ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ كَانَ
مَذْمُومًا .

وقوله : غَنِيًّا عَنِ التَّأْمَلِ ؛ أَيُّهُ مُسْتَفْنٍ لَوْضُوحُهُ عَنْ تَأْمَلِ مَعَانِيهِ ، وَتَرْدِيدِ
النَّظَرِ فِيهِ . كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ لَصَدِيقٍ لَهُ : وَجَدْتُ الْمَوَدَّةَ مَنْقِطَةً ، مَا دَامَتِ الْحِشْمَةُ
عَلَيْهَا مَسَلَّةٌ ، وَلَا يُزَالُ سُلْطَانُ الْحِشْمَةِ إِلَّا بِمَلَكََةِ الْمُؤَافَقَةِ .

وَمَا يُؤَيِّدُ مَا قَلْنَاهُ قَوْلُ الْجَاحِظِ : مَنْ أَعَارَهُ اللَّهُ عِزًّا وَجَلَّ مِنْ مُمُونَتِهِ
نُصِيبًا ، وَأَفْرَغَ عَلَيْهِ مِنْ مَحَبَّتِهِ ذَنْوبًا^(٦) ، حَبَّبَ إِلَيْهِ الْمَعَانِي ، وَسَلَّسَ^(٧) لَهُ نِظَامَ

(١) كَذَا فِي جَمِيعِ الْأَعْوَالِ وَفِي الْقَامُوسِ : الطَّرْمُوقُ : الْخَفَاشُ . (٢) دِيْوَانُهُ : ١١١ . (٣) الْبَيْنُ :
الْفِرَاقُ . الْخَرِيدَةُ : الْبَكْرُ . الْمَطْلُ : التَّسْوِيفُ . الْأَكْبَدُ : مَنْ يَشْتَكِي وَجَعَ الْكَبِدِ . أَوْ الضَّخْمُ
الْوَسْطُ الْبَطْنِيُّ السَّيْرُ . (٤) دِيْوَانُهُ : ١٨٧ . (٥) فِي الدِّيْوَانِ : « أَمْرُو يَرْجُوكَ » .
(٦) الذَّنُوبُ : الدُّلُوكُ ، أَوِ الْمَلَأَى ، وَالْحِظُ . وَالنَّصِيبُ . (٧) التَّسْلِيسُ : التَّرْصِيعُ وَالتَّأْلِيفُ
لَمَّا أُلْفَ مِنَ الْحُلِيِّ سَوَى الْخَرَزِ .

اللفظ . وكان قبل قد أغفى المستمع من كد التلطف ، وأراح قارئ الكتاب من علاج التفهيم .

وقال العربي : البلاغة التقرب من المعنى البعيد ؛ والتباعد من حشو الكلام ؛

وقرب المأخذ ؛ وإيجاز في صواب ؛ وقصد إلى الحجة ؛ وحسن الاستعارة .

ومثله قول الآخر : البلاغة تقرب ما بعد من الحكمة بأيسر الخطاب .

والتقرب من المعنى البعيد ، وهو أن يعمد إلى المعنى اللطيف فيكشفه ، وينفي

الشواغل عنه ؛ فيفهمه السامع من غير فكر فيه ، وتدبر له . مثل قول الأول

في امرأة :

لم نذر ما الدنيا وما طيبها وحسها حتى رأيناها

إنك لو أبصرتها ساعة أجلتها أن تتمناها

وقال بعضهم لملك من الملوك : أمّا التعجب من منّا قبك فقد نسخته تواترها ؛

فصارت كالشيء القديم الذي قد كسى به ؛ أى ألف لا كالشيء البديع الذي

يتعجب منه . ومن هذا أخذ أبو تمام قوله ^(١) :

على أنها الأيام قد صرن كلها عجائب حتى ليس فيها عجائب

وقول آخر لبعض الملوك أيضاً : أخلاقك تجعل العدو صديقاً ، وأحكامك نصير

الصديق عدواً ، ويشهد عدم مثلك فيما يكون .

وقال بعض القدماء : لسكل جلية دقيقة ودقيقة الموت الهجر .

وقلت :

اسم التفرق بين لكن معناه موت

وجداننا كل شيء إذا تباعدت فوت

والرواية الصحيحة أن العربي قال : البلاغة التقرب من المعنى البعيد ؛ ولكن

رأيتُهُ في بعض أصولي كما ذكرته قبل ، فأوردته ها هنا ، وفسرته على ما رأيته في الأصل .

وقوله : والتباعدُ من حشور الكلام . فالحشورُ على ثلاثة أضرب : اثنان منها مذمومان ، وواحد محمود :

فأحدُ الذمومين هو إدخالك في الكلام لفظاً لو أسقطته لكان الكلام تاماً ، مثل قول الشاعر :

أُنْعِي فَبَتِّي لَمْ تَذَرِ الشَّمْسُ طَالِمَةً يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا ضَرًّا أَوْ نَفْعًا
فقوله : يوما من الدهر حشور لا يحتاج إليه ؛ لأن الشمس لا تطلع ليلاً .

وقول بعض بني عيسى : أنشدنا أبو أحمد عن الصولي عن ثعلب عن ابن الأعرابي :

أَبْعَدَ بَنِي بَكْرٍ أَوَّلَ مُقْبِلًا مِنْ الدَّهْرِ أَوْ آسَى عَلَى إِثْرِ مُدِيرٍ
وَلَيْسَ وَرَاءَ الْقَوْتِ شَيْءٌ يَرَدُّ عَلَيْكَ إِذَا وَلَّى سَوَى الصَّبْرِ فَاصْبِرْ
أَوَّلَاكَ بَنُو خَيْرٍ وَشَرِّ كَلِمَا جَمِيعًا وَمَعْرُوفٍ أَرِيدَ وَمُنْكَرٍ

قوله : أريد حشور وزيادة . وقوله : كليهما يكاد يكون حشوراً ، وليس به بأس ، وباقى الكلام متوازن الألفاظ والمعاني ، لا زيادة فيه ولا نقصان . وهذا الجنس كثير في الكلام .

والضربُ الآخر العبارةُ عن المعنى بكلام طويل لا فائدة في طوله ويمكن أن يعبر عنه بأقصر منه . مثل قول النابغة ^(١) :

تَبَيَّنَتْ آيَاتُهَا فَمَرَقَتْهَا لِسِتَّةِ أَعْوَامٍ وَذَا الْعَامُ سَابِعُ
كان ينبغي أن يقول لسبعة أعوام ويُتِمَّ البيت بكلام آخر يكون فيه فائدة ، فمَجَزَّ عن ذلك ، فحشا البيت بما لا وجه له .

وأما الضربُ المحمود فكقول كثير :

لَوْ أَنَّ الْبَاخِلِينَ وَأَنْتَ فِيهِمْ رَأَوْكَ تَعَلَّمُوا مِنْكَ الْمَطَالَ ^(٢)

قوله : « وأنتَ فيهم » حَشَوْهُ إِلَّا أَنَّهُ مَلِيحٌ . وَبُسْمَى أَهْلُ الصَّنْعَةِ هَذَا الْجِنْسِ
اعتراضٌ كَلَامٌ فِي كَلَامٍ .

ومنه قول الآخر ، وهو جرير (١) :

إِنَّ الثَّمَانِينَ وَبُلُغَتَهَا قَدْ أَخَوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْمُجَانٍ
وسنأتني على هذا الباب فيما بعدُ إن شاء الله .

ومن الكلام الذي لاحشوفيه قولُ صَبْرَةَ بنِ شَيْمَانَ حين دخل على معاوية مع
الوفود فتكلموا فأكثرُوا ، فقال صَبْرَةُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّا حَيٌّ فَعَالٌ ، وَلِسْنَا
حَيٌّ مَقَالٌ ، وَنَحْنُ بِأَذْنَى فَعَالِنَا عِنْدَ أَحْسَنِ مَقَالِهِمْ .
فقال معاوية : صدقت .

ومن هذا قولُ الشاعر :

وتجهل أيدِينَا وَيَحْلُمُ رَأْيُنَا وَنَشْتُمُ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالتَّكَلُّمِ
وكتب رجلٌ إلى أخٍ له : نعتي بِكَرَمِكَ تَمْنَعُ من اقتضائك ، وعلمي بِشغلك
يحدو على اذِّكَارِكَ .

وقال آخر : فِي النَّاسِ طِبَائِعٌ سَيِّئَةٌ وَحَسَنَةٌ ، فَارْتَبِطْ بِمَنْ رَجَحَتْ مَحَاسِنُهُ .
وقال الحسن : نِعَمُ اللَّهِ عَلَى الْعَبْدِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُشْكِرَ ، إِلَّا أَنْ يُعَانَ عَلَيْهَا .
وذُنُوبُهُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُسَلَّمَ مِنْهَا ، إِلَّا أَنْ يُعْفَى لَهُ عَنْهَا .
وأما قِرب المآخذ فهو أَنْ تَأْخُذَ عَفْوَ الْخَاطِرِ ، وَتَتَنَاوَلَ صَفْوَ الْمَاجِسِ ،
وَلَا تَكِدَّ فِكْرَكَ ، وَلَا تُتْعِبَ نَفْسَكَ . وهذه صِفَةُ الْمَطْبُوعِ .
وروى أن الرشيد ، أو غيره ، قال لندمائه - وقد طلعت الثريا : أَمَا تَرَوْنَ الثَّرِيَّا ؟
فقال بعضهم : كَأَنَّهَا عَقْدُ رِيَا .

(١) التبيان : ٣ - ٢١٦ ، وقد نسبته هناك إلى عوف بن محم .

وقال بعضهم لأبي العتاهية : * عذب الماء فطابا * فقال أبو العتاهية :
* حبّذا الماء شرابا *

وقال بشار ، وقد حبسه يعقوب بن داؤد على بابه :
* طَالَ المَوَّاهُ على رُسُومِ المنزلِ *
فرُفِعَ إليه قوله ، فقال :

* فإذا تشاء أبا مُعَاذٍ ^(١) فارْحَلْ *
ومن قربِ المأخذِ أنَّ الجاحظَ أو غيره قال للجهاز : أريدُ أنْ أنظرَ إلى الشيطانِ ،
فقال : انظرْ في المرآة .

وقال بعض الوُلاة لأعرابي : قل الحقَّ وإلا أوجعتك ضرباً ! فقال الأعرابي :
وأنتَ أيضاً فاعْمَلْ به ، فوالله لَمَّا أُوْعِدَكَ اللهُ به منه أعظمُ مما أُوْعِدْتَنِي به منك .
ومنه أن المأمون قال لأمّ الفضل بن سهل بعد قتلِهِ إياه : أنجزَ عينَ ولك ولدٌ مثلي ؟
قالت : وكيف لا أُجْزَع على ولدٍ أفادنيك .

وهذا على حسب ما قال أبو جنيفة : إذا أتتكَ مُعْضِلَةٌ فاجمل جوابها منها .
ومن ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد قال حدثنا الجوهري ، قال : حدثنا محمد بن زكريا ،
قال : حدثنا مهدي بن سابق ، قال : حدثنا عطاء بن مصعب عن عاصم بن الحدّان ، قال :
دعا عبدُ الملك بن مروان يوماً بالغداء وبحضرتَه رَجُلٌ فدعاه إلى غدائه ، فقال ليس :
بي غداء يا أميرَ المؤمنين ، قد تَفَدَّيت . فقال عبيد الملك : أَقْبِضْ بالرجل أنْ يأكل
حتى لا يكونَ فيه فضلٌ للطعام . فقال : يا أميرَ المؤمنين ، في فضلٍ ، ولكن
أَكْرَهُ أنْ آكلَ فأصيرَ إلى ما استقبَحَهُ أميرُ المؤمنين .

و[أمّا] قوله : «إيجازٌ في صواب» ، فسندُ كرهه في بابه . و[أمّا] الاستمارةُ فسننُها
في مواضعها .

وأما قوله : « وقصد إلى الحجّة » ، فقد ذكرنا الكلام فيه .
وقال محمد بن علي رضي الله عنهما : البلاغة قولٌ مُفَقِّهٌ^(١) في لُطْفٍ ؛ فالْفُقِّه : المُفْهِم ،
واللَّطِيف من الكلام : ما تَعَطَّفَ به القلوبُ النافرة ، ويُؤْنِسُ القلوبَ المستوحشة ،
وتَلِينُ به العريكةُ الأبيّةُ المستصمبة ، ويُبَلِّغُ به الحاجة ، ويُقَامُ به الحجّة ؛ فتخلص
نفسك من العيب ، ويلزمُ صاحبك الذنب ، من غير أن تَهيجَه^(٢) وتُثْقِلَه ، وتستدعي
غضبه ، وتستثير حفيظته .

كقول بعض الكتاب لأخ له : أنفذ إلى أبو فلان كتاباً منك ؛ فيه ذر^(٣)
من عتاب ، كان أحلى عندي من تعريسة الفجر^(٤) ، وألذ من الزلال العذب ،
ولك العُتْبَى داعياً مستجاباً له ، وعاتباً معتذراً إليه . ولو شئت مع هذا أن أقول : إنَّ
العُتْبَ عليك أوجب ، والاعتذار لك أزم لعملي ، ولكي أسامحك ولا أشاحك^(٥) ،
وأسلم إليك ولا أزدك ؛ لأن أفعالك عندي مرضية ، وشيمك لدى مقبولة ، ولولا
أن للحجّة موقعها لأعرضتُ عما أو مأتُ إليه وما عرضت مما بدأتُ به ، وقلت :
إذا مَرَضْنَا أَتَيْنَاكُمْ نَعُودُكُمْ وَتُدْنِبُونَ فَنَأْنِيَكُمْ فَنَعْتَذِرُ
فَانظُرْ كيف خلص نفسه من الجُرم ، وأوجه لصاحبه في اللطف وجهه ،
واللين مس .

ومن الكلام الذي يَمُطِّفُ القلوبَ النافرة قولُ أخيرٍ لأخ له : زين الله
ألفتنا بماودة صلتك ، واجتماعنا بترادف زيارتك ، وإيأنا الموحشة - لغيبك -
برؤيتك ؛ نوعدتني بالانتقام على إخلالي بمطالعتك ، وحسبي من عقوبتك
ما ابتليت به من عدم مُشاهدتك .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : البلاغة إيضاحُ الملتبسات ، وكشفُ

(١) فقهه كعلمه : فهمه ، وفقهه تفقيها : علمه ، كأفقه . (٢) هاجه : أثاره .

(٣) أصل الذر صغار النمل ، ولعله يريد : قليل من عتاب . (٤) التعريس : نزول القوم

في السفر آخر الليل . (٥) تشاحا على الأمر : لا يريدان أن يفوتهما .

عَوَارٍ^(١) الجهالات ، بأسهل ما يكون من العبارات .
وقرب منه قول الحسن بن علي رضي الله عنهما : البلاغة تقرب بعيد
الحكمة بأسهل العبارة .

ومثله قول محمد بن علي رضي الله عنهما : البلاغة تفسير عسير الحكمة بأقرب
الألفاظ . وقد مضى فيما تقدم من كلامنا ما يكون مثلاً لهذه الفصول .

وأنا أورد هاهنا فصلاً ينشرح به أبوابها ، ويتضح وجوهها . أخبرني أبو
أحمد عن أبيه عن عسل بن ذكوان ، قال : قال المأمون لمرتد عن الإسلام إلى
النصرانية : أى شيء أوحشك من الإسلام فتركته ؟ قال : أوحشني ما رأيت من
كثرة الاختلاف فيكم . فقال المأمون : لنا اختلافان : أحدهما كاختلافنا في الأذان ،
وتكبير الجنائز ، والاختلاف في التشهد ، وفي صلاة الأعياد ، وتكبير التشريق ،
ووجوه القراءات ، واختلاف وجوه الفتيا ، وما أشبه ذلك . وليس هذا باختلاف ؛
ولمّا ذلك توسعة وتخفيفاً من الهمة . والاختلاف الآخر كنتحور اختلافنا في تأويل
الآية من كتابنا ، وتأويل الخبر عن نبينا عليه الصلاة والسلام ، مع إجماعنا
على أصل التنزيل ، واتفاقنا على عين الخبر .

فإن كان الذي أوحشك هو هذا حتى أنكرت هذا الكتاب فينبغي أن
يكون اللفظ بجميع التوراة والإنجيل متفقاً على تأويله ، كما يكون متفقاً على تنزيهه ،
ولا يكون بين النصارى اختلاف في شيء من التأويلات . ولو شاء الله أن ينزل
كتبه ويجعل كلام أنبيائه ، وورثة رسوله كلاماً لا يحتاج إلى التفسير لفعل ؛
ولكننا لم نر شيئاً من الدين والدنيا دُفع إلينا على الكفاية . ولو كان الأمر
كذلك لسقط المحنة والبلوى ، وذهبت المسابقة والمنافسة ، ولم يكن تفاضل ؛
وليس على هذا بئى الله الدنيا .

(١) العوار : كل ما أعل العين ، والرمد والقذى .

فقال المرتدُّ : أشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريكَ له ، ولأولده ، وأن المسيحَ عبدُ الله ، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم صادقٌ ، وأنتَ أميرُ المؤمنين حقاً .
وقال ابنُ المقفَّع : البلاغةُ كَشَفُ ما غَمَضَ (١) من الحقِّ ، وتصويرُ الحقِّ في صورةِ الباطلِ .

والذى قاله أمرٌ صحيح لا يَخْفَى موضعُ الصوابِ فيه على أحدٍ من أهلِ التمييزِ والتحصيلِ ؛ وذلك أنَّ الأمرَ الظاهرَ الصحيحَ الثابتَ المكشوفَ يُنَادِي على نفسه بالصحةِ ، ولا يُخَوِّجُ إلى التكلفِ لصحتهِ حتى يوجد المعنى فيه خطيئاً .

وإنما الشأنُ في تحسينِ ما ليس بحسنٍ ، وتصحيحِ ما ليس بصحيحٍ بضربٍ من الاحتيالِ والتحيلِ (٢) ، ونوعٍ من الللِّ والمَاريضِ (٣) والمَعاذيرِ ، ليَخْفَى موضعُ الإشارةِ ، وَيَغْمُضَ مَوْقعُ التقصيرِ ؛ وما أ كثرَ ما يحتاجُ الكاتبُ إلى هذا الجنسِ عندَ اعتذاره من هزيمةٍ ، وحاجتهِ إلى تغييرِ رسمٍ ؛ أو رفعِ منزلةٍ دنيءٍ له فيه هوى ؛ أو حَظٌّ منزلةٍ شريفٍ استحقَّ ذلكَ منه ، إلى غيرِ ذلكَ من عَوَارِضِ أمورِهِ .

فأَعْلَى رُتَبِ البلاغةِ أن يَحْتَجَّ للمذمومِ حتى يَخْرِجَهُ في معرضِ المحمودِ ، وللمحمودِ حتى يَصِيرَهُ في صورةِ المذمومِ . وقد ذمَّ عبدُ الملكِ بنُ صالحٍ المشورةَ ، وهى ممدوحةٌ بكلِّ لسانٍ ، فقال : ما استشرتُ أحداً إلا تكبرَّ على وتَصَاغَرْتُ له ، ودَخَلَتْهُ العِزَّةُ ودَخَلْتَنِي الذُّلَّةُ ؛ فَمَلِكٌ بالاستبدادِ فإن صاحبه جليلٌ في العيونِ ، مَهِيْبٌ في الصدورِ ؛ وإذا افترقتَ إلى العقولِ حَقَرَتْكَ العيونُ ، فَتَضَعُضَعُ شأنُكَ ، وَرَجَفَتْ (٤) بك أركانُكَ ، واستحقركَ الصغيرُ ، واستخفَّ بك الكبيرُ ، وما عَزَّ سلطانٌ لم يُغْنِهِ عقلُهُ عن عقولِ وزرائِهِ وآراءِ نُصَائِحِهِ .

ومَدَحَ بعضهم الموتَ فقال :

قَدْ قُلْتُ إِذْ مَدَحُوا الْحَيَاةَ فَأَكْثَرُوا فِي الْمَوْتِ أَلْفُ فَضِيلَةٍ لَا تُعْرَفُ

(١) في ط « أغمض » ، وصوابه عن ا ، ب

(٢) التحيل : الاحتيال . (٣) المَاريض : التورية بالشيء وعن الشيء .

(٤) رجفت : تحركت واضطربت .

فيه أمان لقائه بـلقائه وفراق كلِّ معاشرٍ لا يُنصفُ
فالتمكُّنُ من نفسه يضعُ لسانه حيثُ يريد .

ومثلُ هذا كثيرٌ لا وَجَهَ لاستيفائه في مثلِ هذا الموضع .

ذكرتُ في هذا الباب - وهو ثلاثة فصول - من نعمتِ البلاغة ، ووجوه البيان
والفصاحة ما فيه كفاية ؛ وأتيتُ من تفسير مُشكِليها على ما فيه مَقْنَع ، ولم يسبقني
إلى تفسير هذه الأبواب وشرح وجوهها أحد ، وإنما اقتصر مَنْ كان قبلي على
ذكر تلك النعمتِ عاريةً مما هي مفترقةٌ إليه من إيضاح غامضها ، وإزالة مُظلمِها ؛
فكان المنفعةُ بها للعالم دون المتعلِّم ، والسابق دون اللاحق ؛ وربما اعترض الشكُّ
فيها للعالم المبرز ، فسقطت عنه معرفةٌ كثيرٌ منها . وأنتَ أيُّدكَ اللهُ تعتمد ما ذكرتهُ
من ذلك ، وتأمُّنُ بما شرَّحتهُ منه ، وتستدلُّ به على ما ألفتته من جنسه إذا عثرت
به ، لتستغنى عن جميع ما صُنِّفَ في البلاغة ، وسائر ما ذُكر من أصناف البيان
والفصاحة إن شاء الله .

البَابُ الثَّانِي

في تمييز الكلام جيده من رديه ونادره من بارده والكلام في المعاني (فصلان)

الفصل الأول من الباب الثاني

في تمييز الكلام

الكلام - أيذك الله - يحسن بسلاسته ، وسهولته ، ونصاعته ، وتخيّر لفظه ، وإصابة معناه ، وجودة مطالعه ، ولين مقاطعه ، واستواء تقاسيمه ، وتعادل أطرافه ، وتشابه^(١) أعجازه بهواديته^(٢) ، وموافقة ماخير له لمباديه ، مع قلة ضروراته ، بل عدمها أصلاً ، حتى لا يكون لها في الألفاظ أثر ؛ فتجد المنظوم مثل المنثور في سهولة مطلعه ، وجودة مقطعه ، وحسن رصفه وتأليفه ؛ وكال صوغه وتركيبه .

فإذا كان الكلام كذلك كان بالقبول حقيقاً ، وبالتحفظ خليقاً ؛ كقول الأول :

هم الألى وهبوا للمجد أنفسهم	فما يُبالون ما نالوا إذا حُمِدوا
وقول ممن بن أوس ^(٣) :	
لعمرك ما أهويت كفى لريبة	ولا حملتني نحو فاحشة رجلى
ولا قادني سمعي ولا بصرى لها	ولا دلّني رأي عليها ولا عقلي
وأعلم أني لم تُصِبنني مصيبة	من الدهر إلا قد أصابت فتى قبلي
ولست بمأش ما حيت لمُنكر ^(٤)	من الأمر لا يمشي إلى مثله مثلي

(١) في ط ، ب « تشبه » ، وما أثبتناه عن أ . (٢) الهادي : العنق ، والمقدم ، وجمعه الهوادي . (٣) الأمالي : ٢ - ٢٣٤ . (٤) في الأمالي : « بمنكر » من الأمر ما يمشي ...

ولا مؤثرأ نفسى على ذى قرابة^(١) وأوثر ضيفى - ما أقام - على أهلى
وقول الآخر :

ولستُ بنظّارٍ إلى جانبِ النسي إذا كانتِ العلياءُ في جانبِ الفقرِ
وقال الآخر^(٢) :

ذرينى أسيرٌ في البلادِ لعلنى أصيبُ غنى فيه لذي الحقِّ مخمِلُ^(٣)
فإن نحنُ لم نسطعْ دِفَاعاً لحادثٍ تجى به الأيامُ فالصبرُ أجملُ
أليسَ كثيراً أن تُلمَّ مُلمَّةٌ وليسَ علينا في الحقوقِ مُمَوِّلُ
ومما هو فصيح في لفظه جيدٌ في رصفه قولُ الشنفرى^(٤) :

أطيلِ مطالَ^(٥) الجوعِ حتى أميته وأضرب عنه القلبَ صفحاً فيذْهَلُ
ولولا اجتنابُ العارِ لم يُلفِ مشربٌ يُماشُ به إلا لدى ومأكلُ
ولكن نفساً مرةً ما تُقيمى على الضيمِ إلا ريثماً أتحوِّلُ
وقول الآخر :

إذا أنت لم تشربِ مراراً على القذى ظميتَ وأى الناسِ تصفو مشاربهُ
وقول الآخر :

وما إن قتلناهم بأكثرَ منهم ولكنْ بأوفى للطَّمانِ وأكرماً
وقال دعبل :

وإنَّ امرءاً أمستْ مساقطُ رَحِلِهِ بأسوانٍ لم يترُكْ له الحَزَمُ معلماً^(٦)

(١) في الأمالى : « على ذى قرابتي » . (٢) لعروة بن الورد . وانظر ديوانه ١٠٦ .
(٣) الحمل : العتمد . (٤) ديوان مختارات شعراء العرب : ٢٣ . والأبيات من لاميته
المشهورة بلامية العرب . وهى فى مختارات شعراء العرب :
أديم . مطال الجوع حتى أميته وأصرف عنه الذكر صفحاً فأذهل
ولولا اجتناب النام لم يبق مشرب يُماش به إلا لدى ومأكل
ولكن نفساً حرة لا تقيم بى على الضيم إلا ريثماً أتحوِّل
(٥) المطال : المطل : التسويف .
(٦) أسوان : بلدة بالصعيد من بلاد مصر . قال فى القاموس : بالضم ويفتح .

حَلَّتْ مَحَلًّا يَقْصُرُ الطَّرْفُ دُونَهُ . ويمجز عنه الطَّيْفُ أَنْ يَتَجَشَّأَ (١) ،
وقول النابغة (٢) :

ولست بمستَبِقٍ أَخَا لَا تَلْمُهُ عَلَى شَعْتٍ ، أَيُّ الرِّجَالِ الْمَهْذَبُ ؟
وليس لهذا البيت نظيرٌ في كلام العرب . وقال بعضهم : نظيره قول أوس بن حَجْرٍ :
ولست بخانيءٍ أَبَدًا طَعَامًا حِذَارَ غَدٍ ؛ لِكُلِّ غَدٍ طَعَامُ
وهذا وإن كان نظيره في التأليف فإنه دونه لما تكرر فيه مِنْ لفظ «غد» .

فإذا كان الكلام قد جمع المذوبة ، والجزالة ، والسهولة ، والرَّصَانة ،
مع السلاسة والنصاعة ، واشتمل على الرَّؤْنَقِ وَالطَّلَاوَةِ ، وسَلِمَ مِنْ حَيْفٍ (٣)
التأليف ، وبَمَدَّ عَنْ سَمَاجَةِ التَّرْكِيبِ ، وورد على الفهم الثاقب قَبِيلَهُ ولم يردّه ،
وعلى السَّمْعِ المصيب استوعبه ولم يعبّه ؛ والنفسُ تقبلُ اللطيف ، وتنبؤ عن الغليظ ،
وَتَقَلُّقُ مِنَ الْجَائِسِ (٤) الْبَشِيعِ ؛ وجميعُ جوارحِ البدنِ وحواسه تَسْكُنُ إِلَى
مَا يُؤَافِقُهُ ، وَتَنْفِرُ عَمَّا يَضَادُّهُ وَيَخَالِفُهُ ، والمِثْلُ تَأْلَفُ الْحَسَنَ ، وَتَقْذَى بِالْقَبِيحِ ؛
وَالْأَنْفُ يَرْتَاحُ لِلطَّيِّبِ ، وَيَنْفِرُ (٥) لِلْمُنْتَنِ ؛ وَالْفَمُ يَلْتَذُّ بِالْحُلُوِّ ، وَيَمِجُّ الْمَرَّ ؛ وَالسَّمْعُ
يَتَشَوَّفُ لِلصَّوَابِ الرَّائِعِ وَيَزْدَوِي عَنِ الْجَهْرِ الهائل ؛ وَالْيَدُ تَنْعَمُ بِاللَّيْنِ ، وَتَتَأَذَى
بِالْخَشَنِ ؛ وَالْفَهْمُ يَأْسُ مِنْ الْكَلَامِ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَسْكُنُ إِلَى الْمَأْلُوفِ ، وَيَصْنَعِي إِلَى
الصَّوَابِ ، وَيَهْرُبُ مِنَ الْحَالِ ، وَيَنْقَبِضُ عَنِ الْوَحْمِ ، وَيَتَأَخَّرُ عَنِ الْجَانِيِ الْغَلِيظِ ،
وَلَا يَقْبَلُ الْكَلَامَ الْمُضْطَرَبَّ إِلَّا الْفَهْمُ الْمُضْطَرَبُّ ، وَالرُّوْيَةُ الْفَاسِدَةُ .
وليس الشأن في إيراد المعاني ، لَأَنَّ الْمَعَانِيَ يَعْرِفُهَا الْعَرَبِيُّ وَالْمَجْمَعِيُّ وَالْقُرَوِيُّ

(١) التجشم : التكلف على مشقة . (٢) ديوانه : ١٣ ، والموشح : ٢٣ .

(٣) الحيف : الميل .

(٤) الجائس : الصلب الغليظ .

(٥) نفر - بفتح الفين وكسرها : غضب واغتاظ ، من نفر القدر وهو غلبتها وفورها .

أو من نفر الجرح : إذا سال منه الدم .

والبدوى ، وإنما هو في جودة اللفظ وصفائه ، وحُسْنِه وبهائه ، ونزاهته ونفاثته ، وكثرة طلاوته ومائه ، مع صحة السَّبْكِ والتركيب ، والخلوُّ من أَوْدٍ ^(١) النظم والتأليف . وليس يُطْلَبُ من المعنى إلا أن يكون صَوَابًا ، ولا يُقْنَعُ من اللفظ بذلك حتى يكون على ما وصفناه من نموته التي تقدّمت .

الآ ترى إلى قول حبيب ^(٢) :

مُسْتَسْلِمٌ لِلَّهِ سَائِسُ أُمَّةٍ بدوى تَجَهُّضُهَا لَهُ اسْتِسْلَامُ
فإنه صوابُ اللفظ ، وليس هو بحسنٍ ولا مقبولٍ - (الجهضة ، الوثوب والغلبة) .

وقال أبو داود : رأسُ الخطابة الطَّبْعُ ، وعمودُها الدُّرْبَةُ ، وجَنَاحُهَا رِوَايَةُ الكلام ، وحَلْيُهَا الإِغْرَابُ ، وبَهَاوُهَا تَحْيُرُ الألفاظ ؛ والمحبةُ مقرونةٌ بِقَلَّةِ الاستكراه . وأنشد :

يَرْمُونَ بِالْخُطْبِ الطَّوَالِ وتارةً وَحَى الْمَلاحِظِ خَشْيَةَ الرُّقْبَاءِ ،
ومن الدليل على أَنَّ مدارَ البلاغة على تحسين اللفظ أَنَّ الخُطْبَ الرائعة ،
والأشعارَ الرائقة ما عُمِلَتْ لإِفْهَامِ المعاني فقط ؛ لأنَّ الردىء من الألفاظ يقومُ
مَقَامَ الجيدة منها في الإِفْهَامِ ، وإنما يَدُلُّ حُسْنُ الكلام ، وإحكامُ صَنَعَتِهِ ،
وَرَوْنُقُ أَلْفَاظِهِ ، وجودةُ مَطَالِعِهِ ، وحُسْنُ مَقَاطِعِهِ ، وبَدِيعُ مَبَادِيهِ ، وغريبُ
مَبَانِيهِ على فَضْلِ قَائِلِهِ ، وفَهْمِ مُنْشِئِهِ .

وَأَكْثَرُ هذه الأوصافِ تَرْجِعُ إِلَى الألفاظِ دون المعاني . وتَوَخَّى صوابِ
المعنى أحسنُ مِنْ تَوَخَّى هذه الأمورِ في الألفاظِ . ولهذا تَأَنَّقَ الكاتبُ في
الرسالة ، والخطيبُ في الخطبة ، والشاعرُ في القصيدة . يُبَالِغُونَ في تَجْوِيدِهَا ،
وَيَغْلُون في ترتيبها ؛ لِيَدُلُّوا عَلَى بَرَاعَتِهِمْ ، وَحِدَقِهِمْ بِصِنَاعَتِهِمْ ؛ ولو كان الأمرُ

في الممانى لَطَرَحُوا أَكْثَرَ ذَلِكَ فَرَجَحُوا كَدًّا كَثِيرًا ، وَأَسْقَطُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ تَعْبًا طَوِيلًا .

ودليل آخر ؛ إنَّ الكلامَ إذا كان لفظه خُلُوًّا عَذْبًا ، وَسَيَّاسًا سَهْلًا ، ومعناه وَسَطًا ، دخل في جُمْلَةِ الجيِّد ، وَجَرَى مع الرَّائِعِ النادر ؛ كقول الشاعر^(١) :

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مَنَى كُلِّ حَاجَةٍ وَمَسَّحَ بِالْأَرْضِ كَانَ مِنْهُوَ مَاسِحٌ
وَشُدَّتْ عَلَيَّ حُذْبِ الْمَهَارَى رِحَالُنَا وَلَمْ^(٢) يَنْظُرِ الْغَادِي الَّذِي هُوَ رَائِحٌ
أَخَذَنَا بِأَطْرَافِ^(٣) الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحِ
وليس تحت هذه الألفاظِ كبيرُ معنى ، وهى رَائِقَةٌ مُعْجِبَةٌ ، وإنما هى : وَلَمَّا قَضَيْنَا الْحِجَّ وَمَسَحْنَا الْأَرْكَانَ وَشُدَّتْ رِحَالُنَا عَلَى مَهَارِيلِ الْإِبِلِ وَلَمْ يَنْظُرْ بَعْضُنَا بَعْضًا جَعَلْنَا نَتَحَدَّثُ وَتَسِيرُ بَنَاتُ الْإِبِلِ فِي بُطُونِ الْأَوْدِيَةِ .

وإذا كان المعنى صوابًا ، واللفظُ باردًا وفاترًا ؛ والفاترُ شرٌّ من الباردِ ، كان مستَهْجَنًا ملفوظًا ، ومذمومًا مردودًا ، والباردُ من الشِّمْرِ قولُ عمرو بن معدى يكرب :

قَدْ عَلِمْتَ سَلَمَى وَجَارَاتِهَا مَا قَطَرَ الْفَارِسَ إِلَّا أَنَا^(٤)
شَكَكَتْ بِالْوُجْهِ سَرَابِيلَهُ وَالْخَيْلُ تَعْدُو زَيْمًا حَوْلَنَا^(٥)

وقول الفند الزمانى :

أَيَا تَمَلِّكَ يَا تَمَلِّ وَذَاتَ الطُّوقِ وَالْحِجْلِ
ذَرِبْنِي وَذَرِي عَذْلِي فَإِنَّ الْعَدْلَ كَالْقَتْلِ

وقول النمر :

يُهَيِّنُونَ مَنْ حَقَرُوا شَيْبَهُ وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ يَفَى أَوْ يَبَرُّ

(١) الأمالى: ٣-١٦٦ ، الشعر والشعراء ١١ (٢) فى الشعر والشعراء : « ولا ينظر الغادى »

(٣) أطراف الأحاديث : ما يستطرف منها ويؤثر . (٤) اللسان — مادة قطر . وقطرت

الرجل : صرعه صرعة شديدة . (٥) السرايل : الدروع . زيمًا : متفرقة .

وقول أبي المتاهية :

ماتَ واللهُ سَعِيدُ بْنُ وَهْبٍ رَحِمَ اللهُ سَعِيدَ بْنَ وَهْبٍ
يَا أَبَا عُمَاصٍّ أَبْكَيْتَ عَيْنِي يَا أَبَا عُمَاصٍّ أَوْجَعْتَ قَلْبِي

والباردُ في شعرِ أبي المتاهية كثير ؛ والشعرُ كلامٌ منسوجٌ ، ولفظٌ منظومٌ ، وأحسنُهُ ما تلاءمَ نَسْجُهُ ولم يَسْخَفْ ، وحَسُنَ لفظُهُ ولم يَهْجُنْ ، ولم يُسْتَعْمَلْ فيه الغليظُ من الكلامِ ، فيكون جلفاً بغيضاً ، ولا السُّوقُ من الألفاظِ فيكون مُهْلَلاً دُونَاً ؛ فالبغيضُ كقولِ أبي تمام^(١) :

جعل^(٢) القنأَ الدَرَجاتَ للكدَجَاتِ ذَا تِ الغَيْلِ والحرَجَاتِ والأدْحَالِ^(٣)
قد كان حَزْنُ الخَطْبِ في أَحْزَانِهِ^(٤) فدعاه دَاعِيَ الحَيْنِ للأسْهالِ^(٥)
وقوله^(٦) :

يادَهُرُ قَوْمٍ مِنْ أَخْدَعَيْكَ فَقَدْ^(٧) أَضْجَجْتَ هَذَا الْأَنَامَ مِنْ خَرَقِكَ

ولا خير في الماني إذا استكرهت قَهراً ، والألفاظُ إذا اجترت قَسْراً ، ولا خيرَ فيما أُجيدَ لفظُهُ إذا سَخِفَ معناه ، ولا في غرابةِ المعنى إلا إذا شَرَفَ لفظُهُ مع وضوحِ المَعْرِزَى ، وظهورِ المقْصِدِ .

وقد غلبَ الجهلُ على قومٍ فصاروا يستجيدون الكلامَ إذا لم يَقِفُوا على معناه إلا بَكْدَ ، ويستفصحوه^(٨) إذا وجدوا ألفاظه كزّةً غليظةً ، وجاسيةً غريبةً ، ويستحقرون الكلامَ إذا رأوه سَلِساً عذياً وسهلاً خُلُواً ؛ ولم يعلموا أنَّ السهلَ أَمْنُ جانبِنا ، وأعزُّ مَطْلَبِنا ؛ وهو أحسنُ موقفاً ، وأعذبُ مستمَعاً .

(١) ديوانه : ٢٦١ ، ٢٦٢ . (٢) في الديوان : جتلوا .

(٣) الكدج : المأوى (عرب) . الغيل - بالكسر ويفتح : الغاب . الحرجات : مجتمعات الأشجار . الأدحال : مصانع تجمع الماء (٤) الحزن - بفتح فسكون : ما غلظ من الأرض . (٥) في الديوان : « بالأسهال » . الحين : الهلاك . وأسهل : صار إلى السهل ، وهو ضد الحزن . (٦) ديوانه : ٣٦٢ (٧) الأخدع : عرق في الحجبتين ، وهو شعبة من الوريد . والخرق : الجهل . (٨) في ط « يستفصحوه » ، وضواحه عن ا ، ب .

ولهذا قيل : أجودُ الكلامِ السهلُ الممتنع .
 أخبرنا أبو أحمد قال : أخبرنا الصولي ، قال : حدثنا أحمد بن إسماعيل ، قال :
 وصف الفضل بن سهل عمرو بن مسعدة فقال : هو أبلغُ الناسِ ؛ ومنْ بلاغته أن
 كلَّ أحدٍ يظنُّ أنه يكتبُ مثلَ كُتبه ، فإذا رآها تذرَّت عليه .
 وأخبرنا أيضاً قال : أخبرنا أبو بكر قال : حدثني عبد الله بن الحسين قال :
 حدثنا الحسن بن محمد ، قال : أنشدنا إبراهيم بن العباس لخاله العباس ابن
 الأحنف (١) :

إليك أشكو ربَّ ما حلَّ بي من صدِّ هذا التائه المُعجبِ (٢)
 إن قال لم يفعل وإن سيل لم يبذل وإن عوتب لم يُعْتَبِ (٣)
 صب بمضيائي ولو قال لي لا تشرب البارد لم أشرب
 ثم قال : هذا والله الشعرُ الحسنُ المعنى ، السهلُ اللَّفظُ ، العذبُ المُستَمعُ ،
 القليلُ النظيرُ ، العزيزُ الشَّبيهُ ، المُطْمَعُ المُمتنعُ ، البعيدُ مع قرِّبه ، الصَّعبُ في
 سهولته . قال : فحملنا نقولُ : هذا الكلامُ والله أبلغُ من شعره .

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن الغلابي عن طائع وهو العباس بن ميمون ، من
 غلمان ابن ميثم ، قال : قيل للسيد : ألا تستعمل الغريب في شعرك . فقال : ذاك عيٌّ
 في زَماني ، وتكلفتُ مني لو قُلْتُه ، وقد رزقتُ طَبِماً وأنسأعاً في الكلام ، فإنا
 أقولُ ما يعرفه الصغيرُ والكبيرُ ، ولا يحتاجُ إلى تفسير . ثم أنشدني :
 أيَّا ربِّ إني لم أُرِدْ بالذي به مدحتُ عليّاً غيرَ وجهك فارحِم
 فهذا كلامُ عاقلٍ يضعُ الشيءَ موضعه ، ويستعملُه في إبانِه ، ليس كمن قال
 وهو في زماننا (٤) :

(١) ديوانه : ١٤ (٢) في الديوان : من ظلم هذا الظالم المذنب .

(٣) في الديوان : إن سيل لم يبذل وإن قال لم * يفعل وإن عوتب لم يعتب

(٤) هو المتنبي ، والشطر الثاني * شيم على الحسب الأغر دلائل *

* جَفَحَتْ وَهُمْ لَا يَحْفَخُونَ بِهَا بِهِمْ (١) *

فَأَشْمَتَ عَدُوَّهُ بِنَفْسِهِ .

ومن الكلام المطبوع السهل ما وقع به علي بن عيسى : قد بلغتك أقصى طلبتك ، وأنت لك غاية بُغيتك ، وأنت مع ذلك تستقل كثيرى لك ، وتستبجح حسنى فيك ، فانت كما قال رؤبة :

كَلْحُوتٍ لَا يَكْفِيهِ نَبِيٌّ لَا يَلْهُمُهُ يُصْبِحُ ظَمَانٌ وَفِي الْبَحْرِ فَمُهُ

ومن المنظوم الممتنع قول البحترى (٢) :

أَيُّهَا الْعَاتِبُ الَّذِي لَيْسَ يَرْضَى نَمَ هَنِئًا فَلَسْتُ أَطْعَمَ غَمَضًا
إِنَّ لِي مِنْ هَوَاكَ وَجْدًا قَدْ اسْتَهَمَ لَكَ نَوْبِي وَمَضْجَمًا قَدْ أَقْضَا (٣)
بِحَفْوُنِي فِي عَبْرَةٍ لَيْسَ تَرْفَأُ وَفُؤَادِي فِي لَوْعَةٍ مَا تَقْضَى
يَا قَلِيلَ الْإِنْصَافِ كَمْ أَقْتَضَى عَنْكَ دَكَّ وَعَدًا إِنْجَازُهُ لَيْسَ يُقْضَى
أَخْيَنِي بِالْوَصَالِ إِنْ كَانَ جُودًا وَأَبْنَى بِالْحُبِّ إِنْ كَانَ قَرْضًا
بِأَبِي شَادِنٍ تَمَلَّقَ قَائِي بِحَفْوُنِ فَوَاتِرِ اللَّحْظِ مَرْضَى
لَسْتُ أَنْسَاهُ إِذْ بَدَأَ مِنْ قَرِيبٍ يَتَنَنَّى تَتَنَنَّى الْغُصْنُ غَضًا
وَاعْتَذَارِي إِلَيْهِ حِينَ تَجَاقَى لِي عَنْ بَعْضِ مَا أَنْبَتُ وَأَغْضَى
وَاعْتِلَاقِي تَفَاحَ حَدِيدِهِ تَقْبِي لَا وَلِئْمًا طَوْرًا وَشَمًّا وَعَضًا
أَيُّهَا الرَّاعِبُ الَّذِي طَلَبَ الْجُودَ دَفَأْتُ كُومَ الْمَطَايَا وَأَنْفَى (٤)
رَدَّ حِيَاضَ الْإِمَامِ تَلَقَّ نَوَالًا يَسَعُ الرَّاعِبِينَ طَوْلًا وَعَرْضًا
فَهَنَّاكَ الْمَطَاءَ جَزَلًا لِمَنْ رَا مَ جَزِيلَ الْعَطَاءِ وَالْجُودَ مَحْضًا
هُوَ أُنْدَى مِنَ الْعَمَامِ وَأَوْحَى وَقَمَاتٍ مِنَ الْجُسَامِ وَأَمْضَى .

(١) المفنخ : الفخر . (٢) ديوانه : ٦٨-٢ . (٣) أقضا : من أفض المضجع إذا خشن .

(٤) الكوم : القطعة من الإبل . وأنفى : جعلها هزيلة .

يَتَوَخَّى الإِحْسَانَ قَوْلًا وَفِعْلًا
فَضَّلَ اللَّهُ جَعْفَرًا بِخِلَالِ
وَمِنْهَا يَقُولُ فِيهِ :

وَأَرَى الْجَسَدَ بَيْنَ عَارِفٍ مِنْكَ
كَ تَرْجَى وَعَزْمَةٍ مِنْكَ تُمَضَى

وقوله (١) :

يَتَأْتِي مَنَعًا (٢) وَيُنْعِمُ إِسْمًا
أَغْتَدَى رَاضِيًا وَقَدِ بَتَّ غَضَبًا
رِقًّا عَلَى مَنْ مَدَامِعَ لَيْسَ تَرْفَأُ
أَرَانِي مُسْتَبْدِلًا بِكَ مَا عَشُ
حَاشَ لِلَّهِ أَنْتَ أَفْتَنُ أَلْحَا
خَلَقَ اللَّهُ جَعْفَرًا قِيمَ الذُّنُ
أَكْرَمُ النَّاسِ شَيْمَةً وَأَتَمُّ الذِّ
هُوَ بِحَرِّ السَّمَاحِ وَالْجُودِ فَازْدَدُ
يَأْتِمَالُ (٤) الدُّنْيَا عَطَاءً وَبَدَلًا
فَأَبْقَ عُمَرَ الزَّمَانِ حَتَّى تُودَى

ومما هو أَجْزَلُ مِنْ هَذَا قَلِيلًا وَهُوَ مِنَ الْمَطْبُوعِ قَوْلُ ابْنِ وَهْبٍ (٥) :

مَازَالَ يُلْثِمُنِي مَرَاشِغَهُ
حَتَّى اسْتَرَدَّ اللَّيْلُ خُلْعَتَهُ
وَبَدَأَ الصَّبَاحُ كَانَ غَرَّتَهُ
أَنْتَ الَّذِي بِكَ يَنْقَضِي فَرَجًا
وَيَمْلَأُنِي الْإِبْرِيقُ وَالْقَدَحُ
وَنَشَأَ خِلَالَ سَوَادِهِ وَضَحُ
وَجْهِهِ الْخَلِيفَةِ حِينَ يُمْتَدَحُ
ضَيْقُ الْبِلَادِ لَنَا وَيَنْفَسِحُ

(١) الديوان : ١-١٢٧ . (٢) في الديوان : منعا . (٣) الرد : العطاء والصلة .

(٤) الثمال : الغيث الذي يقوم بأمر قومه . (٥) معاهد التنصيص : ٢-٥٧ .

نشرت بك الدنيا محاسنها وترينت بصيفاتك المدح

ومن السهل المختار الجيد المطبوع قول الآخر :

صرفت القلب فأنصرفاً ولم ترع الذي سلفاً

ونبت فلم أذب كمداً عليك ولم أمت أسفاً

كلانا واجد في الناس من مله خلفاً

وقول الآخر :

أما والخلق السود على سالفة الخسف^(١)

وحسن الفصن المهز ز بين النحر والرذف

لقد أشفقت أن يجرح ح في وجننها طرقي

وقول الآخر :

كم من فؤاد كانه جبل أزاله من مقرر النظر

وما كان لفظه سهلاً ، ومعناه مكشوفاً بيناً فهو من جملة الردىء المردود ،

كقول الآخر :

يارب قد قل صبرى وضاق بالحب صدري

واشد شوقي ووجدى وسيدى ليس يدرى

مُعقل عن عذابي وليس يرحم ضرى

إن كان أعطى اضطباراً فليست أملك صبرى

أنا الفدا لفرال دنا فقبل نخرى

وقال لى من قريب : ياليت بينك قبرى

وإذا لأن الكلام حتى يصير إلى هذا الحد فليس فيه خير ، لا سيما إذا

ارتكب فيه مثل هذه الضرورات .

وأما الجزل والمختار من الكلام فهو الذى تعرفه العامة إذا سمعته ، ولا

(١) الخسف - مثثة : ولد الظبي أول مايولد ، أو أول مشيه .

وَلَا تَسْتَعْمِلُهُ فِي مَحَاوَرَاتِهَا . فَمِنْ الْجَيِّدِ الْجَزَلُ الْمُخْتَارُ قَوْلُ مُسْلِمَ :

وَرَدَّنَ رَوَاقَ الْفَضْلِ فَضْلَ بْنَ خَالِدٍ فُحِطَ الثَّنَاءُ الْجَزَلَ نَائِلُهُ الْجَزَلُ
بَكْبٌ أَبِي الْمُبَّاسِ يُسْتَمَطَّرُ الْغَنَى وَتُسْتَزَلُّ النُّعْمَى وَيُسْتَرْعَفُ^(١) النَّصْلُ
وَيُسْتَمَطَفُ الْأَمْرُ الْأَبْيُّ بِحَزْمِهِ إِذَا الْأَمْرُ لَهُ يَعْطِفُهُ نَقْضٌ وَلَا قَتْلُ

وَمَا هُوَ أَجْزَلُ مِنْ هَذَا قَوْلُ الْمَرَارِ الْفَقْعَسِيِّ :

فَقَالَ يُدِيرُ الْمَوْتَ فِي مُرْجَحِنَةٍ تَسْفُ الْعَوَالِي وَسَطَهَا وَتَشُولُ^(٢)
وَكَأَنَّ تَرَكَنَا مِنْ كَرَائِمِ مَعْشَرٍ لَهْنٌ عَلَى إِيَابِئِهِنَّ عَوِيلُ^(٣)
عَلَى الْجُرْدِ يَمْلِكُنَ الشَّكِيمَ كَأَنَّهَا إِذَا نَاقَلَتْ بِالْدَارِعِينَ وَغُولُ^(٤)
عَلَى كُلِّ جَيْشٍ إِذَا رَدَّ غَرْبُهُ يُقَلِّبُ نَهْدَ الْمَرْكَائِينَ رَجِيلُ^(٥)
مُجْنِبَةٌ قَبْلُ^(٦) الْعِيُونِ كَأَنَّهَا قَسَى بِأَيْدِي الْعَاطِفِينَ عُطُولُ^(٧)
فَلِلْأَرْضِ مِنْ آثَارِهِنَّ عَجَاجَةٌ وَلِلْفَجِّ مِنْ تَصْهَاهُنَّ صَلِيلُ^(٨)

(١) استعرف : استقطر . (٢) ارجحن : مال واهتز من ثقل . والعرب تقول : رحا مرجحنة : ثقيلة . وتشول : أى تفرق . (٣) كآين - بالتخفيف وهى لغة من كآين اسم مركب من كاف التشبيه وأى المنونة . والكرايم : واحده كريمة وهى العزيزة . (٤) الجرد : جمع أجرد ، الفرس القصير الشعر . علك الشكيم : حركه فيه . والشكيمه : الحديده المعترضة فى فم الفرس من اللجام وجمعها شكيم . المناقلة من الفرس : سرعة نقل القوائم ، أو هو بين العدو والجنب . (٥) الجيماش : الفرس الذى إذا حركته يعقبك ارتفع وهاج . وغربه : حدته ونشاطه . والنهد : الشئ المرتفع . والمركلان : هما الموضعان اللذان تصبيهما برجلك من الدابة وأنت راكب حين تحركها للركض . والرجيل : الصلب ، وفرس رجيل : ركوب لا يعرق وفى نسخة الرحيل ، ويأتى بمعنى القوي على الرحلة . (٦) القبل : إقبال لإحدى الحذقتين على الأخرى ، أو إقبال السواد على الأنف ، أو مثل الحول أو أحسن منه . (٧) العطول : التى لا رسن لها والقوس التى لا وتر عليها . (٨) الفج : الطريق الواسع . والصليل : ترجيع الصوت .

مَنْعَتْ بِنَجْدٍ مَا أَرَدْتُ غُلْبَةً وَبِالنَّوْرِ لِي عِزٌّ أَشْمٌ طَوِيلٌ^(١) .
 فهذا وإن لم يَكُنْ من كلامِ العامة فإنهم يعرفون الغرض فيه ، ويقفون على
 أكثر معانيه ؛ لتحسن ترتيبه ، وجودة نسجه . وقول المزار أيضاً :
 لَا تَسْأَلِ الْقَوْمَ عَنْ مَالِي وَكَثْرَتِهِ قَدْ يُقْتَرُ الْمَرْءُ يَوْمًا وَهُوَ مَحْمُودٌ
 أَمْضَى عَلَى سُنَّةٍ مِنْ وَالِدِي سَلَفَتْ وَفِي أَرْوَمَتِهِ^(٢) مَا يُنْبِتُ الْمَوْدُ
 ومن النثر قول يحيى بن خالد : أعطانا الدهرُ فأسرف ، ثم عطف علينا ففسف .
 وقول سعيد بن حميد : وأنا من لا يُحَاجُّكَ عَنْ نَفْسِهِ ، وَلَا يُفَالِطُكَ عَنْ جُرْمِهِ ،
 وَلَا يَلْتَمِسُ رِضَاكَ إِلَّا مِنْ جِهَتِهِ ، وَلَا يَسْتَدْعِي بَرَكَ إِلَّا مِنْ طَرِيقَتِهِ ، وَلَا يَسْتَعِطِفُكَ
 إِلَّا بِالْإِقْرَارِ بِالذَّنْبِ ، وَلَا يَسْتَمِيلُكَ إِلَّا بِالْاعْتِرَافِ بِالْجُرْمِ ؛ نَبَتْ بِي عَنْكَ غِرَّةٌ^(٣)
 الْحَدَائِمِ ، وَرَدَّتْنِي إِلَيْكَ الْحَنَكَةُ ، وَبَاعَدَتْْنِي مِنْكَ الثَّمَةُ بِالْأَيَّامِ ، وَقَادَتْْنِي إِلَيْكَ
 الضَّرُورَةُ . فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَسْتَقْبِلَ الصَّنِيمَةَ بِقَبُولِ الْعُذْرِ ، وَتَجِدَّ النَّعْمَةَ بِاطِّرَاحِ
 الْحَقْدِ - فَإِنْ قَدِمَ الْحَرَمَةَ ، وَحَدِثَ التَّوْبَةَ بِمَحْفَاقٍ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْإِسَاءَةِ . فَإِنْ أَيْامُ
 الْقُدْرَةِ وَإِنْ طَالَتْ قَصِيرَةٌ ، وَالْمَتَمَّةُ بِهَا وَإِنْ كَثُرَتْ قَلِيلَةٌ - فَعَلْتُ .
 وفي هذا الكلام وما قبله قوةٌ في سهولةٍ .

وعما هو أَجْزَلُ من هذا قول الشعبي للحجاج - وقد أراد قتلَه لخروجه عليه مع
 ابن الأشعث : أَجْدَبَ بِنَا الْجَنَابِ^(٤) ، وَأَحْزَنَ بِنَا الْمَنْزَلُ ، وَاسْتَحْلَسْنَا^(٥) الْحَذَرَ .

(١) الغلبة : بالضم والتشديد بمعنى الغلبة بالفتح والتخفيف ، كما في اللسان - مادة غلب -
 واستشهد له بهذا البيت والرواية عنده هكذا :

أَخَذْتُ بِنَجْدٍ مَا أَخَذْتُ غُلْبَةً وَبِالنَّوْرِ لِي عِزٌّ أَشْمٌ طَوِيلٌ

(٢) الأرومة ، بفتح الهمزة وتضم : الأصل . (٣) الغفار : الغافل ، واغتر : غفل ،
 والاسم الغرة . (٤) الجناب ، بالفتح : الفناء والناحية .

(٥) استحلسنا الحذر : يريد تمسكنا به .

وَكَتَحَلْنَا الدَّهْرَ ، وَأَصَابَتْنا فِتْنَةٌ لَمْ نَكُنْ فِيهَا بَرَّةً أَتْقِيَاءَ ، وَلَا فَجَرَةً أَقْوِيَاءَ .
فَمَعَا عَنْهُ .

وَأَجُودُ الْكَلَامِ مَا يَكُونُ جَزْلاً سَهْلاً ، لَا يَنْخَلِقُ مَعْنَاهُ ، وَلَا يَسْتَبِيهِمْ مَعْرَاةً ،
وَلَا يَكُونُ مَكْدُوداً مُسْتَكْرَهاً ، وَمَتَوَعَّراً مُتَعَمَّراً ، وَيَكُونُ بَرِيئاً مِنَ الْعَثَاةِ ، عَارِياً
مِنَ الرَّثَاةِ .

وَالْكَلَامُ إِذَا كَانَ لَفْظُهُ غَثًّا ، وَمَعْرَضُهُ رَثًّا كَانَ مُرْدُوداً ، وَلَوْ احْتَوَى عَلَى أَجَلٍّ
مَعْنَى وَأَنْبَلَهُ ، وَأَرْفَعَهُ وَأَفْضَلَهُ . كَقَوْلِهِ :

لَمَّا أَطَعْنَاكُمْ فِي سُخْطِ خَالِقِنَا لَأَشْكُ سَلَّ عَلَيْنَا سَيْفَ نَقْمَتِهِ
وَقَوْلِ الْآخَرِ :

أَرَى رَجَالًا بِأَذُنِ الدِّينِ قَدْ قَنَعُوا وَمَا أَرَاهُمْ رَضُوا فِي الْعَيْشِ بِالْذُّونِ
فَاسْتَفَنَ بِالْدِّينِ عَنْ دُنْيَا الْمُلُوكِ كَمَا اسْتَفَنَى الْمُلُوكُ بِدُنْيَاهُمْ عَنْ الدِّينِ
لَا يَدْخُلُ هَذَا فِي جُمْلَةِ الْمُخْتَارِ ، وَمَعْنَاهُ - كَمَا تَرَى - نَبِيلٌ فَاضِلٌ جَلِيلٌ .

وَأَمَّا الْجَزَلُ الرَّدِيُّ الْفِجْجُ الَّذِي يَنْبَغِي تَرْكُ اسْتِعْمَالِهِ فَثَلَّ قَوْلُ تَابُطٍ شَرًّا^(١) :
إِذَا مَا تَرَكْتُ صَاحِبِي لِسَلَامَةٍ أَوْ ائْتَيْنِ مِثْلَيْنَا فَلَا أَتُبْتُ أَمَانًا^(٢)
وَلَمَّا سَمِعْتُ الْعَوْضَ^(٣) تَدْعُو تَنَفَّرْتُ عَصَافِيرُ^(٤) رَأْسِي مِنْ نَوَى فَعَوَّائِنَا^(٥)
وَحَشَحْتُ مَشْعُوفَ الْفَوَادِ فِرَاعِي أَنَّاسٌ بِفَيْفَانٍ فَمَزْتُ الْقَرَائِنَا^(٦)
فَأَذْبَرْتُ لَا يَنْجُو نَجَائِي نَقْنَى يُبَادِرُ فَرَخِيهِ شَمَالًا وَدَاجِنَا

(١) الْأَغَانِي ١٨ : ٢١٣ ، وَاللَّسَانُ - مَادَّةُ عَوْضَ ، وَقُرْنُ ، وَهَزْرَفُ ، وَعَوْنُ .

(٢) أَتُبْتُ : رَجَعْتُ . (٣) الْعَوْضُ : أَسْمُ قَبِيلَةٍ مِنَ الْعَرَبِ . (٤) عَصَافِيرُ الرَّأْسِ :

قَطِيعَةٌ - بِالتَّصْغِيرِ - مِنَ الدَّمَاعِ تَحْتَ مَقْدَمِهِ تَفْصُلُ بَيْنَهُمَا جَلِيدَةٌ . (٥) وَقَوْلُهُ فَعَوَّائِنَا : عَوَائِنُ :

مَوْضِعٌ ، وَاسْتَبْشَهْتُ هَذَا الْبَيْتَ فِي اللَّسَانِ : مَادَّةُ عَوْنُ . (٦) الْفَيْفَانُ : مَوْضِعٌ بِالْبَادِيَةِ .

فَمَزْتُ الْقَرَائِنَا : الْفَرَائِنُ جِبَالٌ مَعْرُوفَةٌ مَقَرَّةٌ ، قَالَهُ فِي اللَّسَانِ (مَادَّةُ قُرْنُ) . وَالْبَيْتُ فِيهِ :

وَحَشَحْتُ مَشْعُوفَ الْجَبَاءِ وَرَاعِي أَنَّاسٌ بِفَيْفَانٍ فَمَزْتُ الْقَرَائِنَا

من الحُصِّ هُزْرُوفٌ يَطِيرُ عِقاوُهُ إِذَا اسْتَدْرَجَ الْفَيْفَاءَ مَدَّ الْمَغَابِنَا^(١)
 أَزَجُّ زُلُوجٌ هِزْرِفٌ زَفَازِفٌ هِزَفٌ يَبْدُ النَّاجِيَاتِ الصَّوْافِنَا^(٢)
 فهذا من الجزلِ البغيضِ الجلفِ ، الفاسدِ النَّسَجِ ، القبيحِ الرَّصَفِ ، الذى ينبغى
 أن يُتَجَنَّبَ مثله .

وتتميز الألفاظُ شديداً . أخبرنا أبو أحمد عن الصوفي عن فضل اليزيدى ، عن
 إسحق الموصلى عن أيوب بن عباية^(٣) : أن رجلاً أنشد ابن هرمة قوله :

بِاللهِ رَبِّكَ إِن دَخَلْتَ فَقُلْ لَهَا هَذَا ابْنُ هَرَمَةَ قَائِماً بِالْبَابِ
 فَقَالَ : مَا كَذَا قُلْتُ ؛ أَمْ كُنْتُ أَتَصَدَّقُ ؟^(٤) قَالَ : فَقَاعِداً . قَالَ : كُنْتُ أَبُولُ ؟
 قَالَ : فَاذًا ؟ قَالَ : وَاقِفاً . لَيْتَكَ عَلِمْتَ مَا بَيْنَ هَذَيْنِ مِنْ قَدْرِ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى .

ولولا كراهةُ الإطالة وتخوُّفُ الإملال لَرُدَّتْ مِنْ هَذَا النُّوعِ ، وَلَكِنْ يَكْفَى
 مِنَ الْبَحْرِ جُرْعَةٌ . وَقَالُوا : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا قَلَّ وَجَلَّ ، وَدَلَّ وَلَمْ يُعْلَلْ . وَبِاللهِ التَّوْفِيقِ .

(١) الحص : شدة العدو في سرعة . والهزروف : السريع . والعفاء : الغبار . والفيفاء :
 المفازة التي لا ماء فيها مع الاستواء والسعة . والمغابن : الأرفاغ والآباط ، وكل ما نبت عليه نخلك
 فهو مغبن .
 (٢) أزج : مسرع في مشيته ، ومثله : زلوج . والهزاف : الخفيف السريع . والزفرقة :
 السرعة أيضاً . والهزف : الجافى من الظلمان . وقيل : الطويل الريش . والبذ : سبق .
 (٣) في ب « عيانة » (٤) عن ابن الأنباري أنه جاء تصدق بمعنى سأل - اللسان - مادة تصدق .

الفصل الثاني

في التنبيه على خطأ المعاني وصوابها ليتتبع من يريد العمل برسمنا مواقع الصواب في رسمها ، ويقف على مواقف الخطأ فيتجنبها

فنعول : إن الكلام ألفاظٌ تشتملُ على معاني تدلُّ عليها ويعبر عنها ، فيحتاج صاحبُ البلاغة إلى إصابة المعنى كحاجته إلى تحسين اللفظ ؛ لأنَّ المدارَ بعدُ على إصابة المعنى ، ولأنَّ المعاني تحلُّ من الكلام محلَّ الأبدان ، والألفاظ تجري معها مجرى الكسوة ، ومرتبطة إحداها على الأخرى معروفة .

ومن عرف ترتيبَ المعاني واستعمالَ الألفاظ على وجوهها بلغة من اللغات ، ثم انتقل إلى لغة أخرى تهيأ له فيها من صنعة الكلام مثل ما تهيأ له في الأولى ؛ ألا ترى أنَّ عبد الحميد الكاتب استخرج أمثلةَ الكتابة التي رسمها لمن بعده من اللسان الفارسي ؛ فحولها إلى اللسان العربي . فلا يكملُ لصناعة الكلام إلا من يكمل لإصابة المعنى وتصحيح اللفظ والمعرفة بوجوه الاستعمال .

والمعاني على ضربين :

ضربٌ يبتدعه صاحب الصناعة من غير أن يكون له إمامٌ يقتدى به فيه ، أو رسومٌ قائمة في أمثلة مماثلةٍ يعملُ عليها . وهذا الضربُ ربما يقعُ عليه عند الخطوبِ الحادثة ، ويتنبه له عند الأمور النازلة الطارئة .

والآخر ما يحتذيه على مثالٍ تقدم ورسمه فرط^(١) .

وينبغي أن يطلب الإصابة في جميع ذلك ويتوخى فيه الصورة المقبولة ، والمبارة المستحسنة ، ولا يتشكل فيما ابتكره على فضيلة ابتكاره إياه ، ولا يفره ابتداعه له ؛

(١) فرط : سبق .

فِيَسْأَهِلْ نَفْسَهُ ^(١) فِي تَهْجِيْنِ ^(٢) صَوْرَتِهِ ؛ فَيُذْهَبُ حُسْنُهُ وَيَطْمِسُ نَوْرَهُ ، وَيَكُونُ فِيهِ أَقْرَبَ إِلَى الدَّمِ مِنْهُ إِلَى الْحَدِّ .

وَالْمَعْنَى بِمَدِّ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِهِ : مِنْهَا مَا هُوَ مُسْتَقِيمٌ حَسَنٌ ، نَحْوُ قَوْلِكَ : قَدْ رَأَيْتُ زَيْدًا . وَمِنْهَا مَا هُوَ مُسْتَقِيمٌ قَبِيحٌ نَحْوُ قَوْلِكَ : قَدْ زَيْدًا رَأَيْتُ . وَإِنَّمَا قَبِيحٌ لِأَنَّكَ أَفْسَدْتَ النِّظَامَ بِالتَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ . وَمِنْهَا مَا هُوَ مُسْتَقِيمٌ النِّظْمُ ، وَهُوَ كَذِبٌ ؛ مِثْلُ قَوْلِكَ : حَمَلَتِ الْجَبَلَ ، وَشَرِبْتُ مَاءَ الْبَحْرِ . وَمِنْهَا مَا هُوَ مُحَالٌ ، كَقَوْلِكَ : آتَيْتُكَ أَمْسَ وَأَتَيْتُكَ غَدًا . وَكُلُّ مُحَالٍ فَاسِدٌ ، وَلَيْسَ كُلُّ فَاسِدٍ مُحَالًا ؛ أَلَا تَرَى أَنَّ قَوْلَكَ : قَامَ زَيْدٌ فَاسِدٌ ، وَلَيْسَ بِمُحَالٍ . وَالْمُحَالُ مَا لَا يَجُوزُ كَوْنُهُ الْبَتَّةَ ، كَقَوْلِكَ : الدُّنْيَا فِي بَيْضَةٍ . وَأَمَّا قَوْلُكَ : حَمَلَتِ الْجَبَلَ وَأَشْبَاهَهُ فَكَذِبٌ ، وَلَيْسَ بِمُحَالٍ ، إِنْ جَازَ أَنْ يَزِيدَ اللَّهُ فِي قُدْرَتِكَ فَتَحْمِلَهُ .

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ الْوَاحِدُ كَذِبًا مُحَالًا ؛ وَهُوَ قَوْلُكَ : رَأَيْتُ قَائِمًا قَاعِدًا ، وَمَرَرْتُ بِمُقَظَّانٍ نَائِمٍ ؛ فَتُفَصِّلُ كَذِبًا بِمُحَالٍ ، فَصَارَ الَّذِي هُوَ الْكَذِبُ هُوَ الْمُحَالُ بِالْجَمْعِ بَيْنَهُمَا ، وَإِنْ كَانَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَعْنًى عَلَى حَيَالِهِ ؛ وَذَلِكَ لَمَّا عَقَدَ بَعْضُهَا بَعْضًا حَتَّى صَارَا كَلَامًا وَاحِدًا .

وَمِنْهَا الْغَلَطُ ، وَهُوَ أَنْ تَقُولَ : ضَرَبَنِي زَيْدٌ ، وَأَنْتَ تَرِيدُ ضَرَبْتُ زَيْدًا ، فَغَلَطْتَ ، فَإِنْ تَعَمَّدْتَ ذَلِكَ كَانَ كَذِبًا .

وَالْخَطَأُ صَوْرٌ مُخْتَلِفٌ نَبَّهْتُ عَلَى أَشْيَاءَ مِنْهَا فِي هَذَا الْفَصْلِ ، وَبَيَّنْتُ وَجُوهَهَا ، وَشَرَحْتُ أَبْوَابَهَا لِنَقْفٍ عَلَيْهَا فَتَجَنَّبَهَا ، كَمَا عَرَفْتَكَ مَوَاقِعَ الْبُصَاوِبِ فَتَعَمَّدَهَا ، وَلِيَكُونَ فِيهَا أُرْدَتْ دَلَالَةٌ عَلَى أَمْثَالِهِ مِمَّا تَرَكْتُ ؛ وَمَنْ لَا يَعْرِفُ الْخَطَأَ كَانَ جَدِيرًا بِالْوُقُوعِ فِيهِ . فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ ^(٣) :

(١) يَيْسَرُ . (٢) التَّهْجِيْنُ : التَّقْيِيحُ . (٣) دِيْوَانُهُ : ١٢٨ .

إِنَّمَا تَسْأَلُ الرَّبْعَ الْقَدِيمَ بِعَسَا^(١) كَأَنِّي أَنَادِي إِذَا أَكَلْتُ أَخْرَسَا^(٢)
هذا من التشبيه فاسد لأجل أنه لا يقال : كَلَّمْتُ حجراً فلم يَجِبْ فكأنه
كان حجراً ، والذي جاء به امرؤ القيس مقلوب .

وتبعه أبو نواس فقال يَصِفُ داراً :

كأنها إِذْ خَرَسَتْ جَارِمَ بَيْنِ ذَوَى تَفْنِيدِهِ مَطْرَق^(٣)
والجديد منه قول كثير في امرأة^(٤) :

فَقُلْتُ لَهَا : يَا عَزُّ كُلِّ مَصِيبَةٍ إِذَا وَطَّئْتَ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتْ
كَأَنِّي أَنَادِي صَخْرَةً حِينَ أَغْرَضْتُ مِنَ الصَّمِّ لَوْ تَمْشِي بِهَا الْعُصْمُ زَلَّتْ
فشبهه المرأة عند السكوت والتغافل بالصخرة .

قالوا : ومن ذلك قول المسيب بن علس^(٥) :

وَكأن غَارِبَهَا رُبَاوَةٌ مَخْرَمٌ وَتَمَدَّتْ ثَنَى جَدِيلِهَا بِشَرَا^(٦)
أراد أن يُشَبِّهَ عُنُقَهَا بِالذَّقْلِ^(٧) فَشَبَّهَهَا بِالشَّرَا . وتبعه أبو النجم
فقال^(٨) :

كَأَن أَهْدَامَ النَّسِيلِ النَّسْلَ عَلَى يَدَيْهَا وَالشَّرَا الْأَطْوَلَ^(٩)

(١) عسس : موضع بالبادية وجبل . (٢) هكذا رواية البيت في نسخ الكتاب ،
وفي ديوانه هكذا :

أَلَمَّا عَلَى الرَّبْعِ الْقَدِيمِ بِعَسَا كَأَنِّي أَنَادِي أَوْ أَكَلْتُ أَخْرَسَا
قال شارحه أبو بكر البطليوسي : وعسس ، موضع . ثم قال : وفي كتاب الأزمعة أنه أراد انزلا
في أدبار الليل ؛ لأن الأصل في عسس الليل أى مضى . (٣) الجارم : مقترف الذنب . والبيت
لم يروه جامع ديوانه . (٤) الأغاني : ٩ : ٢٧ ، الإملأ : ٢ : ١٠٨ ، الموشح : ١٤٦ .
(٥) الوساطة ١٢ ، والفضليات : ١ - ٦٠ . (٦) الغارب : ما بين السنام والعنق .
والرباوة : منقطع الجبل حيث استند . والمخرم من الجبل : أهله . والثنى : ما انثنى منه . والجديل :
الزمام . أراد تمد جدليها بعنق طويلة . (٧) الدقل : خشبة طويلة تشد في وسط السفينة بعد
عليها الشراع . (٨) الطرائف الأدبية : ٦٦ ، من لامية أبي النجم .
(٩) أهدام النسيل : أخلاق بالية . والنسيل : ما يسقط من الصوف والوبر .

والجيد منه قولُ ذى الرمة^(١):

وهادٍ كجذعِ الساجِ سامٍ يقوده معرقُ أحناءِ الصَّبِيِّينِ أَشَدُّ^(٢)
وقال أبو حاتم: الشَّرَاعُ: العنقُ، يقال: للعنقِ الشَّرَاعُ والتليلُ والهادى،
فإذا صَحَّتْ هذه الروايةُ فالمنى صحيحٌ فى قولِ أبى النجم.

وقال طفيل:

يُرَادَى عَلَى فَأْسِ اللَّجَامِ كَأَنَّمَا يُرَادَى عَلَى مِرْقَاةٍ جِذْعٍ مُشَدَّبٍ^(٣)
ومن ذلك قول الراعى^(٤):

يَكْسُو الْمَفَارِقَ وَاللَّبَاتِ ذَا أَرْجٍ مِنْ قُصْبٍ مُعْتَلِفٍ الْكَافُورِ دَرَّاجٍ
أراد المسك، فجعله من قُصْبِ الظبي؛ والقُصْبُ: المي. وجعل الظبي يَمْتَلِفُ
الكَافُورَ فيتولّدُ منه المسك، وهذا من طرائفِ الغلطِ.
وقريبٌ منه قول زهير^(٥):

يَخْرُجْنَ مِنْ شَرَبَاتٍ مَأْوَاهَا طَحِلٌ^(٦) عَلَى الْجُدُوعِ يَخْفَنُ الْغَمُ^(٧) وَالْفَرَقَا
ظَنَّ أَنَّ الضَّفَادِعَ يَخْرُجْنَ مِنَ الْمَاءِ خَافَةَ الْفَرْقِ. ومثله قولُ ابنِ أحرر^(٨):
لَمْ تَدْرِ مَا نَسَجَ الْيَرَنْدَجُ قَبْلَهَا وَدَرَّاسُ أَعْوَصَ دَارِسٌ مُتَخَدِّدٌ

(١) ديوانه ٣٩٧ (٢) المعرق: العظم الذى عرى عنه اللحم. والأحناء: جمع حنو وهو الجانب. والصبيان: طرفا اللحيين. والشدق: سعة الفم.

(٣) اللسان — مادة ردى، ورادته على الأمر: راودته. وفأسُ اللجام: حديدته التى توضع فى الحنك، ورواية اللسان * يرادى به مرقاة جذع مشذب * (٤) اللسان — مادة قصب.

(٥) ديوانه: ٤٠، والوساطة: ١٠، والمزهر: ٢-٥٠٢. واللسان — مادة طحل، والموشح: ٤٧

(٦) الشرابات: جمع شربة وهى حوض صغير يتخذ حول أصل النخلة فيرويهها. والطحل: الكدر. ويريد بالجذوع جذوع النخل. قال المرزبانى: والضفادع لاتخرج من الماء لحوفها من الغمر والفرق. وإنما تطلب الشطوط لتبيض هناك وتفرخ. (٧) فى المزهر: الغمر.

(٨) الوساطة: ٦٤. واللسان — مادة عوس. والموشح: ٤٧.

ظَنَّ أَنَّ الْيَرَنْدَجَ مِمَّا يُنْسَجُ ، وَالْيَرَنْدَجُ : جِلْدٌ أَسْوَدٌ ، مُعْمَلٌ مِنْهُ الْخِفَافُ .
 فَاوَسَى مَعْرَبٌ ، وَأَصْلُهُ رَنْدَهٌ ، وَفَسَرَهُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ دَرِيدٍ تَفْسِيرًا آخَرَ ، وَقَالَ : إِنَّمَا
 هَذِهِ حِكَايَةٌ عَنِ الْمَرْأَةِ الَّتِي يَصِفُهَا ظَنَّتْ لِقَلَّةِ تَجَرُّبِهَا أَنَّ الْيَرَنْدَجَ شَيْءٌ مَنْسُوجٌ ، وَلَمْ
 تَدَارِسْ عَوِيصَ الْكَلَامِ ، وَالْفَاطَةُ الْبَيْتَ لَا تَنْدُلُ عَلَى مَا قَالَ .

ومثله قول أَوْسٍ بن حجر :

كَأَنَّ رِيْقَتَهَا بَعْدَ الْكُرَى اعْتَبَقَتْ مِنْ مَاءِ ادْكَنْ فِي الْخَانُوتِ نَضَاحٌ ^(١)
 وَمِنْ مَشْعَشَعَةٍ كَالْمَسْكِ بِشَرِبِهَا أَوْ مِنْ أَنْيَابِ رُمَانٍ وَتَفَاحٍ
 ظَنَّ أَنَّ الرُّمَانَ وَالتَّفَاحَ فِي أَنْيَابٍ ، وَقِيلَ : إِنَّ الْأَنْيَابَ الطَّرَائِقُ الَّتِي فِي الرُّمَانِ ،
 وَإِذَا حُمِلَ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ صَحَّ الْمَعْنَى .
 وَمِنْ فُسَادِ الْمَعْنَى قَوْلُ الْمَرْقَشِ الْأَصْغَرِ ^(٢) :

صَحَّ قَلْبُهُ عَنْهَا عَلَى أَنَّ ذِكْرَهُ إِذَا خَطَرَتْ دَارَتْ بِهِ الْأَرْضُ قَائِمًا
 وَكَيْفَ صَحَّ عَنْهَا مَنْ إِذَا ذُكِرَتْ لَهُ دَارَتْ بِهِ الْأَرْضُ ، وَلَيْسَ هَذَا مِثْلَ قَوْلِهِمْ :
 ذَهَبَ شَهْرُ رَمَضَانَ إِذَا ذَهَبَ أَكْثَرُهُ ؛ لِأَنَّ النَّاسَ لَا يَعْرِفُونَ أَشَدَّ الْحُبِّ إِلَّا أَنْ
 يَكُونَ صَاحِبُهُ فِي الْحَدِّ الَّذِي ذَكَرَهُ الْمَرْقَشُ .
 وَالْجَمِيدُ فِي السُّلُوكِ قَوْلُ أَوْسٍ :

صَحَّ قَلْبُهُ عَنْ سُكْرِهِ وَتَأْمَلَا وَكَانَ بِذِي كَرَى أُمُّ عَمْرٍو مُوَكَّلَا .
 فَقَالَ : وَكَانَ بِذِي كَرَى أُمُّ عَمْرٍو مُوَكَّلَا .
 وَمِثْلُ قَوْلِ الْمَرْقَشِ فِي الْخَطَأِ قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ ^(٣) :

أَغْرَاكَ مَسْنَى أَنْ خُبَيْكَ قَاتِلِي وَأَنْتَ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلُ
 وَإِذَا لَمْ يَغْرِهَا هَذِهِ الْحَالُ مِنْهُ فَمَا الَّذِي يَغْرِهَا ! وَلَيْسَ لِلْمَحْتَجِّ ^(٤) عَنْهُ أَنْ يَقُولَ :

(١) الدُّكْنَةُ : لَوْنٌ بَيْنَ الْحُمْرَةِ وَالسَّوَادِ . (٢) الْمُفْضَلِيَّاتُ : ٢ - ٤٥ .

(٣) دِيْوَانُهُ : ٢٤ . (٤) قَوْلُهُ : وَلَيْسَ لِلْمَحْتَجِّ عَنْهُ : أَرَادَ بِهِ الْبَطْلِيُّوسَى أَحَدَ شُرَاحِ

إنما عني بالقتل ههنا التبريح ؛ فإن الذي يلزمه من الهجنة مع ذكر القتل يلزمه أيضاً مع ذكر التبريح .

ومما أخذ على امرئ القيس قوله ^(١) :

فَلِلْسُوطِ الْهُوبِ وَلِلْسَاقِ دِرَّةٌ وَلِلزَّجْرَمِنِ وَقَعُ أَخْرَجَ مُهْذِبٌ ^(٢)

فلو وصف أخس حمارٍ وأضعفه ما زاد على ذلك .

والجيد قوله :

عَلَى سَابِحٍ يُعْطِيكَ قَبْلَ سُؤَالِهِ أَفَانِينَ جَرِيٍّ غَيْرِ كَرٍّ وَلَا وَا ^(٣)

وما سمعنا أجود ولا أبلغ من قوله «أفانين جري» .

وقول علقمة ^(٤) :

فَأَدْرَكْنِي ثَانِيًا مِنْ عِنَانِهِ يَمُرُ كَرُّ الرَّائِحِ الْمُتَحَلِّبِ ^(٥)

فأدرك طريدته وهو ثانٍ من عنانهِ ولم يضرب به بسوطٍ ، ولم يمر به بساق ، ولم يزرجره بصوت .

ومما يُعَاب قول الأعشى ^(٦) :

وَيَأْمُرُ لِلْيَحْمُومِ كُلَّ عَشِيَّةٍ بَقَتْ وَتَعْلِقُ فَقَدْ كَانَ ^(٧) يَسْنُقُ ^(٨)

يعني باليحموم فرس الملك ، يقول : إنه يأمر لفرسه كل عشية بقت وتعليق ؛

(١) ديوانه : ٧٨ ، والموشح : ٨٧ ، واللسان - مادة لهب .

(٢) الأهوب : شدة الجرى . والدرة : شدة الدفع . والأخرج : الظليم . والمهذب : المسرع

في العدو ، ورواية اللسان - مادة نعب :

فللسان أهوب وللسوط درة ولازجر منه وقع أهوج منعب

والنعب : من سير الإبل . (٣) الأفانين : الضروب . والكز : المنقبض ، وأراد بأقباضه تقارب

خطاه في السير . (٤) ديوانه : ٧ الشعروالشعراء ١٧١ . (٥) المنعلب : طالب الحلبة

بفتح فسكون وهي الدفعة من الخيل في الرهان خاصة . وعجز البيت في ديوانه :

* يمر كغيث رائج متعلب *

(٦) اللسان - مادة سنق (٧) في اللسان : كاد (٨) السنق : كالشم وذلك

للحيوان كالنخمة للإنسان .

وهذا مما لا يُمدَح به الملوك ، بل ولا رجل من خِساس الجُندِ .

وقريبٌ منه قولُ الأخطل^(١) :

وقد جعلَ اللهُ الخِلافةَ منهم لا بُلُجَ لا عارى الخِوانِ ولا جَدْبَ

يقوله في عبد الملك . ومثلُ هذا لا يُمدَح به الملوك .

وأطرفُ منه قولُ كثير^(٢) :

وإنَّ أميرَ المؤمنين بِرَفْقِهِ . غَزَا كَامِنَاتِ الوُدِّ مَنَى فَنَالَهَا

فجعلَ أميرَ المؤمنين يتوذَّدُ إليه .

وقوله لعبد العزيز بن مروان^(٣) :

وبما زالتْ رُقَاكَ تسَلُّ ضِغْنِي وتخرج من مكانها ضبابي

ویرَقِنِي لَكَ الرَّاقُونَ حَتَّى أَجَابَتْ حِيَةً تَحْتَ التَّرَابِ

وإنما تمدح الملوك بمثل قول الشاعر :

لَهُ هِمَمٌ لَا مُنْتَهَى إِكْبَارِهَا وَهِمَّتُهُ الصُّغْرَى أَجَلٌ مِنَ الدَّهْرِ

لَهُ رَاحَةٌ لَوْ أَنَّ مَعِشَارَ جُودِهَا عَلَى الْبَرِّ كَانَ الْبَرُّ أُنْدَى مِنَ الْبَحْرِ

ومثل قول النابغة^(٤) :

فإنَّكَ كاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعٌ^(٥)

وقوله^(٦) :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً تَرَى كُلَّ مَلِكٍ دُونَهَا يَتَدَبَّدَبُ

بَأَنَّاكَ شَمْسٌ وَالْمَلِكُ كَوَاكِبٌ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُمْ كَوَاكِبٌ

ومن غفلته أيضاً قوله - يعني كثيرا^(٧) :

(١) الموشح ١٤١ (٢) الموشح ١٤٤ (٣) الموشح ١٤٣ (٤) ديوانه ٧١

(٥) المنتأى : البعد . (٦) ديوانه : ١٧ (٧) الموشح ١٥٥

أَلَا لَيْتُنَا يَا عَزَّزٌ مِنْ غَيْرِ رَيْسَةٍ يَمِيرَانِ نَرْعَى فِي خِلَاءٍ وَنَعَزِبُ^(١)
 كِلَانَا بِهِ عَرٌّ فَنُ بَرْنَا يَقْلُ عَلَى حُسْنِهَا جَرَبَاءُ تُعْدَى وَأَجْرُبُ
 نَكُونُ لَذَى مَالٍ كَثِيرٍ مُغْفَلٍ فَلَا هُوَ بَرُّعَانَا وَلَا نَحْنُ نُطْلَبُ
 إِذَا مَا وَرَدْنَا مِنْهَا هَاجَ أَهْلُهُ إِلَيْنَا فَلَا نَنْفَكُ نُرْمَى وَنُضْرَبُ
 فقالت له عَزَّة : لقد أردتَ بى الشقاء الطويل ، ومن المني ما هو أَوْطَأُ من هذه
 الحال . فهذا من التمتنى الذموم .
 ومن ذلك أيضاً قول الآخر^(٢) :
 سَلَامٌ لَيْتَ لِسَانَا تَنْطِقِينَ بِهِ قَبْلَ الَّذِي نَأْلِي مِنْ خَبْلِهِ قُطْعًا^(٣)
 فدعا عليها بقطع لسانها .
 ومثله قول عبيد بنى الحسحاس^(٤) :
 وَرَاهُنَّ رَبِّي مِثْلَ مَا قَدْ وَرَّيْنِي وَأَحْمَى عَلَى أَكْبَادِهِنَّ الْمَسَاوِيَا^(٥)
 ومن ذلك قول جنادة^(٦) :
 مِنْ حُبِّهَا أَتَمَّنَّى أَنْ يُبْلَا قَيْنِي مِنْ نَحْوِ بَلْسَمِهَا نَاعٍ فَيَنْعَاهَا
 لَسَكْنِي يَكُونُ^(٧) فِرَاقٌ لَا لِقَاءَ لَهُ وَتُضْمِرُ النَّفْسُ يَأْسًا ثُمَّ تَسْلَاهَا
 فإذا تَمَنَّى المحبُّ لحبيته الموتَ فاعسى أن يَتَمَنَّى المُبْغِضُ لبغيضته ؟ وشتانَ بين
 هذا وبين من يقول :

(١) رواية الموشح :

أَلَا لَيْتُنَا يَا عَزَّزٌ كُنَّا لَذَى غَنَى بَعِيرِينَ نَرْعَى فِي الْخِلَاءِ وَنَعَزِبُ
 (٢) نقد الشعر : ١١٧ . (٣) الحبل ، بالتسكين : الفساد . وهنا بمعنى فساد قلبه بجربها .
 والبيت أورده قدامة بن جعفر في كتابه نقد الشعر (صفحة ١١٧) هكذا :
 سَلَامٌ لَيْتَ لِسَانَا تَنْطِقِينَ بِهِ قَبْلَ الَّذِي نَأْلُهُ مِنْ صَوْتِهِ قُطْعًا
 ثم قال : فما رأيت أغلظ ممن يدعو على محبوبته بقطع لسانها حيث أجادت في غنائها له .
 (٤) ديوانه : ٢٤ . (٥) الوري : داء يلصق بالرئة فيقتل صاحبه . (٦) الموشح ١٥٦
 الأمل : ٢ - ٤٨ ، وهما منسوبان فيه إلى نجيبة بن جنادة . (٧) رواية الأمل : كيما أقول .

أَلَا لَيْتَنَا عِشْنَا جَمِيعًا وَكَانَ بِي مِنْ الدَّاءِ مَا لَا يَعْرِفُ النَّاسُ مَا بِيَا .
فَهَذَا أَقْرَبُ إِلَى الصَّوَابِ . وَلَوْ أَنَّ جُنَادَةَ كَانَ يَتِمَّنِي وَصَلَّهَا وَلِقَاءَهَا لَكَانَ
قَدْ قَضَى وَطَرًا مِنَ الْمُتَنَى وَلَمْ تَلْزِمَهُ الْهُجْنَةُ ، كَمَا قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَخْنَفِ (١) :
فَإِنْ تَبَخَّلُوا عَنِّي بِبَذْلِ نَوَالِكُمْ . وَبِالْوَصْلِ مِنْكُمْ كَيْ أَصَبَّ وَأَحْزَنًا .
فَإِنِّي بِلَذَاتِ الْمُتَنَى وَنَعِيمِهَا . أُعِيشُ إِلَى أَنْ يَجْمَعَ اللَّهُ بَيْنَنَا
وَمِنَ الْمُخْتَارِ فِي ذِكْرِ الْمُتَنَى قَوْلُ الْآخِرِ :

مُنَى إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمُتَنَى وَإِلَّا فَقَدْ عِشْنَا بِهَا زَمَنًا رَعْدَا
أَمَانِيٍّ مِنْ لَيْلَى حِسَانٍ كَأَنَّمَا سَقَّتْكَ بِهَا لَيْلَى عَلَى ظَمَأٍ بَرْدَا
وقول الآخر :

وَلَمَّا نَزَلْنَا مَنَزِلًا طَلَّهُ النَّدَى أُنَيْقًا ، وَبُسْنَانًا مِنَ النُّورِ حَالِيَا
أَجَدَّ لَنَا طِيبُ الْمَكَانِ وَحُسْنُهُ مُنَى فَتَمَنَيْنَا فَكُنْتَ الْأَمَانِيَا
وقال الآخر :

فَسَوْغِنِي الْمُتَنَى كَيْمَا أُعِيشَ بِهِ ثُمَّ امْسِكِي الْمَنَعَ مَا أَطْلَقْتُ أَمَالِي
عَلَى أَنْ عَنَتَرَهُ ذَمٌّ جَمِيعَ الْمُتَنَى حَيْثُ يَقُولُ (٢) :

أَلَا قَاتَلَ اللَّهُ الطُّلُولَ الْبَوَالِيَا وَقَاتَلَ ذِكْرَاكَ السَّنِينَ الْخَوَالِيَا
وَقَوْلَكَ لِلشَّيْءِ الَّذِي لَا تَبَالُهُ إِذَا هَوَيْتَهُ النَّفْسُ : يَا لَيْتَ ذَا لِيَا
وقيل أيضًا :

* إِنْ لَيْتَا وَإِنْ لَوْا عَنَاءَ *

وَمِنَ الْفَاسِدِ قَوْلُ النَّابِغَةِ (٣) :

إِلْكِنِي يَا عُيَيْنُ إِلْيِكَ قَوْلًا سَتَحْمِلُهُ الرُّوَاةُ إِلَيْكَ عَنِّي

(١) لَهَا فِي دِيْوَانِهِ التِّي يَنْ أَيْدِيَا (٢) دِيْوَانُهُ : ١٦٤ . (٣) دِيْوَانُهُ : ١٠٨ .

وليس من الصواب أن يُقال : أَرْسَلَنِي ^(١) إلى نفسك ثم قال : ستَحْمِلُهُ الرواة .
إليك عنى .

ومن خَطَلِ الوصف قولُ أبي ذؤيب ^(٢) :
قَصَرَ الصَّبُوحَ لها فَشَرَّجَ لَحْمَهَا بالنَّيِّ فهِى تَشُوخُ فيها الإصْبَعُ
تَأْتِي بِدِرَّتِهَا إِذَا مَا اسْتُكْرِهَتْ إِلَّا الْحَمِيمَ فَإِنَّهُ يَتَبَضَّعُ ^(٣)
قال الأصمعي : هذه الفرسُ لا تُساوِي دِرْهَمَيْنِ ؛ لأنه جعلها كثيرة اللحم
رِخْوَةً ^(٤) تدخل فيها الإصبع . وإِنَّمَا يُوصَفُ بهذا شاء يَضْحَى [بها] ، وجعلها خَرُونًا ^(٥)
إِذَا خُرَّتْ قَامَتْ ، إِلا العرق فَإِنَّهُ يَسِيلُ ^(٦) .

والجيد قول أبي النجم :
جُرْدًا تَعَادَى كَالْقِدَاحِ ذُبْلَهُ نَطَى اللحم وَلَسْنَا نُهْزِلُهُ
نَطْوِيهِ وَالطَّى الدَّقِيقَ يَجْدُلُهُ طَى التَّجَارَ المَصْبَ إِذْ تَبْجَلُهُ

(١) تفسير لقول النابغة « أَلْكَنِي » . قال في اللسان - قلا عن الجوهري : وقول الشعراء أَلْكَنِي
إلى فلان يريدون كن رسولاً وتحمل رسالتي إليه . ثم قال قلا عن ابن برى : وألْكَنِي من أَلَك
إِذَا أُرْسِلَ وَأَصْلُهُ أَلْكَنِي ثُمَّ أَخْرَجَتِ الْهَمْزَةُ بَعْدَ اللَّامِ فَصَارَ أَلْكَنِي ثُمَّ خَفَّتِ الْهَمْزَةُ بِأَنَّ ثَلَاثَ حَرَكَاتِهَا
عَلَى اللَّامِ وَحُذِفَتْ . ويجز بيت النابغة المذكور كما في ديوانه :
* سَأَهْدِيهِ إِلَيْكَ إِلَيْكَ عَنَى *

(٢) ديوان الهذليين : ١٦ ، ١٧ .

(٣) قصر : حبس . فشرج لحمها بالي : جعل فيه لوئين من اللحم والشحم . تشوخ : تدخل .
والحميم : هو العرق . ويتبضع : يتفجر . تأبى بدرتها : أى تأبى بدرة العدو ، ويقال للفرس الجواد
إِذَا حَرَكْتَهُ لِلْعَدُوِّ : أَعْطَاكَ مَا عِنْدَهُ ، فَإِذَا حَمَلْتَهُ عَلَى أَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ فَحَرَكْتَهُ بِسَاقٍ أَوْ سَوْطٍ حَمَلْتَهُ
عِزَّةً نَفْسَهُ عَلَى تَرْكِ الْعَدُوِّ وَأَخَذَ فِي الْمَرْحِ . والبيتين من مراثيته المشهورة ومطلعها :

أَمِنْ الْمُنُونِ وَرَبِهَا تَتَوَجَّعُ والدهر ليس بمعتب من يجزع

(٤) هذا معنى : فشرج لحمها بالي . (٥) هذا معنى : تأبى بدرتها إِذَا مَا اسْتُكْرِهَتْ .

(٦) هذا معنى : إِلا الحميم فَإِنَّهُ يَتَبَضَّعُ .

حَتَّى إِذَا لَحِمُ بَدَأَ تَذَبُّلُهُ وَانْضَمَّ عَنْ كُلِّ جَوَادٍ رَهْلُهُ
رَاحَ وَرُخْنَا بِشَدِيدِ زَجَلِهِ^(١)

وقال غيلان الربيعي :

يَمْتَنَحُ عَصْرِهَا قُرُونُ مَائِهَا مَشَحَ السَّبَاعُ الْحَسَى مِنْ بَطْحَائِهَا^(٢)
حَتَّى اعْتَصَرْنَا الْبُذْنَ مِنْ أَغْفَائِهَا بَعْدَ انْتِشَارِ اللَّحْمِ وَاسْتِعْصَائِهَا
تَجْرِيدَكَ الْقَنَاءَ مِنْ إِحَائِهَا مَكْرُمَةً لَا عَيْبَ فِي اخْتِذَائِهَا
وقد قال غيلان أيضاً :

قَدْ صَارَ مِنْهَا اللَّحْمُ فَوْقَ الْأَعْضَاءِ مِثْلَ جَلَامِيدِ الضَّفَاةِ الصَّلَا^(٣)
وقال أيضاً :

فَوْقَ الْهَوَادِي ذَابِلَاتُ الْأَكْشُحِ يُشْقِينَ أَشْوَالَ الْمَزَادِ النَّزْحِ^(٤)
وقال أيضاً :

حَتَّى إِذَا مَا آصَ عَبْلًا جُرْشُمًا قَدْ تَمَّ كَالْفَالِجِ لَا بَلَّ اضْلَمًا^(٥)
هَجْنَا بِهِ تَطْوِيهِ حَتَّى اسْتَوَى كَمَا قَدْ اعْتَصَرْنَا الْبُذْنَ مِنْهُ اجْمَعًا^(٦)

(١) القُداح ، واحدة قُدح : السهم قبل أن يراش . ونطى : بالتخفيف للوزن وأصله بالتشديد : أى مسدى . وهنا بمعنى ليس بالهزول . والعصب : نوع من برود العين . والرهل : استرخاء اللحم واضطرابه ، وأراد بعد أن ضمرت ذهب رهلها واشتد لحها . والرجل : الرمي والدفع ورفع الصوت .

(٢) المتح : كالنزع . والقرون : العرق ، والعرب تقول حبسنا الفرس قرناً أو قرنين أى عرقناه . والحسى : بالكسر : حفيرة قريبة القعر وقيل : لأنها لا تكون إلا فى أرض أسفلها حجارة وفوقها رمل فإذا أمطرت لشفه الرمل فاذا انتهى إلى الحجارة أمسكته .

(٣) الضفاة ، بالفتح : جانب السهم . والصلفة : السفينة الكبيرة ، وجاء فى نسخة :

* مثل جلاميد ضفاة صلفا * .

(٤) أشوال المزداد : بقيته . (٥) آص : رجع . والعلل : الضخم من كل شئ . والجريشع : العظيم الصدر . والفالج : مكيال ضخم . والأضلع : الشديد الغليظ أو الأشد .

(٦) استتوكم : اشتد .

ثُمَّ اتَّقَانَا بِالَّذِي لَنْ يُدْفَعَا وَآخِزْ أَعْلَى اللَّحْمِ مِنْهُ صَوْمَعًا^(١) .
فوصفه بِمِظْمِ الجسم ، وصلابة اللحم ، وما وصف أحد الفرس بترك
الانبعاث إذا حرك غير أبي ذؤيب . وإنما تُوصَفُ بالسرعة في جميع حالاتها ، إذا
خُرِّكت وإن لم تحرك ، فتشبه بالسكوكب ، والبرق ، والحريق ، والريح ، والغيث ،
والسيل ، وانفجار الماء في الحوض ، والدلو ينقطع رشاؤها ، ويد السَّاحِج ، وغليان
المرجل^(٢) ، والقمقم^(٣) ، وبأنواع الطير : كالبازي ، والسودنيق ، والأجدل^(٤) ،
والقطامي ، والعقاب ، والقطا ، والحمام ، والجراد ، وأنواع الوحش : كالوعل ،
والظبي ، والذئب ، والتتفل^(٥) ، ويشبه بالخذروف^(٦) ، ولعمان الثوب ، وبالسهم
وبالريح وبالحسى .

قال أعرابيٌّ وقد سُئِلَ عن خُضْرٍ^(٧) فَرَسِهِ : يُخْضِرُ مَا وَجَدَ أَرْضًا .
وقال آخر : هما أمامها ، وسوطها عنانها . أخذه بعض المحدثين فقال^(٨) :
* فكان لها سوطاً إلى ضخوة الغدِ *

وأخذه ابن المعتز ، فلم يستوفه قوله :

* أضيّعُ شئاً سوطه إذ يضربه *

فذكر « إذ يضربه » . وقال في أخرى :

صَبَّيْنَا عَلَيْهَا - ظِلَّيْنِ - سَيَاطِنًا فَطَارَتْ بِهَا أَيْدٍ سِرَاجٌ وَأَرْجُلُ
وَقِيلَ لَأَمْرَأَةٍ : صِفِي لَنَا النَّاقَةَ النَّجِيبَةَ . فقالت : عُقَابٌ إِذَا هَوَتْ^(٨) وَحَيَّةٌ
إِذَا تَوَتْ ، تَطْوِي الْقَلَاةَ وَمَا أَنْطَوَتْ .

(١) صوما : أى دقيقاً .

(٢) غليان المرجل : أزيزه وارتفاعه لشدة الغليان . والمرجل بالسكسر : الإناء الذى يغلى فيه
والقمقم : مايسخن فيه الماء . (٣) السودنيق : الصقر . وقيل : الشاهين . والأجدل : نوع من الطير .

(٤) التتفل : الثعلب أو جروه . (٥) الخذروف : شئ يدوره الصبي بخط في يديه

فيسمع له دوى . (٦) ارتفاع الفرس في عدوه . (٧) ديوان المعاني ٢ : ١٠٨

(٨) العقاب : طائر .

وكتب ابنُ القُرْبِيَّة - عَنْ الْحِجَاج - إِلَى عبدِ الملك : بعثتُ بفرسٍ جَسَنٍ المنظر ، محمودِ المَخْبَر ، جَيِّدِ القَد ، أَسِيلِ الخَدِّ ، يَسْبِقُ الطَّرْفَ ، وَيَسْتَفْرِقُ الوَصْفَ .
وأجودُ ما قيلَ في العَدْوِ قولُ عُبْدَةَ بنِ الطَّيِّبِ ^(١) :

يُخْفِي التُّرَابَ بِأَظْلَافٍ ثَمَانِيَةٍ فِي أَرْبَعٍ مَسَّهَنَ الْأَرْضَ تَحْلِيلُ ^(٢)
والتحليل ، من تَحْلَةٍ اليمين ، وهو أَنَّ يقولَ إن شاء الله ؛ فقولُ الحالف : إن شاء الله ، لا يكونُ إلا موصولاً باليمين . يقول : إن مواصلةَ هذا الثور بينَ خطواتِهِ كَمَوَاصِلَةِ الحَالِفِ بالتَحْلَةِ يمينه من غيرِ تَرَاخٍ . أخذه المحدث فقال :
* كَأَنَّمَا يَرْفَعَنَّ مَا لَمْ يُوضَعْ *

وقال أبو النجم ^(٣) :

جاءَ كَلَمْعُ البَرْقِ جَاشٍ مَاطِرُهُ يَسْبَحُ أَوْلَاهُ وَيَطْفُو آخِرُهُ
فَمَا يَمْسُ الْأَرْضَ مِنْهُ حَافِرُهُ
وأخذ على أبي النجم قوله : * يَسْبَحُ أَوْلَاهُ وَيَطْفُو آخِرُهُ * أنشده الأصمعي فقال : حمار الكساح أسرعُ من هذا ؛ لأنَّ اضطرابَ مآخيره قبيحٌ ؛ وقد أحسنَ في قوله : « وَيَطْفُو آخِرُهُ » ^(٤) . وقوله : « فَمَا يَمْسُ الْأَرْضَ مِنْهُ حَافِرُهُ » جيد .
وقال أبو نواس ^(٥) :

مَا إِنْ يَقَعَنَّ الْأَرْضَ إِلَّا فَرطاً كَأَنَّمَا يَمَجَلْنُ شَيْئاً لَقَطاً

(١) الفضليات : ١ - ١٣٨ ، ديوان المعاني : ٢ - ١٠٨ . (٢) يخفي التراب : يستخرجه لشدة عدوه . أربع : أى قوائمه . وفي كل قائمة ظلفان . (٣) ديوان المعاني : ٢ - ١٠٨ ، الشعر والشعراء : ٥٨٦ . (٤) رواية الشعر والشعراء : يسبح أخراه ويطفو أوله . وقال بعد ذلك : قال الأصمعي : إذا كان ذلك كذلك فحمار الكساح أسرع منه ، لأنَّ اضطرابَ مآخيره قبيح . قال : وما أحسنَ في قوله : ويطفو أوله (صفحة ٥٨٦) . (٥) ديوانه : ٢٠٩

وقال^(١):

فأنصاع كالكوكب في انحداره لفت الشير موهناً بناره
وقال ذو الرمة :

* كأنه كوكب في إثر عفرية *

أخذه ابن الرومي ، فقال^(٢):

خذها تبوعاً لمن ولي مسومة^(٣) كأنها كوكب في إثر عفرية
وقال ابن المعتز في كلبة :

وكلبة زهراء كالشهاب تحسبها في ساعة الذهاب
نجماً منيراً لاح في انصباب خفيفة الوطاء على التراب
وقال خلف بن الأحمر^(٤) :

كالكوكب الدررى منصلتاً شدا يفوت الطرف أسرع
وكأنما جهدت أليته أن لا تمس الأرض أربعة
أخذه من قول الأعشى :

بجلالة أجد مدخله ما إن تكاد خفافها تقع^(٥)
وقال أبو نواس^(٦) :

أرسله كالسهم إذ غلا به يسبق طرف العين في الهابه
يكاد أن ينسل من إهابه كلمعان البرق في سحابه
مأخوذ من قول ذى الرمة^(٧):

لا يذخران من الإيغال بأقية حتى تكاد تقررى عنهما الأهب^(٨)

(١) ديوانه : ٢١٢ . (٢) ليس في ديوانه الذى بين أيدينا . (٣) تبوعا :
أى متاعاً لمن هرب . والمسومة : هنا الرسالة . (٤) ديوان المعاني ٢-١٣٤ . (٥) الجلالة :
الناقة العظيمة . والأجد : الناقة القوية الموثقة الخلق . (٦) ليس في ديوانه الذى بين أيدينا .
(٧) ديوان المعاني ٢ - ١٣٣ . (٨) الإيغال : من أوغل ، أى أبعد في ذهابه ،
أو بالغ في سيره .

وقال كثير:

إِذَا جَرَى مُعْتَمِدًا لَأَمِهِ يَسْكَادُ يَفْرَى ^(١) جِلْدَهُ عَنْ لِحْمِهِ

وقال أعرابي:

غَايَةُ مَجْدٍ رُفِعَتْ فَمِنْ لَهَا نَحْنُ حَرَيْنَاهَا وَكُنَّا أَهْلَهَا
لَوْ أَرْسَلَ الرِّيحُ لِحْدِنَا قَبْلَهَا

وقال أبو النجم:

كَانَ فِي الرُّوِّ حَرِيقًا يَشْعِلُهُ أَوْ لَمَعَ بَرَقٍ خَافِقٍ مُسْلَسَلُهُ ^(٢)

ومما عيب على طرفه قوله ^(٣):

وَإِذَا تَلَسُّنُنِي السُّنُّهَا إِنَّمَا لَسْتُ بِمَوْهُونٍ فَقِيرٍ ^(٤)
وَالْعَاشِقُ يُلَاطِفُ مَنْ يَحِبُّهُ وَلَا يُحَاجُّهُ ، وَيُلَاحِظُهُ وَلَا يُلَاحِظُهُ .

وقد قال بعضُ المحدثين ^(٥):

بُنِيَ الْحُبُّ عَلَى الْجَوْرِ فَلَوْ أَنْصَفَ الْعَاشِقُ فِيهِ لَسُمِّجَ
لَيْسَ يَسْتَحْسِنُ فِي وَصْفِ الْهَوَى عَاشِقٌ يَعْرِفُ تَأْلِيفَ الْحُجَجِ

ومن خطأ المعاني قول الأعشى:

وَمَا رَأَيْتُهَا مِنْ زَيْنَةٍ غَيْرَ أَنَّهَا رَأَتْ لِمَتِّي شَابَتْ وَشَابَتْ لِدَاتِيَا
وَأَيُّ رَيْبَةٍ عِنْدَ امْرَأَةٍ أَكْثَرُ مِنَ الشَّيْبِ .

ومثله قوله ^(٦):

وَأَنْكَرْتُنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكِرْتُ مِنْ الْحَوَادِثِ إِلَّا الشَّيْبَ وَالصَّلَامَا

(١) يفري : يقطع . (٢) الرو ، بالفتح : حجارة بيض رفاق براقه تقدح منها النار .

(٣) المختار من شعر العرب : ٤٠ ، واللسان - مادة لسن ومادة فقر . (٤) لسنه : أخذه

بلسانه . ولسنه أيضاً : كله . ورجل فقر ، بفتح الفاء وكسر القاف : يشتكي فقاره من كسر أو مرض .

وفي مختارات شعر العرب : غمر ، ضم الغين والميم صفحة ٤٠ .

(٥) في زهر الآداب (١-١١) أن الشعر لعلية بنت المهدي . (٦) الموشح : ٥٢ .

وأعجب منه قوله أيضاً^(١) :
 صَدَّتْ هُرَيْرَةٌ عَنَّا مَا تَكَلَّمْنَا جَهْلًا بِأَمْ خُلَيْدٍ حَبْلٍ مَن تَصِلُ ؟
 إِنْ رَأَتْ رَجُلًا أَعْشَى أَضَرَ بِهِ رَيْبُ الزَّمَانِ وَدَهْرُ خَارِتِلٍ خَيْبُ
 وأى شيء أبغض عند النساء من العشا والضر يتبينه في الرجل ؟ وأعجب ما في
 هذا الكلام أنه قال : حَبْلٍ مَن تَصِلُ هذه المرأة بعدى وأنا بهذه الصفة من العشا
 والفقر والشيب ؟ فلا ترى كلاماً أحمق من هذا .

ومن اضطراب المعنى قول امرئ القيس^(٢) :
 أَرَاهَنَ لَا يُحِبُّنَ . مَن قَلَّ مَالُهُ وَلَا مَن رَأَى الشَّيْبَ فِيهِ وَقَوَّسًا^(٣)
 وَهَنَ يُبَغِضُنَهُ مِنْ قَبْلِ التَّقْوِيسِ ، فَا مَعْنَى ذِكْرِ التَّقْوِيسِ ؟ فَا مَا بُغِضُنَ لِمَنْ
 قَوَّسٌ نَجْدِيرٌ وَلَيْسَ بِيَدِيْعٍ .

ومن الجيد في هذا الباب قولُ بعض المتأخرين^(٤) :
 لَقَدْ أَبْغَضْتُ نَفْسِي فِي مَشِيئِي فَكَيْفَ تَحِبُّنِي الْخُودُ^(٥) الْكَمَابُ
 وَقُلْتُ^(٦) :
 فَلَا تَعْجَبَا أَنْ يَعْينَ الشَّيْبَ فَا عَيْنَ مِنْ ذَاكَ إِلَّا مَعِيَا
 إِذَا كَانَ شَيْئِي بَنِيضًا إِلَى فَكَيْفَ يَكُونُ إِلَيْهَا حَبِيئًا
 ومن فساد المعنى قولُ الذابغة^(٧) :

تَحِيدُ عَنْ أَسْتَنْ سُوْدٍ أَسَافِلُهُ مَشَى الْإِمَاءُ الْغَوَادَى تَحْمِلُ الْحَزْمَا^(٨)
 وَإِنَّمَا تَحْمِلُ الْإِمَاءُ حُزْمَ الْحَطَبِ عِنْدَ رَوَاحِنَ ؟ فَا مَا غَدُوهُنَّ إِلَى الصَّحْرَاءِ
 فَا نَهْنُ خِفَاتٍ .

(١) الفوائد العشر : ٢٩٤ (٢) ديوانه : ١٢٩ (٣) قوس الشيخ : انمى
 (٤) هو ابن المعتز كما في ديوان المعاني : ٢ - ١٥٧ وديوانه ١٣٥ (٥) الخود : جمع خود ،
 بفتح وسكون : الشابة الحسنة الخلق أو الناعمة (٦) ديوان المعاني : ٢ - ١٥٧
 (٧) ديوانه : ٩٥ ، واللسان - مادة سنن . (٨) الأستن ، على وزن أهر : شجر
 يفشو في منابته ويكثر ، وإذا نظر إليه الناظر من بعد شبهه بشيخوخ الناس .

والجيد قول التغلبي :
يَظَلُّ بِهَا رَبِّدُ النَّعَامِ كَأَنَّهَا إِمْلَاءُ تَزَجَّى بِالْمَشِيعِ حَوَاطِبُ^(١)
وقد روى مثل الإماء^(٢) . وإذا صَحَّتْ هذه الرواية سَلِمَ المعنى .
والأُستَن : شجر بَشِعَ النظر تسميه العرب رؤوس الشياطين . وجاء في
بعض التفسير في قوله تعالى : (طَلَمَهَا كَأَنَّه رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ) : إنه عنى
الأُستَن .

وقد أساء النابغة أيضاً في وصف الثور حيث يقول^(٣) :
مِنْ وَحْشٍ وَجَرَةٍ مَوْشَى أَكَارِعُهُ طَاوَى الْمَصِيرِ كَسَيْفِ الصَّيْقَلِ الْفَرْدِ^(٤)
أراد بالفرد أنه مسلول من غمده ، فلم يُبين بقوله : « الفرد » عن سَلِّه بياناً
واضحاً .

والجيد قول الطرمّاح وقد أخذه منه :
يَبْدُو وَتَضْمِرُهُ الْبِلَادُ كَأَنَّهُ سَيْفٌ عَلَى شَرَفٍ يُسَلُّ وَيُغْمَدُ
وهذا غاية في حُسْنِ الوصف .
وربما سَامَحَ الشاعرُ نفسه في شيء فيعود عليه بعيب كبير . وقد قال
الملتَمِسُ^(٥) :

وقد أَتَمَّسَى الْهَمُّ عِنْدَ اخْتِضَارِهِ بَنَاجٍ عَلَيْهِ الصَّيْعَرِيَّةُ مُكْدَمٌ^(٦)

(١) الربد ، وزان كتف : الخفيف القوائم في مشيه .

(٢) أى بيت النابغة . كما في اللسان مادة ستن . (٣) ديوانه ٢٧ . الشعر والشعراء ١٢٣ .

(٤) وجرة : موضع بين مكة والبصرة كثير الوحش . موشى أكارع : أبيض وفي قوائمه

قط سود . والمصير : المعى كنى به عن البطن . والفرد : المنفرد (٥) الشعر والشعراء :

١٢٣ ، ٥٧٢ ، ديوان المعاني ٢ : ١٣١

(٦) الموشح ٧٦ ، ٨٧ ، واللسان — مادة صعر ، ونسب فيها إلى السيب بن علس واستدل به

على أن الصيعرية قد يوسم بها الذكور . (٧) المكدم : الصلب .

كَمَيْتٍ كِنَازِ اللَّحْمِ أَوْ حَمِيرِيَّةٍ مُوَاشِكَةٍ تَنفِي الْحَصَى بِمُثْلِهِ (١)
والصيعرية : سِمَةٌ لِلنَّوْقِ فُجِعَ لَهَا لِلجَمَلِ .

وسمعه طَرَفَةً يُنْشِدُهَا ، فقال : اسْتَنْوَقَ الْجَلُّ . فضحك الناس وسارت مثلاً .
فقال له المتلمس : وَيْلٌ لِرَأْسِكَ مِنْ لِسَانِكَ ، فكان قَتْلُهُ بِلِسَانِهِ - وَرَوَى هَذَا
الْحَدِيثُ لَهُ مَعَ الْمُسَيَّبِ بْنِ عِلَسَ .

وَأَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدَ عَنْ مَهْلَهْلِ بْنِ يَمُوتَ عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الْجَاهِظِ أَنَّهُ قَالَ : وَمَنْ
أَرَادَ أَنْ يَدْحَ فَهَجًا الْأَخْطَلُ وَانْبِرَى لَهُ فَتَى ، فَقَالَ لَهُ : أَرَدْتَ أَنْ تَدْحَ سَمَاكَ الْأَسَدَى
فَهَجَوْتَهُ ، فَقُلْتُ (٢) :

نِعْمَ الْمُجِيرُ سِمًا كَأَنَّ مِنْ بَنِي أَسَدٍ بِالطَّفِّ (٣) إِذْ قَتَلْتَ حَبِيرَانَهَا مُضَرُّ
قَدْ كُنْتُ أَحْسِبُهُ قَيْنًا وَأَنْبُوهُ فَالْيَوْمَ طَيْرٌ عَنْ أَثْوَابِهِ الشَّرُّ (٤)
وَأَرَدْتُ أَنْ تَهْجُو سُؤِيدَ بْنَ مَنَجُوفٍ فَدَحْتَهُ ، فَقُلْتُ (٥) :

وَمَارِجُدُ سَوْغَرَبِ السُّوسِ جَوْفَهُ (٦) بِمَا حَمَلْتَهُ وَائِلٌ بِمُطِيقٍ
فَاعْطَيْتَهُ الرِّيَاسَةَ عَلَى وَائِلٍ ، وَقَدَّرُهُ دُونَ ذَلِكَ .

وَأَرَدْتُ أَنْ تَهْجُو حَاتِمَ بْنَ النِّمَانِ الْبَاهِلِيَّ وَأَنْ تَصَغَّرَ مِنْ شَأْنِهِ وَتَضَعَّ مِنْهُ ؛
فَقُلْتُ :

وَسَوَدَّ حَاتِمًا أَنْ لَيْسَ فِيهَا إِذَا مَا أَوْقَدَ النَّيْرَانَ نَارُ
فَاعْطَيْتَهُ السُّودَّ فِي الْجَزِيرَةِ وَأَهْلَهَا وَمَنْعَتَهُ مَا لَا يَضُرُّهُ .
وَقُلْتُ فِي زُفَرِ بْنِ الْحَرِثِ (٧) :

بَنِي أُمَيَّةَ إِنِّي نَاصِحٌ لَكُمْ فَلَا يَبِيَّتَنَّ فَيْكُمْ آمِنًا زُفَرُ

(١) كِنَاز : أَى كَثِيرَةُ اللَّحْمِ صَلْبَةٍ . وَقَوْلُهُ مُوَاشِكَةٌ : أَى سَرِيعَةٌ . وَفِي مَهْزَبِ الْأَغَانِي : بِلُحْمٍ ،
وَفَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ : هُوَ خَفَّ قَدْ لُتِمَتْهُ الْحَجَارَةُ .

(٢) الشعر والشعراء : ٤٦٠ (٣) الطَّف : أَرْضٌ مِنْ نَاحِيَةِ الْكَوْفَةِ تَشْرَفُ عَلَى رِيفِ
الْعِرَاقِ ، فِيهَا كَانَ يَقْتُلُ الْحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . (٤) فِي ط : السَّرُّ وَهَذِهِ رِوَايَةُ الشَّعْرِ وَالشَّعْرَاءِ

(٥) الشعر والشعراء : ٤٦٠ (٦) فِي الشَّعْرِ وَالشَّعْرَاءِ : وَسَطُهُ لَأ . (٧) الْمَوْشَعُ ١٣٦

مُفْتَرَشٌ كَأَفْرِاشِ اللَّيْلِ كَلِمَتُهُ (١) لَوْ قَعَةٍ كَأَنَّ فِيهَا لَكُمُ جَزَرٌ (٢)
فَأَرَدَتْ أَنْ تُفَرِّقَ بِهِ فَعَظَمَتْ أَمْرَهُ ، وَهَوَّيَتْ أَمْرَ بَنِي أُمِيَّة . *
ومن اضطراب المعنى ما أخبرنا به أبو أحمد عن مبرمان ، عن أبي جعفر بن القيس (٣) ،
قال : لما قُتِلَتْ بَنُو تَغْلِبِ بْنِ الْحَبَابِ السَّلْمِيُّ أَنْشَدَ الْأَخْطَلُ عَبْدَ الْمَلِكِ وَالْجَحَّافُ
السَّلْمِيُّ عِنْدَهُ (٤) :

أَلَا سَائِلَ الْجَحَّافِ هَلْ هُوَ نَارٌ ؟ بِقَتْلِي أَصِيتُ مِنْ سُلَيْمٍ وَعَامِرٍ
نَجْرَجُ الْجَحَّافُ مُغَضَّبًا حَتَّى أَغَارَ عَلَى الْبَشْرِ - وَهُوَ مَاءُ بَنِي تَغْلِبِ - فَقَتَلَ
مِنْهُمْ ثَلَاثَةَ وَعِشْرِينَ رَجُلًا ، وَقَالَ (٥) :

أَبَا مَالِكٍ هَلْ لَمْتَنِي مَذْ حَضَضْتَنِي : عَلَى الْقَتْلِ أَوْ هَلْ لَامَنِي لَكَ لَأْمٌ
مَتَى تَدْعُنِي أُخْرَى أُجِبْكَ بِمِثْلِهَا وَأَنْتَ أَمْرٌ بِالْحَقِّ لَيْسَ بِعَالَمٍ
نَجْرَجُ الْأَخْطَلُ نَحْنُ أَتَى عَبْدَ الْمَلِكِ ، وَقَدْ قَالَ (٦) :

لَقَدْ أَوْقَعَ الْجَحَّافُ بِالْبَشْرِ وَقَعَةً إِلَى اللَّهِ مِنْهَا الْمُسْتَكِي وَالْمُؤَلَّ
فَالَا تُعِيرُّهَا قُرَيْشٌ بِمِثْلِهَا (٧) يَكُنْ عَنْ قُرَيْشٍ مُسْتَمَارٌّ وَمَزْحَلٌ (٨)
فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : إِلَى أَيْنَ يَأْتِي اللَّخْنَاءُ (٩) ؟ فَقَالَ : إِلَى النَّارِ . فَقَالَ . وَاللَّهِ لَوْ
غَيْرَهَا قُلْتُ لَضَرَبْتُ عُقْمُكَ !

وَوَجْهُ الْعَيْبِ فِيهِ أَنَّهُ هَدَّدَ عَبْدَ الْمَلِكِ ، وَهُوَ مَلِكُ الدُّنْيَا بَرَكَةِ كَرَمِ إِيَّاهُ وَالْإِنْصِرَافِ
عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ . وَهَذِهِ حَمَاقَةٌ مُجَرَّدَةٌ ، وَغَفْلَةٌ لَا يُطَارُ غُرَابُهَا ، ثُمَّ قَالَ (١٠) :

(١) رواية الموشح : يظلال مفترشا كالليث كالكله . (٢) في الأصول : حزر .
(٣) قول القيس : هكذا في بعض الأصول . وفي بعضها القتي . (٤) الشعر والشعراء :
٤٥٧ ، والموشح ١٣٧ (٥) الشعر والشعراء : ٤٦١ (٦) الشعر والشعراء : ٤٥٧
واللسان - مادة ميژ ، وزحل (٧) في اللسان : فالأ تعيرها قريش بملكها .
(٨) مستأز : موضع ينفصل إليه ويتباعد . ومزحل : موضع يزحل إليه ، أي يتنجى ويتباعد .
(٩) اللخناء : التي لم تخن . واللخن : قبح ربح الفرج (١٠) الموشح ، ١٣٨

فلا هدى الله قيساً من ضلالتها ولا لماً لبني ذكوان إذ عثروا (١)
ضجوا من الحرب إذ عصت غواربهم وقيس غيلان من أخلاقها الضجر (٢)
فقال له عبد الملك : لو كان الأمر كما زعمت لما قلت :

* لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعة *

ومن أراد أن يمدح نفسه فهجأها جرير في قوله (٣) :

تعرض التميم لي عمداً لأهجوها كما تعرض لاسن الخاري الحجر
فشبه نفسه باست الخاري .

وقرب من ذلك قول الراعي (٤) :

ولا أتيت نجيدة بن عويمر أبني الهدى فيزيدني تضليلاً (٥)
فأخبر أنه على شيء من الضلال ؛ لأن الزيادة لا تكون إلا على أصل ، وأراد
أن يمدح نفسه فهجأها .

وأراد جرير [أن] يذكر عفوه عن بني غدانة حين شفع فيهم عطية بن جمال ،
فهجأهم أقبح هجاء حيث يقول (٦) :

أبني ، غداة إنني حررتكم فوهبتكم لعطية بن جمال
لولا عطية لاجتدعت أنوفكم ما بين الأم أنف وسبال

(١) لماً : كلمة يدعى بها للعائر . (٢) الغارب : الكاهل . والعن هنا كناية عن

تأثير حمل السلاح في غواربهم فلا يطيقون الحرب (٣) ديوانه : ٢٨٣

(٤) جمهرة أشعار العرب : ٣٥٦ .

(٥) نجيدة بن عويمر : تصغير نجدة بن عامر الحنفي . قال في الجمهرة : كان باليمامة اتخذ مذهباً
ينسب إليه النجدية وهم فرقة من الفرق الضالة . وقال المبرد في كامله : كانت رأساً ذا مقالة منفردة
من مقالات الخوارج . وفي القاموس : وكان خارجياً ويقال لأصحابه : النجدات بالتحريك . ولليت
مبدؤه في الجمهرة بلما المخففة من قصيدته التي مطلعها :

ما بال دفاك بالفراس مذيلا أفذى بعينك أم أردت رحبلا

وأوردها في قسم الملحاحات . قال المبرد : وخطب بها عبد الملك بن مروان .

(٦) الشعر والشعراء : ٤٥٣ ، والموازنة ١٩

فلما سمع عطية هذا الشعر قال : ما أُنْبِرَعَ ما رجع أخى فى عطيتيه .
ومثل ذلك سواء قول يزيد بن مالك العامري حيث يقول (١) :
أَكْفُ الْجَهْلَ عَنْ حُلَمَاءِ قَوْمِي . وَأَعْرِضْ عَنْ كَلَامِ الْجَاهِلِينَ
فأخبر أنه يحلم عن الجهال ولا يعاقبهم ، ثم نقض ذلك فى البيت الثانى ، فقال :
إِذَا رَجُلٌ تَعَرَّضَ مُسْتَحْفَافًا . لَنَا بِالْجَهْلِ أَوْشَكَ أَنْ يَحِينَا
فذكر أنه كاد أن يفترق بمن جهل عليه (٢) .
وقريب منه قول عبد الرحمن بن عبد الله القس (٣) :
أَرَى هَجْرَهَا وَالْقَتْلَ مِثْلَيْنِ فَاقْصِرُوا . مَلَامَكُمْ فَالْقَتْلُ أَغْفَى وَأَيَسَرُّ
فأوجب أن الهجر والقتل سواء ، ثم ذكر أن القتل أغفى وأيسر (٤) ، ولو اتى
بيل استوى (٥) .

ومن عجائب الغلط قول ذى الرمة (٦) :
إِذَا انْجَابَتْ الظُّلُمَاءُ أَضْحَتْ رُؤُوسُهَا . عَلِيَّهِمْ مِنْ جَهْدِ الْكَرَى وَهَى ظُلَمٌ (٧)
وقال ابن أبى فروة : قلت لذى الرمة : ما علمت أحداً من الناس أظلم الروس
غيرك ! فقال : أجل .

ومن الغلط قول العجاج (٨) :
كَأَنَّ عَيْنَيْهِ مِنَ الْغَوُورِ . قَلَتَانِ أَوْ حَوَجَلْنَا قَارُورِ
صَيَّرَتَا بِالنَّضْحِ وَالتَّصْبِيرِ . ضَلَّاصِلَ الزَّيْتِ إِلَى الشُّطُورِ

(١) تقد الشعر ١٢٤ ، الموشح ٢٢٦ وقد نسب فيهما هذان البيتان إلى يزيد بن مالك العامري .
(٢) تفسير اقول الشاعر : أوشك أن يحينا (٣) الموشح : ٢٢٦
(٤) فى الموشح : فكأنه قال : إن القتل مثل الهجر وليس مثله (٥) استوى : أى المعنى
وسلم من الاستحالة والتناقض ؛ لأن مقام لفظة بل ، مقام ما ، بنى الماضى . ويثبت المستأف .
(٦) الشعر والشعراء : ٥١٤ (٧) الظلم ، بتشديد اللام جمع ظالم ، وهو المائل أو المتأخر
(٨) أراجيز العرب : ٨٨ ، واللسان — مادة حجل ، وصل .

فجعل الزجاج ينضح^(١).

ومن الخطأ قول رؤبة في صفة قوائم الفرس : * يهوين شتى ويقعن وقماً^(٢) * فقال له سلم^(٣) : أخطأت ، جعلته مقيداً ، فقال له رؤبة : أذنبني من ذنب البعير ، أى لست أبصر الخيل ، وإنما أنا بصير بالإبل .

ومن الغلط قول رؤبة أيضاً^(٤) :

وكلُّ زجاجٍ سُخَّامِ الخَمَلِ يَبْرِي له في رَعَلَاتٍ خُطَلِ^(٥)
جمل للظلم عِدَّةٌ إناث ؛ وليس للظلم إلا أنثى واحدة .

وأخطأ في قوله^(٦) :

كُنْتُمْ كَمَنْ أَدْخَلَ فِي جُحْرِ يَدَا فَأَخْطَأَ الْأَفْمَى وَلَا قَى الْأَسْوَدَا

(١) قوله : ينضح بالحاء في ط : والذي في اللسان (مادة صل) تبعاً للصحيح وحواشي ابن برى ينضح بالجيم هكذا :

كأن عينيه من القوور قلتان في الحدى صفا منقور
صفران أو حوجلتا فارور غيرتا بالنضج والتصير
صلاصل الزيت إلى الشطور

القلتان : أقلت بإسكان اللام : النقرة في الجبل تمسك الماء . والحوجلة : فارورة صغيرة واسعة الرأس . والصلاصل : بقايا الماء وكذلك البقية من الدهن . قال في اللسان : وأنشد الجوهري صلاصل بالضم قال : وقال ابن برى : صوابه بالفتح لأنه مفعول لغيرتا وقال : ولم يشبههما بالجرار وإنما شبههما بالفارورين . قال ابن سيده : شبه أعينها حين غارت بالجرار فيها الزيت إلى أنصافها (مادة صل) وإذا صبح ذلك ينتفي ماأراده المؤلف . (٢) الموشح : ٢١٩ ، وفيه : ويقعن وفقاً . قال الأصمعي : لأن الجياد لا تهم حوافرها معاً (الموشح) .

(٣) هو سلم بن قتيبة كما في الموشح . (٤) أراجيز العرب : ١٢٥

(٥) في ط : رخاج . وفي أراجيز العرب : زجاج من زج الظلم برجله : عدا ، فهو حيثئذ نعت للظلم . والسحام ، بالحاء في ط ، وفي أراجيز العرب : سخام ، بالحاء ، وهو اللين من الشعر والريش والقطن . والحمل ، بالحاء في ط ، ولكنه في أراجيز العرب بالحاء : الغراب . والرعلات : جمع رعلة وهي النعامة سميت بذلك لأنها تتقدم فلا تكاد ترى إلا سابقة للظلم . وجاء في أراجيز العرب : زعلات ؛ أى نشيطات . والخطل : بضم الحاء وإسكان الطاء جمع خطلاء . بالفنح : الطويلة اليدنين ، أو المضطربة . (٦) الشعر والشعراء : ٥٧٩ .

فجعل الأفعى دون الأبسود في المصرة ، وهي فوقه فيها .

ومن خطأ الوصف قول أبي النجيم ^(١) :

* أَخْنَسَ فِي مِثْلِ الْكَظَامِ الْمُخْطَمَةِ ^(٢) *

والأخنس : القصير المشافر ، وإنما توصف المشافر بالشبوط ^(٣) .

ووصف أعرابي إبلا ، فقال : كوم بهازر ، مكد خناجر ، عظام الحناجر ،
سبباط المشافر ، أجوافها رعاكب ، وأعطانها رحاب ، تمنع من البهائم ، وتبذل
للجعم .

ناقة مكود وخنجورة ^(٤) : كثيرة اللبن ^(٥) . والبهازر : العظام ^(٦) . والكوم :

المرتفعة الأسنمة . ولم يحسن أيضاً صفة ورود الإبل . قال ^(٧) :

جاءت تسمى ^(٨) في الرعي الأول والظل عن أخفافها لم يفضل

ذكر أنها وردت في الهاجرة ، وهذا خلاف المهود ؛ وإنما يكون الورود
غلباً ، كقول الآخر ^(٩) :

* فوردت قبل الصبح الفائق ^(١٠) *

(١) الشعر والشعراء ٥٩٠ . (٢) الكظام : جمع كظم ، والكظام من الإبل : العطشان
اليابس الجوف . المخطمة : أي المخطومة بالحظام ، قال ابن سيده : والحظام بكل ما وضع في أنف
البعير ليقاد به . وناقة مخطومة ونوق مخطمة شديدة الكثرة ، وخففت هنا للوزن . وجاء في الشعر والشعراء :
٥٩٠ بدون أل هكذا :

* أخنس في مثل الكظام مخطمه *

(٣) الطول . (٤) في ط بغير تاء . (٥) في القاموس : المكود : الناقة الدائمة الغزر ،
والقليلة اللبن ضد ، أو هذه من أغاليط الليث . (٦) العظام من النوق .

(٧) قتله أبو النجم ، والرعي الأول : القطعة المتقدمة من الحيل أو من غيرها - الطرائف
الأدبية ٦٤ ، والشعر والشعراء ٥٩٠ . (٨) تسمى : ترتفع .

(٩) الطرائف : ٧٠ ، والشعر والشعراء : ٥٩١ . (١٠) في ط الفائق ، وهذه
رواية الشعر والشعراء .

وقال الآخر^(١) :

* فوردنَ قبلَ تَبَيَّنِ الأَلْوَانِ *

وقول لبيد^(١) :

* إِنْ مِنْ وَرْدِي تَغْلِيْسَ النَّهْلِ *

ومن الغلَطِ قولُ أبي النّجَمِ^(١) :

* صُلْبُ الْعَصَا جَافٍ عَنِ التَّغْزُلِ^(٢) *

يصفُ رَاعِي الإِبِلِ بصلابةِ العصا ، وليس بالمعروف .

والجيدُ قولُ الراعي^(٣) :

ضَعِيفُ الْعَصَا بِأَدَى الْعُرُوقِ تَرَى لَهُ عَليْهَا إِذَا مَا أَجْدَبَ النَّاسُ إِصْبَعًا

وإنما يقال : فلانٌ صُلْبُ الْعَصَا على أهله إذا كان شديدًا عليهم .

ومن الغلَطِ قولُ أبي النّجَمِ أيضًا في وصفِ الفرس ، وهو غلط في اللَّفْظِ^(٥) :

* كَأَنَّهَا مِيجَنَةُ الْقَصَّارِ *

وإنما المِيجَنَةُ لِصَاحِبِ الْأَدَمِ ، وهي التي يُدَقُّ عَلَيْهَا الْأَدَمُ مِنْ حَجَرٍ وَغَيْرِهِ .

ومن فسادِ المعنى قولُ الشَّمَاخِ^(٦) :

بَآنَتْ سُمَاعَدُ فِي الْعَيْنَيْنِ مُلْمُولُ^(٧) وَكَانَ فِي قِصَرٍ مِنْ عَهْدِهَا طُولُ

كان ينبغي أن يقول^(٨) : في طول من عهدها قِصَرٌ ؛ لأنَّ العيشَ مع الأَجَبَةِ

يُوصَفُ بِقِصَرِ الْمُدَّةِ ، كما قال الآخر :

يَطُولُ الْيَوْمُ لَا أَقْلَاكَ فِيهِ وَحَوْلُ نَلْتَقِي فِيهِ قَصِيرُ

(١) الطرائف : ٧٠ ، والشعر والشعراء : ٥٩١ . (٢) في ط : التعزل بالعين ، وهذه

رواية الطرائف والشعر والشعراء . (٣) الشعر والشعراء : ٥٩١ . (٤) في الشعر والشعراء :

إذا ما أخل الناس . (٥) الشعر والشعراء : ٥٩١ (٦) ديوانه ٧٧ ، والموشح ٨٨

(٧) المملول : المكحال . (٨) في الموشح : وكان في طول عهدها قصر ، أو يقول :

فصار في قصر عهدها طول .

ومن اضطراب المعنى قول أبي دُوَادٍ الأيادي (١) :
 لو أنها بذلت لِدَى سَقَمٍ حَرَضَ (٢) القَوَادِ مُشَارِفَ الْقَبْضِ
 حُسْنِ (٣) الحديثِ لَظَلَّ مُكْتَنِبًا عَرَّافٍ مِنْ وَجَدِ بِهَا مَضًى
 وكان استواء المعنى أن يقول : لبرا من سقمه - كما قال الأعشى :
 لو أسندت مَيْتًا إِلَى نَحْرِهَا عَاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إِلَى قَابِرِ
 وقال تأبط شراً :

* قَلِيلُ غِرَارِ النَّوْمِ *

تقديره قليل يسير النوم ، وهذا فاسد ؛ وَوَجْهُ الكلام أن يكون ما ينام إلا
 غِرَارًا ؛ فَإِنْ احْتَلَّتْ لَهُ قَلْتُ : يعنى أن نومه أيسر من اليسير .
 وقول أبي ذؤيب (٤) :

فلا يهتأ (٥) الواشون أن قد هَجَرَتْهَا وَأَظْلَمَ دُونِي لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا
 هذا من المقلوب ؛ كان ينبغى أن يقول : وَأَظْلَمَ دُونَهَا لَيْلِي وَنَهَارِي .
 وقول ساعدة (٦) :

فلو نَبَأْتُكَ الْأَرْضُ أَوْ لَوْ سَمِعْتَهُ لَا يَقْنَتُ أُنَى كِدْتُ بِعَدَاكَ أَكْمَدَ
 كان ينبغى أن يقول : إِنِّي بِعَدَاكَ أَكْمَدُ .
 ومن الخطأ قولُ طرفة يصف ذنبَ البعير (٧) :

كَأَنَّ جَنَاحِي مُضْرَحِي تَكْنَفَا حَفَاقِيهِ شُكَّافِي الْعَسِيبِ بِمَسْرَدِ (٨)
 وإنما توصف النجائب بخفة الذنب (٩) . وجمله هذا كثيفاً طويلاً عريضاً .

(١) الموشح ٨٨ . (٢) في الموشح : مره . (٣) في الموشح : ثم أنس الحديث .

(٤) أشعار المهذلين : ١ - ٢١ ، والموشح ٨٨ . (٥) في الموشح : ولا يهتأ الواشين .

(٦) في ط ساعد ، وهو ساعدة بن جؤية كما في أشعار المهذلين : ١ - ٢٣٨ .

(٧) الموشح ٨٨ . (٨) المضرحى : الصقر الطويل الجناح . وحفافية : جانبيه . والعسيب :

عظم ذنبه . والمسرد : الثقب . واستشهد له في اللسان بالشر الثاني من البيت - مادة سرد .

(٩) عبارة الموشح : وإنما توصف النجائب برفقة شعر الذنب وخفته .

وقول امرئ القيس (١) :

وَأَرْكَبُ فِي الرَّوْعِ خَيْفَانَةً كَسَا وَجْهَهَا سَعْفٌ مُنْتَشِرٌ
شَبَّهَ نَاصِيَةَ الْفَرَسِ بِسَعْفِ النَّخْلَةِ لَطُولَهَا ، وَإِذَا غَطَى الشَّعْرُ الْعَيْنَ لَمْ يَكُنْ
الْفَرَسُ كَرِيمًا .

وقول الخطيئة (٢) :

وَمَنْ يَطْلُبُ مَسَاعِيَ آلِ لَاى تَصْعَدُهُ الْأُمُورُ إِلَى عِلَالِهَا
كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ : مَنْ طَلَبَ مَسَاعِيَهُمْ عَجَزَ عَنْهَا وَقَصُرَ دُونُهَا ، فَأَمَّا إِذَا تَنَبَّاهُ
إِلَى عِلَالِهَا فَأَيُّ فُخْرٍ لَهُمْ ؟ فَإِنْ قِيلَ : إِنَّهُ أَرَادَ بِهِ [أَنَّهُ] يَلْقَى صُعُوبَةً كَمَا يَلْقَى الصَّاعِدُ
مَنْ أَسْفَلَ إِلَى عُلُوٍّ ، فَالْعَيْبُ أَيْضًا لَازِمٌ لَهُ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَعْبُرْ عَنْهُ تَعْبِيرًا مُبِينًا .
وقول النابغة (٣) :

مَا ضَيَّ الْجَبَانَ أَخِي صَبْرٍ إِذَا نَزَلَتْ حَرْبٌ يُوَاوِلُ مِنْهَا كُلَّ تَنْبَالٍ
التَّنْبَالُ : الْقَصِيرُ مِنَ الرِّجَالِ ، وَلَيْسَ الْقَصِيرُ بِأَوَّلِي بَطْلٍ الْمُوَئِلُ مِنَ الطَّوَالِ ؛ وَإِنْ
جَعَلَ التَّنْبَالُ الْجَبَانَ فَهُوَ أَبْعَدُ مِنَ الصَّوَابِ ؛ لِأَنَّ الْجَبَانَ خَائِفٌ وَجِلٌّ اشْتَدَّتْ الْحَرْبُ
أَمْ سَكَنْتِ .

والجيد قول الهمداني :

يَكْرَهُ عَلَى الْمَصَافِّ إِذَا تَعَادَى مِنْ الْأَهْوَالِ شَجَعَانُ الرِّجَالِ .
وقول المسيب بن علس (٤) :

فَتَسْلُ حَاجَتَهَا إِذَا هِيَ أَعْرَضَتْ بِحَمِيصَةِ مَرْحِ الْيَدَيْنِ وَسَاعٍ
وَكُنَّ قَنْطَرَةً بِمَوْضِعِ كُورِهَا وَتَمَدَّ ثَنَى جَدِيلِهَا بِشِرَاعٍ (٥)
وَإِذَا أَطْفَتْ بِهَا أَطْفَتْ بِكُلِّ كَلٍّ نَبِيضُ الْفَرَائِصِ مُجْفَرُ الْأَضْلَاعِ

(٢) ديوان مختارات شعراء العرب : ١٣١ ،

(١) ديوانه : ١١ ، والموشح ٨٩ .

(٤) الموشح : ٩٠ والمفضليات ٥٩ .

(٣) الموشح ٧٩ .

(٥) تكملة البيت في الموشح والمفضليات : * ملساء بين غوامض الأنساع *

وهذا من المتناقض ؛ لأنه قال خميسة ، ثم قال : كأن موضع كورها قنطرة ، وهي
مُجْفَرَة الأضلاع ؛ فكيف تكون خميسة وهذه صفتها .

وقول الحطيئة^(١) :

حَرَجٌ يَلَاوِذُ بِالْكَنَاسِ كَأَنَّهُ متطوِّفٌ^(٢) حَتَّى الصَّبَاحِ يَدُورُ
حَتَّى إِذَا مَا الصُّبْحُ شَقَّ عُمُودَهُ وَعِلَاهُ أَشْطَعُ لَا يُرَدُّ مِنْدِيرُ
وَحَصَى الْكُثَيْبُ بِصَفْحَتَيْهِ كَأَنَّهُ حَبَّتُ الْحَدِيدُ أَطَارَهُمُ الْكَبِيرُ
زَعَمَ أَنَّهُ يَطُوفُ حَتَّى الصَّبَاحِ ، فَمَنْ أَيْنَ صَارَ الْحَصَى بِصَفْحَتَيْهِ ؟

وقول لبيد^(٣) :

فَلَقَدْ أَعْوَصُ بِالْخَصْمِ^(٤) وَقَدْ أَمَلْتُ الْجَفْنَةَ مِنْ شَحْمِ الْقَلْلِ
أَرَادَ السَّنَامُ ، وَلَا يُسَمَّى السَّنَامُ شَحْمًا .
وقوله^(٥) :

لَوْ يَقُومُ الْفَيْسَلُ أَوْ فَيَّالُهُ زَلَّ عَنْ مِثْلِ مَقَامِي وَزَحَلُ
ليس للفَيَّال من الشدة والقوة ما يكون مثلاً .

ومن الخطأ قول أبي ذؤيب في الدرة^(٦) :

فَجَاءَ بِهَا مَا شَتَبَ مِنْ لَطِيمَةٍ يَدُومُ الْفُرَاتُ فَوْقَهَا وَيَمُوجُ
والدَّرَّة إنما تكون في الماء الملح دون العذب . وقال من احتج له : إنما يريد بماء
الدَّرَّة صفاء فشبه بماء الفرات ؛ لأنَّ الفرات لا يخطئه الصفاء والحسن .

وقوله أيضاً^(٧) :

فَمَا بَرِحَتْ فِي النَّاسِ حَتَّى تَبِينَتْ ثَقِيفًا بَزَيْزَاءَ^(٨) الْأَشَاةِ^(٩) قِبَابُهَا

(١) الموشح ٩٠ . (٢) في ط متطرف . (٣) الموشح ٨٩ ، واللسان - مادة عوص .

(٤) أعوص بالخصم : أدخله فيما لا يفهم ، أولوى عليه أمره . (٥) الموشح ٨٩ ، ٧٢ .

(٦) أشعار الهذليين ١ - ٥٧ . (٧) أشعار الهذليين : ١ - ٧٣ .

(٨) الزيزاء : ظهر منقاد غليظ من الأرض . (٩) في ط : الأساة ، وهذه رواية أشعار

الهذليين ، قال : والأشاة : موضع .

يقول : ما زالت هذه الخمرة في الناس يحفظونها حتى أتوا بها ثقيفا . قال الأصمعي : وكيف تُحْمَلُ الخمرة إلى ثقيف وعندهم العنب .

وقول عدى بن الرقاع :

لهم رايةٌ تهْدِيَ الجموعَ كأنها إذا خطرَتْ في نَعْلَبِ^(١) الرَّمْحِ طَائِرُ
والراية لا تخطر ، وإنما الخطران للرمح .

ومما لم يسمع مثله قط قول عدى بن زيد في الخمرة ووصفه إياها بالخضرة

حيث يقول :

والمُشْرِفُ الهَيْدَبُ يَسْمَى بِهَا أَخْضَرَ مَطْمُونًا بِمَاءِ الْحَرَيْصِ^(٢)
والحريرص : السَّحَابَةُ تَحْرِصُ وَجْهَ الْأَرْضِ ، أَيْ تَقْشُرُهَا بِشِدَّةٍ وَقَعَ مَطَرُهَا .
ومن وَضَعَ الشَّيْءَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

يَمْشِي بِهَا كُلُّ مُوشَى أَكَارِعُهُ مَشَى الْهَرَا بَدَحَجُوا بَيْعَةَ الدَّوْنِ
فاللفظ في هذا البيت في ثلاثة مواضع : أحدها أن الهرا باند المجوس^(٣) لا النصراني .
والثاني أن البيعة للنصارى لا للمجوس . والثالث أن النصراني لا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ
ولا المجوس .

ومن المحال الذي لا وجه له قول القس^(٤) :

وَإِنِّي إِذَا مَا الْمَوْتَ حَلَّ بِنَفْسِهَا يُزَالُ بِنَفْسِي قَبْلَ ذَلِكَ فَأَقْبَرُ
وهذا شبيه بقول قائل لو قال : إذا دخل زيد الدار دخل عمرو قبله . وهذا عين
المحال الممتنع الذي لا يجوز كونه .

ومن عُيُوبِ الْمَعْنَى مَخَالَفَةُ الْعُرْفِ وَذِكْرُ مَا لَيْسَ فِي الْعَادَةِ كَقَوْلِ الْمَرَارِ^(٥) :
وَحَالَ عَلَى خَدَّيْكَ يَبْدُو كَأَنَّهُ سَنَا الْبَدْرِ فِي دَعَجَاءِ بَادٍ دُجُونُهَا

(١) الثعلب : طرف الرمح . (٢) الهيدب : سحاب يقرب من الأرض كأنه متدل

يكاد يسكه من قام براحته . (٣) في اللسان : هم قومة بيت النار التي للهنت فارسي معرب .

(٤) الموشح ٢٢٦ . (٥) الموشح ٢٣٢ .

والمعروف أن الخيلان مسود أو سمر ، والحدود الحسان إنما هي البيض ، فأتى

هذا الشاعر بقلب المعنى .

وهكذا قول الآخر :

كَأَنَّمَا الْخَيْلَانُ فِي وَجْهِهِ كَوَاكِبُ أَخَذَقْنَ بِالْبَدْرِ

ويمكن أن يحتج لهذا الشاعر بأن يُقال : شبه الخيلان بالكواكب من جهة الاستدارة لا من جهة اللون .

والجيد في صفة الخال قول مسلم :

وَخَالٍ تَخَالٍ الْبَدْرِ فِي وَجْهِهِ مِثْلُهُ لَقِينَا الْمُنَى فِيهِ فحَاجَزَنَا الْبَدْلُ

وقال العباس بن الأحنف (١) :

لَخَالٍ بِذَاتِ الْخَالِ لَحْسَنُ عِنْدَنَا مِنْ السَّكَنَةِ السَّوْدَاءِ فِي وَضَحِ الْبَدْرِ

ومن المعاني ما يكون مقصراً غير بالغ مبالغ فيه في الإحسان ، كقول كثير (٢) :

وَمَا رَوْضَةٌ بِالْحَزَنِ طَيِّبَةُ التَّرَى تَمِجُّ النَّدَى (٣) حَوَازِيهَا (٤) وَعَرَارُهَا

بِأَطْيَبِ مِنْ أَرْدَانٍ عَزَّةً مَوْهِنًا وَقَدْ أَوْقَدَتْ بِالْمِنْدَلِ الرُّطْبَ (٥) نَارُهَا

وقد صدق ؛ ليس ریح الروض بأطيب من ریح العود ، إلا أنه لم يأت بإحسان

فيما وصف من طيب عرق المرأة ؛ لأن كل من تجمّر بالعود طابت رائحته .

والجيد قول امرئ القيس (٦) :

أَلَمْ تَرَ أَنِّي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقًا وَجَدْتُ بِهَا طِيْبًا وَإِنْ لَمْ تَطِيْبِ

والعود الرطب ليس بمختار للبخور ؛ وإنما يصلح للمضع والسواك ، والعود اليابس

أَبْلَغُ فِي مَعْنَاهُ .

(١) ديوانه : ٧٩ (٢) الموشح : ١٥٠ ، ١٥١ (٣) في ط : الترى

(٤) الحوذان : نبت ، وفي الموشح : جنجائها (٥) في رواية الموشح : وقد أوقدت

بالحجر اللدن . (٦) ديوانه : ٦٦ ، ١٠٥ ، ٢٢٠ .

وأنشد الكميت نصيباً^(١) :

كَأَنَّ الْفُطَامِطَ فِي غَلِيْمَهَا أَرَا جِيزُ أَسْلَمَ تَهْجُو غِفَارًا
فَقَالَ نَصِيبٌ : لَمْ تَهْجُ أَسْلَمَ غِفَارًا قَطْ ، فَقَالَ الْكُمَيْتُ^(٢) :

إِذَا مَا الْهَجَارِسُ غَنِيْمَتُهَا تَجَاوَرْنَ^(٣) بِالْفَلَوَاتِ الْوَبَارَا

فَقَالَ نَصِيبٌ : لَا يَكُونُ بِالْفَلَوَاتِ وَبَارَ ، فَاسْتَحَى الْكُمَيْتُ وَسَكَتَ^(٤) .

وَمِنْ عُيُوبِ الْمَدِيحِ عَدُولُ الْمَادِحِ عَنِ الْفَضَائِلِ الَّتِي تَخْتَصُّ بِالنَفْسِ : مِنَ الْعَقْلِ ،
وَالْعِفَّةِ ، وَالْعَدْلِ ، وَالشَّجَاعَةِ ، إِلَى مَا يَلِيقُ بِأَوْصَافِ الْجِسْمِ : مِنَ الْحُسْنِ ، وَالْبَهَاءِ
وَالزَّيْنَةِ ، كَمَا قَالَ ابْنُ قَيْسِ الرَّقِيَّاتِ فِي عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ^(٥) :

يَأْتَلِقُ النَّاجُ فَوْقَ مَفْرِقِهِ عَلَى جَبِينٍ كَأَنَّهُ الذَّهَبُ
فَغَضِبَ عَبْدُ الْمَلِكِ ، وَقَالَ : قَدْ قُلْتَ فِي مُضْعَبٍ^(٦) :

إِنَّمَا مُضْعَبُ شِهَابٍ مِنَ اللَّذِّ هِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظَّلْمَاءُ^(٧)

فَأَعْطِيَتْهُ الْمَدْحَ بِكَشْفِ الْعُمَمِ ، وَجَلَاءِ الظُّلَمِ ؛ وَأَعْطَيْتَنِي مِنَ الْمَدْحِ مَا لَا فَخْرَ فِيهِ ؛
وَهُوَ اعْتِدَالُ النَّاجِ فَوْقَ جَبِينِي الَّذِي هُوَ كَالذَّهَبِ فِي النُّضَارَةِ .

وَمِثْلُ ذَلِكَ قَوْلُ أَيْمَنِ بْنِ خَزِيمٍ فِي بَهْرِ بْنِ مَرْوَانَ^(٨) :

يَا بَنَ الْأَكْرَامِ مِنْ قُرَيْشٍ كُلِّهَا وَابْنَ الْخَلَائِفِ وَابْنَ كُلِّ قَلَمَسٍ^(٩)

(١) الموشح : ١٩٣ (٢) الموشح : ١٩٣ (٣) في الموشح : يجاوبن

(٤) الفطامط : الصوت . والهجارس : جمع هجرس وهو القرد والثعلب وقيل : ولده ، والدب
وقيل : كل ما يعضس بالليل دون الثعلب وفوق اليربوع . والوبار : جمع وبرة ، بالتسكين : حيوات
كالسنور (٥) نقد الشعر : ١١١ ، الموشح : ٢٢١ (٦) الموشح : ٢٢١ ، نقد الشعر : ١١١

(٧) في رواية : عن نوره . (٨) نقد الشعر : ١١١ ، الموشح : ٢٢٢

وقد أورد الأبيات قدامة بن جعفر في كتابه نقد الشعر والمرزبان في الموشح وأولها عندهما :

يابن الدوائب والذرى والأرؤس والفرع من مضر العفرنى الأقرس

وابن المسكارم من قريش ذا العلا

(٩) يقال : عز قلمس : إذا كان قد عما .

من فَرَعَ آدَمَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ بَحْتَى أَنْتَ (١) إِلَى أَبِيكَ الْعَنَسِينَ
مَرَوَانَ ، إِنَّ قَنَاتَهُ خَطِيئَةٌ غُرِسَتْ أُرُومَتُهَا أَعَزَّ الْمَغْرَسِينَ
وَبَنَيْتَ عِنْدَ مَقَامِ رَبِّكَ قُبَّةً خَضِرَاءَ كُلَّلَ تَاجُهَا بِالْفِسْفِسِ (٢)
فَسِياوَهَا تَذَهَبُ وَأَسْفَلَ أَرْضِهَا وَرَقِ تَلَالُأَ فِي صَمِيمِ الْخُنْدِسِ
فما في هذه الأبيات شيء يتعلق بالدح الذي يختص بالنفس ، وإنما ذكر سودد
الآباء ، وفيه فخرٌ للأبناء ، ولكن ليس العظمى كالعصا ، وربما كان سودد الوالد
وفضيلته تقيصةً للولد إذا تأخر عن رتبة الوالد ، ويكون ذكر الوالد الفاضل تقريرا للولد
الناقص .

وقيل لبعضهم : لم لا تكون كأيك ؟ فقال : ليت أبي لم يكن ذا فضل ؛ فإن
فضله صار نقصا لي .

وقد قال الأول :

إِنَّمَا الْمَجْدُ مَا بَنَى وَالِدُ الصَّدِّ قِ وَأَحْيَا فَعَالَهُ الْمَوْلُودُ

وقال غيره في خلافه :

لَنْ نَغْفَرَ أَبَاءَ ذَوِي مَرْفٍ لَقَدْ صَدَقْتَ وَلَكِنْ بَشْ مَا وَلِدُوا

وقال آخر :

عَفَتْ مَقَابِحُ أَخْلَاقٍ جُصِصَتْ بِهَا عَلَى مُحَاسِنِ أَبْقَاهَا أَبُوكَ لَكَ

لَنْ تَقْدِمْتَ أَبْدَاءَ الْكِرَامِ بِهِ لَقَدْ تَأَخَّرَ آبَاءُ اللَّثَامِ بِكَ

ثم ذكر أيمن بناء قبة حسنة ، وليس بناء القباب مما يدل على جود وكرم ؛ بل
يجوز أن يبني اللئيم البخيل الأبنية النفيسة ، ويتوسّع في النفقة على الدور الحسنة

(١) في الموشح : انتهت (٢) انفسس : القضة الرطبة . والبيت المصور بالنفساء :

هو المنقوش بقطع صغيرة ملونة من الرخام وغيره يؤلف بعضها إلى بعض ثم تركب في حيطانه من داخل .

مع منع الحق ، وردَّ السائل ، وليس اليسار مما يُمدَح به مدْحًا حقيقياً ؛ ألا ترى كيف يقول أشجع السلمي (١) :

يُرِيدُ الْمُلُوكُ مَدَى جَمْفَرٍ وَلَا يَصْنَعُونَ كَمَا يَصْنَعُ
وَلَيْسَ بِأَوْسَمِهِمْ فِي الْفَنَى وَلَكِنَّ مَعْرُوفَهُ أَوْسَعُ
وَمِنْ عِيُوبِ الْمَدْحِ قَوْلُ أَيْمَنَ بْنِ خُرَيْمٍ أَيْضًا فِي بَشْرِ بْنِ مَرْوَانَ (٢) :

فَإِنْ أَعْطَاكَ (٣) بَشْرٌ أَلْفَ أَلْفٍ رَأَى حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَزِيدَا
وَأَعْقَبَ مَدْحِي مَرْجَا خَلَنَجَا وَأَبْيَضَ جَوْزَ جَانِيَا عَنْوَدَا (٤)
وَأَنَا قَدْ رَأَيْتَا أُمَّ بَشْرٍ كَأُمِّ الْأَسَدِ مِنْ كَارَا وَلُودَا

جميعُ هذا الكلام جارٍ على غير الصواب ، إلَّا في ابتداء وَصْفِهِ في التناهي في الجود ، ثم انحطَّ إلى مالا يَقَعُ مع الأول موقفاً وهو السَّرَج وغيره . وأتى في البيت الثالث بما هو أقربُ إلى الذمِّ منه إلى المدح ، وهو قوله :

وَأَنَا قَدْ رَأَيْتَا أُمَّ بَشْرٍ كَأُمِّ الْأَسَدِ مِنْ كَارَا وَلُودَا
لَأَنَّ النَّاسَ جَمِيعُونَ عَلَى أَنْ نَتَاجَ الْحَيَوَانَاتِ الْكَرِيمَةَ أَعْسَرُ وَأَوْلَادَهَا أَقَلُّ . كما قال الأول (٥) :

بُعَاثُ الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فِرَاحًا وَأُمُّ الصَّغْفَرِ مَقْلَاتُ (٦) نَزُورُ
وَمِنْ عِيُوبِ الْمَدْحِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ - هُوَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَوِيثِ - لِبَشْرِ بْنِ مَرْوَانَ :
إِنِّي رَحَلْتُ إِلَى عَمْرِو لِأَعْرِفَهُ إِذْ قِيلَ بَشْرٌ وَلَمْ أَعْدِلْ بِهِ نَسَبًا
فَتَسَكَّرَ الْمَدُوحَ وَسَلَبَهُ التَّهَامَةَ ؛ وَكَانَ يَنْهِنِي أَنْ يَقُولَ : لِيَعْرِفَنِي .

(١) نقد الشعر : ١١٢ ، الموشح : ٢٢٢ (٢) نقد الشعر : ١١٢ ، الموشح : ٢٢٢

(٣) في نقد الشعر : « فلو أعطاك » ، وفي الموشح : « لو أعطاك » .

(٤) كذا في الأصول ، والذي في نقد الشعر والموشح « عقودا » . والخلنج : كل خطوط

بالوان وأشكال . (٥) نقد الشعر : ١١٢ ، الموشح : ٢٢٣

(٦) المقلات : ناقة تضع واحدا ، ثم لا تحمل ، وامرأة لا يعيش لها ولد .

والنادرُ العجب الذي لا شبه له قولُ عديّ بن الرقاع ، وذكر الله سبحانه ،
فقال (١) :

وكفك سبطة (٢) ونداك غمر . وأنت المرء تفعل ما تقول
فجعل إله امرءًا ، تعالى الله عما يقول :

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي ، قال : أخبرنا أبو العيناء عن الأصمعي قال :
اجتمع جرير والفرزدق عند الحجاج . فقال : من مدحني منكما بشعرٍ يُورِجُ
فيه ويُحسِّن صفتي فهذه الخُلعة له ؛ فقال الفرزدق (٣) :

فمن يأمن الحجاج والطيرُ تنقي عُقوبته إلاَّ ضعيفُ المزائم
فقال جرير (٤) :

فمن يأمن الحجاج أمَّا عقابه فمرءٌ وأمَّا عقده فوثيق
يسرُّ لك البغضاء كلُّ مُنافقٍ كما كلُّ ذي دينٍ عليك شفيق
فقال الحجاج للفرزدق : ما علمت شيئاً ، إنَّ الطير تنفر من الصبي (٥) والخشبة ؛
ودفع الخُلعة إلى جرير .

والجيد في المديح قول زهير (٦) :

هناك أن يستخوُّوا المالَ يخوُّوا وإن يسألوا يعطوا وإن يسروا يعلوا (٧)

(١) الموازنة : ٢ وفيها : « ونداك سح » (٢) رجل سبط اليدين : سخى سمح

(٣) الموشح : ١١٢ (٤) ديوانه : ٣٩٨ ، ٣٩٩

(٥) عبارة الموشح : لأن الطير تنقي كل شيء ، الثوب والصبي .

(٦) الأبيات من قصيدته التي مطلعها :

صحا القلب عن سلمى وقد كان لا يسلو وأقفر من سلمى التعانق فالثقل

ديوانه صفحة ١١٢ ، الممددة ٢ : ١٢٧

(٧) في الديوان : « يستخيلوا المال يخيلوا » . والاستخبال : أن يسألوهم شيئاً
فيملنكوهم إياه .

وفيهـم مَقَامَاتٌ حِسَانٌ وَجُوهُهَا وَأَنْدَبَةٌ يَنْتَابُهَا الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ (١)
فلما اسْتَمَّ وَصَفَهُمْ بِحُسْنِ الْمَقَالِ ، وَتَصَدِّقِ الْقَوْلِ بِالْفِعْلِ ، وَصَفَهُمْ بِحُسْنِ
الوجوه .

ثم قال :

عَلَى مُكْتَرِيهِمْ حَقٌّ مَنْ يَمْتَرِيهِمْ وَعِنْدَ الْمُقْلِينَ السَّمَاحَةُ وَالْبَدَلُ (٢)
فلم يُخْلَ مُكْتَرِياً وَلَا مُقْلَاً مِنْهُمْ مِنْ بَرٍّ وَفَضْلٍ .

ثم قال :

فإِنْ جِئْتَهُمْ أَلْفَيْتَ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ مَجَالِسَ قَدْ يُشْفَى بِأَحْلَامِهَا الْجَهْلُ
فوصفهم بالحلم .

ثم قال :

وَإِنْ قَامَ مِنْهُمْ قَائِمٌ قَالَ قَاعِدٌ رَشِدَتَ فَلَا غُرْمَ عَلَيْكَ وَلَا خَذَلُ
فوصفهم أيضاً بالتضافر والتعاون .

فلما آتاهم هذه الصفات النفيسة ذكر فضل آبائهم فقال :

وَمَا يَكُ (٣) مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ فَإِنَّمَا تَوَارَثَهُ آبَاةُ آبَائِهِمْ قَبْلُ (٤)
وَهَلْ يُنْبِتُ الْخَطِيئَ إِلَّا وَشِيحُهُ وَتُغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ (٥)
وكقول ذي الرمة (٦) :

إِلَى مَلِكٍ (٧) يَغْلُو الرِّجَالَ بِفَضْلِهِ كَمَا بِهِرَ (٨) الْبَدْرُ النُّجُومَ السَّوَارِيَا
فَمَا مَرَّتْ الْجِيرَانُ (٩) إِلَّا جِفَانُكُمْ (١٠) تَبَارُونَ أَنْتُمْ وَالرِّيَّاحُ تَبَارِيَا

(١) المقامات : المجالس . والندى : المجلس . ينتابها القول والفعل : يقال فيها الجليل وفعل .

(٢) يمتريهم : يطلب منهم . (٣) في الديوان : « فا كان من خير » .

(٤) توارثه : ورثه كابر عن كابر . (٥) الخطى : الرماح . والوشيح : القنا .

(٦) ديوانه ٩٤ ، ٩٥ . (٧) في الديوان : لدى ملك . (٨) في الديوان : كما بهير .

(٩) في الديوان : فامربع . (١٠) الجفان : القصاص .

أخذه بعضهم ، فقال وأحسن :

رَأَيْتُمْ بَقِيَّةَ حَيٍّ قَدِيسٍ

تُبَارِزُونَ الرِّيحَ إِذَا تَبَارَتْ

يَذْكُرْنِي مَقَامِي فِي ذُرَاكُم

وكقول الراعي :

إِنِّي وَإِيَّاكَ وَالشَّكْوَى الَّتِي قَصَرَتْ

كَلَامُكَ وَالظَّالِمُ الصَّدْيَانُ يَطْلُبُهُ

ضَافِي الْمَطِيَّةِ ، رَاجِعِهِ وَسَائِلُهُ

وقول مروان بن أبي حفصة (١) :

بَنُو مَطَرٍ يَوْمَ اللَّقَاءِ كَأَنَّهُمْ

هَمُّ الْمَانِعُونَ (٢) الْجَارَ حَتَّى كَأَنَّمَا

بِهَالِكٍ فِي الْإِسْلَامِ سَادُوا وَلَمْ يَسْكُنْ

هَمُّ الْقَوْمِ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دُعُوا

وَلَا يَسْتَطِيعُ الْغَائِلُونَ فَعَالَهُمْ

ثَلَاثُ بَأْمَثَالِ الْجِبَالِ حِبَاهُمْ

وكقول الآخر :

عَلَّمَ الْغَيْثَ النَّدَى حَتَّى إِذَا

فَلَهُ الْغَيْثُ مُقِرٌّ بِالنَّدَى

وكقول الآخر :

شَبِهَ الْغَيْثُ فِيهِ وَاللَّيْثُ وَالْأ

وَهَضْبَتُهُ الَّتِي فَوْقَ الْهَضَابِ

وَتَمْتَثِلُونَ أَفْعَالَ السَّحَابِ

مَقَامِي أَمْسٍ فِي ظِلِّ الشَّيْبَابِ

خَطَرِي وَبَابِكَ وَالْوَجْدُ الَّذِي أَجِدُ

وَهُوَ الشِّفَاءُ لَهُ لَوْ أَنَّهُ يَرُدُّ

سَيِّئَانِ ، أَفْلَحَ مَنْ يُعْطَى وَمَنْ يَعِدُّ

أَسْوَدُ لَهُمْ فِي غِيلِ خَفَّانٍ (٢) أَشْبَلُ

لِجَارِهِمْ فَوْقَ السَّمَاءِ كَيْنَ مَنَزِلُ

كَأَوَّلِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَوَّلُ

أَجَابُوا وَإِنْ أُعْطُوا أَطَابُوا وَأَجْزَلُوا

وَإِنْ أَحْسَنُوا فِي النَّائِبَاتِ وَأَجْمَلُوا

وَأَحْلَاهُمْ مِنْهَا لَدَى الْوِزْنِ أَثْقَلُ

مَا حَكَاهُ عَلَّمَ الْبَاسَ الْأَسَدُ

وَلَهُ اللَّيْثُ مُقِرٌّ بِالْجِلْدِ

بَدْرٌ فَسَمَحٌ وَمِجْرَبٌ وَجَمِيلُ

(١) العمدة ٢ - ١٣٤ . (٢) خفان : مأسدة . (٣) في العمدة : هم يمنعون .

ومع ما ذكرناه فإنه لا ينبغي أن يخلو المدح من مناقب آباء المدوح ، وتقرىظ من يعرف به وينسب إليه .

وأنشد أبو الخطاب الفضل بن يحيى :

وَجَدُ لَهُ يَا بَنَ أَبِي عَلِيٍّ بِنْفَحَةٍ مِنْ مَلِكٍ سَخِيٍّ
فَإِنَّهُ عَوْدٌ عَلَى بَدِيٍّ فَإِنَّمَا الْوَسْمِيُّ بِالْوَلِيِّ^(١)

فقال الفضل : بِنْفَحَةٍ مِنْ نَفْحِ بَرْمَكِي ؛ فجعله كذلك .

وأنشده مروان بن أبي حفصة :

نَفَرَتْ فَلَا شَلَّتْ يَدُ خَالِدِيَّةٍ رَقَّتْ بِهَا الْفَتَقُ الَّذِي بَيْنَ هَاشِمٍ
فقال له الفضل : قل برمكية ؛ فقد يشركننا في خالد بشر كثير ، ولا يشركننا في بَرْمَكٍ أَحَدٌ .

والهجاء أيضا إذا لم يكن يسلب الصفات المستحسنة التي تختصها النفس ؛ ويثبت الصفات المستهجنة التي تختصها أيضا لم يكن مختاراً .

والاختيار أن يُنسب المهجور إلى اللؤم والبخل والشر وما أشبه ذلك .
وليس بالمختار في الهجاء أن ينسبه إلى قُبْحِ الْوَجْهِ وَصِفَرِ الْحِجَمِ وَضَوْوَةِ الْجِسْمِ ؛ يدل على ذلك قول القائل^(٢) :

فَقُلْتُ لَهَا : لَيْسَ الشُّحُوبُ عَلَى الْفَتَى بِمَاكِ وَلَا خَيْرُ الرِّجَالِ سَمِينُهَا
وقول الآخر :

تَنَالُ الْخَيْرَ مِمَّنْ تَزْدَرِيهِ وَيُخْلِفُ ظَنُّكَ الرَّجُلُ الطَّرِيْرُ
وقول الآخر^(٣) :

رَأَوْهُ فَازْدَرَوْهُ وَهُوَ خِرْقٌ وَيَنْفَعُ أَهْلَهُ الرَّجُلُ الْقَبِيحُ

(١) الوسمي : مطر أول الربيع . والولي : مطر بعد مطر .

(٢) نقد الشعر : ١١٣ . (٣) نقد الشعر : ١١٣ .

وذكر السموءل أن قلة المدد ليست بميب ، فقال^(١) :
تُعِيرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا فقلتُ لها إِنَّ الْعِزَّامَ قَلِيلٌ
وَمِنَ الْهَيْجَاءِ الْجَيِّدُ قَوْلُ بَعْضِهِمْ^(٢) :
اللُّؤْمُ أَكْرَمُ مِنْ وَبَرٍ وَوَالِدَةٍ
قَوْمٌ إِذَا مَا جَنَى جَانِبَهُمْ أَمِنُوا مِنَ لُؤْمٍ أَحْسَابِهِمْ أَنْ يُقْتَلُوا قَوْدًا^(٣)
وقول أعشى باهلة^(٤) :
بَنُو تَيْمٍ قَرَارَةٌ كُلُّ لُؤْمٍ
وتبعه أبو تمام ، فقال^(٥) :
مُلِقَى الرَّجَاءِ وَمُلِقَى طَارِخِ الْخَلِّ فِي نَفَرٍ
أَضْحَوْا بِمُسْتَنَ^(٦) سَبِيلَ اللُّؤْمِ^(٧) وَارْتَقَعَتْ
ونقله إلى موضع آخر ، فقال^(٨) :
كَذَلِكَ لِكُلِّ سَائِلَةٍ قَرَارٌ
وكانت زفرة^(٩) ثم اطمانت
وقول الآخر^(١٠) :
لَوْ كَانَ يَخْفَى عَلَى الرَّحْمَنِ خَافِيَةٌ
من خَلْقِهِ خَفِيَتْ عَنْهُ بَنُو أَسَدٍ
وقول الحكم الحضري^(١١) :
أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ رُقِمُوا بِلُؤْمٍ كَمَا رُقِمَتْ بِأَذْرُعِهَا الْحَمِيرُ

(١) شعراء اليهود : ٢٢ ، قد الشعر : ٥٦ ، ١١٣ . (٢) قد الشعر : ٥٨ .
(٣) بقصاص . (٤) قد الشعر : ٥٧ . (٥) القرارة : ما بقي في القدر بعد الغرف
منها . والقرار : المستقر من الأرض . وعجز البيت في قد الشعر : * لكل مصب سائلة قرار *
(٦) ديوانه : ٢٥٠ ، وقد الشعر : ٥٧ (٧) المستن : المنصب . المضاب : المرتفعات .
(٨) في الديوان : أضحوا بمستن سيل الدم (٩) ديوانه : ١٤١ ، قد الشعر : ٥٧
(١٠) في الديوان : وكانت لوعة (١١) قد الشعر : ٥٧
(١٢) قد الشعر : ٥٧

ومن خبيث الهجاء قول الآخر^(١) :

إِنْ يَغْدِرُوا أَوْ يَجْبُنُوا أَوْ يَخْلُوا لَا يَجْفُلُوا^(٢)

يَفْدُوا عَلَيْكَ مَرْجَلِي كَأَنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا

وقول الآخر^(٣) :

لَوْ أَطْلَعَ الْغُرَابُ عَلَى تَمِيمٍ وَمَا فِيهَا مِنَ السَّوْءَاتِ شَابًا^(٤)

وقول مرة بن عدي الفقمسي^(٥) :

وَإِذَا تَسَرَّكَ مِنْ تَمِيمٍ خَصْلَةٌ فَلَمَّا يَسُوءُكَ مِنْ تَمِيمٍ أَكْثَرُ

ومن المبالغة في الهجاء قول ابن الرومي^(٦) :

يُقَرَّرُ عَيْمَى عَلَى نَفْسِهِ وَلَيْسَ يَبَاقِي وَلَا خَالِدٍ

وَلَوْ يَسْتَطِيعُ لَتَقْتِيرَهُ تَنْفَسَ مِنْ مَنْخَرٍ وَاحِدٍ

والناس يظنون أن ابن الرومي ابتكر هذا المعنى ، وإنما أخذه ممن حكاه أبو عثمان

أن بعضهم قبر إحدى عينيه وقال : إنَّ النظرَ بهما في زمانٍ واحدٍ من الإصراف .

وقول البُخْتَرِي^(٧) :

وَرَدَّدْتُ الْعِتَابَ عَلَيْكَ حَتَّى سَنِمْتُ وَآخِرُ الْوُدِّ الْعِتَابُ

وَهَانَ عَلَيْكَ سُخْطِي حِينَ تَفْدُو بِمَرْضٍ لَيْسَ تَأْكُلُهُ الْكِلَابُ

(١) قد الشعر : ٥٦ (٢) كذا البيت الأول في الأصول ، وفي النقد قال : ومن خبيث

الهجاء ما أنشدناه أحمد بن يحيى أيضاً :

إِنْ يَغْدِرُوا أَوْ يَفْجُرُوا أَوْ يَخْلُوا لَا يَحْفَلُوا

ثم أورد البيت الثاني كما أورده للؤلؤ .

(٣) قد الشعر : ٥٧ (٤) البيت من شعر العباس بن يزيد السكندی يهاجى جريراً

كما في قد الشعر صفحة ٥٧ وقبله :

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمْ غَضَابًا

(٥) قد الشعر : ٥٧ (٦) ديوانه : ٣٧٥ (٧) ديوانه : ٤٨

ومن خطأ الوصف قول كعب بن زهير^(١) :

* ضَخْمٌ مُقَلَّدُهَا فَعَمٌ مُقَيَّدُهَا *^(٢)

لأن النجائب توصف بدقة المذبح^(٣) .

ومن خطأ اللفظ قول ذى الرمة :

حَتَّى إِذَا الْهَيْقَ أَمْسَى شَامَ أَفْرُخَهُ وَهَنَّ لَامُوسٌ نَابًا وَلَا كَثَبٌ^(٤)

لأنه لا يُقال شَامَ إِلَّا فِي الْبَرْقِ .

ومن ردىء التشبيه قول لبيد^(٥) :

فَتَى يَنْتَقِعُ مُرَاخٌ صَادِقٌ يُخْلِبُهَا ذَاتَ جَرَسٍ وَزَجَلٍ

فَخِمَةٌ ذَفْرَاءُ تَرْتَنِي بِالْعَرَا قُرْدُمَانِيًّا وَتَرَكَا كَالْبَصَلِ

فشبه البيضة بالبصل، وهو بعيد، وإن كانا يتشابهان من جهة الاستدارة لبعدهما

ما بينهما في الحسن .

وقول أبي العيال^(٦) :

ذَكَرْتُ أَخِي فَمَا وَدَّعْنِي صُدَاعُ الرَّأْسِ وَالْوَصَبُ^(٧)

(١) ديوانه : ١٠ (٢) صدر بيت من قصيدته المشهورة بياض سعاد ، وعجزه :

* فِي خَلْقِهَا عَنْ بَنَاتِ الْفَحْلِ تَفْضِيلٌ * الْمَقْلَدُ : الرِّقْبَةُ . وَالْفَعْمُ : الْمَتْلَى . وَالْمَقِيدُ : مَوْضِعُ الْقَيْدِ مِنْ

رَجُلِ الْفَرَسِ . (٣) قال السكري في شرح ديوان كعب : قال الأصمعي : هذا خطأ من الصفة

لأنه قال هي غليظة الرقبة ، وخير النجائب ما يدق مذبذب ويعرض منحرف ويدق أعلى عنقه (صفحة ١١)

(٤) الهيق : الظليم ، والأنتى هيقة (٥) الموشح : ٨٧ ، اللسان - مادة : رتن

ومادة تقع وقردم وذفر ، وقد اختلفت روايات النسخ في هذين البيتين ، وهذه هي رواية اللسان .

ينتقع : يرتفع ، وقيل يدوم ويثبت ، والضمير في محلبوها للحرب وإن لم يذكره لأن في الكلام

دليلا عليه ، أحلبوها الحرب : أى جمعوا لها . الرجل : الجلبة ورفع الصوت . الذفر : من الدفر

وهو النتن ، وفي إحدى روايتي اللسان مادة قردم ومادة ذفر : بالذال المعجمة وهو سهك صدأ الحديد

وقوله : ترتنى - من الرتن ، وهو الشد . وعدنى ترتنى إلى مفعولين لأن فيه معنى تكسى .

والقردمانية : الدروع الغليظة . (٦) أشعار الهذليين ٢ : ٢٤٢ ، والموشح ٩٠ .

(٧) الوصب : الوجع ، وهو النصب والتعب أيضاً .

فَذِكْرُ الرَّاسِ مَعَ الصَّدَاعِ فَضْلٌ ، لَأَنَّ الصَّدَاعَ لَا يَكُونُ فِي الرَّجُلِ وَلَا فِي غَيْرِهَا .
مِنَ الْأَعْضَاءِ . وَفِيهِ وَجْهُ آخَرُ مِنَ الْعَيْبِ ؛ وَهُوَ أَنَّ الذَّاكِرَ لَا قَدْ فَاتَ مِنْ مَحْبُوبِهِ
يُوصَفُ بِأَلَمِ الْقَلْبِ وَاحْتِرَاقِهِ لَا بِالصَّدَاعِ .

وَقَوْلُ أَوْسَ بْنِ حَجَرَ (١) :

وَهُمْ لِمَقْلٍ الْمَالِ أَوْلَادُ عَمَّةٍ وَإِنْ كَانَ مَحْضًا فِي الْعُمُومَةِ مَخُولًا
فَقَوْلُهُ : « الْمَالِ » مَعَ الْمَقْلِ فَضْلٌ .

وَقَوْلُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْخَزْرَجِيِّ (٢) :

قِيدَتْ قَدِيدٌ لَنْ حَاذَاهَا (٣) وَحَارَكُهَا وَالْقَلْبُ مِنْهَا مُطَارُ الْقَلْبِ مَذْعُورُ (٤)
فَمَا سَمِعْنَا بِأَعْجَبَ مِنْ قَوْلِهِ : فَالْقَلْبُ مِنْهَا مُطَارُ الْقَلْبِ .
وَقَوْلُ الْآخَرِ : (٥)

أَلَا حَبْدًا هِنْدًا وَأَرْضٌ بِهَا هِنْدٌ وَهِنْدٌ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ وَالْبُعْدُ

فَقَوْلُهُ : « النَّأْيُ » مَعَ « الْبُعْدِ » فَضْلٌ ، وَإِنْ كَانَ قَدْ جَاءَ مِنْ هَذَا الْجَنَسِ فِي
كَلَامِهِمْ كَثِيرٌ ، وَالْبَيْتُ فِي نَفْسِهِ بَارِدٌ .

وَمِنْ عيوبِ اللَّفْظِ ارتكَابُ الضَّرُورَاتِ فِيهِ كَمَا قَالَ التَّلَاسُ (٦) :

إِنْ تَسْلُكِي سُبُلَ الْمَوْتِ مَنْجِدَةٌ مَا عَاشَ عَمَرٌ وَمَا عُمِرَتْ قَابُوسُ (٧)

(١) الموشح : ٩٠ (٢) الموشح : ٩٠ (٣) في الموشح : وقد لَانِ هَادِيهَا .
الْحَاذَانِ : مَا وَقَعَ عَلَيْهِ الذَّنْبُ مِنَ الْفَخْذَيْنِ . وَالْحَارَكُ : أَعْلَى السَّكَالِ . وَقِيلَ : هُوَ مَنْبَتٌ أَذَى الْعَرَفِ
لِأَنَّ الظُّلْمَ الْقَدِيمَ يَأْخُذُ بِهِ الْفَارِسُ إِذَا رَكِبَ . وَقِيلَ : هُوَ عَظْمٌ مَشْرُفٌ مِنْ جَانِبِ السَّكَالِ .
(٤) في الموشح : مُطَارُ الْقَلْبِ مَذْعُورُ (٥) الموشح : ٩١ ، وَنَسَبَهُ إِلَى الْحَطِيبَةِ فِيهِ .
(٦) الموشح : ٩١ ، وَمَعْجَمٌ مَا اسْتَعْجَمَ ١ : ٢٨٤ . (٧) المَوَامَّةُ : الْغَاظَةُ ، وَقِيلَ :
الَّتِي لَا مَاءَ فِيهَا وَلَا أَنْيَسَ . وَعَمَرُو ، وَقَابُوسُ : هُمَا ابْنَا الْمَنْزَرِ بْنِ مَاءِ السَّمَاءِ . وَالْبَيْتُ فِي مَعْجَمِ
مَا اسْتَعْجَمَ : ١ - ٢٨٤ :

لَنْ تَسْلُكِي سُبُلَ الْبُؤْسِ مَنْجِدَةٌ مَا عَاشَتْ عَمْرُو وَمَا عُمِرَتْ قَابُوسُ
وَقَالَ : الْبُؤْسُ ثَنِيَّةٌ فِي طَرِيقِ نَجْدٍ يَنْحَدِرُ مِنْهَا رَاكِبُهَا إِلَى الْعِرَاقِ .

أراد [ما عاش عمرو]^(١) وما عمر قابوس .

وقول الأعشى^(٢) - حكاه بعض الأدباء وعابه :

مِنَ الْقَاصِرَاتِ سُجُوفَ الْحِجَا لِ لَمْ تَرِ شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا

قال : لا تُوضَعُ الشَّمْسُ مع الزَمْهَرِيرِ . قال : وكان يجب أن يقول ، لَمْ تَرِ شَمْسًا

وَلَا قَمَرًا ، وَلَمْ يُصْنَهَا حَرْفٌ وَلَا قَرٌ ، وقد أخطأ لأنَّ القرآن قد جاء فيه موضعُ هاتين

اللفظتين معاً .

ومن المطابقة أن يتقارب التضاد دون تصريحه ، وهذا كثير في كلامهم . وقد

أوردناه في باب الطباق .

وكقول علقمة^(٣) :

يَحْمِلُنْ أَتْرُجَةً نَضَحُ الْعَبِيرِ بِهَا كَأَنَّ تَطْيَابَهَا فِي الْأَنْفِ مَشْمُومٌ

والتطياب ها هنا على غاية السماجة . والطيب أيضاً مشموم لا محالة ، فقوله :

كَأَنَّهُ مَشْمُومٌ هُجْنَةً . وقوله : فِي الْأَنْفِ أَهْجَنُ ؛ لأنَّ الشَّمَّ لَا يَكُونُ بِالْعَيْنِ .

وقول عامر بن الطفيل^(٤) :

تَنَاوَلْتُهُ فَاحْتَلَّ سَيْفِي ذُبَابُهُ مَرَّاشِيفَهُ الْعُلْيَا وَجَذَّ الْمَعَاصِمَا^(٥)

وهذا البيت على غاية التكلف .

وقول خفاف بن ندبة^(٦) :

إِنْ تُعْرِضِي وَتَضْنِي بِالنَّوَالِ لَنَا تَوَاصِلِينَ^(٧) إِذَا وَاصَلْتَ أَمْثَالِي

وكان ينبغي أن يقول : إِنْ تَضْنِي بِالنَّوَالِ عَلَيْنَا ، عَلَى أَنَّ الْبَيْتَ كُلَّهُ مُضْطَرَبٌ

النَّسْجُ .

(١) الزيادة من الموشح . (٢) الموشح : ٩١ ، ويفهم من سياق كلامه أن البيت للعنفس .

(٣) في الموشح : وقوله : ٩١ (٤) الموشح : ٩٦ (٥) ذباب السيف : طرفه الذي يضرب به

أو حده . والمراسيف ، واحده شرسوف : أطراف أضلاع الصدر التي تشرف على البطن .

(٦) الموشح : ٩١ . (٧) في الموشح : فواصلين .

وقول الخطيئة^(١) :

صفوف وماذئ الحديد عليهم وبيض كأولاد النعام كثيف^(٢)
جمل بيض النعام أولادها .

ومن عيوب اللفظ استعماله في غير موضعه المستعمل فيه ، وحمله على غير وجهه
المعروف به ؛ كقول ذى الرمة^(٣) :

نغار إذا ما الروع أبدى عن البرى ونقرى عبيط اللحم والماء جامس
لا يقال : ماء جامس ، وإنما يقال : ودك جامس .

وقول جرير^(٥) :

لما نذ كرت بالديرين أرقني صوت الدجاج وقرع بالنواقيس
قالوا : لا يكون التأريق إلا أول الليل . والدجاج : الديكة ها هنا .

وقول عدى بن زيد في الفرس : «فارها متابما» . لا يقال : فرس فارها ، إنما يقال
بغل فارها .

وقول النابغة^(٦) :

رفاق النعال طيب حجزاتهم يحيون بالريحان يوم السباسب^(٧)
يمدح بذلك ملوكا بأنهم يحيون بالريحان يوم السباسب ، ويوم السباسب يوم
عيد لهم ؛ ومثل هذا لا يمدح به السوقه فضلاً عن الملوك .

(١) الموشح : ٨٩ . (٢) الماذى : الدرع اللينة السهلة . (٣) ديوانه : ٤٦ ،
واللسان — مادة جس . (٤) البرى : مثل الورى لفظاً ومعنى . والجامس : الجامد . والبيت
في الديوان :

نغار إذا ما الروع أبدى عن البرى ونقرى عبيط اللحم والماء جامس
(٥) ديوانه : ٣٢١ . (٦) ديوانه : ١٢ . (٧) يوم السباسب : يوم الشعانين
وهو يوم عيد للنصارى ، وكان الممدوح نصرانياً .

ومنه قوله فيهم (١) :

* وأكسية الإضريح فوق المشاجب (٢) *

جَمَلَ لَهُمُ أَكْسِيَةَ جُمْرًا يَضَعُونَهَا عَلَى مَشَاجِبَ . فَتَرَى لَوْ كَانَ لَهُمُ ذِيَابُجُ أَيْنَ
كَانُوا يَضَعُونَهُ ؛ وَلَيْسَ هَذَا مِمَّا يُمْدَحُّ بِهِ الْمُلُوكُ .

ومن الرديء أيضاً قولُ امرئ القيس (٣) :

أَرَانَا مَوْضِعِينَ لِأَمْرِ غَيْبٍ وَنَسَحَرَ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ
عَصَافِيرَ وَذِبَابًا وَدُودًا وَأَجْرَ مِنْ مُجَلَّحَةِ الذَّنَابِ (٤)
هَذَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُسْتَحْجِبًا ، فَهُوَ عَلَى غَايَةِ الْقَبَاحَةِ فِي اللَّفْظِ وَسُوءِ التَّمَثِيلِ .
وقول بشر :

عَلَى كُلِّ ذِي مَيْمَةٍ سَابِحٍ يَقْطَعُ ذُو أَبْهَرِيهِ الْحِزَامَ (٥)
وإنَّمَا لَهُ أَبْهَرٌ وَاحِدٌ .

ومن الأبيات المارية الخربة من المعاني قولُ جرير للأخطل (٦) :

قَالَ الْأَخِيطَلُ إِذْ رَأَى رَايَاتِكُمْ يَا مَارَ سَرْجَسَ لَا أُرِيدُ قِتَالًا
وَمِنَ الْمُتَنَاقِضِ قَوْلُ عُروَةَ بْنِ أَدِيْنَةَ (٧) :

نَزَلُوا (٨) ثَلَاثَ مِئَتِي بِمَنْزِلِ غَبِيْطَةٍ وَهُمْ عَلَى غَرَضٍ لَعَمْرُكَ مَا هُمْ

(١) ديوانه : ١٢ . (٢) المشاجب : جمع مشجب ، وهو عود ينشر عليه الثوب . وصدر

البيت :

* تحييمهم بيض الولائد بينهم *

قال الأصمعي في معنى البيت : هم ملوك أهل نعمة تخدمهم الإماء البيض الحسان وثيابهم مصونة
بتعليقها على الأعواد . (٣) ديوانه : ١٢٠ ، واللسان - مادة جلع .

(٤) موضعين ، من الإيضاع : ضرب من السير . وذئب مجلح : جرى .

(٥) الميعة من الفرس : أول جريه ونشاطه . وقيل : الميعة من كل شيء : معظمه .

(٦) ديوانه : ٤١٤ . (٧) الموشح : ٢١١

(٨) في الموشح : لبثوا ثلاث .

متجاورين بغير دار إقامة لو قد أجد رحيلهم لم يندموا
فقال : لبثوا في دار غبطة ، ثم قال : لو رحلوا لم يندموا .
ومثله قول جرير^(١) :

فلم أرَ داراً مثلها دارَ غبطةٍ وملقى إذا التف الحبيجُ بمجمع
أقلَّ مقيماً راضياً بمقامه وأكثَرَ جاراً طاعناً لم يودع
وهل يفتبطُ عاقلٌ بمكان من لا يرضى به^(٢) .
وقول جميل^(٣) :

خليلي فإما عشتما هل رأيثما قتيلاً بكى من حُبِّ قاتله مثلي^(٤)
فلو تركتُ عَقْلِي معي ما طلبتها^(٥) ولكن طلايها لِمَا فَاتَ مِنْ عَقْلِي
زعم أنه يهواها لذهاب عقله ، ولو كان عاقلاً ما هويها .
والجيد قول الآخر^(٦) :

وما صرفني أني خلتُ من الهوى ولو أن لي من بين شرقٍ إلى غربٍ
فإن كان هذا الحبُّ ذنبِي إليكم فلا غفر الرَّحْمَنُ ذَلِكَ من ذَنْبِ
وقول الآخر :

أحببتُ قلبي لما أحببكم وصار رأيي لرأيه تبعاً
ورُبَّ قلبٍ يقول صاحبه تبعاً لقلبي فبئس ما صنعا

والجيد في هذا المعنى قول البُخْتَرِي^(٧) :

ويمجِبُنِي فَقْرِي إِلَيْكَ وَلَمْ يَكُنْ لِيُعْجِبُنِي لَوْلَا مَحَبَّتُكَ الْفَقْرُ
وقول المرجي :

من ذِكْرِي لِي وَأَيُّ الْأَرْضِ مَا سَكَنْتُ لِي فَإِنِّي بَثْلُكَ الْأَرْضِ مُحْتَسِبُ

(١) الموشح : ٢١٢ ونسب فيه البتان إلى كثير . (٢) عبارة الموشح : وهل يفتبط
عاقل بمكان ولا يرضى به . (٣) ديوانه : ٤٨ ، والموشح : ١٥٩ .
(٤) في الموشح : قبل . (٥) في رواية للموشح صفحة ١٦٠ : ما بكيتها .
(٦) هو مجنون بن عاصم كما في سر الفصاحة صفحة ٢٤٦ . (٧) ديوانه : ٢١٨ .

ومنه :

مثل الضفادع تفتاقون وحسبهم إذا خلوا وإذا لا قيتهم خرس
وقال ابن داود : من التشبيه الذي لا يقع أبرد منه قول أبي الشيبان :
وناعس لو يذوق الحب ما نعسا بلى عسى أن يرى طيف الجيب عسى
وللهوى جرس ينفى الرقاد به فكما كدت أغفى حرك الجرسا
وقول الآخر :

إن قلبي سئل من غير مرض^(١) وفؤادي من جوى الحب بغرض^(٢)
كجرباب كان فيه جبن دخل الفأر عليه فقرض
وقال عبد الملك يوماً لجلسائه : أعلم أن الأخوص أحمق لقوله :

فما بيضة بات الظليم يحفها ويجعلها بين الجناح وحوصلة
بأحسن منها يوم قالت تدللا تبدل خليلي إنني متبدلة
فما أعجبه وهي تقول هذه المقالة !
والجيد قول أبي تمام^(٣) :

لا شيء أحسن منه ليلة وصله^(٤) وقد اتخذت مخدة من خده
وأنشد عبد الملك قول نصيب^(٥) :
أهيم بدعدي ما حييت فإن أمت فواجزنا من ذا يهيم بها بعدى^(٦)
فقال بعض من حضر : أساء القول ؛ أيجز أن لمن يهيم بها بعده ؟ فقال عبد الملك :
فلو كنت قائلاً ما كنت تقول ؟ فقال :

(١) في ١ ، ب : « إن جسمي » . (٢) الغرض : الضجر والملال .
(٣) ديوانه : ٤٤٠ (٤) في الديوان : ليلة وصلنا . (٥) الموشح : ١٨٩ ، ١٦٠ .
(٦) فوط : ممن يهيم .

أَهِيْمُ بَدْعِدِ مَا حَيَّيْتُ فَإِنْ أُمْتُ ^(١) أَوْ كَلُّ بَدْعِدِ مَنْ يَهِيْمُ بِهَا بَعْدِي
فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : أَنْتَ وَاللَّهِ أَسْوَأُ قَوْلًا ؛ أُنَوِّكُلُ مِنْ يَهِيْمُ بِهَا ! ثُمَّ قَالَ :
الْجَيِّدُ ^(٢) :

أَهِيْمُ بَدْعِدِ مَا حَيَّيْتُ ^(١) فَإِنْ أُمْتُ فَلَا صَلَاحَتَ دَعْدَ لِيذِي خُلَّةٍ بَعْدِي
وَأَخَذَ الْأَصَمِيُّ عَلَى الشَّامِخِ قَوْلَهُ ^(٣) :

* رَحَى حَيَزُومِهَا كَرَحَى الطَّاحِنِ ^(٤) *

وَقَالَ : السَّعْدَانَةُ ^(٥) تَوْصِفُ بِالضَّغَرِ . فَقَالَ مَنْ احْتَجَّ لِلشَّامِخِ : إِنَّمَا شَبَّهَهَا بِالرَّحَى
لَصَلَابَتِهَا ^(٦) ، كَمَا قَالَ :

* قَلَائِصُ يَطْحَنُ الْحَصَى بِالْكَرَاكِ ^(٧) *

وَمِنَ الْمَعْبُودِ قَوْلُ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ هَذَا ^(٨) :

أَوَمْتُ بِكَفَيَّهَا مِنَ الْهُودَجِ لَوْلَاكَ فِي ^(٩) ذَا الْعَامِ لَمْ أَحْجُجْ
أَنْتَ إِلَى مَكَّةَ أَخْرَجْتَنِي حُبًّا وَلَوْلَا أَنْتَ لَمْ أَخْرُجْ
لَا يُبْنَى الْإِيمَاءُ عَنْ هَذِهِ الْمَعَانِي كُلِّهَا .
وَنَحْوُهُ قَوْلُ الْمُثَنَّبِ الْعَبْدِيِّ ^(١٠) :

(١) رواية الموشح ١٨٩ : * تحبكم نفسى حياتى فإن أمت *

(٢) الموشح : ١٦٠ ، ١٨٩ . (٣) ديوانه : ٩٢ ، واللسان — مادة رحنى .

(٤) الرحنى : الأولى كركرة البعير والناقة ؛ أى زور البعير الذى إذا برك أصابت الأرض وهى
ناشئة عن جسمه كالفرصة . وقيل : هى الصدر من كل ذى خف . والخيزوم : الصدر ، وقيل :
الوسط . وصدر البيت كما فى اللسان : * فنعم المعترى ركدت إليه * مادة رحنى . وصدره
فى الديوان : * فنعم المرتجى ركدت إليه *

(٥) السعدانة : الرحنى . (٦) عبارة شارح ديوانه : شَبَّهَهَا بِالرَّحَى فى الصلابة

لَا فى العظم لأنه يعاب فى الإبل . (٧) القلائص ، جمع فلوس ؛ وهى الفتية من الإبل .

(٨) الموشح : ٩٢ . (٩) فى الموشح : لَوْلَاكَ هَذَا الْعَامِ . (١٠) الموشح : ٩٢ ،

واللسان — مادة درأ ، ووضن .

تقول إذا درأت لها وضيئي أهذا دينه أبدأ وديني^(١)
أكل الدهر حلًّا وارتحالًا أما يُبقي عليَّ ولا يقيسي .
والذي يقارب الصواب قول عنتره^(٢) :

فأزور من وقع القنأ بلبانه وشكا إليَّ بعبرةٍ ونحْمهم
لو كان يذري ما المحاوره أشتكى ولسان لو علم الكلام مُكَلَّمي
ومن النسب الرديء قول نصيب^(٣) :

فإن تصلِّي أصلك وإن تعودى لهجر^(٤) بعدد وصلك لا أبالي
وذلك أن التجلّد من الماشق مذموم . وفي خلاف ذلك قول زهير^(٥) :
لقد باليت مطّعن أمّ أوفى ولكن أمّ أوفى لا تبالي
وقول عمر بن أبي ربيعة^(٦) :

قالت لها أختها تعاتبها^(٧) لا تُفسدن الطّواف في عمر
قومي تصدّي له ليُبصرنا^(٨) ثم اغمزي به يا أخت في خفر^(٩)
قالت لها قد غمرته فأني ثم اسبكرت تشتد في أري^(١٠)

فشبّ بنفسه ووصفها بالقحّة ، وناقض في حكايته عن صاحبها : فذكر نهيا
إياها عن إفساد الطّواف فيه ، ثم إنهما قالت لها : « قومي انظري » .

- (١) درأت وضيئ البعير : إذا بسطته على الأرض ، ثم أبركته عليه لتشدّه به . والوضين :
بطان عريض منسوج من سيور أو شعر يشد به الرجل على البعير . وفي اللسان - مادة وضن :
* أهذا دأبه أبدأ وديني * (٢) ديوانه : ٨٦ ، والموشح : ٩٢
(٣) الموشح : ١٦٣ ، وسر الفصاحة : ٢٤٦ (٤) في سر الفصاحة : وإن تبيني
بهجر ، وفي الموشح : وإن تبيني بصرمك قبل وصلك . (٥) ديوانه : ١٤٢ .
(٦) الموشح : ١٦٢ ، ١٦٣ ، العمدة : ٢ ، ١١٨ (٧) رواية الموشح :
* قالت لرب لها تعاتبها * قال : ويروى : * قالت لأخت لها تعاتبها *
(٨) في رواية : تصدى له ليعرفنا . (٩) الخفر : شدة الحياة .
(١٠) المسبكر : المسترسل ، ورواية الموشح : « اسبكرت » .

ومما جاء في ذلك من أشعار المحدثين قول بشر^(١) :

إِنَّمَا عَظُمُ سُلَيْمَى حَبَّتِي^(٢) قَصَبُ السَّكْرِ لَا عَظَمَ الْجَلْدِ
وَإِذَا أَذْنَيْتَ مِنْهَا^(٣) بَصَلًا غَلَبَ الْمِسْكُ عَلَى رِيحِ الْبَصَلِ
وقوله^(٤) :

* وبعض الجود خنزير *

ومن المعاني البشعة قول أبي نواس^(٥) :

يَا أَحْمَدُ الْمُرْتَجَى فِي كُلِّ نَائِيَةٍ قُمْ سَيِّدِي نَعِصْ جَبَّارَ السَّمَوَاتِ
فهذا مع كفره ممقوت .
وكذا قوله :

* لو أكرت التسبيح ما نجا *

وقوله^(٦) :

* من رسول الله من نفره *

وقد تبع في هذا القول حسان بن ثابت في قوله^(٧) :

أَكْرِمَ بَقَوْمٍ رَسُولُ اللَّهِ شِعْرَهُمْ إِذَا تَفَرَّقَتِ الْأَهْوَاءُ وَالشَّيْعُ
والخطأ من كل واحد خطأ .
وقول أبي نواس أيضاً^(٨) :

* أحب قريشاً لحب أحدها *

وقوله^(٩) :

تَنَازَعَ الْأَحْمَدَانِ الشُّبَّةَ فَاشْتَبَهَا خَلَقًا وَخُلُقًا كَمَا قَدْ شَرَّكَانِ

(١) الموشح : ٢٤٨ ، ٢٥٠ . (٢) في الموشح : خلتي . وحبتي : محبوبتي ، وفي

رواية له * إن سليمان خلقت من قصب * (٣) في الموشح رواية : مني بصلا .

(٤) الموشح : ٢٥٠ . (٥) الموشح : ٢٦٩ .

(٦) ديوانه : ٦٨ . وصدرة : * كيف لا يدنيك من أمل * (٧) ديوانه : ٢٥٠ .

(٨) ديوانه : ١٥٧ ، وتاماته : * وأمر لها الجزل من مواهبها * (٩) الموشح : ٢٦٩ .

فزعهم أن ابن زُبَيْدَةَ^(١) مثلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في خَلْقِهِ وَخُلُقِهِ .

ومثل ذلك قول أبي الخلال في يزيد بن معاوية :

يَا أَيُّهَا الْمَيِّتُ بِحَوَارِينَا إِنَّكَ خَيْرُ النَّاسِ أَجْمَعِينَ .

وقول أبي العتاهية :

غَفِيتَ عَنِ الْوَصْلِ الْقَدِيمِ غَدِيتَا وَضَيَّعْتَ وُدًّا كَانَ لِي وَنَسِيتَا^(٢)

وَمِنْ أَعْجَبِ الْأَشْيَاءِ^(٣) أَنْ يَمَاتَ مَا لَفِيَ وَمَنْ كُنْتَ تَرَ عَانِي^(٤) لَهُ وَبَقِيَّتَا

تَجَاهَلْتَ عَمَّا كُنْتَ تَحْسِنُ وَصَفَهُ وَمَتَّ عَنْ الْإِحْسَانِ حِينَ حَيِّيتَا

وليس من العجَب أن يموت إنسان ويبقى بعده إنسان آخر ؛ بل هذه عادة الدنيا

والمعمود من أمرها ، ولو قال : « من ظلم الأيام » كان المعنى مُسْتَوْبَا .

وسمعتُ بعضَ العلماء يَقُولُ : ومن المعاني الباردة قولُ أبي نواس في صفة البازي :

فِي هَلَمَةٍ عَلِيَاءَ تُهْدِي مَسْرًا كَمُطْفِئَةِ الْجِيمِ بِكَفٍّ أَعْسَرَا

فَهَذَا جَيِّدٌ مَلِيحٌ مُسْتَوٍ فِي .

ثم قال :

يَقُولُ مَنْ فِيهَا بِمَقْلٍ فَسَكَّرَا لَوْ زَادَهَا عَيْنًا إِلَى فَاءٍ وَرَا

* فَاتَّصَلَتْ بِالْجِيمِ صَارَ جَعْفَرَا *

فمن يجهل أن الجيم إذا أُضِيفَ إِلَيْهَا الْعَيْنُ وَالْفَاءُ وَالرَّاءُ تَصِيرُ جَعْفَرَا .

وسواء قال هذا ، أو قال :

لَوْ زَادَهَا حَاءً إِلَى دَالٍ وَرَا فَاتَّصَلَتْ بِالْجِيمِ صَارَ جَعْدَرَا

وَمَا يَدْخُلُ فِي صِفَةِ الْبَازِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ .

(١) قد قال هذا الشعر في الأمين . (٢) في ديوانه : * وَضَيَّعْتَ عَهْدًا كَانَ لِي وَنَسِيتَا *

(٣) في الديوان : وَمِنْ عَجَبِ الْأَيَّامِ . (٤) وَمَنْ كُنْتَ تَقْشَانِي بِهِ .

وتبعه أبو تمام فقال^(١) :

هُنَّ الْحَمَامُ فَإِنْ كَسَرْتَ عِيَافَةً مِنْ حَائِنٍ فَلَيْسَ بِهِنَّ حَمَامٌ^(٢)
فمن ذا الذى جهل أن الحمام إذا كُسرَتْ حَاوُها صارت حَمَامًا .

وإنما أراد أبو نواس أنه يشبه الجيم لا يُعَادِرُ من شَبَهِهَا شَيْئًا ، حتى لو زِدَتْ عليها هذه الأحرف صارت جعفرًا لشدّة شَبَهِهَا به ، وهو عندى صوابٌ ، إلا أنه لو اكتفى بقوله : « كمطفة الجيم بكف أعسرا » ولم يَزِدْ الزيادة التى بعدها كان أجود ، وأرشق وأدْخَلَ فى مذاهب الفصحاء ، وأشبه بالشعر القديم .

وأما قولُ أبى تمام فله معنى خِلافُ مَا ذكره ، وذلك أنه أراد أنك إذا أردت الزَجَرَ والعِيَافَةَ أَذَاكَ الْحَمَامُ إِلَى الْحَمَامِ ، كما أن صَوْتَهَا الذى يُظَنُّ أنه بكاء إنما هو طَرَبٌ ، ويؤدِّيك إلى البكاء الحقيقى^(٣) ؛ وهذا المعنى صحيح ؛ إلا أن المعنى إذا صار بهذه المنزلة من الدقّة كان كالعمى ؛ والتعمية حيثُ يرادُ البيانُ عِثٌّ .
ومن عيوب المعنى قولُ أبى نواس فى صفة الأسد^(٤) :

كأنما عينه إذا نظرت بارزة الجفن عينٌ مخنوق
فوصف عين الأسد بالجُحُوظ ، وهى تُوصَفُ بالغُور ؛ كما قال الرّاجز^(٥) :

* كأنما ينظر من خرّق حَجَرٌ *

وكقول أبى زبيد :

كأن عينيه فى وقبين من حجرٍ قِيضًا اقتياضًا بأطرافِ المَنَاقِيرِ^(٦)

(١) ديوانه : ٢٧٩ . (٢) الحمام ، بكسر الحاء : الموت .

(٣) هذا إشارة إلى معنى يتبين سبقا هذا البيت وما :

انحدرت عبرات عينك إن دعت ورقاء حين تضعض الإظلام
لا تشجين لها فأت بكاءها ضحك وإن بكاءك استغرام

(٤) الشعر والشعراء ٧٧٥ ، والديوان ٩٠ (٥) أراجيز العرب : ٢٢ ، والراجز هو حميد

الأرقط : وروايته هناك * كأنما عيناه فى حرفى حجر *

(٦) الشعر والشعراء ٧٧٥ ، الوقب فى الحجر : نقرة يجتمع فيها الماء . وقِيضًا : حفرا .

وقوله أيضا :

وَعَيْنَانِ كَالْوَقَيْنِ فِي قَلْبِ صَخْرَةٍ يُرَى فِيهِمَا كَالْجُرْتَيْنِ تَسْمُرُ
وَأُنْشَدَ مِرْوَانَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ مِمَّا رَأَى بَنِي عَقِيلٍ بَيْتَهُ فِي الْمَأْمُونِ (١) :

أَضْحَى إِمَامُ الْهُدَى الْمَأْمُونُ مُشْتَمِلًا بِالْدِّينِ وَالنَّاسُ بِالدُّنْيَا مَشَاعِلُ
فَقَالَ لَهُ : مَا زِدْتَهُ عَلَى أَنْ وَصَفْتَهُ بِصَفَةِ عَجُوزٍ فِي يَدِهَا مَسْبَاحُهَا ؛ فَهَلَا قُلْتَ :

كَأَنَّ قَالَ جَدِّي فِي عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ :

فَلَا هُوَ فِي الدُّنْيَا مُضِيعٌ نَصِيبُهُ وَلَا عَرَضُ الدُّنْيَا عَنْ الدِّينِ شَاغِلُهُ
وَمَنْ التَّلَطَّ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ (٢) :

رَقِيقُ حَوَائِي الْجِلْمِ لَوْ أَنَّ حِلْمَهُ بِكَفَيْكَ مَا مَارَيْتَ فِي أَنَّهُ بُرْدٌ (٣)
وَمَا وَصَفَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ وَلَا أَهْلِ الْإِسْلَامِ الْجِلْمَ بِالرِّقَّةِ ، وَإِنَّمَا يَصِفُونَهُ
بِالرَّجْحَانِ وَالرِّزَانَةِ ؛ كَمَا قَالَ النَّابِغَةُ (٤) :

وَأَعْظَمُ أَخْلَامًا وَلَوْ كَبُرَ سِيدَا وَأَفْضَلُ مَسْفُوعًا إِلَيْهِ وَشَافِمَا

وَقَالَ الْأَخْطَلُ (٥) :

صَمٌّ عَنِ الْجَهْلِ عَنِ قَيْسِ الْخَنَازِرِ وَإِنْ أَلَمْتَ بِهِمْ مَكْرُوهَةٌ صَبْرُوا (٦)
شَمْسُ الْعِدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَخْلَامًا إِذَا قَدَرُوا
وَقَالَ أَبُو ذُوَيْبٍ (٧) :

وَصَبْرُهُ عَلَى حَدَثِ النَّائِبَاتِ وَحِلْمُهُ رَزِينٌ وَعَقْلُهُ ذَكِيٌّ

(١) سر الفصاحة ٢٤٨

(٢) ديوانه : ١٢١ ، الموازنة : ٦٣ . (٣) في الديوان : لو ن خلقه . ماريت : جادلت .

(٤) ديوانه : ٧٤ . (٥) الشعر والشعراء : ٤٧٠ ، الموازنة : ٦٣

(٦) رواية البيت في الشعر والشعراء :

حشد على الحق عيافو الحنا أنف إذا ألت بهم مكروهة صبروا

(٧) أشعار الهذليين : ١ : ٦٨ ، الموازنة : ٦٣ .

وقال عدي بن الرقاع^(١) :

أبت لكم موطن طيبات وأحلام لكم تزن الجبالا

وقال الفرزدق^(٢) :

إننا توزن بالجبال حلومنا ويزيد جاهلنا على الجهال

ومثل هذا كثير .

وإذا ذموا الرجل قالوا : خف حمله وطاش ، كما قال عياض بن كثير

الضبي^(٣) :

تنابله^(٤) سود خفاف حلومهم ذوو نيرب في الحى يندو ويطرق

وقال عتبة بن هبيرة الأسدي :

أبنو المغيرة مثل آل خويلد ياللرجال لخفة الأحلام

لا ، بل أحسبني سممت بيتا لبعض المحدثين يصف فيه الحلم بالرقعة وليس

بالمختار .

ومن خطئه أيضا قوله^(٥) :

من الهيف لو أن الخلال صيرت لها وشجأ جالت عليها الخلال

ولو قال : «نطقا» لكان حسنا ، وهذا خطأ كبير ، وذلك أن الخلال قد رء في

السمعة معروف ، ولو صار وشجأ للمرأة لكانت المرأة في غاية الدمامة والقصر ، حتى

[لو كانت] هي في خلقة الجرذ والهرة ، ولو قال : «حقبا» لكان جيدا ، كما قال النمرى^(٦) :

ولو قست يوما حجلتها بحجما^(٧) لسكان سواء ، لا ، بل الحجل أو سعة

(١) الموازنة : ٦٤ . (٢) الموازنة : ٦٤ . (٣) الموازنة : ٦٤ .

(٤) في الموازنة : قباله . تنابله : واحده تنبال ، وذلك الرجل القصير . والنيرب : الشر

والنيمة . (٥) الفائل أبو تمام ، ديوانه ٢٥٦ ، والموازنة ٦٩ . (٦) الموازنة ٦٦ .

(٧) الحجل ، بفتح الحاء وكسرها : الخلال . والحقاب : شيء تعلق به المرأة الحلى وتشمه

في وسطها .

فَجَعَلَ الْحِجْلَ أَوْسَعَ مِنَ الْحِقَابِ ؛ لِأَنَّ امْتِلَاءَ الْأَسْوَقِ مَحْمُودٌ وَدِقَّةُ الْخَبُورِ

ممدوح .

وَالْجَيْدُ فِي ذِكْرِ الْوِشَاحِ قَوْلُ ذِي الرِّمَّةِ (١) :

عَبْزَاءُ مَمْكُورَةٌ خُمْصَانَةٌ . قَلْبٌ عَنْهَا الْوِشَاحُ وَتَمَّ الْجِسْمُ وَالْقَطَبُ (٢)

وَقَالَ ابْنُ مَقْبِلٍ :

وَقَدْ دَقَّ مِنْهَا الْخَصْرُ حَتَّى وَشَاحَهَا يَجُولُ ، وَقَدْ عَمَّ الْخَلَائِلَ وَالْقُلُبَا (٣)
وَقَالَ طَرَفَةُ (٤) :

وَمَلَأَ السَّوَارَ مَعَ الدُّمْلَجِينَ وَأَمَّا الْوِشَاحُ عَلَيْهَا فَجَالَا

وَقَالَ كَثِيرٌ (٥) :

يَجُولُ الْوِشَاحُ بِأَقْرَابِهَا (٦) وَتَأْتِي خَلَائِلُهَا أَنْ تَجُولَا

وَمِنْ الْخَطَا قَوْلُهُ - أَيُّ أَبُو تَمَامٍ (٧) :

قَسَمَ الزَّمَانُ مَرْبُوعَهَا بَيْنَ الصَّبَا وَقَبُولِهَا وَدُبُورِهَا أَثْلَاثَا
وَالصَّبَا : هِيَ الْقَبُولُ .

أَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ دَرِيدٍ عَنْ أَبِي خَاتَمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ

قَالَ : مِنْهُبُ الْجَنُوبِ مِنْ مَطْلَعِ سَهِيلٍ إِلَى طَرَفِ جَنَاحِ الْفَجْرِ ، وَمَا يُقَابِلُ ذَلِكَ مِنْ

نَاحِيَةِ الْمَغْرِبِ ، فَهِيَ الشِّمَالُ ، وَمَا يَجِيءُ مِنْ وَرَاءِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ فَهِيَ دُبُورُ ، وَمَا يُقَابِلُ

ذَلِكَ فَهِيَ الْقَبُولُ ، وَالْقَبُولُ وَالصَّبَا وَاحِدَةٌ .

(١) ديوانه : ١٢ ، الموازنة : ٦٦ . (٢) العجزة : العظيمة العجز . والمكورة :

مستديرة السافين ، أو المرتوية الساق . والحصانة : الضامرة البطن . والفلق : الاضطراب عن ضيق

أو سعة . والوشاح : هو ما تقلده المرأة متشعبة به . (٣) القلب : السوار ، والبيت في الموازنة

صفحة ٦٧ هكذا :

وَمِنْ دَقِّ مِنْهَا الْخَصْرَ حَتَّى وَشَاحَهَا يَجُولُ وَقَدْ عَمَّ الْخَلَائِلَ وَالْقُلُبَا

(٤) الموازنة : ٦٧ . (٥) الموازنة : ٦٧ . (٦) القرب - بضم القاف وسكون

الراء : الحاصرة ، والجمع مأقرب . (٧) ديوانه : ٦٣ ، الموازنة : ٧٠

والجيد ما قال البحترى^(١) :

متروكة للريح بين شمالها وجنوبها - ودورها وقبولها
وأما قوله^(٢) :

شَنَنْتُ الصَّبَا إِذْ قَيْسَلْ وَجَّهَنْ قَصْدَهَا وَعَادَيْتُ مِنْ بَيْنِ الرِّيحِ قَبُولَهَا
فإنما يعنى شَنَنْتُ هَذِينَ الْأَسْمِينَ ؛ لِأَنَّ حَوْلَ الظَّاعِنِينَ تَوَجَّهَتْ نَحْوَهَا .

ومن الخطأ قول أبي المعتصم :

كأنا أربعه إذا تنَاهَيْنِ الثَّرَى رِيحَ الْقَبُولِ وَالذُّبُورِ وَالشَّمَالِ وَالصَّبَا
ومن الخطأ قوله - أى أبو تمام -^(٣) :

الودُّ لِلْقُرْبَى وَلَكِنْ عُرْفُهُ^(٤) لِلْأَبْعَدِ الْأَوْطَانِ دُونَ الْأَقْرَبِ

ولا أعرف لم حرم أقارب هذا الممدوح عُرْفُهُ وصيره الأبعدين ؟ فنقصه الفضل

فى صلة الرحم ، وإذا لم يكن مع الود نفع لم يعتد به . قال الأعشى :

بَأَنْتَ وَقَدْ أُسْأَرْتَ^(٥) فى النَفْسِ حَاجَتَهَا بَعْدَ اثْتِلَافٍ وَخَيْرُ الْوَدِّ مَا نَفَعَا

وقال المقنع :

* جَعَلْتُ لَهُمْ مِنْى مَعَ الصَّلَةِ الْوُدَّ^(٦) *

وقد أغرى أبو تمام بهذا القول أقرباء الممدوح ؛ لأنهم إذا رأوا عُرْفُهُ يَفِيضُ

فى الأبعدين ويقصر عنهم أَبْغَضُوهُ وَدَّوْهُ .

وقد ذم الشاعر الطريقة التى يمدح بها أبو تمام ، فقال :

كَرْضِعةٍ أَوْلَادُ أُخْرَى وَضِيعَتُ بِنِهَا فَلَمْ تَرْقَعْ بِذَلِكَ مَرْقَعَا

وقال آخر - وهو ابن هَرَمَةَ^(٧) :

(١) ديوانه : ١٨٤ ، الموازنة : ٧٠ . (٢) ديوانه : ١٩٧ ، الموازنة : ٧٠ .

(٣) ديوانه : ١٤ . (٤) العرف : عمل المعروف . (٥) أسأرت : أبقت .

(٦) صدر البيت كما فى الموازنة : * إِذَا جَعَلُوا صِرَى مَعًا وَقَطِيعَتِ * .

(٧) الموشح ٢٣٧ .

كَتَارَكِهِ بَيْضَهَا بِالْعَرَاءِ وَمُلَيْسَةٍ بَيْضَ أُخْرَى جَنَاحًا

وقال أبو ذؤاد الإيادي (١) :

إِذَا كُنْتَ مَرْتَادَ الرَّجَالِ لِنَفْعِهِمْ فَرِشْنُ (٢) وَاصْطَنَعَ عِنْدَ الَّذِينَ بِهِمْ تَرَمِي
وقال آخر (٣) :

وَإِذَا أَصَبْتَ مِنَ النَّوَافِلِ رَغْبَةً فَامْنَحْ عَشِيرَتَكَ الْأَدَانِي فَضْلَهَا

وذم قديماً المذهب الذي ذهب إليه أبو تمام مسافر العيشى ، فقال (٤) :

تَمَدَّ إِلَى الْأَقْصَى بَثْدِيكَ كُلَّهُ وَأَنْتَ عَلَى الْأَدْنَى صُرُورٌ مُجَدِّدٌ
فَإِنَّكَ لَوْ أَصْلَحْتَ مَنْ أَنْتَ مُفْسِدٌ تَوَدَّدَكَ الْأَقْصَى الَّذِي تَتَوَدَّدُ

وقال المسيب بن علس (٥) :

مَنْ النَّاسُ مَنْ يَصِلُ الْأَبْعَدِينَ وَيَشْفَى بِهِ الْأَقْرَبُ الْأَقْرَبُ

وقال الحارث بن كلدة (٦) :

مَنْ النَّاسُ مَنْ يَفْشَى الْأَبَاعَ نَفْعُهُ وَيَشْقَى بِهِ حَتَّى الْمَاتِ أَقَارِبُهُ

وقد ذهب البحترى مذهب أبي تمام ، فقال (٧) :

بَلْ كَانَ أَقْرَبُهُمْ مِنْ سَبِيهِ سَبِيًّا مَنْ كَانَ أَبْعَدُهُمْ مِنْ جَذْمِهِ رَحِمًا

إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُخْرِجْهُمْ مِنْ مَعْرُوفِهِ ، وَإِنْ كَانَ قَدْ دَخَلَ تَحْتَ الْإِسَاءَةِ .

والجيدُّ قوله (٨) :

ظَلَّ فِيهِ الْبَعِيدُ مِثْلَ الْقَرِيبِ بِالْمُجْتَنَبِيِّ وَالْعَدُوُّ مِثْلُ الصَّدِيقِ

وقوله أيضاً (٩) :

مَا إِنْ يَزَالُ النَّدَى يَدْنِي إِلَيْهِ يَدًّا مُمْتَاخَةً مِنْ بَعِيدِ الدَّارِ وَالرَّحِمِ

(١) الموازنة : ٨١ . (٢) رَأَى النِّسْبَةَ : أَلْبَسَ عَلَيْهِ الرِّيشَ . (٣) الموازنة : ٨٣ .

(٤) الموازنة : ٨٣ . (٥) الموازنة : ٨٣ . (٦) الموازنة : ٨٣ . (٧) الموازنة : ٨٣ ،

ديوانه : ٢٦٠ . (٨) الموازنة : ٨٤ . (٩) الموازنة : ٨٤ .

ومن الخطأ قوله (١) :

وَرَحْبَ صَدْرٍ لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ وَاسِعَةٌ كَوْسَعِهِ لَمْ يَضِقْ عَنْ أَهْلِهِ بَلَدٌ
وذلك أن البلدان التي تضيق بأهلها لم تضيق بأهلها لضيق الأرض ، ومن اختط
البلدان لم يختطها على قدر ضيق الأرض وسعتها ؛ وإنما اختطت على حسب الاتفاق ؛
ولعل المسكون منها لا يكون جزءاً من ألف جزء ؛ فلائى معنى تصغيره ضيق البلدان
الضيقة من أجل ضيق الأرض . والصواب أن يقول : ورحب صدر لو أن الأرض
واسعة كوسعها لم يسمعها الفلك ؛ أو لضاقت عنها السماء ؛ أو يقول : لو أن سعة كل
بلد كسعة صدره لم يضق عن أهله بلد .

والجيد في هذا المعنى قول البحترى (٢) :

مَفَازَةٌ صَدْرٌ لَوْ تَطَرَّقُ لَمْ يَكُنْ لَيْسَلُكُمَا فَرْدًا سَلِيكُ الْمَقَانِبِ (٣)
أى لم يكن لَيْسَلُكُمَا إلاً بدليل لسمتها ؛ على أن قوله «مفازة صدر» استعارة
بميدة .

ومن الخطأ قول أبي تمام (٤) :

سَأَحْمَدُ نَصْرًا (٥) مَا حَيَّيْتُ وَإِنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّ قَدْ جَلَّ نَصْرُهُ عَنِ الْحَمْدِ
وقد رَفَعَ الممدوح عن الحمد الذى رَضِيَهُ اللهُ جُلَّ وَعِزَّ لِنَفْسِهِ ، وَنَدَبَ عِبَادَهُ
لَذِكْرِهِ وَنَسَبَهُ إِلَيْهِ ، وافتتح به كتابه . وقد قال الأول : الزيادة في الحمد نقصان ،
ولم نعرف أحداً رفع أحداً عن الحمد ، ولا من استقلَّ الحمد للمدوح .
قال زهير بن أبى سلمى (٦) :

مَتَصَرَّفٌ لِلْحَمْدِ مَعْتَرِفٌ لِلرَّزْءِ نَهَاضٌ إِلَى الذِّكْرِ
وقال الأعشى (٧) :

(١) ديوان أبى تمام : ٩٧ . (٢) ديوانه : ٧٣ . (٣) المقاب : واحد مقنب بالكسر
جماعة الخيل والفرسان . (٤) ديوانه : ١١٦ . (٥) هو نصر بن منصور بن بسام الممدوح
(٦) ديوانه : ٩٣ ، الموازنة : ٩١ . (٧) الموازنة : ٩٢ .

ولكن على الحمد إنفاقه وقد يشتريه بأغلى ثمن
وقال الخطيب:

* ومن يعط أمان المحامد يحمده *

وقالت الخنساء (١):

ترى الحمد يهوى إلى بيته يرى أفضل المجد أن يحمدا
والجيد قول البحري (٢):

لو جلّ خلق قط عن أكرؤمة تنشئ جلت عن الندى والبأس
ومن الخطأ قوله (٣):

ظعنوا فكان بكاء حولا بعدهم ثم ارعوت وذاك حكم لبيد
أجدر بجمرة لوعها إطفائها بالدمع أن تزداد طول وقود
هذا خلاف ما يرفقه الناس؛ لأنهم قد أجمعوا أن البكاء يُطفئ الغليل، ويبرد
حرارة الحزون، ويُزيل شدة الوجع.

وذكروا أن امرأة مات ولدها فأمسكت نفسها عن البكاء صبرا واحتسابا،
فخرج الدم من ثدييها؛ وذلك لما ورد عليها من شدة الحزن مع الامتناع من
البكاء.

وقد شهد أبو تمام بصحة ما ذكرناه، وخالف قوله الأول، فقال (٤):

نثرت فريدا مدامع لم تنظم والدمع يحمل بعض ثقل المغم (٥)
وقال (٦):

واقِع (٧) بالحدود والبرد منه واقِع بالقلوب والأكبَاد

(١) شواعر العرب : ٨ ، وفي رواية : جموع الضيوف إلى بيته يرى أفضل الكسب .

(٢) ديوانه ٢ - ٦٠ . (٣) الموازنة ٩٢ . (٤) ديوانه ٣١٢ ، الموازنة ٩٣

(٥) في ديوانه : بعض شجو المغم . (٦) ديوانه ٧٥ ، الموازنة ٩٣

(٧) في الديوان : واقعا بالحدود والحر منه .

وقال امرؤ القيس^(١) :

وإن شَفَانِي عَبْرَةٌ مُهَرَّاقَةٌ فهل عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلٍ
وأخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا الأنباري ، قال : حدثنا محمد بن المَرْزَبَانِ ، قال ،
حدثنا حماد بن إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال : حدثنا محمد بن كَنَاسَةَ ، قال ،
قال أبو بكر بن عياش : كُفْتُ وَأَنَا شَابٌّ إِذَا أَصَابَتْنِي مُصِيبَةٌ لَا أَبْكِي فِيحْتَرِقُ
جَوْفِي ، فَرَأَيْتُ أَعْرَابِيَا بِالسِّكِنَاسِ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ وَالنَّاسُ حَوْلَهُ وَهُوَ يَنْشُدُ^(٢) :

خَلِيلِي عَوْجًا مِنْ صُدُورِ الرَّوَاحِلِ بَرَقَ حُزْوِي^(٣) قَابِكِيَا فِي الْمَنَازِلِ
لَلَّ أَنْحِدَارَ الدَّمْعِ يُعَقِّبُ رَاحَةً مِنْ الْوَجْدِ أَوْ يَشْفِينِي نَجْمَ الْبَلَائِلِ
فَسَأَلْتُ عَنْ الْأَعْرَابِي ؛ فَقِيلَ : هُوَ ذُو الرِّمَّةِ ؛ فَكُنْتُ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَصَابَتْنِي
مُصِيبَةٌ بَكَيتُ فَاشْتَفَيْتُ . فَقُلْتُ : قَاتِلِ اللَّهَ الْأَعْرَابِي مَا كَانَ أَبْصَرَهُ !
وقال الفرزدق^(٤) :

قُلْتُ لَهَا إِنَّ الْبُكَاءَ لِرَاحَةٍ بِهِ يَشْتَفَى مِنْ ظَنٍّ أَنْ لَا تَلَاقِيَا
وَقَدْ تَبِعَهُ الْبَحْثَرَى عَلَى إِسَاءَتِهِ ، فَقَالَ^(٥) :
فَعَلَّامٌ فِيضَ مَدَامِعٍ تَدِقُّ الْجَوَى وَعَذَابَ قَلْبٍ فِي الْحَسَنِ مُعَذِّبِ
تَدِقُّ : مِنَ الْوَدِيقَةِ ، وَهِيَ الْمَاجِرَةُ لَدُنُو الْحَرِّ فِيهَا . وَالْوَدَقُ : أَصْلُهُ الدُّنُو ؛
يُقَالُ : أَتَانِ وَدِيقٌ ، إِذَا دَنَتْ مِنَ الْفَعْلِ . وَالْوَدَقُ : الْقَطْرُ ؛ لَدُنُوهُ مِنَ الْأَرْضِ بَعْدَ
الْإِحْلَالِ مِنَ السَّحَابِ .

وَالْخَطَأُ الْفَاحِشُ لَهُ قَوْلُهُ ؛ أَيُّ أَبُو تَمَامٍ^(٦) :

رَضِيتُ وَهَلْ أَرْضَى إِذَا كَانَ مُسْخِطِي مِنَ الْأَمْرِ مَا فِيهِ رِضًا مِنْ لَهْ الْأَمْرِ
وَالْمَعْنَى : لَسْتُ أَرْضَى إِذَا كَانَ الَّذِي يُسْخِطُنِي هُوَ الَّذِي يَرْضَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ؛

(١) ديوانه ١٩ . (٢) ديوان ذي الرمة ٧٠ . (٣) في الديوان : بجمهور

حزوي ، وحزوي : موضع في ديار بني تميم . (٤) الموازنة ٩٣ .

(٥) ديوانه : ٦٠ ، الموازنة ٩٣ . (٦) ديوانه : ٤٧٥٠ .

لأنَّ هل تقرُّرُ لفعل يَنْفِيهِ عن نفسه ، كما تقول : هل يمكننى المقام ؟ وهل آتى بما تذكره ؟ معناه لا يمكننى المقام . ومعنى قوله : هل أرضى إذا كان مُسْخِطِي ؟ أى لا أرضى .

ومن الخطأ قوله (١) :

ويوم (٢) كطول الدهر في عرض مثله . ووجدى من هذا وهذا . أطول قد استعمل الناس الطول والعرض فيما ليس له ، استعمالاً مخصوصاً ، كقول كثير (٣) :

أنت ابن فرعى قرئش لو تقايسها في المجد صار إليك العرض والطول
أى صار إليك المجد بتمامه .

وقول كثير أيضاً :

بطاحى له نسب مصفى وأخلاق لها عرض وطول

فعلى هذا استعمل هذان اللفطان .

وقالوا : هذا الشئ فى طول ذلك وعرضه ؛ إذا كان مما يرى طوله وعرضه ، ولا يُستعمل فيما ليس له طول وعرض على الحقيقة ، ولا يجوز مخالفة الاستعمال البتة . وكان أبو تمام قد استوفى المعنى فى قوله : « كطول الدهر » ولم يكن به حاجة إلى ذكر العرض .

ومن الخطأ قول البحتري - ورواه لنا أبو أحمد عن ابن عامر لأبى تمام ، والصحيح أنه للبحتري :

بدت صفرة فى لونه إن حمدهم من الدر ما اصفرَّت حواشيه فى العقد

وإنما يوصف الدر بشدة البياض ، وإذا أريد المبالغة فى وصفه ووصف بالنصوع ، ومن أعيب عيوبه الصفرة . وقالوا : كوكب درى ، لبياضه ؛ وإذا اصفر احتيل

(١) ديوانه : ٢٤٤ ، الموازنة ٨٧ . (٢) فى الديوان : بيوم . (٣) الموازنة ٨٧ .

في إزالة صُفْرَتِهِ . لِيَتَصَوَّأَ . واستعمالُ الحواشيِّ في الدرِّ أيضاً خطأ ؛ ولو قال نواحيه ،
 لكان أجود ، والحاشية للبرد والثوب ، فأما حاشية الدرِّ فغيرُ معروف ، وفيها ؛
 وجرتُ على الأيدي مجسة جسمه كذلك موج البحر مُلْتَهَبُ الوقْدِ
 وهذا غلطٌ ؛ لأنَّ البحرَ غيرُ مُلْتَهَبِ المَوْجِ ولا متَّقِدِ الماء ، ولو كان متَّقِداً
 أو ملتهباً لما أمكن رُكوبه ؛ وإنما أراد أن يعظم أمرَ الممدوح فجاء بما لا يَعْرِفُ ،
 وفيها :

ولست ترى شَوْكَ القَتَادَةِ خَائِفاً سَمُومَ رِيَّاحِ القَادِحَاتِ مِنَ الزَّانِدِ
 وهذا خطأ ؛ لأنه شبه العليلَ بِشَوْكِ القَتَادِ على صَلَابَتِهِ على شِدَّةِ العِلَّةِ ، وزعم
 أَنَّ شَوْكَ القَتَادِ لا يخافُ النَّارَ التي تقدحُ بِالزَّانِدِ . وقد علمنا أَنَّ النَّارَ تَقْلِقُ الصَّخْرَ
 وتُلِينُ الحَدِيدَ ؛ فكيف يسلم منها القَتَادُ ؟ وليس لِذِكْرِ السَّمُومِ والرياحِ أيضاً في
 هذا البيت فائدة ولا مَوْقِعَ .

ولما مات المتوكل أنشد رجل جماعة^(١) :

* مَاتَ الْخَلِيفَةُ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ *

فقالوا : جيّد ؛ نعى الخليفةَ إلى الجنِّ والإنسِ في نصفِ بيت ، فقال :

* فَكَأَنِّي أَفْطَرْتُ فِي رَمَضَانَ *

فضحكوا منه .

ونُورِدَ هَاهُنَا جملةٌ تتمُّ بها معاني هذا الباب :

ينبغي أن تعرف أن أجود الوصفِ ما يستوعبُ أكثرَ معاني الموصوف ، حتى كأنه
 يَصُوِّرُ الموصوفَ لَكَ فتراه نُصِبَ عينك ، وذلك مثل قول الشماخ في نبالة^(٢) :
 خَلَّتْ^(٣) غَيْرَ آثَارِ الأَرَاجِيلِ تَرْتَمِي تَقَعَّقُ فِي الآبَاطِ مِنْهَا وَقَاضُهَا

(١) في ديوان أبي العتاهية قلا عن كتاب العمدة : أن أبا العتاهية صاحب هذا القول .

(٢) ديوانه : ٥٣ . (٣) في الديوان : عفت ... تَعْتَرِي . والأراجيل : الرجال .

تَعْتَرِي : تقصد .

فهذا البيت يَصَوِّرُ لك هرولة الرجال ، ووفاضها في آباطها تنمقع .
 وإفاض جمع وفضة وهى الجمعة . وقول يزيد بن عمرو الطائي :
 أَلَا مَنْ رَأَى قَوْمِي كَأَنَّ رَجَالَهُمْ نَحِيلٌ أَنَاهَا عَاضِدٌ فَأُمَالُهَا
 فهذا التشبيه كأنه يَصَوِّرُ لك القَتْلَى مصروعين .

وقال المتأني في السحاب :

والنيمُ كالثوب في الآفاق مُنْتَشِرٌ مِنْ فَوْقِهِ طَبَقٌ مِنْ تَحْتِهِ طَبَقٌ
 تَظَنُّهُ مُصْمِتًا لَأَفْتَقَ فِيهِ فَابٌ سَأَلَتْ عَزَائِيهِ قُلْتَ الثَّوبُ مُنْفَتِقٌ
 إِنْ مَعَمَّ الرَّعْدُ فِيهِ قُلْتَ مَنخَرِقٌ أَوْ لَأَلَّا الْبَرْقُ فِيهِ قُلْتَ مَحْتَرِقٌ
 وينبغى أن يكون التشبيب دالاً على شدة الصباية ، وإفراط الوجد ، والتهالك
 في الصبوة ، ويكون برياً من دلائل الخشونة والجلادة ، وأمارات الإباء والمزة . ومن
 أمثلة ذلك قول أبي الشيص ^(١) :

وَقَفَ الْهَوَىٰ بِي حَيْثُ أَنْتَ فَلَيْسَ لِي مُتَأَخَّرٌ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدِّمٌ
 أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكَ لَذِيذَةً حُبًّا لَذِكْرِكَ فَلْيَلْمَنِي الْيَوْمَ
 أَشْبَهْتُ أَعْدَائِي فَصِرْتُ أَحِبُّهُمْ إِذْ كَانَ حَظِّي مِنْكَ حَظِّي مِنْهُمْ
 وَأَهْنَيْتَنِي فَأَهْنَيْتُ نَفْسِي صَاغِرًا مَا مِنْ يَهُونٍ عَلَيْكَ مِنْ أَكْرَمِ

فهذا غاية التهالك في الحب ، ونهاية الطاعة للمحبيب :

وَيُسْتَجَادُ التشبيب أيضاً إذا تَضَمَّنَ ذِكْرَ التشوق والتذكُّر لمعاهد الأحبة ،
 بهبوب الرياح ، وكمع البروق ، وما يجري مجراها من ذِكْرِ الديار والآمار .

فمن أجود ما قيل في الديار قول الأزدى :

فلم تدع الأرياح والقطر والبلى من الدار إلا ما يشف ويشغف
وفي ذكر البروق قول الأول :

سرى البرق من نحو الحجاز فشاقتني وكل حجازي له البرق شائق
بدا مثل نبض العرق والبعده دونه وأكناف لُبْنَى دوننا والأساق^(١)
نهارى بأشرف التلاع موكّل وليلى إذا ما جنّى الليل آرق
فواكبدي ممّا ألاق من الهوى إذا حنّ ألف أو تآلق بآرق
وكذا ينبغي أن يكون التشبيب دالاً على الحنين ، والتحسر ، وشدة الأسف ؛

كقوله :

ولست عشيّات الحمى برّ واجع إليك ولكنّ خلّ عينيّك تدمعاً
وأذكر أيام الحمى ثم أنثني على كبدي من خشية أن تصدعاً
وقال ابن مطير :

وكنّت أذود العين أن ترد البكا وقد وردت ما كنّت عنه أذودها
خليلى ما في العيش عيب لو أننا وجدنا لأيام الحمى من يميدها
فهذا يدلّ على تحسّر شديد ، وحنين مفرط .

وقول الآخر :

وددت بأبرق العيشوم أنّي ومن أهوى جميعاً في رداء
أبشره وقد نديت عليه وألصق صحّة منه بدائي
فنّ إليه حنين السقيم إلى الشفاء .

ومن الشعر الدالّ على شدّة الحسرة والشوق قول الآخر :

يقهر بعيني أن أرى رملة الغضا إذا ما بدت يوماً لعيني قلالها
ولست وإن أحببت من يسكن الغضا بأول راجح حاجة لا ينالها

(١) السلق : المطش بين ربوتين ، وقيل : القاع الصنف .

وينبغي أن يُظهرَ الناسَبُ الرغبةَ في الحبِّ ، وألا يُظهرَ التبرُّمَ به ، كما في صخر حين يقول^(١) :

فياحبَّها زِدْني جَوَى كُلِّ لَيْلَةٍ وَيَا سَلَوَةَ الْأَيَّامِ مَوْعِدُكَ الْحَشِرُ
وقول الآخر :

تَشَكَّى الْحُبُّونَ الصَّبَابَةَ لَيْتَنِي تَحَمَّلْتُ مَا يَلْقَوْنَ مِنْ بَيْنِهِمْ وَحْدِي
فَسَكَتَ لِنَفْسِي لَذَّةُ الْحَبِّ كُلُّهَا وَلَمْ يَلْقَهَا قَبْلِي حُبٌّ وَلَا بَعْدِي
وينبغي أن يكونَ في النسبِ دليلُ التدلُّهِ والتحيرِ ، كقول الحكمِ الحضري :
تَسَامُ ثَوْبَاهَا فِي الدَّرْعِ رَأْدَةٌ^(٢) وَفِي الْمِرْطِ لَقَاوَانُ رِذْفُهُمَا عَجَبُ
فَوَاللَّهِ مَا أُدْرِي أَزِيدَتْ مَلَاةً وَحَسَنًا عَلَى النَّسْوَانِ أَمْ لَيْسَ لِي عَقْلُ
وقيل لبعضهم : ما بلغ من حُبِّكَ لفلانة ؟ فقال : إني أرى الشمسَ على حيطانها
أحسنَ منها على حِيطَانِ جِيرَانِهَا .

ولما كانت أغراضُ الشعراءِ كثيرةً ، ومعانِيهم متشعبةٌ جمةً ، لَا يَبْلُغُهَا الإحصاءُ
كان من الوجهِ أن نذكرَ ما هو أكثرُ استعمالاً ، وأطولُ مداورةً له ، وهو الدِّخُّ ،
والهَجَاءُ ، والوصْفُ ، والنسيبُ ، والمِرائِي ، والمُفَخَّرُ ؛ وقد ذكرتُ قبلَ هذا المديحَ
والهَجَاءَ وما ينبغي استعمالُهُ فيهما ؛ ثم ذكرتُ الآنَ الوصفَ والنسيبَ ، وتركْتُ
المِرائِي والمُفَخَّرَ ؛ لأنهما داخِلَانِ في المديحِ . وذلك أن الفخرَ هو مدْحُكَ نفسك
بالطهارةِ ، والعفافِ ، والجِلْمِ ، والعِلْمِ ، والحَسَبِ ، وما يجري مجرى ذلك .
والرثيةُ مديحُ الميتِ ، والفرْقُ بينهما وبين المديحِ أن تقولَ : كان كذا وكذا ،
وتقول في المديحِ : هو كذا وأنت كذا . فينبغي أن تتوخَّى في الرثيةِ ما تتوخَّى في
المديحِ ، إلا أنك إذا أردتَ أن تذكرَ الميتَ بالجودِ والشجاعةِ تقول : مات الجودُ ،
وهلكت الشَّجَاعَةُ ؛ ولا تقول : كان فلاناً جواداً وشجاعاً ؛ فإنَّ ذلك باردٌ غيرُ
مستحسنٍ ، وما كان الميتُ يَكِدُّه في حياته فينبغي ألا يذكرَ أنه يَبْكِي عليه مثل

الخيّل والإبل وما يجري مجراها ، وإنما يذكر اغتباطهم بموته . وقد أجمعت الخنساء
حيث تقول ^(١) :

فَقَدْ فَقَدْتِكَ طَلْقَةً وَاسْتَرَأَحْتُ فَلَيْتَ الْخَيْلَ فَارِسُهَا يَرَاهَا
بَلْ يُوصَفُ بِالْبُكَاءِ عَلَيْهِ مَنْ كَانَ يُحْسِنُ فِي حَيَاتِهِ ^(٢) إِلَيْهِ كَمَا قَالَ الْفَنَوِيُّ :
لَيْسَ لَكَ شَيْخٌ لَمْ يَجِدْ مِنْ يَمِينِهِ وَطَاوَى الْحَشَا نَأَى الْمَزَارِ غَرِيبٌ
فَهَذِهِ جَمَلَةٌ إِذَا تَدَبَّرَهَا صَارَ نَعْمُ الْكَلَامِ اسْتَفْنَى بِهَا عَنْ غَيْرِهَا ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ .

(١) شواعر العرب : ١٨ .

(٢) في ط : « مَنْ كَانَ يُحْسِنُ إِلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ إِلَيْهِ » والصواب ما أثبتناه عن أ ، ب .

البَابُ الثَّالِثُ

في معرفة صنعة الكلام وترتيب الألفاظ (فصلان)

الفَصْلُ الْأَوَّلُ

في كيفية نظم الكلام والقول في فضيلة الشعر وما ينبغي استعماله في تأليفه .

إذا أَرَدْتَ أَنْ تصنع كلاماً فأخطِ معارِنه ببالك ، وتنوِّقْ له كرائِمَ اللفظِ ، واجملها على ذكر منك ؛ ليقربَ عليك تناوُلُها ، ولا يتعبك تطلُّبُها ، واعمله ما دُمْتَ في شَبَابِ نَشَاطِكَ ؛ فإذا غَشِيَكَ الفتور ، وتحوَّكَ اللَّالِ فأمْسِكْ ؛ فإنَّ الكثيرَ مع اللَّالِ قليل ، والنفيسَ مع الضَّجَرِ خَسِيس ؛ والخواطرَ كالينابيع يسقى منها شيءٌ بعد شيءٍ ، فتجد حاجتَكَ من الرِّى ، وتنال أَرْبَكَ من المنفعة . فإذا أَكثرتَ عليها نَضَبَ ماؤها ، وَقَلَّ عنك غَنَاؤها .

وينبغي أَنْ تجرَى مع الكلام معارضة ، فإذا مررتَ بلفظٍ حَسَنٍ أخذتَ برقبته ، أو معنى بديع تعلقْتَ بذيله ، وتحذَّرْ أَنْ يسبقَكَ فإنه إِنْ سَبَقَكَ تعبتَ في تَبِعِهِ ، ونَصِبْتَ في تَطْلُبِهِ ؛ ولعلَّكَ لا تلحقه على طُولِ الطلب ، ومُواصَلَةِ الدَّابِ ؛ وقد قال الشاعر :

إذا ضَيَّعْتَ أولَ كلِّ أمرٍ أبْتَ أعْجَازُهُ إِلَّا التَّوَاء

وقالوا : ينبغي لصانع الكلام ألاَّ يتقدَّم الكلامَ تقدُّماً ، ولا يتبع ذُنَابَهُ تَتَبُعاً ، ولا يحمله على لسانه حملاً ؛ فإنه إِنْ تقدَّم الكلامَ لم يتبعه خفيفُهُ وهزيلُهُ وأعْجَفُهُ والشارد منه . وإنَّ تَبِعَهُ فاتته سوابقه ولواحقه ، وتباعدتْ عنه جِياذُهُ وغُرَرُهُ ؛ وإنَّ حمله على لسانه ثَقُلَتْ عليه أوساقه وأعباؤه ، ودخلتْ مساويه في محاسنِهِ .

ولكنه يَجْزِي معه فلا تَنْدَ عنه نَادَّةٌ معجبةٌ مِمَّا إِلَّا كَبَحَهَا ، ولا تتخلف عنه بثقله هزيلة إِلَّا أَرْهَقَهَا . فطوراً يَفْرُقُهُ لِيَخْتَارَ أَحْسَنَهُ ، وطوراً يَجْمَعُهُ لِيَقْرَبَ عَلَيْهِ خطوة الفسك ، ويتناول اللفظ من تحتِ لِسَانِهِ ، ولا يَسْلُطُ اللَّيْلُ عَلَى قَلْبِهِ ولا الإِكْثَارُ عَلَى فِكْرِهِ . فَيَأْخُذُ عَفْوَهُ ، وَيَسْتَفْزِرُ دَرَّهُ ، ولا يَكْرَهُ أُبَيًّا ، ولا يَدْفَعُ أُتَيًّا .

وقال بشرُ بْنُ الْمُعْتَمِرِ^(١) : خُذْ مِنْ نَفْسِكَ سَاعَةً لِنَشَاطِكَ ، وفراغِ بِأَلْكَ ، وإِجَابَتِهَا لَكَ ؛ فَإِنَّ قَلْبَكَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ أَكْرَمُ جَوْهَرًا ، وَأَشْرَقُ حُسْنًا ، وَأَخْسَنَ فِي الْأَسْمَاعِ ، وَأَخْلَى فِي الصُّدُورِ ، وَأَسْلَمُ مِنْ فَاحِشِ الْخَطَا ، وَأَجْلَبُ لِكُلِّ غُرَّةٍ مِنْ لَفْظٍ كَرِيمٍ ، وَمَعْنَى بَدِيعٍ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ أَجْدَى عَلَيْكَ مِمَّا يُعْطِيكَ يَوْمَكَ الْأَطُولُ بِالْكَدِّ وَالْمُطَالَبَةِ وَالْجَاهِدَةِ وَالتَّكَلُّفِ وَالْمُعَاوَدَةِ ؛ وَمَهْمَا أَخْطَاكَ لَمْ يُخْطِئْكَ أَنْ يَكُونَ مَقْبُولًا قَصْدًا ، وَخَفِيفًا عَلَى اللِّسَانِ سَهْلًا ؛ وَكَأَخْرَجَ عَنْ يَبْنُوعِهِ ، وَنَجَمَ مِنْ مَعْدَنِهِ .

وإِيَّاكَ وَالتَّوَعُّرَ ؛ فَإِنَّ التَّوَعُّرَ يُسَلِّمُكَ إِلَى التَّعْقِيدِ ، وَالتَّعْقِيدُ هُوَ الَّذِي يَسْتَهْلِكُ مَعَانِيكَ ، وَيَشِينُ أَلْفَاظَكَ ، وَمَنْ أَرَاغَ مَعْنَى كَرِيمًا فَلْيَلْتَمِسْ لَهُ لَفْظًا كَرِيمًا ؛ فَإِنَّ حَقَّ الْمَعْنَى الشَّرِيفِ اللَّفْظُ الشَّرِيفُ ، وَمِنْ حَقِّهِمَا أَنْ يَصُونَهُمَا عَمَّا يَدْنُسُهُمَا وَيُفْسِدُهُمَا وَيُهْجِنُهُمَا ، فَتَصِيرُ بِهِمَا إِلَى حَدٍّ تَكُونُ فِيهِ أَسْوَأَ حَالًا مِنْكَ قَبْلَ أَنْ تَلْتَمِسَ مَنَازِلَ الْبَلَاغَةِ ، وَتَرْتَبِعَ نَفْسَكَ فِي مَلَابِسَتِهِمَا ، فَكُنْ فِي ثَلَاثِ مَنَازِلَ : فَأَوَّلُ الثَّلَاثِ أَنْ يَكُونَ لَفْظُكَ شَرِيفًا عَذْبًا ، وَنَحْمًا سَهْلًا ، وَيَكُونَ مَعْنَاكَ ظَاهِرًا مَكْشُوفًا ، وَقَرِيبًا مَعْرُوفًا . فَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ لَاتَوَاتِيكَ ، وَلَا تَسْنَحُ لَكَ عِنْدَ أَوَّلِ خَاطِرٍ ، وَتَجِدُ اللَّفْظَةَ لَمْ تَقَعْ مَوْقِعَهَا ، وَلَمْ تَصِلْ إِلَى مَرْكَزِهَا ، وَلَمْ تَصِلْ بِسِلْكِهَا ، وَكَانَتْ قَلِقَةً فِي مَوْضِعِهَا ، نَافِرَةً عَنْ مَكَانِهَا ، فَلَا تُكْرِهْهَا عَلَى اغْتِصَابِ

(١) العمدة : ١ - ١٨٦ ، والبيان والتبيين : ١ : ١٣٥ .

الأمّا كن ، والنزول في غير أوطانها ؛ فإنك إن لم تتعاطَ قَرِيضَ الشعرِ المنظوم ، ولم تتكلفَ اختيارَ الكلامِ المنشور لم يُعَبِّك بذلك أحد ، وإن تكلفته ولم تكن حاذقاً مطبوعاً ، ولا مُحَكِّماً لُشَايِكَ بصيراً عابك من أنت أقلُّ عَيْماً منه ، وزُرِّي عليك مَنْ هُوَ دونك .

فإن ابْتُلِيتَ بشكِّف^(١) القول ، وتعاطى الصناعة ، ولم تَسْمَحْ لك الطبيعة في أوَّل وهلة ، ونعَصَى عليك بعد إجمالة الفكرة ، فلا تَعَجَّلْ ، ودَعُهُ سَجَابَةَ يَوْمِكَ ولا تَضَجِّرْ ، وأَمِهْهُ سَوَادَ لَيْلَتِكَ ، وعَاوِذُهُ عِنْدَ نَشَاطِكَ ؛ فإنك لا تَعْدِمُ الإجابةَ والمُؤَاناةَ إن^(٢) كانت هناك طبيعةٌ وجربت من الصناعة على عرق ؛ وهى - المنزلة الثانية .

فإن تَمَنَّعَ عليك بعد ذلك مع ترويح الخاطر ، وطول الإمهال ، فالمنزلة^(٣) الثالثة أن تتحوَّلَ عن هذه الصناعة إلى أَشْهَى الصناعاتِ إليك ، وأخفها عليك ؛ فإنك لم تشتمها إلّا وبينكما نَسَبٌ ، والشئ لا يَحْنُ إلّا إلى ماشأ كَلَمَه ، وإن كانت المشاكلة قد تكون في طبقات ؛ فإن النفوس لا تجودُ بمكنونها ، ولا تسمح بمَخْزُونِها مع الرهبة ، كما تجودُ مع الرَغْبَةِ والمحبة .

ويذنبى أن تعرفَ أَقْدَارَ المعانى ، فتوازنَ بينها وبين أوزانِ المستمعين ، وتُيَنِّ أَقْدَارَ الحالات ؛ فتجعل لكلِّ طبقةٍ كلاماً ، ولكلِّ حالٍ مقاماً ، حتى تقسم أَقْدَارَ المعانى على أَقْدَارِ المَقَامَاتِ ، وأقْدَارَ المستمعين على أَقْدَارِ الحالات . واعلم أنَّ النعمةَ مع مُوَافَقَةِ الحالِ ، وما يجبُ لكلِّ مقامٍ من المقال ؛ فإن كنتَ متكلماً ، أو احتجتَ إلى عملٍ خطبةٍ لِبَعْضِ مَنْ تَصْلُحُ له الخُطْبُ ، أو قصيدةٍ لِبَعْضِ ما يُرَادُ له القصيد ، فتخطَّ ألفاظَ المتكلمين ، مثل الجسم والعَرَضِ والكَوْنِ والتأليفِ والجَوْهَرِ ، فإنَّ ذلك هُجْنَةٌ .

(١) في ط ، ب : « بتكلفه » ، وما أثبتناه عن ا . (٢) في ط : وإن .

(٣) في ط : والمنزلة .

وخطب بعضهم فقال : إِنَّ اللَّهَ أَنْشَأَ الْخَلْقَ وَسَوَّاهُمْ وَمَكَّنَّهُمْ ثُمَّ لَا يَشَامُهُمْ ، فَضَحِكُوا مِنْهُ ؛ وَقَالَ بَعْضُ الْمَتَأَخِّرِينَ :

نورٌ تبين فيه لاهوتيه فيكاد يعلم علم مألن يعلم

فأتى من الهجنة بما لا كفاء له ، وكذلك كن أيضاً إذا كنت كاتباً .

واعلم أن الرسائل والخطب متشاكلتان في أنهما كلام لا يلحقه وزن ولا تقفية ، وقد يتشاكلان أيضاً من جهة الألفاظ والفواصل ؛ فالألفاظ الخطباء تشبه الألفاظ الكتاب في السهولة والمندوبة ؛ وكذلك فواصل الخطب ، مثل فواصل الرسائل ؛ ولا فرق بينهما إلا أن الخطبة يشافه بها ، والرسالة يكتب بها ؛ والرسالة تجعل خطبة ، والخطبة تجعل رسالة ، في أيسر كلفة ؛ ولا ينهي مثل ذلك في الشعر من سرعة قلبه وإحاطته إلى الرسائل إلا بكلفة ؛ وكذلك الرسالة والخطبة لا يجعلان شعراً إلا بمشقة .

الرسائل
والخطب

ومما يعرف أيضاً من الخطابة والكتابة أنهما مختصتان بأمر الدين والسلطان ، وعليهما مدار الدار ، وليس للشعر بهما اختصاص .
أما الكتابة فعليها مدار السلطان .

والخطابة لها الحظ الأوفر من أمر الدين ؛ لأن الخطبة شرط الصلاة التي هي عماد الدين في الأعياد والجمعات والجماعات ، وتشتمل على ذكر المواعظ التي يجب أن يتمهد بها الإمام رعيته لئلا تدرس من قلوبهم آثار ما أنزل الله عز وجل من ذلك في كتابه ، إلى غير ذلك من منافع الخطب .

ولا يقع الشعر^(١) في شيء من هذه الأشياء موقفاً ، ولكن له مواضع لا ينبجع فيها غيره من الخطب والرسائل وغيرها ، وإن كان أكثره قد بُني على الكذب والاستحالة من الصفات المتنعة ، والنموت الخارجة عن الماديات والألفاظ الكاذبة ؛

الشعر

من قَدَفِ المحصنات ، وشهادة الزور ، وقول البهتان ؛ لاسيما الشعر الجاهلي الذي هو أقوى الشعر وأفحله ؛ وليس يُراد منه إلا حُسْنُ اللفظ ، وجودُه المعنى ؛ هذا هو الذي سوَّغ استعمال الكذب وغيره مما جرى ذكره فيه .

وقيل لِبعض الفلاسيقة : فلان يَكْذِبُ في شعره ؛ فقال : يُراد من الشاعر حُسْنُ الكلام ، والصدِّق يُراد من الأنبياء .

فن مراتبه العالية التي لا يلحقه فيها شيء من الكلام النظم^(١) الذي به زينة^{ميزات الشعر على غيره} الألفاظ ، وتأمُّ حسنها ؛ وليس شيء من أصناف المنظومات يبلغ في قوة اللفظ منزلة الشعر .

ومما يفضل به غيره أيضاً طول بقائه على أقوال الرواة ، وامتداد الزمان الطويل به ؛ وذلك لارتباط بعض أجزائه ببعض ؛ وهذه خاصته في كل لغة ، وعند كل أمة ؛ وطول مدة الشيء من أشرف فضائله .

ومما يفضل به غيره من الكلام استفاضة في الناس وبعده سيرة في الآفاق ؛ وليس شيء أسير من الشعر الجيد ، وهو في ذلك نظير الأمثال .

وقد قيل : لا شيء أسبق إلى الأسماع ، وأوقع في القلوب ، وأبقى على الليالي والأيام من مثل سائر ، وشعر نادر .

ومما يفضل به غيره أنه ليس يؤثر في الأعراض والأنساب تأثير الشعر في الحمد والذم شيء من الكلام ؛ فكم من شريف وضع ، وخامل دنى رَفَع ؛ وهذه فضيلة غير معروفة في الرسائل والخطب .

ومما يفضلها به أيضاً أنه ليس شيء يقوم مقامه في المجالس الحافلة ، والمشاهد الجامعة ، إذا قام به تُنشد على رؤوس الأشرار ، ولا يفوز أحد من مؤلفي الكلام بما يفوز به صاحبه من المطايا الجزيلة ، والمعارف السنية ، ولا يهتز ملك ، ولا رئيس شيء من الكلام كما يهتز له ، ويرتاح لاستماعه ؛ وهذه فضيلة أخرى لا يلحقه فيها شيء من الكلام .

ومنه أن مجالس الظرفاء والأدباء لا تطيب ، ولا تؤنس إلا بإنشاد الأشعار ،
ومذاكرة الأخبار ؛ وأحسن الأخبار عندهم ما كان في أثنائها أشعار ؛ وهذا شيء
مفقود في غير الشعر .

ومما يفضل به الشعر أن الألحان - التي هي أهني اللذات - إذا سمعها ذوّو القرائح
الصافية ، والأنفيس اللطيفة ، لا تنهيأ صنعها إلا على كل منظوم من الشعر ؛ فهو لها
بمنزلة المادة القابلة لصورها الشريفة ؛ إلا ضرباً من الألحان الفارسية تصاغ على كلام
غير منظوم نظم الشعر ، تخط في الألفاظ ؛ فالألحان منظومة ، والألفاظ منثورة .

ومن أفضل فضائل الشعر أن ألفاظ اللغة إنما يؤخذ جزؤها وفصيحتها ،
وفحلها وغربها من الشعر ؛ ومن لم يكن راوية لأشعار العرب تبين النقص
في صناعته .

ومن ذلك أيضاً أن الشواهد تُزرع من الشعر ، ولولاه لم يكن على ما يلتبس
من ألفاظ القرآن وأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم شاهد .

وكذلك لا نعرف أنساب العرب وتواريخها وأيامها ووقائعها إلا من جملة
أشعارها ؛ فالشعر ديوان العرب ، وخزانة حكمها ، ومستنبت آدابها ، ومستودع
علومها ؛ فإذا كان ذلك كذلك فحاجة الكاتب والخطيب وكل متأدب بلغة العرب
أو ناظر في علومها [إليه] ماسة وفاقة إلى روايته شديدة .

وأما النقص الذي يلحق الشعر من الجهات التي ذكرناها فليس بوجوب الرغبة
عنه والزهادة فيه ، واستثناء الله عز وجل في أمر الشعراء يدل على أن المذموم من
الشعر إنما هو المدلول عن جهة الصواب إلى الخطأ والمصروف عن جهة الإنصاف
والعدل إلى الظلم والجور .

وإذا ارتفعت هذه الصفات ارتفع الذم ، ولو كان الذم لازماً له لكوّن شعراً
لما جاز أن يزول عنه على حال من الأحوال . ومع ذلك فإن من أكمل الصفات

صفات الخطيب والكاتب أن يكونا شاعرين كما أن من أتم صفات الشاعر أن يكون خطيباً كاتباً . والذي قصر بالشعر كثرتُه وتَعَاطَى كلُّ أحدٍ له حتى العامة والسفلة ؛ فليحقه من النقص ما لَحِقَ العُودَ والشَّطْرَيجَ حينَ تعاطاها كلُّ أحدٍ .

ومن صفات الشعر الذي يختصُّ بها دون غيره أن الإنسان إذا أراد مدِّيحَ نفسه فأنشأ رسالة في ذلك أو عملَ خطبة فيه جاء في غاية القباحة ، وإن عمل في ذلك أبياتاً من الشعر احتُمِلَ .

ومن ذلك أن صاحب الرياسة والأبهة لو خطب بذكر عشيق له ، ووصف وجده به ، وحسينه إليه ، وشهرته في حبه ، وبكائه من أجله لاستهجن منه ذلك ، وتنقص به فيه ؛ ولو قال في ذلك شعراً لكان حسناً .

وإذا أردت أن تعمل شعراً فأحضِرِ المعاني التي تريد نظمها ففكرك ، وأخطرها كيف تعمل لا شعر ؟ على قلبك ، واطلب لها وزناً يتأتى فيه إرادها وقافيةً يحتملها ؛ فمن المعاني ما تتمكن من نظمها في قافية ولا تتمكن منه في أخرى ، أو تكون في هذه أقرب طريقاً وأيسر كلفةً منه في تلك ؛ ولأن نعلو الكلام فتأخذه من فوق فيجىء سلساً سهلاً ذا طلاوة ورواقٍ خيرٌ من أن يملوك فيجىء كزاً فجاً ومتجعداً جلفاً .

فإذا عملت القصيدة فهدِّبها ونقِّحها ؛ بإلقاء ما غث من أبياتها ، ورث و رذل ، والاقتصار على ما حسن ونغم ، بإبدال حرفٍ منها بآخر أجود منه ، حتى تستوى أجزاؤها وتتضارع هَوادِئُها وأعجازها .

فقد أنشدنا أبو أحمد رحمه الله قال : أنشدنا أبو بكر بن دُرَيْد :

طَرَفَتِكَ عَزَّةٌ مِنْ مَزَارٍ نَارِحٍ يَا حُسْنَ زَائِرَةٍ وَبُعْدَ مَزَارٍ

ثم قال أبو بكر : لو قال : « ياقُرْبَ زَائِرَةٍ وَبُعْدَ مَزَارٍ » لكان أجود . وكذلك هو لتضمنه الطِّبَاقَ .

وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر عن عبد الرحمن عن عمه عن المنتجع بن نيهان ،

قال : سمعت الأشهب بن جميل يقول : أنا أول من ألقى الهجاء بين جرير وابن لجأ ،
أنشدت جريراً قوله ^(١) :

تصطك إحيها على دلائها تلاطم الأزد على عطاءها
حتى بلغت إلى قوله :

تجر بالاهون من دعائها جرّ المعجوز الثنى من كسائها ^(٢)

فقال جرير : ألا قال : « جرّ الفتاة طرفي ردائها » فرجعت إلى ابن لجأ فأخبرته .
فقال : والله ما أردت إلا ضعفه المعجوز ؛ ووقع بينهما الشر . وقول جرير : « جرّ
العروس طرفي ردائها » . أحسن وأظرف وأخلى من قول عمرو بن لجأ : « جرّ المعجوز
الثنى من كسائها » . وليس في اعتذار ابن لجأ بضعفه المعجوز فائدة ؛ لأن الفتاة معها
من الدلال ما يقوم في المويّنة مقام ضعفه المعجوز . وإنكار جرير قوله : « الثنى
من كسائها » نقد دقيق ، وإنما أنكره لأن فيه شبهة من التكاف . وقول جرير :
« طرفي ردائها » أسلس وأسهل وأقلّ حروفاً .

وقولك : رأيت الإيمار بذلك أجود من قولك : رأيت أن أوعز بذلك ؛ كذا
وجدت خذّاق الكتاب يقولون . وعجبت من البحترى كيف قال ^(٣) :

لعمري العواني يوم صخرأء أربد لقد هيّجت وجداً على ذي توجّد

ولو قال : « على متوجد » لكان أسهل وأسلس وأحسن .

وفي غير هذه الرواية قال ، فقال ابن لجأ لجرير : فقد قلت أعجب من هذا ، وهو
قولك ^(٤) :

وأوثق عند المردفات عشيةً لجاجاً إذا ماجرد السيف لا مع
والله لو لم يلحقن إلا عشياً لما لحقن حتى نكحن وأحبلن .

(١) الموشح ١٢٨ . (٢) في الموشح : من خفائها . وقال : الحفاء : طرف اللسان .

(٣) ديوانه ١٩٦ . (٤) ديوانه : ٣٧٢ ، والموشح : ١٢٧ .

وقد كان هذا دأب جماعة من خُذّاق الشعراء من المحدثين والقدماء، منهم زهير؛
كان يَعْمَلُ القصيدةَ في ستة أشهر ويَهْدِيها في ستة أشهر، ثم يُظهِرها، فتسمى
قصائده الحوليات لذلك.

وقال بعضهم: خير الشعر الحولى المنقح؛ وكان الخطيئةُ يَعْمَلُ القصيدةَ في شهر،
وينظرُ فيها ثلاثة أشهر ثم يُبْرِزُها. وكان أبو نواس يَعْمَلُ القصيدةَ ويتركها ليلةً،
ثم يَنْظُرُ فيها فيُلْقِي أكثرها ويقتصر على العيون منها؛ فلهذا قَصُرَ أكثر قصائده.
وكان البحترى يُلْقِي من كل قصيدة يَعْمَلُها جميع ما يَرْتَابُ به فخرج شعره مهذبا.
وكان أبو تمام لا يفعلُ هذا الفعل، وكان يَرْضَى بأوّلِ خاطِرٍ فَنِمَى عليه عيب
كثير.

وتخيّر الألفاظ، وإبدال بعضها من بعض يُوجِبُ الثَّامَّ الكلام؛ وهو من أَحْسَنِ
نوعته وأزَيْنِ صفاته، فإن أمكن مع ذلك منظوما من حروفٍ سهلةٍ الخارجِ كان
أحسنَ له وأدعى للقلوب إليه، وإن اتَّفَقَ له أن يكون مَوْقِعُهُ في الإطناب والإيجاز
أَلْيَقَ بموقعه، وأحقّ بالمقام والحال كان جامعا للحُسْنِ، بارعا في الفضل؛ وإن بلغ
مع ذلك أن يكون موارِدُهُ تنبيك عن مصادره، وأوّلُهُ يَكْشِفُ قِنَاعَ آخره، كان قد
جمع نهايةَ الحُسْنِ، وبلغ أعلى مراتب التمام.

ومثاله ما أنشدنا أبو أحمد قال: أنشدنا أبو الحسن أحمد بن جعفر البرمكي، قال:
أنشدنا عبيد الله بن عبد الله بن طاهر لنفسه:

أشارَتْ بِأَطْرَافِ الْبَنَانِ الْمُخَضَّبِ وَضَنَّتْ بِمَآ تَحْتَ النِّقَابِ الْمَكْتَبِ
وَعَضَّتْ عَلَى تَفَاحَةٍ فِي يَمِينِهَا بِذِي أَشْرٍ عَذَبِ الْمَذَاقَةِ أَشْنَبِ
وَأَوَمَّتْ بِهَا نَحْوِي قَعْمْتُ مُبَادِرًا إِلَيْهَا فَقَالَاتِ: هَلْ سَمِعْتَ بِأَشْنَبِ
فهذا أجودُ شعرٍ سَبَّكَ وأشدّه الثَّامًا وأكثره طلاوة وماء.

وينبغي أن تجعلَ كلامك مشتبها أوله بآخره، ومطابقا هاديه لعجزه، ولا تتخالف

أطرافه ، ولا تتنافر أطرافه ^(١) ، وتسكون الكلمة منه موضوعاً مع أختها ، ومقرونة بلفقها ؛ فإن تنافر الألفاظ من أكبر عيوب الكلام ؛ ولا يكون ما بين ذلك خشوً يُستثنى عنه ويتم الكلام دونه .

ومثال ذلك من الكلام المتلائم الأجزاء ، غير المتنافر الأطرار قول أخت عمرو ذى السكب :

فَأَقْسِمُ يَا عَمْرُو لَوْ نَبَّاهُكَ إِذَا نَبَّاهُ مِنْكَ دَاءُ عُضَالَا
إِذَا نَبَّاهُ لَيْتَ عَرِيْسَةً ^(٢) مُفِيْتًا مُفِيْدًا نَفُوسًا وَمَالَا
وَحَرْقٍ تَجَاوَزَتْ مَجْهُولُهُ يَوْجَنَاءَ حَرْفٍ تَشْكِي الْكَلَالَا ^(٣)
فَكُنْتُ النَّهَارَ بِهِ شَمْسُهُ وَكُنْتُ دُجَى اللَّيْلِ فِيهِ الْهِلَالَا
فجملته الشمس بالنهار ، والهلal بالليل . وقالت : مُفِيْتًا مُفِيْدًا ، ثم فسرت فقالت : نفوساً ومالاً .

وقال الآخر :

وَفِي أَرْبَعٍ مَتَى حَلَّتْ مِنْكَ أَرْبَعٌ فَا أَنَا دَارٍ أَيُّهَا هَاجَ لِي كَرْبِي
أَوْجْهَكَ فِي عَيْنِي أَمْ الرِّيقُ فِي فَمِي أَمْ النُّطْقُ فِي سَمْعِي أَمْ الْحُبُّ فِي قَلْبِي
وأخبرني أبو أحمد ، قال : كنتُ أنا وجماعة من أحداث بغداد ممن يتعاطى الأدب نختلف إلى مُدْرِكٍ نتعلم منه علم الشعر ، فقال لنا يوماً : إِذَا وَضَعْتُمُ الْكَلِمَةَ مَعَ لَفْقِهَا كُنْتُمْ شَعْرَاءَ ، ثم قال : أَجِيزُوا هَذَا الْبَيْتَ :

* أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا مَتَاعٌ غُرُورٍ *

فأجازه كلُّ واحدٍ من الجماعة بشيء فلم يرْضه ، فقلت :

* وَإِنْ عَظُمَتْ فِي أَنْفُسٍ وَصُدُورٍ *

فقال : هذا هو الجيد المختار .

(١) أطرافه . (٢) كذا في ب ، والعريسة : مأوى الأسد والضبع وغيرها ، وفي ط « عرينة » تصحيف . (٣) : الحرق : الأرض البعيدة . والفلاة : الواسعة . والوجناء : الناقة الشديدة . والحرف من الإبل : النجبية الماضية .

وأخبرنا أبو أحمد الشطرنجى ، قال : حدثنا أبو العباس بن عربى ، قال : حدثنا حماد عن يزيد بن جبلة ، قال : دفن مسلمة رجلاً من أهلهم ، وقال :

* نَرُوحُ وَنَعْدُو كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ *

ثم قال لبعضهم : أجز ، فقال : * فحَتَّى مَتَى هَذَا الرُّوْحُ مَعَ الْمَدْوِ * فقال مسلمة : لم تَصْنَعْ شيئاً . فقال آخر : * فإِلَّاكَ مَغْدَى مَرَّةً وَرَوَّاحاً * فقال : لم تَصْنَعْ شيئاً . فقال لآخر : أجز أنت ، فقال :

* وَعَمَّا قَلِيلٍ لَا نَرُوحُ وَلَا نَعْدُو *

فقال : الْآنَ تَمَّ الْبَيْت .

ومما لم يُوضَعْ [فيه] الشيء مع لِقْفِهِ من أَشْكَارِ الْمُتَقَدِّمِينَ قولُ طرفة^(١) :

وَلَسْتُ بِحَلَّالٍ لِلتَّلَاعِ خَافَةً وَلَكِنْ مَتَى يَسْتَرْفِدِ الْقَوْمُ أَرْفِدُ^(٢)

فالمصراعُ الثَّانِي غيرُ مُشَاكِلٍ للصورة لِلْمِضْرَاعِ الْأَوَّلِ ، وإنْ كَانَ الْمَعْنَى صَحِيحاً ؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ : وَلَسْتُ بِحَلَّالٍ لِلتَّلَاعِ خَافَةً السُّؤَالِ ، وَلَكِنِّي أَنْزِلُ الْأَمَكَةَ الْمَرْتَفِعَةَ ، لِيَتَابُونِي فَأَرْفِدَهُمْ ، وَهَذَا هِجَةُ الْكَلَامِ ؛ فَلَمْ يَمِزْ عَنْهُ تَمْبِيراً صَحِيحاً ، وَلَكِنَّهُ خَلَطَهُ وَحَذَفَ مِنْهُ حَذْفًا كَثِيراً فَصَارَ كَالْمُتَنَافِرِ ؛ وَأَدَوَاءُ الْكَلَامِ كَثِيرَةٌ .

وهكذا قول الأعشى^(٣) :

وإنْ أَمْرًا أَسْرَى إِلَيْكَ وَدُونَهُ سُهُوبٌ وَمَوْمَاةٌ وَبَيْدَاءٌ سَمَلَقُ^(٤)

لِحَقْوَةٍ أَنْ تَسْتَجِيبِي لَصَوْتِهِ وَأَنْ تَعْلَمِي أَنَّ الْمَعَانَ مُوقِقُ

(١) الموشح: ٥٤ . (٢) التلاع : جمع تلعة ، وهى ما ارتفع من الأرض وما انهبط أيضاً .

(٣) الموشح : ٥٤ ، ورواية البيت الأول فيه :

وإنْ أَسْرَأَ أَهْلَاكَ بَنَى وَبَيْنَهُ فَيَافِ تَنَوُّفَاتٍ وَبِهَمَاءٍ خَيْفَقُ

وفلاة خيفق : واسعة .

(٤) السهوب : الأرض الواسعة . والسملق : القاع المستوى الأملس ، وقيل : القفر الذى

لا شجر فيه .

قوله : « وأن تملئ أن المان موفق » غير مشا كل لما قبله .

وهكذا قول عنتره^(١) :

حَرَقُ الْجَنَاحِ كَانَ لِحْشِي رَأْسِهِ جَلَمَانِ بِالْأَخْبَارِ هَشٌّ مُوَلَعٌ^(٢)
إِنَّ الَّذِينَ نَعَبْتُ لِي بِفِرَاقِهِمْ هُمْ أَسْلَمُوا لَيْلِي الْقَامِ وَأَوْجَمُوا^(٣)

ليس قوله « بالأخبار هشّ مولع » في شيء من صفة جناحه ولحييه .

وقول السموءل^(٤) :

فَنَحْنُ كَمَا الْمَزْنِ مَا فِي نِصَابِنَا كَهَامٌ وَلَا فِينَا يُعَدُّ بَخِيلٌ^(٥)

ليس في قوله : « ما في نصابنا كهام » . من قوله : « فنحن كما المزني » في شيء ؛ إذ ليس بين ماء الزن والنصاب والكهوم مقاربة ، ولو قال : ونحن ليسوث الحرب ، أو أولو الصرامة والنجدة ما في نصابنا كهام لكان الكلام مستويا . أو نحن كما الزن صفاء أخلاق وبذل أكيف لكان جيدا .

وجمل بعض الأدياء من هذا الجنس قول امرئ القيس^(٦) :

كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا لِلدَّيَّةِ وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِبًا ذَاتَ خَلْخَالٍ
وَلَمْ أَسْبِأِ الزَّقَّ الرَّوِيَّ وَلَمْ أَقُلْ لَخْلِي كُرِّي كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالٍ

قالوا : فلو وُضِعَ مِصْرَاعُ كُلِّ بَيْتٍ مِنْ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ فِي مَوْضِعِ الْآخَرِ لَكَانَ أَحْسَنَ^(٧) وأدخل في استواء النسخ ؛ فكان يُرَوَى :

كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا وَلَمْ أَقُلْ لَخْلِي كُرِّي كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالٍ
وَلَمْ أَسْبِأِ الزَّقَّ الرَّوِيَّ لِلدَّيَّةِ وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِبًا ذَاتَ خَلْخَالٍ

(١) ديوانه : ٨٨ ، واللسان — مادة حرق . (٢) الحرق في الجناح : قصر ريشه .
والجلمان : المقرضان واحدهما جلم . (٣) في الديوان : قد أسهروا ليلي القام فأوجموا .
(٤) شعراء اليهود : ٢٦ ، نقد الشعر : ١١٥ . (٥) الكهام : من كهم الرجل كهامة
إذا ضعف وجين عن الإقدام ، أي ليس فينا رجل ضعيف . (٦) الموشح : ٣٤ ، وديوانه : ٥٨ .
(٧) عبارة الموشح : لكان أشكل .

لأنَّ ركوبَ الجواد مع ذكر كروزر الخيل أجود ، وذكر الحمر مع ذكر الكواكب

أحسن .

قال أبو أحمد: الذي جاء به امرؤ القيس هو الصحيح؛ وذلك أن العرب تضع الشيء مع خلافه فيقولون: الشدة والرخاء ، والبؤس والنعيم ، وما يجري مع ذلك. وقالوا في قول ابن هرمة (١) :

وإني وتركى ندى الأكرمين وقدحى بكفى زندا شحاحا
كتاركه بيضها بالعراء وملبسة بيض أخرى جناحا

وقول الفرزدق :

وإنك إذ تهجؤ تميأ وترنشي سرايل قيس أوسحوق المائم
كمهريق ماء بالفلالة وغره سرايل أذاعته رياح السائم

كان ينبغي أن يكون بيت ابن هرمة مع بيت الفرزدق وبيت الفرزدق مع بيت

ابن هرمة ، فيقال :

وإني وتركى ندى الأكرمين وقدحى بكفى زندا شحاحا
كمهريق ماء بالفلالة وغره سرايل أذاعته رياح السائم
[ويقال] (٢) :

وإنك إذ تهجؤ تميأ وترنشي سرايل قيس أوسحوق المائم
كتاركه بيضها بالعراء وملبسة بيض أخرى جناحا
حتى يصح التشبيه للشاعرين جميعاً .

ومن المتنافر الصمد والأعجاز قول حبيب بن أوس (٣) :

(١) الموشح : ٢٣٧ ، سر الفصاحة : ٢٤٢ . (٢) الزيادة من الموشح .

(٣) ديوانه : ٨٦ .

محمد^(١) إِنَّ الحَاسِدِينَ حُشُودُ وَإِنَّ مَصَابَ الْمَزْنِ حَيْثُ تَرِيدُ
ليس النصف الأول من النصف الثاني في شيء .

وقريب من ذلك قولُ الطالبي :
قَوْمٌ هَدَى اللَّهُ الْعِبَادَ بِجِدِّهِمْ وَالْمُؤَثَّرُونَ^(٢) الضَّيْفَ بِالْأَزْوَاجِ
ومن الشعر المتلائم الأجزاء المتشابه الصدور والأعجاز قولُ أبي النجم :
إِنَّ الْأَعَادَى لَنْ تَنَالَ قَدِيمَنَا حَتَّى تَنَالَ كِبَاكِبُ الْجَوَازِ
كَمْ فِي لُجَيْمٍ مِنْ أَعْرَ كَأَنَّهُ صُبْحٌ يَشْقُ طِيَالَسَ الظَّلَمَاءِ
وَجَرَّبَ خُضْلُ^(٣) السَّبَانِ إِذَا التَّقَى زَحْفُ بِخَاطِرَةِ الصَّدُورِ ظِلْمَاءِ
وكقول القطامي^(٤) :

يَمْشِينَ رَهْوَاً فَلَا الْأَعْجَازُ خَاذِلَةٌ وَلَا الصُّدُورُ عَلَى الْأَعْجَازِ تَتَكَلَّفُ
فَهِنَّ مَعْتَرِضَاتٌ وَالْحَصَى رَمَضُ^(٥) وَالرَّيْحُ سَاكِنَةٌ وَالظِّلُّ مَعْتَدُ
إِلَّا أَنْ هَذَا لَوْ كَانَ فِي وَصْفِ نِسَاءٍ لَكَانَ أَحْسَنَ ؛ فهو كالشيء الموضوع في غير موضعه .

وينبغي أن تتجنب إذا مدحت أو عاتبت المعاني التي يتطير منها ويستشنع سماعها ،
مثل قول أبي نواس^(٦) :

سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا مَا قُدِّمَتْ بَنَى بَرْمَكٍ مِنْ رَائِحِينَ وَغَادِي
وإذا أردت أن تأتي بهذا المعنى فسيبك أن تسلك سبيل أشجع السلمي
في قوله :

لَقَدْ أَمْسَى صَلَاحُ أَبِي عَلِيٍّ لِأَهْلِ الْأَرْضِ كُبُلُهُمْ صَلَاحًا
إِذَا مَا الْمَوْتُ أَخْطَأَهُ فَلَسْنَا نُبَالِي الْمَوْتَ حَيْثُ غَدَا وَرَاحًا

(١) في الديوان : «أأحد» . (٢) في ط : «والمؤثرئون» ، تحريف ، وصوابه من أ ، ب .

(٣) الخضل : كل شيء ند . (٤) الموشح : ١٤٧ .

(٥) الرمض محركة : شدة وقع الشمس على الرمل وغيره . (٦) ديوانه : ٧٤ .

فذكر إخطاء الموت إياه وتجاوزته إلى غيره ؛ فجاء المعنى وحسن المستمع . وقد أحسنَ القائل :

ولا تحسبنَ الحُزْنَ يَبْقَى فَإِنَّهُ شِهَابٌ حَرِيقٌ وَقَدْ نَمَّ خَامِدٌ
سَتَأْلَفُ فَقْدَانُ الَّذِي قَدْ فَقَدْتُهُ كَأَلْفِكَ وَجَدَانُ الَّذِي أَنْتَ وَاجِدٌ
فجعل ما يتطيرُ منه من الفقدان لنفسه وما يستحبُّ من الوجدان للصدوح ؛ وقد أساء أبو الوليد أروطة بن شهبة ، حين أنشد عبد الملك :

رَأَيْتُ الدَّهْرَ يَا كُلُّ كُلٍّ حَتَّى كَأَكُلِ الْأَرْضِ سَاقِطَةَ الْحَدِيدِ
وَمَا تُبْقَى الْمَنِيَّةُ حِينَ تَقْدُو عَلَى نَفْسِ ابْنِ آدَمَ مِنْ مَزِيدِ
وَأَعْلَمُ أَنَّهَا سَتَكُرُّ حَتَّى تُوفِّي نَذْرَهَا بِأَبَى الْوَلِيدِ
وكان عبدُ الملك يُكْنَى أَبَا الْوَلِيدِ فتطيرُ منه ، وما زال يرى كراهةَ شعره في وجهه حتى مات .

وإذا دَعَتِ الضَّرُورَةُ إِلَى سَوْقِ خَبَرٍ واقتصاصِ كلامٍ ، فتحتاج إلى أن تتوَحَّى فيه الصدق ، وتتحرَّى الحقَّ ؛ فإن الكلام حينئذ يملكك ويحوجك إلى اتِّباعِهِ والالتقياد له .

وينبغي أن تأخذَ في طريقِ تسهيلِ حكايتِهِ فيها ، وتركِ قافيةٍ تطيعك في استيفائك له ، كما فعل النابغة في قوله ^(١) :

وَاحْكُمْ كَحُكْمِ فَتَاةِ الْحَيِّ إِذْ نَظَرَتْ إِلَى حَمَامٍ شِرَاعٍ وَارِدِ الثَّمَدِ ^(٢)
يَحْفَهُ جَانِبًا نَيْسِقٍ ^(٣) وَتَتَّبِعُهُ مِثْلَ الزَّجَاجَةِ لَمْ تَكْحَلْ مِنَ الرَّمَدِ
قَالَتْ أَلَا لَيْتَمَا هَذَا الْحَمَامُ لَنَا إِلَى حَمَامَتَيْنَا أَوْ نِصْفَهُ فَقَدِ

(١) ديوانه : ٢٢ . (٢) فتاة الحي : زرقاء اليمامة . وشراع : مجتمعة . والثمَد : هو الماء القليل . (٣) النيسق : أرفع موضع في الجبل .

فَكَمَلَتْ مِائَةً فِيهَا حَمَامَتُهَا وَأَسْرَعَتْ حِسْبَةً فِي ذَلِكَ الْعَدَدِ
فَحَسْبُوهُ فَالْفَوْهُ كَمَا حَسَبَتْ تِسْعًا وَتِسْعِينَ لَمْ تَنْقُصْ وَلَمْ تَزِدْ
فهذا أجود ما يُذكرُ في هذا الباب ، وأضعفُ ما رامه شاعرٌ منه ؛ لأنه عمد إلى
حسابٍ دقيقٍ ، فأورده مشروحا ملخصا ، وحكاة حكاية صادقة . ولما احتاج إلى أن
يذكر العدد والزيادة والتمدد بسنن الكلام على قافية فاصلة الدال فسَّهل عليه طريقة ،
وأطرد سبيله .

ومثل ذلك ما أتاه البحترى في القصيدة التي أولها ^(١) :

هَاجَ الْخِيَالُ ^(٢) لَنَا ذِكْرَى إِذَا طَافَا وَافَى يُحَادِثُنَا وَالصَّبْحُ قَدْ وَافَى
وكان قد احتاج إلى ذكر الآلاف ، والإسماع ، والأضغاف ، والإمراف ،
وترك الاختصار على الأنصاف ؛ فجعل القصيدة قافية ؛ فاستوى له مُرادُه وقُرْبُ عليه
مرامه ، وهو قوله ^(٣) :

قَضَيْتَ عَنِّي ابْنَ بَسْطَامٍ صَلْبَعَتَهُ عِنْدِي وَضَاعَفْتَ مَا أَوْلَاهُ أَضْعَافَا
وَكَانَ مَعْرُوفُهُ قَصْدًا إِلَى ^(٤) وَمَا جَازَيْتُهُ عَنْهُ تَبْذِيرًا وَإِسْرَافًا
مِثْلُونَ عَيْنَا تَوَلَّيْتَ الثَّوَابَ بِهَا حَتَّى انْتَهَيْتُ لِأَبِي الْعَبَّاسِ آلَافَا
قَدْ كَانَ يَكْفِيهِ مِمَّا قَدَّمْتُ يَدُهُ رَبًّا ^(٥) يَزِيدُ عَلَى الْآحَادِ أَنْصَافَا
ولا ينبغي أن يكون لفظك وخشيًا بدويًا ، وكذلك لا يصلح أن يكون مبتدأ
سوقيا .

أخبرنا أبو أحمد عن مبرمان عن أبي جعفر بن القتيبي عن أبيه ، قال ، قال خلف
الأحمر : قال شيخٌ من أهل الكوفة : أما عجبت أن الشاعر قال : « أنبت قيصوما

(١) ديوانه : ١٠٦ . (٢) في الديوان : يهدى الخيال . (٣) ديوانه : ١٠٧ .

(٤) في الديوان : لدى . (٥) في ط : وما .

وجمعا «^(١) فاحتمل ، وقلت أنا : أنيت إجاباً وتفاحاً - فلم يحتمل .
والخيار من الكلام ما كان سهلاً جزلاً لا يشوبه شيء من كلام العامة وألفاظ
الحشوية ، وما لم يخالف فيه وجه الاستعمال ؛ ألا ترى إلى قول المتنبي ^(٢) :
أَبْنِ الْبَطَارِيقُ وَالْحَلْفُ الَّذِي حَلَفُوا بِمَفْرِقِ الْمَلِكِ وَالزَّعْمُ الَّذِي زَعَمُوا
هذا قبيح جداً ، وإنما سمع قول العامة حلف برأسه ، فأراد أن يقول مثله ؛
فلم يستور له ، فقال : بمفرق الملك ، ولو جاز هذا لجاز أن يقول : حلف بياقوت أخيه ،
وبقمح دوة ^(٣) سيده .

وقبح هذا يدل على أن أمثاله غير جاز في جميع المواضع ، وهذا النوع في شعر
المتنبي كبعد الاستعارة في شعر أبي تمام .

ومن الألفاظ ما يستعمل بواعيه وخماسيه دون ثلاثيه ، ومنها ما هو بخلاف ذلك ،
فينبغي ألا تعدل عن جهة الاستعمال فيها ، ولا يفرّك أن أصولها مستعملة ؛ فالخروج
عن الطريقة المشهورة والنهج المألوف ردى على كل حال . ألا ترى أن الناس
يستعملون « التعاطي » فيكون منهم مقبولا ، ولو استعملوا « العطو » وهو أصل
هذه الكلمة وهو ثلاثي ، والثلاثي أكثر استعمالاً ، لما كان مقبولا ولا حسناً مرضياً ؛
فقس على هذا .

ومن الألفاظ ما إذا وقع نكرة قبّح موضعه وحسن إذا وقع معرفة ، مثل
قول بعضهم :

لَمَّا التَقَيْنَا صَاحِبَ بَيْنٍ يَبْنِنَا يُدْنِي مِنَ الْقُرْبِ الْبَعَادَ لِحَاقًا

فقوله : « صاح بين يبننا » متكلف جداً . فلو قال : « البين » كان أقرب ؛ على
أن البيت كله ردى ، ليس من وصف البلاء .

(١) القيصوم : نبات زهره مر جدا . والجنتحات : نبات مر . (٢) ديوانه : ٤٠ - ١٦ .

(٣) الهنة الناشرة فوق الفقا وأعلى القذال خلف الأذنين ، ومؤخر القذال .

وينبغي أن تجتنب ارتكاب الضرورات وإن جاءت فيها رخصة من أهل العربية ، فإنها قبيحة تشين الكلام وتذهب بمائه ؛ وإنما استعملها القدماء في أشعارهم لعدم علمهم بقبحها^(١) ، ولأن بعضهم كان صاحب بداية ، والبداية مزلّة ، وما كان أيضاً تنقّد عليهم أشعارهم ، ولو قد نُقِدت وبهرج منها المعب كما تُنقّد على شعراء هذه الأزمنة وبهرج من كلامهم ما فيه أدنى عيب لتجنبوها ، وهو كقول الشاعر :

له زَجَلٌ كأنه صَوْتُ حَادٍ إذا طَلَبَ الوَسِيقَةَ أو زَمِيرُ
فلم يشبع .

وقول الآخر :

ألم يَأْتِيكَ والْأَنْبَاءُ تَنْمِي بِمَا لَاقَتْ لَبُونُ بَنِي زِيَادٍ
فقال : « ألم يَأْتِيكَ » ، فلم يجزم .
وقال ابن قنيس الرقيات :

لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي الْعَوَانِي هَلْ يُصْبِحْنَ إِلَّا لَهْنٌ مُطَلَبُ
فحرك حرف العلة .

وقال قمنب بن أمّ صاحب^(٢) :

مَهْلًا أَعَادِلَ قَدْ جَرَّبْتُ مِنْ خُلُقِي إِنِّي أَجُودُ لِأَقْوَامٍ وَإِنْ ضَنِنُوا
فأظهر التضعيف .

ومثله قول المعجاج^(٣) :

* تَشْكُو الْوَجَى مِنْ أَظْلَلٍ وَأُظْلَلٍ^(٤) * .

(١) في ب « بقائهما » وفي ط : لعلهم كان بقائهما . (٢) ديوان المختار من شعر العرب :

٨ ، واللسان — مادة ظل . (٣) اللسان — مادة ظل . (٤) الوجى : الحفا .

والأظّل : ما تحت ملمس البعير ، وتكلمة البيت :

* من طول لملال وظهر أملل *

وقال جميل^(١) :
 أَلَا أَرَى إِنَّمَا أَحْسَنَ شَيْمَةً عَلَى خَدَّكَ الْكَافِرُ مِنِّي وَمِنْ جُمَلِ
 وقال^(٢) :

إِذَا جَاوَزَ الْإِثْنَيْنِ مِرًّا فَإِنَّهُ بَشِيرٌ^(٣) وَتَكْثِيرُ الْوُشَاةِ قِمِينُ
 قطع ألف الوصل .
 وقال غيره^(٤) :

* من التَّعَالَى وَوَحْزٌ مِّنْ أَرَانِيهَا^(٥) *

إلى غير ذلك مما يَجْرِي مَجْرَاهُ ، وهو مكروه الاستعمال .
 وينبغي أن تتَحَاسَى العيوبَ التي تَعْتَرِي القوافي ، مثل السَّنَادِ والإِقْوَاءِ
 والإِبطَاءِ ، وهو أسهلُّها ، والتوجيه وإن جاء في جميع أشعار المتقدمين وأكثر
 أشعار المحدثين .

وينبغي أن ترتَّبَ الألفاظَ ترتيباً صحيحاً ؛ فتقدِّم منها ما كان يَحْسُنُ تَقْدِيمُهُ ،
 وتؤخِّر منها ما يَحْسُنُ تَأْخِيرُهُ ؛ ولا تُقدِّم منها ما يكون التَّأْخِيرُ به أحسن ، ولا
 تؤخِّر منها ما يكون التَّقْدِيمُ به أليق .

فما أفسدَ ترتيبُ ألفاظِهِ قولُ بعضهم :

يَضْحَكُ مِنْهَا كُلُّ غُضُوٍّ لَهَا مِنْ بَهْجَةِ الْعَيْشِ وَحُسْنِ الْقَوَامِ

(١) ديوانه : ٤٩ . (٢) ديوانه : ٦٥ . (٣) في الديوان : بنت وإفشاء الحديث ..

(٤) قال في اللسان : إنه لرجل من يشكر - مادة ثعلب . والتعالى : جمع ثعلب قال : ووجه
 ذلك سيبويه فقال : إن الشاعر لما اضطر إلى الياء أبدلها مكان الباء كما أبدلها مكان الهززة
 وصدره :

* لها أشارير من لحم تتمره *

(٥) الوحز : القليل من كل شيء . يريد الثعالب والأرانب : قال في اللسان - مادة رنب :
 ووجهه أن الشاعر لما احتاج إلى الوزن واضطر إلى الياء أبدلها من الباء .

تَرْفُلُ فِي الدَّارِ لَهَا وَفَرَّةٌ كَوْفَرَةُ الْمِلْطِ^(١) الْخَلِيعِ الْغَلَامِ
 كَانَ يَنْبَنِي أَنْ يَقُولَ: كَوْفَرَةُ الْغَلَامِ الْمِلْطِ الْخَلِيعِ ، أَوْ الْغَلَامِ الْخَلِيعِ الْمِلْطِ ؛
 فَأَمَّا تَقْسِيمُ الصِّفَةِ عَلَى الْمَوْصُوفِ فَرَدِيٌّ فِي صِنْعَةِ الْكَلَامِ جَدًّا . وَقَوْلُهُ أَيْضًا :
 « بِهِجَةِ الْعَيْشِ وَحَسَنِ الْقَوَامِ » مُتَنَافِرٌ غَيْرُ مَقْبُولٍ .

وقول ابن طباطبا :

وَعِجَلَةٌ تَشْدُو بِالْحَانِهَا وَكَانَتِ الْكَيْسَةَ الْخَادِمَةَ

لَوْ قَالَ : « وَكَانَتِ الْخَادِمَةُ الْكَيْسَةُ » لَكَانَ أَجُودَ .

وَيَنْبَغِي أَلَّا يَذْكَرَ فِي التَّشْيِيبِ اسْمًا بَغِيضًا ؛ فَقَدْ أَشْدَّ جَرِيرٌ بَعْضَ مُلُوكِ
 بَنِي أُمَيَّةٍ^(٢) :

وَقَوْلُ بَوَزْعٍ قَدْ دَبَّتَ عَلَى الْعَصَا هَلَّا هَزِئْتُ بَغْيِيرَنَا يَا بَوَزْعُ

فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ^(٣) : أَفْسَدْتُهَا بِبَوَزْعٍ .

وَقَدْ يَقْدَحُ فِي الْحَسَنِ قُبْحُ اسْمِهِ ، وَيَزِيدُ فِي مَهَابَةِ الرَّجُلِ نَخَامَةُ اسْمِهِ ، وَلِهَذَا
 تَكُنَّى الْبَحْتَرِيُّ بِأَبِي عِبَادَةَ ، وَكَانَ يُكْنَى أَبُو الْحَسَنِ ؛ وَشَهِدَ رَجُلٌ عِنْدَ شُرَيْحٍ وَكَانَ
 الرَّجُلُ يُكْنَى أَبُو الْكُوفِيزِ ، فَرَدَّ شَهَادَتَهُ ، وَلَمْ يَسْأَلْ عَنْهُ .

وَسَمِعَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ رَجُلًا يُكْنَى أَبُو الْعَمْرَيْنِ ، فَقَالَ : لَوْ كَانَ عَاقِلًا
 لَكَفَاهُ أَحَدَهُمَا .

وَأَتَى ظَالِمُ بْنُ سَرَّاقٍ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِيَسْتَعْمِلَهُ فَرَدَّهُ ، وَقَالَ :
 أَنْتَ تَظْلِمُ وَأَبُوكَ يَسْرِقُ ؛ وَظَالِمٌ هَذَا جَدُّ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صَفْرَةَ .
 وَهَذِهِ جُمْلَةٌ كَافِيَةٌ إِذَا تَذَبَّرْتَ ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقَ .

(١) المِلْطُ : الْحَيْثُ أَوْ الْخُتْلُطُ النَّسَبِ . (٢) دِيَوَانُهُ : ٣٤٢ .

(٣) هُوَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ .

ومن عيوب الكلام تكرير الكلمة الواحدة في كلام قصير : مثل قول هميمد
ابن حميد : ومثل خادمك بين ما يملك فلم يجد شيئا ينو بحقك ، ورأى أن تقرظك
بما يبلغه اللسان - وإن كان مقصرا عن حقك - أبلغ في أداء ما يجب لك .
فكرر الحق في المقدار اليسير من الكلام .

وينبغي أن يتجنب الكاتب جميع ما يكسب الكلام تعمية ، فيرتب ألفاظه
ترتبا صحيحا ، ويتجنب السقيم منه ، وهو مثل ما كتب بعضهم : لفلان - وله في حرمة -
مظلمة . وكان ينبغي أن يقول : لفلان وأنا أرعى حرمة مظلمة . وما يجري هذا
الجرى من الترتيب المختار البعيد من الإشكال .

الفَصْلُ الثَّانِي

فما يحتاج الكاتب إلى ارتسامه وامثاله في مكاتباته

ينبغي أن تعلم أن الكتابة الجيدة تحتاج إلى أدوات جمة ، وآلات كثيرة ؛ من معرفة العربية لتصحيح الألفاظ ، وإصابة المعاني ، وإلى الحساب ، وعلم المساحة ، والمعرفة بالأزمنة والشهور والأهلة ، وغير ذلك مما ليس هاهنا موضع ذكره وشرحه ، لأننا إنما عملنا هذا الكتاب لمن استكمل هذه الآلات كلها ، وبقي عليه المعرفة بصنعة الكلام ، وهي أصعبها وأشدّها .

والشاهد ما روى لنا أبو أحمد عن مبرمان عن البرد ، أنه قال : لا أحتاج إلى وصف نفسي لعلم الناس بي ؛ إنه ليس أحد من الخافقين يختلج في نفسه مسألة مشككة إلا لقيتني بها ، وأعدتني لها ، فأنا عالم ومتعلم وحافظ ودارس ، لا يخفى على مُشْتَبِه من الشعر والنحو والكلام المنشور والخطب والرسائل ، ولربما احتجت إلى اعتذار من فلتنة أو التماس حاجة ، فأجعل المعنى الذي أقصده نصب عيني ، ثم لا أجد سبيلاً إلى التعبير عنه بيد ولا لسان . ولقد بلغني أن عبيد الله بن سليمان ذكرني بجميل ، فحاولت أن أكتب إليه رُقعة أشكره فيها ، وأعرض ببعض أموري ؛ فأتعبت نفسي يوماً في ذلك فلم أقدر على ما أرتضيه منها ، وكنت أحاول الإفصاح عما في ضميري ، فينصرف لساني إلى غيره . ولذلك قيل : زيادة المنطق على الأدب خدعة ، وزيادة الأدب على المنطق هُجْنَة .

فأول ما ينبغي أن تستعمله في كتابتك مكتبة كل فريق منهم على مقدار طبقتهم وقوتهم في المنطق ، وقد أشرنا إلى ذلك فيما تقدم .

والشاهد عليه أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يكتب إلى أهل فارس

كتب إليهم بما يُمكن ترجمته ، فكتب : من محمد رسول الله إلى كسرى ابرويز
عظيم فارس :

سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ، وَأَمِنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، فَأَدْعُوكَ بِدَاعِيَةِ اللَّهِ ، فَإِنِ
أَنَا رَسُولُ اللَّهِ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا ، وَيُحَقِّقَ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ ،
فَأَسْلِمَ تَسْلِمًا ، فَإِنْ أَيْبَتْ فَأَيْمُ الْمَجُوسِ عَلَيْكَ .

فسهّل صلى الله عليه وسلم الألفاظ كما ترى غاية التسهيل حتى لا يخفى منها
شيء على مَنْ له أدنى معرفة في العربية .

ولما أراد أن يكتب إلى قوم من العرب فخم اللفظ ، لما عرف من فضل قوتهم
على فهمه وعادتهم لسماع مثله .

فكتب لوائل بن حجر الحضري :

من محمد رسول الله إلى الأقبال^(١) العباهلة من أهل حضر موت بإقام الصلاة
وإيتاء الزكاة ، على التبعة الشاة ، والتيمة لصاحبها^(٢) ، وفي السيوب^(٣) الخمس ؛
لا خلّاط ولا وراط ولا شنّاق ولا شمار^(٤) ، ومن أجبي فقد أربى ، وكلّ
مُسْكِرٍ حَرَامٍ^(٥) .

وكذلك كتابه صلى الله عليه وسلم لا كيدر صاحب دومة الجندل^(٦) :

(١) الأقبال : جمع قيل : الملك . أو من ملوك حمير . العباهلة : الأقبال المقرون على ملكهم
فلم يزالوا عنه . (٢) التبعة : الأربعون من الغنم أو أدنى ما يجب فيه الصدقة من الحيوان .
والتيمة : الشاة الزائدة على الأربعين حتى تبلغ الفريضة الأخرى . (٣) السيوب : الركاك .

(٤) خلّاط : اختلاط الإبل . والشنّاق : ما بين الفريضتين في الزكاة . والوراط في الصدقة :
الجمع بين متفرق . والشمار : أن يزوج الرجل امرأة على أن يزوجه أخرى بغير مهر وصدّق كل
واحدة منهما بضع الأخرى . (٥) أجبي : الإجماء أن يغيب الرجل لبله عن
المصدق ، من أجباته إذا واريته . (وارجع إلى اللسان - مادة جبي ، والفائق : ١ - ٤١) .

(٦) الفائق : ٣ - ٧٦ .

من محمد رسول الله لا يُكْذِر حين أجاب إلى الإسلام وخلق الأنداد والأصنام مع خالد بن الوليد سيف الله .

إنَّ لنا الضاحية من الضَّحَل^(١) والبُور والمعامى^(٢) وأغفال الأرض ، والحلقة والسلاح ، ولكم الضَّامِنَةُ^(٣) من النخل ، والمعين من المعمور ، لا تُمدل سارحتكم^(٤) ، ولا تُمدُّ فاردتكم^(٥) ، ولا يُحْظَر عليكم النبات ، تُقيمون الصلاة لوقتها ، وتؤدون الزكاة ، عليكم بذلك عهدُ الله وميثاقه .

واعلم أنَّ المعاني التي تُنشأ الكتبُ فيها من الأمر والنهي سبيلها أن تؤكِّد غاية التوكيد بجملة كيفية نظم الكلام ، لا بجملة كثرة اللفظ ؛ لأنَّ حكم ما ينفذ عن السلطان في كتبه شبيهٌ بحكم توقيعاته ؛ من اختصار اللفظ وتأكيده المعنى . هذا إذا كان الأمر والنهي واقفين في جملة واحدة لا يقع فيها وجوه التمثيل للأعمال . فأما إذا وقع في ذلك الجنس فإنَّ الحكمَ فيهما يخالف ما ذكرناه ، وسبيلُ الكلام فيها أن يُحمَّل على الإطالة والتكرير دون الحذف والإيجاز ؛ وذلك مثل ما يُكتب عن السلطان في أمر الأموال وجبايتها واستخراجها ، فسبيلُ الكلام أن يقدم فيها ذكر مآراء السلطان في ذلك ودبره ، ثم يعقب بذكر الأمر بامتناله ، ولا يقتصر على ذلك حتى يؤكِّد ويكرر لتأكيد الحجة على المأمور به ، ويحذر مع ذلك من الإخلال والتقصير .

ومنها الإجماد والإذمام والثناء والتقريظ ، والنم والاستصغار ، والعدل والتوبيخ ، وسبيلُ ذلك أن تُشيع الكلام فيه ، ويمد القول حسب ما يقتضيه آثار المكتوب إليه في الإحسان والإيلاء والاجتهاد والتقصير ؛ ليرتاج بذلك قلبُ المُطيع ، وينبسط أمله ، ويرتاج قلبُ المسمى ويأخذ نفسه بالارتداع .

(١) الضاحية : الخارجة من العيارة ، وهي خلاف الضامنة ، والضحل : الماء القليل .
(٢) المعامى : الأغفال ، وهي الأرضون المجهولة . (٣) الضامنة : ما كان داخلا في العارة وتضمنه أمصارهم وقراهم . (٤) لا تصرف عن معنى تريده . (٥) الفاردة : الزائدة على الفريضة .

فَأَمَّا مَا يَكْتُبُهُ الْمَالُ إِلَى الْأَمْثَرَاءِ وَمَنْ فَوْقَهُمْ ، فَإِنَّ سَبِيلَ مَا كَانَ واقِعاً مِنْهَا فِي
إِنْهَاءِ الْأَخْبَارِ ، وَتَقْرِيرِ صُورِ مَا يَكُونُهُ مِنَ الْأَعْمَالِ ، وَيَجْزِي عَلَى أَيْدِيهِمْ مِنْ صُورِ
الْأُمُوالِ أَنْ يُمَدَّ الْقَوْلُ فِيهِ حَتَّى يَبْلُغَ غَايَةَ الشِّفَاءِ وَالْإِفْنَاعِ ، وَتَعَامَ الشَّرْحِ
وَالِاسْتِقْضَاءِ ؛ إِذْ لَيْسَ لِلْإِيجَازِ وَالِاقْتِصَارِ عَلَيْهِ مَوْضِعٌ ، وَيَكُونُ ذَلِكَ بِالْأَلْفَاظِ السَّهْلَةِ
الْقَرِيبَةِ الْمَأْخُذِ ، السَّرِيعَةِ إِلَى الْفَهْمِ ، دُونَ مَا يَقَعُ فِيهِ اسْتِشْكَارٌ وَتَعْقِيدٌ ، وَرَبْمَا تَعَرَّضُ
الْحَاجَةُ فِي إِنْهَاءِ الْخَبَرِ إِلَى اسْتِعْمَالِ السَّكْنَاءِ وَالتَّوَرُّعِ مِنَ الشَّيْءِ دُونَ الْإِفْصَاحِ ؛ لَمَّا
فِي التَّصْرِيحِ مِنْ هَتِكِ السِّرِّ ؛ فِي حِكَايَتِهِ ^(١) عَنْ عَدُوٍّ أَطْلَقَ لِسَانَهُ بِهِ ، وَفِيهِ أَطْرَاحُ
مَهَابَةِ الرَّئِيسِ ؛ فَيَجِبُ إِجْلَالُهُ عَنْهُ ؛ وَفِي الصَّدَقِ مَا يَسُوِّدُهُ سَمَاعُهُ ، وَيَقَعُ بِخِلَافِ
مَحَبَّتِهِ ؛ فَيَحْتَاجُ مَنْشِئَ السَّكَلَامِ إِلَى اسْتِعْمَالِ لَفْظٍ فِي الْعِبَارَةِ لَا تَنْخَرِقُ مَعَهُ هَيْمَةُ
الرَّئِيسِ ، وَلَا يَتَعَرَّضُ فِيهِ مَا يَشْتَدُّ عَلَيْهِ ، وَلَا يَكُونُ أَيْضاً مَعَهَا خِيَانَةٌ فِي طَيِّ مَا لَا
يَجِبُ سِرُّهُ ، وَلَا يَكْمَلُ لِهَذَا إِلَّا الْمَبْرُزُ السَّكَامِلُ الْمَقْدَّمُ .

وَسَبِيلُ مَا يُكْتَبُ بِهِ فِي بَابِ الشُّكْرِ أَلَّا يَقَعُ فِيهِ إِسْهَابٌ ؛ فَإِنَّ إِسْهَابَ التَّابِعِ فِي
الشُّكْرِ ، إِذَا رَجَعَ إِلَى خُصُوصِيَّةٍ ، نَوَّغَ مِنَ الْإِبْرَامِ ^(٢) وَالتَّثْقِيلِ ؛ وَلَا يَحْسُنُ مِنْهُ أَنْ
يُسْتَعْمَلَ الْإِكْثَارُ مِنَ الثَّنَاءِ وَالِدَعَاءِ أَيْضاً ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ فِعْلُ الْأَبَاعِدِ الَّذِينَ لَمْ تَقْدَمْ لَهُمْ
وَسَائِلُ مِنَ الْخِدْمَةِ وَمَقَدِّمَاتُ فِي الْحَرَمَةِ ، أَوْ تَكُونُ صَنَاعَتُهُمُ التَّكَسُّبَ بِتَقْرِيطِ
الْمُلُوكِ وَإِطْرَاءِ السُّلَاطِينِ . فَلَا يَقْبَحُ إِكْثَارُ الثَّنَاءِ مِنْ هَؤُلَاءِ .

وَلَيْسَ يَحْسُنُ مِنْهُ أَيْضاً تَكَرُّرُ الدَّعَاءِ فِي صَدْرِ الْكِتَابِ وَالرَّقَاعِ عِنْدَمَا يَجْزِيهِ
مَنْ ذَكَرَ الرَّئِيسَ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مَشْغَلَةٌ وَكَلْفَةٌ ، وَالْحُكْمُ فِيمَا يُسْتَعْمَلُ مِنْ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ
مُشَبَّهٌ بِحُكْمِ مَا يُسْتَعْمَلُ مِنْهُ شِفَاهاً . وَيَقْبَحُ مِنْ خَادِمِ السُّلْطَانِ أَنْ ^(٣) يَشْغُلَ سَمْعَهُ فِي
مُخَاطَبَتِهِ إِيَّاهُ بِكَثْرَةِ الدَّعَاءِ لَهُ وَتَكَثُّرِهِ عِنْدَ اسْتِثْنَائِهِ كُلِّ لَفْظَةٍ .

وَسَبِيلُ مَا يَكْتُبُ بِهِ التَّابِعُ إِلَى الْمَتْبُوعِ فِي مَعْنَى الْاسْتِغْطَافِ وَمَسْأَلَةِ النُّظَرَاءِ

(١) فِي ١ ، ط « وَفِي حِكَايَتِهِ » ، وَصَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَاهُ عَنْ ب . (٢) أَبْرَمَهُ : أَمَلَهُ .

(٣) فِي ط : أَلَا .

ألا يكثر من شكايته الحال ورقته ، واستيلاء الخصاصة^(١) عليه فيها ؛ فإن ذلك يجمع إلى الإبرام والإضجار شكايته الرئيس لسوء حاله وقلة ظهور نعمته عليه . وهذا عند الرؤساء مكروهٌ جداً ، بل يجب أن يجعل الشكايته ممزوجةً بالشكر والاعتراف بشمول النعمة وتوفير المائدة^(٢) .

وسبيل ما يُكتب به في الاعتذار من شيء أن يتجنب فيه الإطناب والإسهاب إلى إيراد النكت التي يتوهم أنها مُقنعة في إزالة الموجبة ، ولا يعمن في تبرئة ساحته في الإساءة والتقصير ؛ فإن ذلك مما يكرهه الرؤساء ؛ والذي جرت به عادتهم الاعتراف من خدمهم وخوّلهم بالتقصير والتفريط في أداء حقوقهم وتأدية فروضهم ؛ ليكون لهم فيما يعقبون ذلك من المفرو والتجاوز موضع منة مستأنفة تستدعي شكرًا ، وعارفة مستجدّة تقتضي نشرًا ؛ فأما إذا بالغ المتنصل في براءة ساحته من كل ما قذف به فلا موضع للإحسان إليه في إعفائه عن ترك السخط ، بل ذلك أمر واجب له ؛ وفي منع الرئيس حصته منه ظلم وإساءة .

وينبغي أن يكثر الألفاظ عنده ، فإن احتاج إلى إعادة المعاني أعاد ما يُعيدُه منها بغير اللفظ الذي ابتدأه به ؛ مثل ما قال معاوية رضي الله عنه : من لم يكن من بني عبد المطلب جواداً فهو دخيل ؛ ومن لم يكن من بني الزبير شجاعاً فهو لزيق ؛ ومن لم يكن من ولد المغيرة تياًها فهو سنيد^(٣) . فقال : « دخيل » ثم قال : « لزيق » ثم قال : « سنيد » . والمعنى واحد والكلام على ما تراه أحسن ، ولو قال لزيق ، ثم أعاده لسمج .

هَذَا ، أدام الله عزك ، بعد أن تفرّق بين من تكتب إليه ؛ « فإن رأيت ، وبين من تكتب إليه » فرأيتك^(٤) . وأن تعرف مقدار المكتوب إليه من الرؤساء

(١) الخصاصة : الفقر . (٢) المائدة : المعروف والصلة والعطف والمنفعة .

(٣) اللزيق : اللصيق . والسنيد : الدعوى . (٤) عبارة أدب الكاتب صفحة ١٨ :

« فليس يفرقون بين من يكتب إليه : « فرأيتك في كذا » وبين من يكتب إليه : فإن =

والنظرَاء والعِلْمَانِ والوكلاء ، فتفرق بين من تكتب إليه بصفة الحال وذِكْرِ السلامة ، وبين من تكتب إليه بتركيها إجلالاً وإعظاماً ، وبين من تكتب إليه : أنا أفعلُ كذا ، وبين من تكتب إليه : نحن نفعلُ كذا ؛ « فأنّا » من كلام الإخوان والأشباه ، « ونحن » من كلام الملوك . وتكتب في أول الكتاب « سلامٌ عليك » ، وفي آخره « والسلام عليك » ؛ لأنَّ الشئ إذا ابتدأتَ بذِكْرِهِ كان نكرةً ، فإذا أعدتَه صار معرفة ؛ كما تقول : مرَّ بنا رجلٌ فإذا رجع قلت : رجع الرجل .

وكان الناسُ فيما مضى يستعملون في أوَّلِ فصولِ الرسائل « أما بعد » . وقد تركها اليوم جماعةٌ من الكتّاب ، فلا يكادون يستعملونها في شيء من كتبهم ، وأظنهم ألبوا بقول ابن القرية وسأله الحاجُّ عما يُسَكِّرُهُ من خطابه ، فقال : إنك تكثر الرد ، وتُشير باليد ، وتستمعين بأما بعد . فتحاموه لهذه الجهة مع أنهم رَوَوْا في التفسير أن قول الله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابَ ﴾ هو قوله أما بعد ؛ فإن استعملته اتباعاً للأسلاف ، ورغبةً فيما جاء فيه من التأويل فهو حسن ؛ وإن تركته توخيّاً لطابقة أهل عصرك ، وكراهةً للخروج عما أصْلُوهُ لم يكن ضاراً .

وينبغي أن يكون الدعاء على حسب ما توجه به الحال بينك وبين من تكتبُ إليه وعلى القدر المكتوب فيه .

وقد كتب بعضهم إلى حبة له : عصمتنا الله وإيّاك مما يكره . فكتبت إليه : يا غليظ الطبع ؛ لو استجيت لك دَعْوَتُكَ لم نلتق أبداً .

واعلم أن الذي يلزمك في تأليف الرسائل والخطب هو أن تجعلها مُزْدَوِجة فقط ، ولا يلزمك فيها السَّجْع ؛ فإن جعلتها مسجوعة كان أحسن ، ما لم يكن في سَجْعِكَ استكراه وتنافر وتعميد ، وكثر ما يقع ذلك في السَّجْع ، وقَلَّ ما يسلم . إذا طَالَ - من استكراه وتنافر .

= رأيت كذا . و « رأيك » إنما يكتبها إلى الأكفاء والساوين ، ولا يجوز أن يكتب بها إلى الرؤساء لأن فيها معنى الأمر . ولذلك نصبت .

وينبغي أن تتجنب إعادة حروف الصلات والرباطات في موضع واحد إذا كتبت
مثل قول القائل: منه له عليه . أو عليه فيه . أو به له منه . وأخفها له عليه ، فسنبيله
أن تدأويه حتى تزيله بأن تفصل ما بين الحرفين ، مثل أن تقول : أقت به شهيداً عليه .
ولا أعرف أحداً كان يتتبع الميوب فيأتيها غير مكترث إلا المتنبي ، فإنه ضمن شعره
جميع عيوب الكلام ما أعدمه شيئاً منها حتى تخطى إلى هذا النوع فقال ^(١) :
ويسعدني في غمرة بعد غمرة سبوح له منها عليها شواهد ^(٢) .
فأني من الاستكراه بما لا يطأر غرابه .
فتدبر ما قلناه ، وارثمه تظفر ببيعتك منه إن شاء الله .

(١) ديوانه : ١ - ٢٧٠ ، معاهد التنصيص : ١ - ٥٨ .

(٢) الغمرة : الشدة . السبوح : الفرس الشديد الجري .

البَابُ الرَّابِعُ

في البيان عن حُسْنِ النظم وجَوْدَةِ الرَّصْفِ والسَّبْكِ وخلاف ذلك

أجناس الكلام المنظوم ثلاثة : الرسائل ، والخطب ، والشعر ، وجميعها تحتاج إلى حُسْنِ التأليف وجَوْدَةِ التركيب .

وحُسْنُ التأليف يزيد المعنى وضوحاً وشرحاً ، ومع سُوء التأليف رداءة الرَّصْفِ والتركيب شعبة من التعمية ، فإذا كان المعنى سبياً ، ورصف الكلام ردياً لم يوجد له قبولٌ ، ولم تَظْهَرْ عليه طلاوة . وإذا كان المعنى وسطاً ، ورصفُ الكلام جيداً كان أحسنَ موقعاً ، وأطيبَ مستمعاً ؛ فهو بمنزلة العقد إذا جعل كل خَرَزَةٍ منه إلى ما يليق بها كان رائئاً في المَرَأَى وإن لم يكن مرتفعاً جليلاً ، وإن اختلَّ نظمه فضُمَّت الحبةُ منه إلى ما لا يليقُ بها افتَحَمَتْهُ العينُ وإن كان فائِقاً تَمِيناً .

وحُسْنُ الرَّصْفِ أَنْ تَوْضَعَ الألفاظُ في مواضعها ، وتمكَّن في أمَّاكنها ، ولا يستعملُ فيها التقديمُ والتأخيرُ ، والحذفُ والزيادةُ إلا حَذَفًا لا يُفْسِدُ الكلامَ ، ولا يُعَمِّي المعنى ؛ وتضمَّ كل لفظةٍ منها إلى شكْلِها ، وتضاف إلى إِفْقِها .

وسوء الرَّصْفِ تقديمُ ما ينبغي تأخيرهُ منها ، وصرفُها عن وجوهِها ، وتغييرُ صيغتها ، ومخالفةُ الاستعمال في نظمها .

وقال العتابي : الألفاظ أجساد ، والمعاني أرواح ؛ وإنما تراها بعيون القلوب ، فإذا قدِّمَتْ منها مؤخراً ، أو أخَّرت منها مقدِّماً أفسَدَتْ الصورةَ وغيَّرتَ المعنى ؛ كما لو حوِّلَ رأسٌ إلى موضع يد ، أو يدٌ إلى موضع رِجُلٍ ، لتحوَّلَت الخِلقةُ ، وتغيَّرتَ الحِلْيَةُ .

وقد أَحْسَنَ في هذا التمثيلِ وأَعْلَمَ به على أَنَّ الذي يَنْبَغِي في صِغَةِ الكلامِ وَضْعُ كلِّ شَيْءٍ منه في موضعه لِيُخْرِجَ بذلك من سوء النظم .

فمن سوء النظمِ المَعَاظِلَةُ ، وقد مدح عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه زهيراً لمجانبتها^(١) . فقال : كان لا يُعَاظِلُ بين السكلام ؛ وأَصْلُ هذه السكلمة من قولهم : تعاطلت الجِردَانِ إذا رَكِبْتَ إحداها الأخرى ، وعاطل الرجل المرأة إذا ركبها ؛ فمن المعازلة قولُ الفرزدق^(٢) :

تَمَالَ فَإِنْ عَاهَدْتَنِي لَا تَخُونِي تَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَذُوبُ يَصْطَحِبَانِ
وقوله^(٣) :

هُوَ السَّيْفُ الَّذِي نَصَرَ ابْنَ أَرْوَى بِهِ عُثْمَانُ مَرْوَانُ الْمُصَابَا
وقوله للوليد بن عبد الملك^(٤) :

إِلَى مَلِكٍ مَا أُمُّهُ مِنْ مُحَارِبٍ أَبُوهُ وَلَا كَانَتْ كَلِيبُ^(٥) تُصَاهِرُهُ
وقوله بمدح هشام بن إسماعيل^(٦) :

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمَلَّكَاً أَبُو أُمِّهِ حَتَّى أَبُوهُ يُقَارِبُهُ
وقوله :

الشَّمْسُ طَالِمَةٌ لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ تَبْكِي عَلَيْكَ نَجُومَ اللَّيْلِ وَالْقَمَرَا
وقوله^(٧) :

مَا مِنْ نَدَى رَجُلٍ أَحَقَّ بِمَا أَنِّي مِنْ مَكْرُمَاتِ عَظَائِمِ الْأَخْطَارِ
مِنْ رَاحَتَيْنِ^(٨) يَزِيدُ يَقْدَحُ زَنْدَهُ^(٩) كَفَاهُمَا وَأَشَدَّ عَقْدَ إِزَارِ
وقوله^(١٠) :

إِذَا جِئْتُهُ أَعْطَاكَ عَفْوَاً وَلَمْ يَكُنْ عَلَى مَالِهِ حَالُ الرَّدَى مِثْلَ سَائِلِهِ

(١) أي المعازلة . (٢) ديوانه : ١٥٣ . (٣) ديوانه : ٦٤ . (٤) ديوانه : ٦٦ .

(٥) في ط ، ب « كليباً » وصوابه من أ . (٦) ديوانه : ٢٦ .

(٧) ديوانه : ٦٠ . (٨) في الديوان : من ساعدين . (٩) في ط : تريد تقطع زنده .

(١٠) هو لئى الرمة كما في ديوانه صفحة ٧٠ ، واللسان — مادة نعل .

إلى ملك لا تنصفُ الساقَ نملُهُ أَجَلَ لا وإنْ كانت طَوَّالاً مَحَامِلُهُ^(١)
وقال قدامة : لا أعرفُ المعاطلةَ إلا فاحشَ الاستعارة ؛ مثل قول أوس^(٢) :
وذاث هِذْمٍ عَارٍ نَوَاشِرُهَا تُصِمَّتْ بِاللَّاءِ تَوَلَّيَا جَدِيعاً^(٣) .
فسمى الصبي تَوَلَّيَا ؛ والتَّوَلَّى : وَلَدَ الحمار .
وقول الآخر^(٤) :

وما رَقَدَ الْوِلْدَانُ حَتَّى رَأَيْتُهُ عَلَى الْبَكْرِ يَمْرِيهِ بِسَاقٍ وَحَافِرٍ^(٥)
فسمى قَدَمَ الْإِنْسَانِ حَافِراً . وهذا غَلَطٌ مِنْ قُدَامَةَ كَبِيرٍ ؛ لِأَنَّ الْمُعَاطَلَةَ فِي أَصْلِ
الْكَلَامِ إِنَّمَا هِيَ رَكُوبُ الشَّيْءِ بَعْضُهُ بَعْضاً ؛ وَاسْمُ الْكَلَامِ بِهِ إِذَا لَمْ يَنْضُدْ نَضْداً مُسْتَوِيَا ،
وَأَرَكِبُ بَعْضُ أَلْفَاظِهِ رِقَابَ بَعْضٍ ، وَتَدَاخَلَتْ أَجْزَاؤُهُ ، تَشْبِيهاً بِتَعَاظِلِ الْكَلَابِ وَالْجَرَادِ ،
عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ؛ وَتَسْمِيَةِ الْقَدَمِ بِحَافِرٍ لَيْسَتْ بِمَدَاخِلَةٍ كَلَامٍ فِي كَلَامٍ ؛ وَإِنَّمَا هُوَ بُعْدٌ
فِي الْإِسْتِعَارَةِ .

والدليلُ عَلَى مَا قُلْنَا أَنَّكَ لَا تَرَى فِي شَعْرِ زَهِيرٍ شَيْئاً مِنْ هَذَا الْجَنَاسِ ، وَيُوجَدُ
فِي أَكْثَرِ شَعْرِ الْفَحُولِ نَحْوُ^(٦) مَا نَفَّاهُ عَنْهُ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَحَدَهُ ؛ فَمَا وَجَدَ مِنْهُ
فِي شَعْرِ النَّابِغَةِ قَوْلُهُ^(٧) :

(١) هذه رواية اللسان قال : ويروى مماثلة ، وفي ديوان ذي الرمة : ترى سيفه . وصفه
بالطول . (٢) اللسان — مادة هدم ، وقد الشعر : ٦١ ، والموشح : ٦٣ ، وهو أوس بن حجر .
(٣) الهدم ، بالكسر : الكساء الذي ضوعفت رقاؤه وخس ابن الأعرابي به الكساء البالي
من الصوف . والنواشر : عصب التراب من داخل وخارج ، وقيل : هي العصب التي في ظاهرها .
وقال في اللسان : ذات بالرفع ، لأنه معطوف على فاعل قبله وهو :

ليبك الشرب والدامة والفتيات طراً وطامع طمعا

(٤) الموشح : ٦٤ ، واللسان — مادة حفر . (٥) البكر : الفتى من الإبل . يمر به —
من مر بهت القرس : إذا استخرجت ما عنده من الجري . والبيت لجيها الأسدي يصف ضيفاً طارقاً
أسرع إليه — كما في اللسان — وقوله :

: فَأَصْرُ نَارِي وَهِيَ شَقْرَاءُ أَوْقَدَتْ يَلِيلَ : فَلَاحَتْ لِلْعَيْنِ النَّوَاطِرُ .

(٦) في الأصول : فنحو (٧) ديوانه : ٦٢ .

يُثَرِّنَ الثَّرَى حَتَّى يَبَاشِرْنَ بَرْدَهُ إِذَا الشَّمْسُ مَجَّتْ رِيقَهَا بِالْكَلاَ كُلِّ (١)
 معناه : يُثَرِّنَ الثَّرَى حَتَّى يَبَاشِرْنَ بَرْدَهُ بِالْكَلاَ كُلِّ إِذَا الشَّمْسُ مَجَّتْ رِيقَهَا .
 وهذا مستهجنٌ جداً ؛ لأنَّ المعنى تعمى فيه .
 وقول الشهاخ (٢) :

تَخَامَصُ عَنْ بَرْدِ الْوِشَاحِ إِذَا مَشَتْ تَخَامَصُ حَافِيَ الْخَيْلِ فِي الْأَمْعَزِ الْوَجِي (٣)
 معناه تخامص الحافي الوجي في الأمعر .
 وقول ليبيد :

وشمولى قهوة (٤) باكرتها في التبشير مع الصبح الأول (٥)
 أى في التبشير الأول مع الصبح .
 وكقول ذى الرمة :

كَأَنَّ أَصْوَاتَ مِنْ إِيغَالَهْنَ بَنَّا أَوَاخِرَ الْمَيْسِ أَصْوَاتُ الْفَرَارِيحِ (٦)
 يريد كأن أصوات آخر الميس أصوات الفراريج من إيفالهن .
 وقوله أيضاً :

نُضَا الْبَرْدِ عَنْهُ وَهُوَ مِنْ ذُو جُنُونِهِ أَجَارِيَّ تَصْهَالٍ وَصَوْتِ صَلَاحِ (٧)
 كأنه من تخليطه كلام مجنون أو هُجْرُ مبرسم (٨) يريد : وهو من جنونه ذو أجارى .

(١) الكلكل والكلكال : الصدر من كل شيء . والبيت في ديوانه هكذا :

يثرن الحصى حتى يباشرن برده إذا الشمس مدت ريقها بالكلال

(٢) ديوانه : ٧ . (٣) التخامص : التجافى عن الشيء قاله في اللسان واستشهد له بالبيت .

والأمعر : المكان الذى فيه غلظ وصلابة . ويقال ، وجى الفرس وهو أن يجد وجعاً في حافره .

(٤) القهوة : الخمر . (٥) روى هذا البيت اللسان ، قال : قال ليبيد يصف صاحباً له

عرس في السفر فأيقظه :

قلنا عرس حتى هجته بالتبشير من الصبح الأول

قال : والتبشير : طرائق ضوء الصبح في الليل .

(٦) الميس : الرجل . الإيفال : السير السريع . (٧) يقال : فرس ذو أجارى :

أى ذو فنون في الجرى . (٨) المبرسم : المصاب ببلية البرسام .

وكقول أبي حية النميري^(١) :

كَمَا خُطَّ الْكِتَابُ بِكَفِّ يَوْمًا يَهُودِيٌّ يُقَارِبُ أَوْ يَزِيلُ
يريد : كما خط الكتاب بكف يهودي يوما يقارب أو يزيل .

وقول الآخر^(٢) :

هُمَا أَخَوَا فِي الْحَرْبِ مَنْ لَا أَخَالَهُ إِذَا خَافَ يَوْمًا نَبَوَّةً فَدَعَاهُمَا
يريد : أخوا من لا أخ له في الحرب .

وليس للمحدث أن يجعل هذه الأبيات حجة ، ويبنى عليها ؛ فإنه لا يُعذر في شيء منها ، لاجتماع الناس اليوم على مجانبة أمثالها ، واستجادة ما يصح من الكلام ويستبين ، واستبدال ما يسكل ويستبينهم .

فن الكلام المستوى النظم ، الملتئم الرصف قول بعض العرب^(٣) :

أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَالِكٌ مُورِقًا كَأَنَّكَ لَمْ تَحْزَنْ^(٤) عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ
فَتَى لَا يُحِبُّ الزَّادَ إِلَّا مِنَ الثَّقَى وَلَا الْمَالَ إِلَّا مِنْ قَنَّا وَسُيُوفٍ
وَلَا الْخَلِيلَ^(٥) إِلَّا كُلَّ جَرْدَاءٍ شَطْبَةٍ وَأَجْرَدُ شَطْبٍ فِي الْعَنَانِ خُنُوفٍ^(٦)
كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ طِمَآنًا^(٧) وَلَمْ تَقُمْ فَلَ تَجْزَعَا يَا بَنَى طَرِيفٍ^(٨) فَإِنِّي
أَرَى الْمَوْتَ حَلَالًا^(٩) بِكُلِّ شَرِيفٍ

والمنظوم الجيد ما خرج مخرج المنثور في سلاسته ، وسهولته واستوائه ، وقلته ضروراته ؛ ومن ذلك قول بعض المحدثين :

(١) الموشح : ٢٢٧ . (٢) قال في الموشح - ٢٢٧ : ومثله لامرأة من بني قيس .

(٣) معاهد التنصيص : ٣ - ١٥٩ . وقد نسب هذه الأبيات إلى ليل بنت طريف الشيباني

ترثي أخاها . (٤) في معاهد التنصيص : لم تجزع . (٥) في المعاهد :

ولا التحزن إلا كل جرداء صلد معاودة للكر بين صفوف

(٦) الخنوف : الفرس الذي يلوى حافره .

(٧) في المعاهد : هناك . (٨) في المعاهد : عليه سلام الله وقفا . . .

(٩) في المعاهد : وقاعا .

وَقُوفُكَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ أَمْرُ الْخِلَافَةِ فِي دَارِهَا
كَأَنَّكَ مَطْلَعٌ فِي الْقُلُوبِ إِذَا مَا تَنَاجَتْ بِأَسْرَارِهَا
فَكِرَاتُ طَرَفِكَ مَرْدُودَةٌ إِلَيْكَ بِغَامِضِ أَخْبَارِهَا
وَفِي رَاحَتَيْكَ الرَّدَى وَالنَّدَى وَكِلْتَاهُمَا طَوْعٌ مِمَّا تَارِهَا
وَأَقْضِيَةُ اللَّهِ مَحْتَمَةٌ وَأَنْتَ مِنْغْذُ أَقْدَارِهَا
وَلَا تَكَادُ الْقَعِيدَةُ تَسْتَوِي أَيْبَاتِهَا فِي حُسْنِ التَّأْلِيفِ ، وَلَا بَدَأُ أَنْ تَتَخَالَفَ ؛ فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ عَبِيدِ بْنِ الْأَبْرَصِ (١) :

وَقَدْ عَلَا لِمَتِي شَيْبٌ فَوَدَّعَنِي مِنْهُ النَّوَائِي وَدَاعَ الصَّارِمِ الْقَالِي
وَقَدْ أَسْلَى هُمُومِي حِينَ تَحْضُرُنِي بِجَسْرَةٍ كَعَمَلَةِ الْقَيْنِ شِمَالِي (٢)
زَيَافَةٍ بِقَتُودِ الرَّحْلِ نَاجِيَةٍ تَفْرِي الْهَجِيرَ بِتَبْغِيلٍ وَإِرْقَالٍ (٣)
وفيها :

تَخْتِي مُسَوِّمَةٌ جَرْدَاهُ عِجْلَزَةً كَالسَّهْمِ أَرْسَلَهُ مِنْ كَفِّهِ النَّالِي (٤)
وَالشَّيْبُ شَيْنٌ لَمَنْ أَرْمَى بِسَاحَتِهِ لِلَّهِ دَرٌّ سَوَادِ اللَّمَّةِ الْخَالِي
فهذا نظم حسن وتأليف مختار .

وفيها ما هو رديء لاختير فيه ، وهو قوله :

بَانَ الشَّبَابُ فَآلَى لَا يُبْلَى بِنَا وَاحْتَلَى بِي مِنْ مَشَيْبِ كُلِّ مُحَلَلٍ (٥)

(١) ديوان المختار من شعراء العرب : ٩٧ . (٢) الجسرة : الناقة إذا كانت طويلة ضخمة . والعلاة : السندات ، أي ما يضرب عليه الحداد الحديد ، ويقال للناقة علاة : تشبه بها في صلابتها . والشمال : الحقيقة السريعة . (٣) الزيافة : الناقة المختالة . والقنود ، بفتح القاف : خشب الرحل . وفي ط : بقنود الرحل ، أي سيوره . والتبغيل والإرقال : ضربان من السير . (٤) المسومة : المعلمة بعلامة . والعجلزة : الصلبة . والنال : الذي يغلو بسهمه أي يباعد به في الرمي (اللسان - مادة غلا) . (٥) في ديوان مختارات العرب : أي .

وقوله :

فبت^(١) أُلْعِبُهَا طَوْرًا^(٢) وَتَلْعِبُنِي ثُمَّ انصرفتُ وهى مِثْنَى عَلَى بَالٍ^(٣) .
قوله : « واحتل بي من مشيب كل محلال » بغيض خارج عن طريقة الاستعمال .
وَأَبْغَضُ مِنْهُ قَوْلُهُ : « وهى منى على بال » .

وفيها :

وَكَبَشَ مَلْمُومَةً بِادٍ نَوَاجِذُهَا شَهْبَاءَ ذَاتِ سَرَائِيلٍ وَأَبْطَالَ^(٤)
السرايل : الدروع ، فلو وضع السيوف مَوْضِعَ الدروع لكان أجود .

وفيها :

أَوْجَرْتُ جُفْرَتَهُ خِرْصًا فَالَ بِهِ كَمَا انْتَنَى خَضَدُهُ مِنْ نَاعِمِ الضَّالِّ^(٥)
النصف الثانى أكثر ماء من النصف الأول .

وفيها :

وَقَهْوَةٍ كَرُضَابٍ^(٦) الْمَسْكُ طَالَ بِهَا فِي دَنِّهَا كَرُّ حَوْلٍ بَعْدَ أَحْوَالٍ
هذا البيت متوسط .

بَاكَرْتُهَا قَبْلَ أَنْ يَبْدُو الضَّبَّاحُ لَنَا فِي بَيْتٍ مُتَهَمِرٍ الْكَفَّيْنِ مِفْضَالٍ
النصف الثانى أجود من النصف الأول .

(١) فى الديوان : قد بت . (٢) فى الديوان : وهنا . (٣) أَلْعِبَهَا ، أَلْعِبَ الْمَرْأَةُ : جعلها تلعب ، أو جاءها بما تلعب به ، وقد استدلل اللسان على هذين المعنيين ببيت عبيد .
(٤) الكبش من القوم : رئيسهم . والملمومة : الكتيبة المجتمعة المضموم بعضها إلى بعض .
(٥) أوجره الرمح : طعنه به فى فيه . والجفرة : وسط كل شيء ومعلمه ، والخرس : سنان الرمح ، وتجوز فيه الحركات الثلاث . والخضد : ما قطع من عود رطب . والضال : الصدر البرى والخضود منه الذى قطع شوكة . وهذا البيت اضطربت الأصول فى روايته ، وما أثبتناه موافق لما فى المختارات واللسان - مادة خرس ، خضد . (٦) فى الديوان : كرفات .

وقوله :

أما إِذَا دُعِيتُ نَزَالٌ ^(١) فَإِنَّهُمْ
هَذَا رَدِي الرِّصْفِ .

وبعده :

نَحَلْتُ بَعْدَهُمْ وَأَسْتُ بِخَالِدٍ
وَالدَّهْرُ ذُو غَيْرٍ وَذُو الْوَانِ
متوسط .

وبَعْدَهُ :

إِلَّا لِأَعْلَمَ مَا جَهِلْتُ بِعَقِبِهِمْ ^(٢) وَتَذَكَّرِي مَا فَاتَ أَيَّ أَوَانٍ
مُخَلَّ النَّظْمِ ، وَمَعْنَاهُ لَسْتُ بِخَالِدٍ إِلَّا لِأَعْلَمَ مَا جَهِلْتُ ، وَتَذَكَّرِي مَا فَاتَ ، أَيَّ
أَوَانٍ كَانَ .

وقول النمر بن تولب ^(٣) :

لَمَمَرِي لَقَدْ أُنْكَرْتُ نَفْسِي وَرَأْسِي
فُضُولٌ أَرَاهَا فِي أَدِيمِي بَعْدَ مَا
بَطِيءٌ عَنِ الدَّاعِي ، فَلَسْتُ بِأَخِذٍ
كَأَنَّ حِطًّا فِي يَدَيَّ حَارِثِيَّةٍ
تَذَارِكُ مَا قَبْلَ الشَّبَابِ وَبَعْدَهُ
يَوَدُّ الْفَتَى طُولَ السَّلَامَةِ وَالْفَتَى
مَعَ الشَّيْبِ أَبْدَالِي الَّتِي أُتْبِدِلُ
يَكُونُ كَغَافِ اللَّحْمِ أَوْ هُوَ أَفْضَلُ ^(٤)
سِلَاحِي إِلَيْهِ مِثْلُ مَا كُنْتُ أَفْعَلُ ^(٥)
صَنَاعٍ عَلَّتْ مِنِّي بِهِ الْجِلْدُ مِنْ عَلٍ ^(٦)
حَوَادِثُ أَبْيَامٍ تَمَرُّ وَأَغْفَلُ ^(٧)
فَكَيْفَ تَرَى طُولَ السَّلَامَةِ تَفْعَلُ

(١) نزال : مثل قطام بمعنى انزل ، وهو معدول عن المنازلة . وفي ط : « يحبون » ، صوابه
عن ب (٢) عقب كل شيء : آخره .

(٣) جبهة أشعار العرب : ١٩٦ . (٤) اللسان - مادة كفف ، وفيه : أوهو أجل . وأراد
بالفضول : تفنن جلده لكبره بعد ما كان مكنت اللحم . (٥) أوردته في الجهرة بعد قوله :

وكننت صفي النفس لا شيء دونه وقد صرت من إقصا حبيبي أذهل

(٦) الحط : الذي يوشم به ، وقيل : الحديدية التي تكون مع الخرازين ينقشون بها الأديم ،
والبيت في اللسان - مادة حطط . (٧) في الجهرة : « تضر وأعقل » .

يرد^(١) الفتى بعد اعتدالِ وصِحَّةٍ . ينوءُ إذا رَامَ البقيَامَ ويُحْمَلُ
فهذه الأبيات جيدة السبك حسنة الرصف .

وفيها :

فلا الجارة الدنيا لها تَلَجِيَّهَا^(٢) ولا الضيف فيها إن أناخُ مُحَوَّلُ
فالتَّصْنَفُ الأولُ مُخْتَلٌ ؛ لأنه خالف فيه وَجَهَ الاستعمال^(٣) ؛ ووجهه أن يقول :
فهي لا تلحى الجارة الدنيا ، أى القرية .

وكذلك قوله :

إذا هتكتُ أطنابَ بَيْتٍ وأهله بمَعْطِنَهَا لم يُورِدُوا المَاءَ قَيَّلُوا^(٤)
هذا مضطربٌ لتناوله المعنى من بعيد . وَوَجْهُ الكلام أن يقول : إذا دنت إبلنا
من حَيٍّ ولم ترد إبلهم الماء قيلولاً من إبلنا . والقيل : شرب نصف النهار .
وأشدُّ اضطراباً منه قوله :

وما قمعنا فيه الوطاب وحوَّلنا بُيُوتَ علينا كلها فُوهُ مُقْبِلُ^(٥)
ووجهُ الكلام : أن يقول : لسنا نحقق اللبن فنجعل الأقباع في الوطاب ، لأنَّ
حوَّلنا بيوت أفواههم مقبلةً علينا ، يرجون خَيْرَنَا ؛ فاضطربَ نَظْمُ هذه الأبيات
لعدولها عن وجه الاستعمال .

(١) في الجمهرة : يود ، ثم قال شارحها : يحمل في آخر البيت مبنى للمعلوم ، وفسره بأنه
يريد أنه يحمل السلاح . وبعض هذه الأبيات سبق في صفحة ٣٨ (٢) تلومها .
(٣) لأنه أدخل النون التي للتوكيد .

(٤) المعطن : مبرك حلاليل حول الحوض ، ورواية البيت في الجمهرة :

إذا هتكت أطناب بيت — وأهله بمعظمها — لم يورد الماء أقبل

(٥) في الجمهرة : وأقمنا فيها الوطاب وحوَّلنا * مقفل

والوطب : الزق الذى يكون فيه السمن واللبن .

ومثله :

رَأَتْ أُمَّنَا كَيْصًا يُلْفَفُ وَطْبُهُ إِلَى الْأُنْسِ الْبَادِينَ فَهُوَ مُزْمَلٌ^(١)
فَقَالَتْ فَلَانٌ قَدْ أَغَاثَ عِيَالَهُ^(٢) وَأَوْدَى عِيَالَهُ آخِرُونَ فَهَزَلُوا
أَلَمْ يَكُ وَلَدَانُ أَعَانُوا وَمَجْلَسٌ قَرِيبٌ فَيَجْرِي إِذْ يَكْفُ وَيَجْمَلُ^(٣)
الكيس : الذي ينزل وحده . والوطب : وعاء اللبن . والأنس الباديون : أهله
لأنه يرده إليهم ، فمنهم من يتندم فيسقى لبنة ومنهم من يرده كيصا مثل فعل الذي
ينزل وحده . مزمل : مبرد^(٤) .

فهذه الآيات سَمِجَةُ الرَّصَفِ ؛ لأنَّ الفصيح إذا أراد أن يعبرَ عن هذه المعاني ،
ولم يسأَمْ مَحْ نفسه عبَّرَ عنها بخلاف ذلك .

وكان القومُ لا ينتقد عليهم ، فكانوا يسامحون أنفسهم في الإساءة .
فأما مثال الحسن الرصف من الرسائل فكما كتب بعضهم : ولولا أن أجودَ
الكلام ما يدلُّ قليله على كثيره ، وتُعْنِي جملته عن تفصيله ، لوسَّعَتْ نِطَاقُ القول
فيما أنطوى عليه من خلوص المودة ، وصفاء المحبة ؛ فجاء مجال الطرف في مَيدَانِهِ ،
وتصرَّفَ تصرُّفَ الرُّوضِ في افتتانه ؛ لكن البلاغة بالإيجاز أبلغ من البيان بالإطناب .
ومن تمام حُسْنِ الرصف أن يخرج الكلام مخرجا يكون له فيه طلاوة وماء ،
وربما كان الكلام مستقيم الألفاظ ، صحيح المعاني ؛ ولا يكون له رَوْنَقٌ ولا رُوءَاءٌ ؛
ولذلك قال الأصمعي لشعر لبيد : كأنه طيلسان طبراني ، أى هو محكم الأصل
ولا رَوْنَقَ له .

(٦) رواية اللسان في مادة كيس :

رَأَتْ رَجُلًا كَيْصًا يُلْفَفُ وَطْبُهُ فَيَأْتِي بِهِ الْبَادِينَ وَهُوَ مُزْمَلٌ
وقال في اللسان بعد أن فسر السكيس بالرجل الأشر وذكر البيت : يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ أَلْفٌ
كَيْصًا لِلْمَلْحَاقِ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ الَّتِي هِيَ عَوْضٌ مِنَ التَّنَوِينِ فِي النَّصَبِ .
(٢) في الجمهرة : قد أغاث عياله . (٣) في الجمهرة : فنخزى إذا كنا نحل ونحمل .
(٤) المزمل : المغطى . وزمل الشيء : أخفاه .

والكلامُ إذا خرج في غير تكلف وكد وشدة تفكر وتعمُّل كان سلساً سهلاً ،
وكان له ماء ورُواء ورُقراق ، وعليه فرند^(١) لا يكونُ على غيره مما عسر برؤيه
واستكره خروجه ؛ وذلك مثل قول الحطيئة^(٢) :

هُمُ الْقَوْمُ الَّذِينَ إِذَا أَلَمَتْ مِنْ الْأَيَّامِ مُظْلِمَةٌ أَضَاءُوا

وقوله :

لَهُمْ فِي بَنِي الْحَاجَاتِ أَيْدٍ كَأَنَّهَا تَسَاقُطُ مَاءَ الْمُزْنِ فِي الْبَلَدِ الْفَقْرِ

وكقول أشجع :

قَصَرَتْ عَلَيْهِ تَحِيَّةٌ وَسَلَامٌ نَشَرَتْ عَلَيْهِ جَالَهَا الْأَيَّامُ

وَإِذَا سَيُوفُكَ صَافَحَتْ هَامَ الْعِدَا طَارَتْ لَهَنَ عَنِ الْفِرَاحِ الْهَامُ

بَرَقَتْ مِمَّاؤُكَ لِلْعَدُوِّ فَأَمْطَرَتْ هَامًا لَهَا ظِلُّ السُّيُوفِ غَمَامُ

رَأَى الْإِمَامَ وَعَزَمَهُ وَحُسَامَهُ جُنْدٌ وَرَاءَ الْمُسْلِمِينَ قِيَامُ

وكقول النمر :

خَاطِرٌ بِنَفْسِكَ كَيْ تُصِيبَ غَنِيمَةً إِنَّ الْجُلُوسَ مَعَ الْعِيَالِ قَبِيحُ

فَالسَّالُ فِيهِ تَجَلَّةٌ وَمَهَابَةٌ وَالْفَقْرُ فِيهِ مَذَلَّةٌ وَقَبُوحُ^(٣)

وكقول الآخر :

نَامَتْ جُدُودُهُمْ وَأَسْقَطَ نَجْمُهُمْ وَالنَّجْمُ يَسْقُطُ وَالْجُهْدُ تَنَامُ

وكقول الآخر :

لَعْنُ الْإِلَهِ لِعَلَّةِ بْنِ مُسَافِرٍ لَعْنًا يُشْنُ عَلَيْهِ مِنْ قُدَّامِ

ففي هذه الأبيات مع جودتها رونقٌ ليس في غيرها مما يجري مجراها في صحة

المعنى وصواب اللفظ.

(١) الفرند : وشى السيف . (٢) المختار من ديوان العرب : ١٢٢ .

(٣) القبوح : مصدر كالقبح : ضد الحسن .

ومن الكلام الصحيح المعنى واللفظ ، القليل الحلاوة المديم الطلاوة قولُ
الشاعر :

أرى رجالاً بأذنى الدين قد قنعوا ولا أراهم رضوا في العيش بالدونِ
فاستغن بالله عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدينِ

ومن الشعر المستحسن الرونق قولُ دِعْبِل^(١) :

وإنَّ امرءاً أُمستَ مَسَاقِطُ رَحْلِهِ بأسوانٍ لم يتركْ له الحرصُ معلماً
حملتُ محلاً يقصرُ البرقُ دونهُ ويمجز عنه الطيفُ أن يتجشماً

(١) تقدم ذكرهما في صفحة ٥٦ .

الباب الخامس

في ذكر الإيجاز والإطناب (فصلان)

الفصل الأول من الباب الخامس

في ذكر الإيجاز

قال أصحاب الإيجاز : الإيجاز قصورُ البلاغةِ على الحقيقة ، وما تجاوزَ مقدارَ الحاجةِ الإيجازِ فهو فضِّلٌ داخلٌ في بابِ الهدرِ والخطَلِ ، وهما من أعظمِ أدواءِ الكلامِ ، وفيهما دلالةٌ على بلادةِ صاحبِ الصناعة .

وفي تفضيلِ الإيجازِ يقولُ جعفر بن يحيى لكتابه : إن قدرتم أن تجعلوا كتبكم توقيعاتٍ فافعلوا .

وقال بعضهم : الزيادةُ في الحدِّ نقصانٌ . وقال محمد الأمين : عليكم بالإيجاز فإنَّ له إفهاماً ، وللإطالةَ استبهاماً . وقال شبيب بن شبة : القليلُ السكافي خيرٌ من كثيرٍ غيرِ شافي . وقال آخر : إذا طال الكلامُ عرضتْ له أسبابُ التكلفِ ، ولا خيرَ في شيءٍ يأتي به التكلفُ . وقد قيلَ لبعضهم : ما البلاغةُ ؟ فقال : الإيجازُ . قيل : وما الإيجازُ ؟ قال : حذفُ الفضولِ ، وتقريبُ البعيدِ .

وسمعَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يقولُ لرجل : كفاك الله ما أممك . فقال : هذه البلاغةُ . وسمعَ آخرٌ يقولُ : عصمك الله من المسكارهِ . فقال : هذه البلاغةُ . وقوله صلى الله عليه وسلم : أوتيت جوامعَ الكلمِ .

وقيلَ لبعضهم : لم لا تطيلُ الشعرَ ؟ فقال : حسبك من القِلادةِ ما أحاطَ بالعنقِ . وقيلَ ذلكَ لآخرٍ ، فقال : لستُ أبيعه مذارعةً .

وقيل للفرزدق : ما صيرك إلى القصائد القصار بعد الطوال ؟ فقال : لأنى رأيتها
في الصدور أوقع ، وفي المحافل أجول .

وقالت بنت الحطيئة لأبيها : ما بال قصارك أكثر من طوالك ؟ فقال : لأنها
في الآذان أولج ، وبالأفواه أعلق . وقال أبو سفيان لابن الزبيرى : قصرت في شعرك ؟
فقال : حسبك من الشعر غرة لأنحة ، وسمة واضحة .

وقيل للنابغة الذبياني : ألا تطيل القصائد كما أطال صاحبك ابن حجر ؟ فقال :
من انتحل انتقر^(١) .

وقيل لبعض المحدثين : مالك لا تزيد على أربعة وائنين ؟ قال : هُنَّ بالقلوب أوقع ،
وإلى الحفظ أسرع ، وبالألسن أعلق ، وللمعاني أجمع ، وصاحبها أبْلَغ وأَوْجَز .

وقيل لابن حازم : ألا تطيل القصائد ؟ فقال :

أبى لي أن أطيلَ الشعرَ قَصْدِي	إلى المعنى ويلمى بالصواب
وإيجازي بمختصر قريب	حذفتُ به الفضولَ من الجواب
فأبعثُهنَّ أَرْبَعَةً وَسِتًّا	مُثَقَّفَةً بِالْفَاطِ عِذَابِ
خَوَالِدَ مَا حَدَا لَيْلُ نَهَارًا	وَمَا حَسَنَ الصَّبَا بِأَخِي الشَّبَابِ
وَهُنَّ إِذَا وَصَمْتُ بِهِنَّ قَوْمًا	كَأَطَاقِ الْحُمَامِ فِي الرَّقَابِ
وَكُنَّ إِذَا أَقَمْتُ مَسَافِرَاتٍ	تَهَادَاهَا الرِّوَاةُ مَعَ الرَّكَّابِ ^(٢)

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه : ما رأيتُ بليغاً قط إلا وله
في القول إيجاز ، وفي المعاني إطالة .

وقيل لإياس بن معاوية : ما فيك عيب غير أنك كثير الكلام . قال : أقسممون
صواباً أم خطأ ؟ قالوا : بل صواباً . قال : فلزيادة من الخير خير . وليس كما قال ؛
لأنَّ للكلام غاية ؛ ولنشاط السامعين نهاية ؛ وما فضل عن مقدار الاحتمال دعا إلى

(١) الانتقار : الاختيار . (٢) هذا البيت لم يرد في أ، ب وفي ط : تهاداه .

الاستئصال ، وصار سبباً للملأ ؛ فذلك هو الهذر والإسهاب والخطل ، وهو معيب عند كل لبيب .

وقال بعضهم : البلاغة بالإيجاز أنجع من البيان بالإطناب . وقال : المختار كحاطب الليل . وقيل لبعضهم : مَنْ أبلغ الناس ؟ قال : من حلَّى المعنى المَرْزُ باللفظ الوجيز ، وطَبَّقَ المَفْصِلَ قَبْلَ التَّحْزِيزِ .

الْمَرْزِزُ : الفاضل ، والمَرْزُ : الفضل . وقوله : « وطَبَّقَ المَفْصِلَ قَبْلَ التَّحْزِيزِ » : مأخوذ من كلام معاوية رضى الله عنه وهو قوله لعمرو بن العاص لما أقبل أبو موسى : يا عمرو ؛ إنه قد ضُمَّ إليك رجلٌ طويل اللسان ، قصيرُ الرأى والعرفان ؛ فأقلِلِ الحزَّ ، وطَبَّقِ المَفْصِلَ ، ولا تَلْقَه بكلِّ رأيك . فقال عمرو : أَكْثَرَ من الطعام ، وما بطن قومٌ إلا فقدوا بعضَ عقولهم .

نوعاً الإيجاز

والإيجاز : القصر والجذف .

فالقَصْرُ تقليلُ الألفاظ ، وتكثيرُ المعاني ؛ وهو قولُ الله عزَّ وجل : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ .

ويتبيَّنُ فضلُ هذا الكلام إذا قرنته بما جاء عن العرب في معناه ، وهو قولهم : « القتلُ أنْفَى للقتلِ » . فصار لفظُ القرآن فوقَ هذا القول لزيادته عليه في الفائدة ، وهو إبانةُ المدلِّ لذكرِ القصاص وإظهارِ الغرضِ المرغوبِ عنه فيه لذكرِ الحياة ، واستدعاءِ الرَّغْبَةِ والرَّهْبَةِ لحكمِ الله به وإيجازه في العبارة . فإنَّ الذي هو نظيرُ قولهم : « القتلُ أنْفَى للقتلِ » إنما هو : « القصاصُ حَيَاةٌ » وهذا أقلُّ حروفاً من ذلك ، ولُبَّعْدَهُ من الكلفةِ بالتكرير ، وهو قولهم : « القتلُ أنْفَى للقتلِ » . ولفظُ القرآن برى من ذلك ، وبحسُنِ التأليفِ وشدةِ التلاؤمِ المُدْرَكِ بالْحُسْنِ ؛ لأنَّ الخروجَ من الفاء إلى اللام أَعَدَّلَ من الخروجِ من اللام إلى الهمزة .

ومن القَصْرِ أيضاً قوله تعالى : ﴿ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَمَّا لَمْ يَمْنَعْهُمْ

على بَعْضٍ ﴿ لا يُؤَاذِي هَذَا الْكَلَامَ فِي الْإِخْتِصَارِ شَيْءٌ ۖ . وقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بُنِيَكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ۖ ﴾ . وقوله عز اسمه : ﴿ وَلَا يَحْقِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ وإنما كان سوء عاقبة المكر والبنى راجعاً عليهم وحائقاً بهم ، فجعله للبنى والمكر اللذين هما من فعلهم إيجازاً واختصاراً . وقوله سبحانه : ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا ۖ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ ۖ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا اسْتَلْتَسَوْا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾ تحير في فصاحته جميع البلغاء ، ولا يجوز أن يوجد مثله في كلام البشر . وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَاودْنَاهُ عَنْ نَفْسِهِ فاستعصم ۖ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَّمَاءُ أَفْلَعِي ۖ ﴾ الآية .. تتضمن مع الإيجاز والفصاحة دلائل القدرة . وقوله تعالى : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۖ ﴾ كلتان استوعبتا جميع الأشياء على غاية الاستقصاء . وروى أن ابن عمر رحمه الله قرأها ، فقال : مَنْ بَقِيَ لَهُ شَيْءٌ فَلْيَطْلُبْهُ . وقوله تعالى : ﴿ وَاخْتَلَفَ أَلْسِنَتَكُمْ وَالْوَأَانِ كُمْ ﴾ اختلاف اللغات والمناظر والهيئات . وقوله تعالى في صفة خمر أهل الجنة : ﴿ لَا يَصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ ﴾ انتظم قوله سبحانه (ولا يزفون) عدم العقل وذهاب المال ونفاد الشراب . وقوله تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ ۖ ﴾ دخل تحت الأمن جميع المحبوبات ؛ لأنه نقي به أن يخافوا شيئاً أصلاً من الفقر والموت وزوال النعمة والجور ، وغير ذلك من أصناف المكارِه ؛ فلا ترى كلمة أجمع من هذه .

وقوله عز وجل : ﴿ وَالْفُلْكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ ﴾ جمع أنواع التجارات ، وصنوف المرافق التي لا يبلُغها العدُّ والإحصاء . ومثله قوله سبحانه : ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ جمع منافع الدنيا والآخرة .

وقوله تعالى : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ ثلاث كلمات تشتمل على أمر الرسالة وشرائعها وأحكامها على الاستقصاء ؛ لما في قوله « فاصدع » من الدلالة على التأثير ، كتأثير الصدع .

وقوله تعالى : ﴿ وَكُلَّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٍّ ﴾ ثلاث كلمات اشتملت على عواقب الدنيا والآخرة .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ وإنما ذكر السكون ولم يذكر المتحرك ؛ لأنَّ بسكون الأجسام الثقيلة مثل الأرض والسماء في الهواء من غير علاقة ودعامة أعجب وأدل على قدرة مسكنها .

وقوله عز وجل : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ فجمع جميع مكارم الأخلاق بأسرها ؛ لأنَّ في العفو صلة القاطمين ، والصفح عن الظالمين ، وإعطاء المانعين ، وفي الأمر بالعرف تقوى الله وصلة الرِّحِم ، وصون اللسان عن الكذب ، وغض الطرف عن الحرمات ، والتبرؤ من كل قبيح ؛ لأنه لا يجوز أن يأمر بالمعروف وهو يلائس شيئاً من المنكر ؛ وفي الإعراض عن الجاهلين الصبر والحلم وتزيه النفس عن مقابلة السفية بما يوتغ (١) الدين ويُسقط القدرة .

وقوله تعالى : ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾ ؛ فدل بشيئين على جميع ما أخرجها من الأرض قوتاً ومتاعاً للناس ، من العشب والشجر والحب واللباس والنار والملح والماء ؛ لأنَّ النار من الميدان ، والملح من الماء ، والشاهد على أنه أراد ذلك كله قوله تعالى : ﴿ مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنفُسِكُمْ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ تَسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ بِمِصْبَاحٍ عَلَى بَعْضِ الْأَكْلِ ﴾ ، فانظر هل يمكن أحداً من أصناف المتكلمين إيراد هذه المعاني في مثل هذا القدر من الألفاظ . وقوله عز وجل : ﴿ وَلَا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾ جمع الأشياء كلها حتى لا يشذ منها شيء على وجهه .

وقوله تعالى : ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَمِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ﴾ جمع فيه من نعم الجنة ما لا تحصره الأفهام ، ولا تبلغه الأوهام .

(١) الوتغ ، بالتحريك : الهلاك ، والإثم ، وفساد الدين .

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِيَّاكُمْ وَخَضِرَاءَ الدِّمَنِ » ^(١) . وقوله صلى الله عليه وسلم : « حَبَّكَ الشَّيْءُ يُعْمَى وَيَصْم » . وقوله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ مِنْ الْبَيَانِ لَسِحْرًا » . وقوله عليه الصلاة والسلام : « مِمَّا يُنْبِتُ الرِّبْعُ مَا يَقْتُلُ حَبَطًا أَوْ يُبَلِّمُ » ^(٢) . وقوله صلى الله عليه وسلم : « الصَّحَّةُ وَالْفِرَاقُ نَعْمَتَانِ » . وقوله عليه الصلاة والسلام : « نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ » . وقوله صلى الله عليه وسلم : « تَرَكْتُ الشَّرَّ صَدَقَةً » . وقوله صلى الله عليه وسلم : « الْحُمَى فِي أَصُولِ النَّخْلِ » ..

فمعاني هذا الكلام أكثر من ألفاظه ، وإذا أردت أن تعرف صحة ذلك فليها وابنيها بناء آخر ؛ فإنك تجدوها تجيء في أضعاف هذه الألفاظ .

قوله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا أَعْطَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَلْيَسْبِغْهُ عَلَيْكَ ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعْمَلُ ، وَارْتَضِخْ مِنَ الْفَضْلِ ، وَلَا تَلْمُ عَلَى الْكَفَافِ ، وَلَا تَعْجِزْ عَنْ نَفْسِكَ » . وقوله صلى الله عليه وسلم : « فليبين عليك » أى فليظهر أثره عليك بالصدقة والمعروف ، ودل على ذلك بقوله : « وَابْدَأْ بِمَنْ تَعْمَلُ ، وَارْتَضِخْ مِنَ الْفَضْلِ » ، أى اكسر من مالك وأعط ، واسم الشيء الرضيخة . « وَلَا تَعْجِزْ عَنْ نَفْسِكَ » أى لا تجمع لغيرك وتبخل عن نفسك ، فلا تقدم خيراً . وقول أعرابي : اللهم هب لي حَقَّكَ ، وأَرْضِ عَنِّي خَلْقَكَ .

(١) الدمن : جمع دمنة والأصل فيه ما تدمنه الإبل والغنم من أبقارها وأبقالها ، أى تلبسه في مراحضها ، فربما نبت فيها الكلال يرى له غضارة وهو وبيء الرعى منتن الأصل ، شبه به المرأة الحسناء في المنبت السوء ؛ لأن تمام الحديث : قيل : وما ذاك ؟ قال : المرأة الحسناء في المنبت السوء ..

(٢) والحبط : أن تأكل الماشية فتكثر حتى تنتفخ لذلك بطونها ولا تخرج عنها ما فيها . والحديث جاء في اللسان في مادة حبط . وفيه : إن قوله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ مِنْ الْبَيَانِ لَسِحْرًا » : إن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً . مثل الحريص والمفرط في الجمع والمنع . وذلك أن الربيع ينبت أحجار العشب التي تحلولها الماشية فتستكثر منها حتى تنتفخ بطونها وتهلك ، كذلك الذى يجمع الدنيا ويحرص عليها ويشع على ما جمع حتى يمنع ذا الحق حقه منها ، يهلك في الآخرة بدخول النار واستيجاب العذاب . وارجع إلى مادة حبط في اللسان ففيها بحث حول هذا الحديث مستفيض .

وقال آخر : أولئك قومٌ جملوا أموالهم مناديل لأعراضهم ؛ فالخيرُ بهم زائد ،
والمعروفُ لهم شاهد ؛ أى يَقُونُ أعراضهم بأموالهم .

وقيل لأعرابي يسوقُ مالا كثيرا : لِمَنْ هذا المال ؟ فقال : لله فى يَدِي . . .
وقال أعرابي لرجلٍ يمدُّه : إنه لِيُعطَى عطاءً مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ اللهَ مادته .

وقول آخر : أما بعدُ فَعِظِ النَّاسَ بِفِعْلِكَ ، ولا تَعْظُهُمْ بِقَوْلِكَ ، واستَحْيِ مِنَ اللهِ
بِقَدْرِ قُرْبِهِ مِنْكَ ، وَخَفْهُ بِقَدْرِ قُدْرَتِهِ عَلَيْكَ .

وقال آخر : إن شككت فاسألْ قَلْبَكَ عن قَلْبِي .

ومما يدخل فى هذا الباب المساواة ، وهو أن تكونَ المعاني بِقَدْرِ الألفاظ ،
والألفاظ بِقَدْرِ المعاني لا يَزِيدُ بعضها على بعض ، وهو المذهبُ المتوسط بين الإيجاز
والإطناب ؛ وإليه أشار القائل بقوله : كَأَنَّ أَلْفَاظَهُ قَوَالِبُ لِمَعَانِيهِ ؛ أى لا يَزِيدُ بعضها
على بعض .

فما فى القرآن من ذلك قوله عزَّ وجل : ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ (١) .
وقوله تعالى : ﴿ وَدَّوْا لَوْ تَدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ (٢) . ومثله كثير .

ومن كلامِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم : « لا تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ مَا لَمْ تَرَ الْأَمَانَةَ مَغْمَاً
وَالزَّكَاةَ مَغْرَمًا » . وقوله صلى الله عليه وسلم : « إِيَّاكَ وَالْمَشَارَةَ فَإِنَّهَا تَمِيتُ الْفِرَّةَ وَتُخَيِّبُ
الْعُرَّةَ » (٣) .

ومن ألفاظ هذه الفصول ما كانت معانيه أَكْثَرَ من ألفاظه ، وإِنَّمَا يَكْبُرُهُ تَمِيزُهَا
كرامة الإطالة .

وَمِنْ نَثَرِ الْكُتُبِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ : سَأَلْتُ عَنْ خَبْرِي وَأَنَا فِي عَافِيَةٍ لَا عَيْبَ فِيهَا
إِلَّا فَقَدْكَ ، وَنِعْمَةٌ لَا مَزِيدَ فِيهَا إِلَّا بَكَ .

(١) مقصورات : أى محبوسات على أزواجهن . (٢) قال فى اللسان عن الفراء

(ودوا لو تدهن فيدهنون) بمعنى ودوا لو تكفر فيكفرون . وقيل : ودوا لو تصالعهن فى الدين
فيصانعونك . (٣) المشارة : المفاعلة من الشر أى لا تفعل به شراً فتجوجه إلى أن يفعل بك

.. مثله . والفرة : الحسن والعمل الصالح . والعرة : القدر واستعير للمساوى والمثالب .

وقوله : علمتني نبوتك سلوتك ، وأسلمني بأمر منك إلى الصبر عنك . وقوله :
 حفظ الله النعمة عليك وفيك ، وتولّى إصلاحك والإصلاح لك ، وأجزل من الخير
 حظك والحظ منك ، ومنّ عليك وعلينا بك .

وقال آخر : يئست من صلاحك بي ، وأخافُ فسادى بك ، وقد أظنّب في
 ذم الحمار من شبّهك به .

ومن المنظوم قولُ طرفة^(١) :

سُتَبْدِي لَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتُ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَزُودِ
 وقول الآخر :

تُهْدِي الْأُمُورُ بِأَهْلِ الرَّأْيِ مَا صِلَحَتْ فَإِنْ تَابَتْ فَبِالْأَمْرِارِ تَنْقَادُ
 وقول الآخر :

فَأَمَّا الَّذِي يَحْصِيهِمْ فَمُكْتَرٌ وَأَمَّا الَّذِي يُطْرِيهِمْ فَمُقَلِّلٌ
 وقول الآخر^(٢) :

أَهَابُكَ إِجْلَالًا وَمَا بِكَ قُدْرَةٌ عَلَى وَلَكِنْ مِنْ عَيْنِ حَبِيبُهَا
 وَمَا هَجَرْتُكَ النَّفْسُ أُنْكَ عَنْدَهَا قَلِيلٌ ، وَلَكِنْ قَلَّ مِنْكَ نَصِيبُهَا
 وقول الآخر :

أَصْدَ بِأَيْدِي الْعَيْسِ عَنْ قَصْدِ أَهْلِهَا وَقَابِي إِلَيْهَا بِالْمُودَةِ قَاصِدُ
 وقول الآخر :

يَقُولُ أَنَا نَسْ لَا يَضِيرُكَ فَقْدُهَا بَلَى كُلَّ مَا شَفَّ النَّفُوسَ يَضِيرُهَا^(٣)
 وقال الآخر :

يَطُولُ الْيَوْمُ لَا أَلْقَاكَ فِيهِ وَحَوْلُ نَلْتَمَى فِيهِ قَصِيرُ

(١) جهمرة شعراء العرب : ١٤٧ . الشعر والشعراء : ١٤٥ .

(٢) ديوان الحماسة : ٣ - ٣٠٤ . (٣) بضير : بضر .

وقالوا : لَا يَضِيرُكَ نَأْيُ شَهْرٍ فَقُلْتُ لَصَاحِبِي : فَمَنْ يَضِيرُ
قوله : « لصاحبي » يكاد يكون فضلاً .

وأما الحذفُ فعلى وجوه ، منها أن تحذف المضاف وتقيم المضاف إليه مقامه ^{وجوه الحذف} وتجعل الفعل له ، كقول الله تعالى : ﴿ وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ ﴾ ، أى أهلها .
وقوله تعالى : ﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلُ ﴾ ، أى حُبّه .
وقوله عز وجل : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ﴾ ، أى وقت الحج .
وقوله تعالى : ﴿ بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ ، أى مكرهم فيهما .
وقال المتنخل الهذلي (١) :

يَمْشِي بَيْنَنَا حَانُوتٌ خَمْرٍ مِنْ الْخُرْسِ الصَّرَاصِرَةِ الْقَطَاطِ (٢)
يعنى صاحب حانوت فأقام الحانوت مقامه .

وقال الشاعر (٣) :

لَهُمْ مَجْلِسٌ صَهْبُ السَّبَالِ أَذَلَّةٌ سَوَاسِيَةٌ أَخْرَارُهَا وَعَبِيدُهَا
يعنى أهل المجلس .

ومنها (٤) أن يوقع الفعل على شيئين وهو لأحدهما ويضمّر للآخر فعله ، وهو قوله
تعالى : ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ﴾ معناه : وادعُوا شركاءكم ، وكذلك هو فى
مصحف عبد الله بن مسعود .

وقال الشاعر :

تَرَاهُ كَأَنَّ اللَّهَ يَجْدَعُ أَنْفَهُ وَعَيْنَيْهِ إِنْ مَوْلَاهُ ثَابَ لَهُ وَفَرُّ
أى ويفقأ عينيه .

(١) ديوان الهذليين : ٢ - ٢١ . (٢) الصراصرة : نبط الشام . وقال شارح ديوان

الهذليين : ~~ي~~ بالحرس الصراصرة خديم من العجم . والقطاط : الجماد .

(٣) ديوان ذى الرمة : ٢٩ . (٤) من وجوه الحذف .

وقول الآخر :

إِذَا مَا الْغَائِيَاتُ بَرَزْنَ يَوْمًا وَزَجَّجْنَ الْحَوَاجِبَ وَالْمِيُونَ

العيون لا ترجح ، وإنما أراد وكحلن العيون .

ومنها^(١) أن يأتي الكلام على أن له جواباً فيحذف الجواب اختصاراً لمعلم
المخاطب ؛ كقوله عز وجل : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ ،
أَوْ كُتِبَ بِهِ الْمَوْتُ بَلِ اللَّهُ الْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾ أراد لكان هذا القرآن ، فحذف .
وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ ، أراد
لعتد بكم .

وقال الشاعر :

فَأَقْسِمُ لَوْ شِئْتُ أَنَا رَسُولُهُ سِوَاكَ وَلَكِنْ لَمْ يَجِدْ لَكَ مَدْفَعًا
أى لرددناه .

وقوله تعالى : ﴿ لَيْسُوا بِسَوَاءٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ ، فذكر أمة واحدة
ولم يذكر بعدها أخرى ، وسواء يأتي من اثنين^(٢) فما زاد .
وكذلك قوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ آَنَاءُ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا ﴾ ، ولم يذكر
خلافه ، لأن في قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾
دليلاً على ما أراد .

وقال الشاعر :

أَرَادَ فَمَا أَدْرَى أَهْمٌ هَمَمْتُهُ وَذَوَاهِمٌ قَدَمًا خَاشِعٌ مُتَضَائِلٌ^(٣)
ولم يأت بالآخر .

وربما حذفوا الكلمة والكلمتين ، كقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ

(١) من وجوه الحذف . (٢) أى ثلث على اثنين . (٣) المتضائل : المنقبض ،

والضئيل : التحيف .

أَكْفَرْتُمْ ﴿١﴾ . وقوله تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ ،
أى ووصى بالوالدين إحسانا .

وقال النمر :

فَإِنَّ الْمَنِيَّةَ مَنْ يَخْشَاهَا فَسَوْفَ تَصَادِفُهُ أَيَنْمَأُ :
أى أَيْنَمَا ذَهَب .

وقال ذو الرمة (١) :

لِعِرْقَانِهَا وَالْعَهْدُ نَاءٌ وَقَدْ بَدَا لِيذِي نُهْيَةٍ أَنْ لَا إِلَىٰ أُمَّ سَالِمٍ (٢)
المعنى أن لا سبيل إليها ولا إلى لقائها ، فاكتفى بالإشارة إلى المعنى ؛ لأنه قد
عرف ما أراد ، كما قال النمر بن تولب :

فلا وأبى الناس لا يعلمون لا الخير خير ولا الشر شر
أى ليسا بدائمين لأحد . والنهية : العقل ، والجمع نُهى (٣) .

وقوله تعالى : ﴿ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ ، أى فى يومٍ ذى عاصف . وقوله تعالى : ﴿ وَمَا
أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ ، أى ولا من فى السماء بمعجز .
ومثل قول الشنفرى (٤) :

لَا تَدْفِنُونِي إِنْ دَفِنِي مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ خَامِرِي أُمَّ عَامِرٍ
أى ولكن دعونى للتي يُقَال لها : خامرى أُم عامر إذا صيدت ، يعنى الضئع .
ومنها (٥) القسم بلا جواب ؛ كقوله تعالى : ﴿ قَدْ وَالْقُرْآنِ الْحَمِيدِ بَلْ عَجَبُوا ﴾ ،

(١) ديوانه : ٨٤ . (٢) فى الديوان : * لئى نهية إلا إلى أم سالم *

(٣) هذا التفسير لبيت ذى الرمة .

(٤) الذى فى اللسان - مادة عمر -

لا تدفنونى إِنْ دَفِنِي مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ أَبْشَرِي أُمَّ عَامِرٍ
ثم قال : ومن أمثالهم : خامرى أُم عامر أبشري بجراد عظمى وكرم رجال قتلى فتندل له حتى يكعمها
ثم يجرها ويستخرجها ، والعرب تضرب بها المثل فى الحق . (٥) أى وجوه الحذف .

معناه والله أعلم : قـ والقرآن المجيد لتبمثن ، والشاهد ما جاء بعده من ذِكْرِ البعث في قوله : ﴿ أَثْنَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ﴾ .

ومن الحذف قوله تعالى : ﴿ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ ﴾ ، أى كباسط كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَقْبِضَ عَلَيْهِ .

وقال الشاعر^(١) :

إِنِّي وَإِيَّاكُمْ وَشَوْقًا إِلَيْكُمْ كَقَابِضِ مَاءٍ لَمْ تَسْقَهُ أَنَا مِلَهُ^(٢)
ومن الحذف إسقاط « لا » من الكلام في قوله تعالى : ﴿ يبين الله لكم أَنْ تَضِلُّوا ﴾ ، أى « لِأَنْ لَا تَضِلُّوا » . وقوله تعالى : ﴿ أَنْ تَحْبِطَ أَعْمَالُكُمْ ﴾ ، أى لا تحبِطَ أَعْمَالُكُمْ .

وقال امرؤ القيس^(٣) :

نَقَلْتُ يَمِينَ اللَّهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي
أى لا أبرح قاعدا .

وقال آخر :

فلا وأبى دُهْمَانِ زَالَتْ عَزِيزَةٌ عَلَى قَوْمِهَا مَا قَتَلَ الزُّنْدُ قَادِحُ
ومن الحذف أَنْ تُضْمِرَ غَيْرَ مذكور ، كقوله تعالى : ﴿ حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾
يعنى الشمس بدأت فى الغيب . وقوله تعالى : ﴿ مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾ يعنى على ظَهْرِ الأرض . وقوله تعالى : ﴿ فَأَنْزَلَ بِهِ نَقْعًا ﴾ ، أى بالوادي . وقوله تعالى : ﴿ وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا ﴾ ، يعنى الدنيا أو الأرض . ﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾ ، يعنى عُقْبَى هذه الفعلة .

(١) اللسان — مادة وسق . وقائمه ضابى بن الحارث البرجمي .

(٢) لم تسقه : أى لم تحمله . (٣) ديوانه : ٥٣ ، الطراز : ٢ — ١٠٩ .

وقول لبید^(١) :

حتى إِذَا أَلْقَتْ يَدًا فِي كَافِرٍ وَأَجَنَّ عَوْرَاتِ الثُّغُورِ ظَلَامُهَا^(٢)
يعنى الشمس تَبَدُّأ^(٣) في المغيب .

وضرب منه آخر قوله تعالى : ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا ﴾ ، أى من قومه .

وقال المجاج :

* تحت الذى اختار له الله الشجر *
أى من الشجر .

وضرب منه ما قال تعالى فى أول سورة الرحمن : ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾
وذكر قبل ذلك الإنسان ، ولم يذكر الجان ثم ذكره .
ومثله قول المثقب^(٤) :

فأ أدري إذا يَمَمْتُ أرضاً أريد الخير أيهما يلينى
الخير الذى أنا أبتغيه أم الشر الذى هو يبتغينى
فكنى عن الشر قبل ذكره ، ثم ذكره .

ومن الحذف قوله تعالى : ﴿ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴾ ،
أراد يشترون الضلالة بالهدى . وقوله تعالى : ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴾ ، أى أبقينا

(١) الشعر والشعراء : ٢٤٣ ، اللسان : ٦ — ٤٦٣ .

(٢) الكافر : الليل لأنه يستر بظلمته كل شيء . وأجن عليه الليل : إذا أظلم . والثغور ، واحده ثغر : وذلك كل فرجة فى جبل أو بطن واد أو طريق مسالك . قال فى اللسان — مادة كفر : إن ليبدأ سرق هذا المعنى من قول هبلبة بن صعيقة المازنى يصف الظليم والنعامه ورواحهما إلى بيضهما عند غروب الشمس وذلك بقوله :

فتذكرا تقلا رثيدا بعد ما ألفت ذكاء يمينها فى كافر

(٣) فى ط : تدأب ، وهذا عن اللسان . (٤) الفضليات ٢ : ٩٢ .

له ذِكْرًا حَسَنًا فِي الْبَاقِينَ خَذَفَ الذِّكْرَ . وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ ﴾ ، أَيْ يَبْحَثُ التُّرَابَ عَلَى غُرَابٍ آخَرَ لِيُؤَارِيَهُ ؛ فَيَرَى هُوَ كَيْفَ يُؤَارِي سَوَاءَ أَخِيهِ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ ﴾ ؛ أَيْ فِي مَرْضَاتِهِمْ .

وَمِنْ الْخَذَفِ قَوْلُ صَعْصَعَةٍ وَقَدْ سُئِلَ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : لَمْ يَقُلْ فِيهِ مُسْتَزِيدٌ : لَوْ أَنَّهُ ، وَلَا مُسْتَقْصِرٌ : لِأَنَّهُ ؛ جَمَعَ الْحِلْمَ ، وَالْعِلْمَ ، وَالسَّلَامَ ، وَالْقَرَابَةَ الْقَرِيبَةَ ، وَالْهِجْرَةَ الْقَدِيمَةَ ، وَالْبَصَرَ بِالْأَحْكَامِ ، وَالْبَلَاءَ الْعَظِيمَ فِي الْإِسْلَامِ .

وَقَالَ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : سَبَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَصَلَّى ^(١) أَبُو بَكْرٍ ، وَثَلَّثَ عَمْرٌ ، وَخَبَطْنَا فِتْنَةً فَمَا شَاءَ اللَّهُ .

وَقَالَ الْقَيْسِيُّ : مَا زِلْتُ أُمْتَطِي النَّهَارَ إِلَيْكَ ، وَأَسْتَدِلُّ بِفَضْلِكَ عَلَيْكَ ، حَتَّى إِذَا جَنَى اللَّيْلَ ، فَقَبِضَ الْبَصَرَ ، وَمَحَا الْأَثَرَ ، أَقَامَ بَدَنِي ، وَسَافَرَ أَمَلِي ، وَالْاجْتِهَادُ عَازِرٌ ؛ وَإِذَا بَلَغْتِكَ فَقَطْ .

فَقَوْلُهُ : « فَقَطْ » مِنْ أَحْسَنِ خَذَفٍ وَأَجْوَدِ إِشَارَةٍ .

وَأَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الزُّغَلِ الْمُبَشْمِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْمُبَرَّدُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ يَزِيدَ بْنَ مَعَاوِيَةَ أَتَى أَخَاهُ خَالِدًا ، فَقَالَ : يَا أَخِي ؛ لَقَدْ هَمَمْتُ الْيَوْمَ أَنْ أَفْتِكَ بِالْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ . فَقَالَ خَالِدٌ : بئس والله ما هَمَمْتَ بِهِ فِي ابْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَوَلِيِّ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ ! فَقَالَ : إِنَّ خِيْلِي مَرَّتْ بِهِ فَبَعَثْتُ بِهَا وَأَصْفَرْتُ فِيهَا . فَقَالَ : أَنَا أَكْفِيكَ ؛ فَدَخَلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ؛ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! إِنَّ الْوَلِيدَ

(١) وَأَصْلُ هَذَا فِي الْحِلِّ ، فَالسَّابِقُ الْأَوَّلُ ، وَالْمُصَلَّى الثَّانِي .

ابن أمير المؤمنين مرّت به خيلُ ابنِ عمّه عبد الله بن يزيد ؛ فعبث بها وأصغره^(١) فيها .
وعبد الملك مُطرقٌ ، ثم رفع رأسه وقال : ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا
وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةَ ﴾ . فقال خالد : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا
فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ . فقال عبد الملك : أفي عبد الله
تكلمني ؛ لقد دخل علىّ فما أقام لسانه لحناً ؟ فقال خالد : أفعلى الوليدُ تُعول ؟ فقال
عبد الملك : إن كان الوليدُ يلحن فإن أخاه سليمانُ . فقال خالد : إن كان عبدُ الله
يلحن فإن أخاه خالد^(٢) . فقال له الوليدُ : اسكت ، فوالله ما تُعدّ في العير ولا
في النّفير^(٣) . فقال : اسمع يا أمير المؤمنين ، ثم أقبل عليه ، فقال : وَيَحْكَ فَن
لِلْعَيْرِ وَالنَّفِيرِ غَيْرِي ؟ جدّي أبو سفيان صاحب العير ، وجدّي عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ
صاحب النّفير^(٤) ؛ ولكن لو قلت : غَنِيمَاتٌ وَحَبِيلَاتٌ وَالطَّائِفُ وَرَحِمَ اللَّهُ عُمَانَ
قُلْنَا صَدَقْتَ .

وذلك أنّ النبي صلى الله عليه وسلم طرد الحكم بن أبي العاص^(٥) فصار إلى
الطائف برعى غنيمته ويأوى إلى حُبلة - وهي الكَرَمَة - ورحم الله عثمان ، أئى
لرده إياه^(٦) . فهذا حذفٌ بديع .

وكذلك قول عبد الملك : إن كان الوليدُ يلحن فإن أخاه سليمان ؛ وقول خالد :
إن كان عبدُ الله يلحن فإن أخاه خالد ، حذفٌ حسنٌ أيضاً . ومثلُ هذا كثيرٌ في
كلامهم ، ولا وَجْهَ لاسْتِيعَابِهِ .

(١) أصغره : جعله صغيراً . (٢) في ط : خالد . (٣) أصل العير : القافلة ،

والنفير : القوم الذين يتقدمون في القتال ، ويقولون لمن لا يستلحقونه : فلان لا في العير ولا

في النفير . (٤) يشير بذلك إلى عير قريش التي كانت مع أبي سفيان ، وعتبة كان قائد المشرّكين

يوم بدر . (٥) جد عبد الملك . (٦) وقد أبى أبو بكر وعمر أن يرداه .

ومن الحذف الرديء قول الحارث بن حلزة ^(١) :

وَالْعَيْشُ خَيْرٌ فِي ظِلِّ لِ النَّوْكِ مِمَّنْ عَاشَ كَدًّا ^(٢)

وإنما أراد : والعيشُ الناعمُ خيرٌ في ظلال النوك من العيشِ الشاقِّ في ظلال
العقل ، وليس يدلُّ لحنُ كلامه على هذا ، فهو من الإيجاز المقصر .

ومن الحذف الرديء أيضاً قول الآخر ^(٣) :

أَعَاذِلْ عَاجِلُ مَا أَشْتَهَى أَحَبُّ مِنَ الْأَكْثَرِ الرَّائِثِ ^(٤)

يعنى عاجل ما أشتهى مع القلَّة أحبُّ إلىَّ من رائيثه مع الكثرة .
ومثله قول عروة بن الورد ^(٥) :

عَجِبْتُ لَهُمْ إِذْ يَقْتُلُونَ نَفْسَهُمْ وَمَقْتَلُهُمْ عِنْدَ الْوَفَى كَانَ أَعْذَرًا

يعنى إذ يقتلون نفوسهم في السلم .

ومثله من ثرِّ الكتاب ما كتب بعضهم : فَإِنَّ الْمَعْرُوفَ إِذَا زَجَا ^(٦) كَانَ
أَفْضَلَ مِنْهُ إِذَا تَوَافَرَ وَأَبْطَأَ . وتأمُّ المعنى أن يقول : « إِذَا قَلَّ وَزَجَا » . فترك ما به
يتمُّ المعنى ؛ وهو ذِكْرُ الْقِلَّةِ .

وكتب بعضهم : فَمَا زَالَ حَتَّى أَتْلَفَ مَالَهُ ، وَأَهْلَكَ رِجَالَهُ ؛ وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ
فِي الْجِهَادِ وَالْإِبْلَاءِ أَحَقَّ بِأَهْلِ الْحَزْمِ وَأَوْلَى . والوجهُ أن يقول : فَإِنَّ إِهْلَاكَ الْمَالِ
وَالرِّجَالِ فِي الْجِهَادِ وَالْإِبْلَاءِ أَفْضَلُ مِنْ فِعْلِ ذَلِكَ فِي الْمَوَادَعَةِ .

ومثل هذا مُقْصَرٌ غَيْرُ بَالِغٍ مَبْلَغَ مَا تَقْدِمُ فِي هَذَا الْبَابِ مِنَ الْحَذْفِ الْجَيِّدِ .

(١) قد الشعر : ١٢٧

(٢) النوك ، بالضم : الحق ويفتح أيضاً . (٣) قد الشعر : ١٢٧ .

(٤) الرث : الإبطاء ، والرائث : البطيء . (٥) قد الشعر : ١٢٧ ، ديوانه : ١٨ .

(٦) زجا الأمر : تيسر .

وأصبح من هذا كله قول الآخر^(١) :
لا يرْمُضُونَ إذا جَرَتْ مَسَا فِرْهُمْ ولا ترى مثلهم في الطَّعْنِ مَيَّالًا
وَيَفْشَلُونَ إذا نَادَى رَبِّهِمْ ألا اركُبْنِ فَقَدْ آنَسْتُ أَبْطَالَ
أراد : « ولا يفشلون » فتركه ؛ فصار المعنى كأنه ذم .

وقول الخبيل في الزبرقان :
وَأَبُوكَ بَدْرٌ كَانَ يَنْتَهِسُ الْحَصَى وَأَبَى الْجَوَادِ رَيْمَةُ بْنُ قَبَالٍ^(٢)
فقال الزبرقان : لا بأس ؛ شيخان اشتركا في صنعة .

(١) نقد الشعر : ١٢٧ . (٢) نهس اللحم : أخذه بمقدم الأسنان ، وانتهسه كذلك .

الفصل الثاني

من الباب الخامس ، في ذكر الإطناب

فضل
الإطناب

قال أصحاب الإطناب : المنطق إنما هو بيان ، والبيان لا يكون إلا بالإشباع ، والشفاء لا يقع إلا بالإقناع ، وأفضل الكلام أبينّه ، وأبينّه أشدّه إحاطةً بالمعاني ، ولا يُحاط بالمعاني إحاطةً تامّةً إلا بالاستقصاء ؛ والإيجاز للخوّاصّ ، والإطناب مشتركٌ فيه الخاصة والعامة ، والفني والفطن ، والريض والمرئاض ؛ ولعمري ما أُطِيت الكتب السلطانية في إفهام الرعايا .

الحاجة إلى
الإيجاز
والإطناب

والقولُ القصد أن الإيجازَ والإطنابَ يُحتاجُ إليهما في جميع الكلام وكلّ نوع منه ؛ ولكل واحدٍ منهما موضع ؛ فالحاجةُ إلى الإيجازِ في موضعه كالحاجةُ إلى الإطنابِ في مكانه ؛ فمن أزال التدبيرَ في ذلك عن جهته ، واستعمل الإطناب في موضع الإيجاز ، واستعمل الإيجاز في موضع الإطناب أخطأ .

كما روى عن جعفر بن يحيى أنه قال مع عجبهِ بالإيجاز : متى كان الإيجاز أبلغ كان الإكثارُ عيباً . ومتى كانت الكنايةُ في موضع الإكثار كان الإيجازُ تقصيراً . وأمر يحيى بن خالد بن برمك اثنين أن يكتبَا كتاباً في معنى واحد ، فأطال أحدهما ، واختصر الآخر ؛ فقال للمختصر - وقد نظر في كتابه : ما أرى موضع مزيد . وقال للمطيل : ما أرى موضع نقصان .

وقال غيره : البلاغةُ الإيجازُ في غير عجز ، والإطنابُ في غير خطل . ولا شك في أن الكتبَ الصادرة عن السلاطين في الأمور الجسيمة ، والفتوح الجلييلة ، وتفخيم النعم الحادثة ، والترغيب في الطاعة ، والنهي عن المعصية ، سبيلها أن تكون مُشبعةً مستقصاةً ، تملأ الصدور ، وتأخذُ بمجاميع القلوب ؛ ألا ترى أن كتاب المهلب إلى الحجاج في فتح الأزارقة :

الحمد لله الذى كفى بالإسلام فقد ماسواه ، وجمل الحمد متصلاً بنعمته ، وقضى
الآن ينقطع المزيد من فضله ، حتى ينقطع الشكر من خلقه ، ثم إننا كنا وعدونا على
حالتين مختلفتين ، نرى فيهم ما يسرنا أكثر مما يسوينا ، ويرون فينا ما يسوءهم أكثر
مما يسرهم . فلم يزل ذلك دأبنا ودأبهم ؛ ينصرنا الله ويخذلهم ، ويمحصنا ويمحقهم ،
حتى بلغ الكتاب بنا وبهم أجله ؛ فقطع دابر القوم الذى ظلموا والحمد لله
رب العالمين .

وإنما حسن في موضعه ومع الغرض الذى كان لكتابته فيه ؛ فأما إن كتب مثله
في فتح يوازى ذلك الفتح في جلاله القدر وعُلو الخطر ، وقد تطلعت أنفس الخاصة
والعامة إليه وتصرفت فيه ظنونهم ، فيورد عليهم مثل هذا القدر من الكلام في أقبح
صورة وأسمجها وأشوهها وأهجبها كان حقيقة أن يتمجج منه .

وكذلك لو كتب عن السلطان في العدل والتوبيخ وما تجب القلوب منه
من التغير والتفكير بمثل ما روى أن الوليد بن يزيد كتب إلى وإلى المراقين حين
عتب عليه : إني أراك تقدم في الطاعة رجلاً وتؤخر أخرى ، فاعتمد على أيتهما شئت ،
والسلام .

وبمثل ما كتب جعفر بن يحيى إلى عامل شىكى : قد كثرت شاكوك ، وقل
شاكروك ؛ فأما عدلت ، وإما اعتزلت .

ومثل هذا ما كتب به بعض الكتاب إلى عامله على الخراج ، وقد وقع عليه
تحامل على الرعيّة^(١) : إن الخراج عمود الملك ، وما استغزر بمثل العدل ، ولا استنزر
بمثل الجور .

فهذا الكلام في غاية الجودة والوجازة ، ولكن لا يصلح من مثل صاحبه
وبالإضافة إلى حاله ؛ فالإطناب بلاغة ؛ والتطويل عي ؛ لأن التطويل بمنزلة سلوك ما
يبتدجها بما يقرب . والإطناب بمنزلة سلوك طريق بعيد نزه يحتوى على زيادة فائدة .

(١) هكذا بالأصول .

وقال الخليل : يختصر الكتاب ليُحفظ ، ويُبَسِّطَ لِيُفْهَم . وقيل لأبي عمرو ابن الملاء : هل كانت العرب تُطِيل ؟ قال : نعم ؛ كانت تُطِيل لِيُسْمَعَ منها ، وتُوجَزَ لِيُحْفَظَ عنها .

والإطناب إذا لم يكن منه بُدٌّ إيجاز ؛ وهو في المواضع - خاصة - محمود ؛ كما أن الإيجاز في الإفهام محمود ممدوح .

والموعظة كقول الله تعالى : ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ . أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ . أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ . فتكرير ما كرّر من الألفاظ هاهنا في غاية حُسْنِ الموقع .

وقيل لبعضهم : متى يُحتَاج إلى الإكثار ؟ قال : إذا عَظُمَ الخطب . وأنشد :
صَمَوْتُ إِذَا مَا الصَّمْتُ زَيْنَ أَهْلَهُ وَفَتَّاقَ أَبْكَارِ الْكَلَامِ الْحَبْرُ
وقال آخر :

يَرْمُونَ بِالْخُطْبِ الطَّوَالَ وَتَارَةً وَحَى الْمَلَا حِظِ خَشْيَةِ الرُّقَبَاءِ
وقال بعضهم :

إِذَا مَا ابْتَدَى خَاطِبًا لَمْ يُقَلْ لَهُ أَطْلَ الْقَوْلِ أَوْ قَصُرِ
طَبِيبٌ بَدَأَ فَنُؤِنَ الْكَلَامِ مِ لَمْ يَعْى يَوْمًا وَلَمْ يَهْذِرِ
فَإِنْ هُوَ أَطْنَبَ فِي خُطْبَةٍ قَضَى لِلْمُطِيلِ عَلَى الْمُقْصِرِ
وَإِنْ هُوَ أَوْجَزَ فِي خُطْبَةٍ قَضَى لِلْمُقِلِّ عَلَى الْمُكْتَرِ

ووجدنا الناس إذا خطبوا في الصلح بين العشائر أطالوا ؛ وإذا أنشدوا الشعر بين السامطين^(١) في مدح الملوك أطنبوا ؛ والإطالة والإطناب في هذه المواضع إيجاز .
وقيل لقيس بن خزيمة : ما عندك في سمالات^(٢) داحس ؟ قال : عندى قرأ

(١) سباط القوم : صفهم . (٢) السمالة : الذية يحملها قوم عن قوم .

كلَّ نَازِلٍ ، وَرِضًا كُلَّ سَاخِطٍ ، وَخُطْبَةً مِنْ لَدُنْ مَطْلَعِ الشَّمْسِ إِلَى أَنْ تَغْرِبَ ،
آمُرُ فِيهَا بِالتَّوَّاصِلِ وَأَنْهِيَ عَنِ التَّقَاطُعِ . فَقِيلَ لِأَبِي يَعْقُوبَ الْحُرَيْمِيِّ : هَلَّا اكْتَفَى
بِقَوْلِهِ : « آمُرُ فِيهَا بِالتَّوَّاصِلِ » عَنْ قَوْلِهِ : « وَأَنْهِيَ عَنِ التَّقَاطُعِ » ؟ فَقَالَ : أَوْ مَاعَلِمَتْ
أَنَّ السَّكْنَاةَ وَالتَّعْرِيزَ لَا تَعْمَلُ عَمَلَ الْإِطْنَابِ وَالتَّكْشِيفِ .

وَقَدْ رَأَيْنَا اللَّهَ تَعَالَى إِذَا خَاطَبَ الْعَرَبَ وَالْأَعْرَابَ أَخْرَجَ الْكَلَامَ خَرَجَ الْإِشَارَةِ
وَالْوَحْيِ ؛ وَإِذَا خَاطَبَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَوْ حَكَى عَنْهُمْ جَعَلَ الْكَلَامَ مَبْسُوطًا .

فَمَا خَاطَبَ بِهِ أَهْلَ مَكَّةَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ
يَخْلُقُوا ذُبَابًا ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ، ضُمُفَ
الطَّلَابِ وَالْمَطْلُوبِ ۝ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ
عَلَى بَعْضٍ ۝ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝ ؛ فِي أَشْبَاهٍ لِهَذَا كَثِيرَةٌ .
وَقُلْ مَا تَجِدُ قِصَّةً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا مُطَوَّلَةً مَشْرُوحَةً وَمَكْرَرَةً فِي
مَوَاصِعٍ مُتَعَادَةٍ ؛ لِيُبَعِدَ قَهْمُهُمْ كَانَ ، وَتَأَخَّرَ مَعْرِفَتُهُمْ .

وَكَلَامُ الْفَصِيحِ إِنَّمَا هُوَ شَوْبُ الْإِيجَازِ بِالْإِطْنَابِ وَالْفَصِيحِ الْعَالِي بِمَا دُونَ ذَلِكَ
مِنَ الْقَصْدِ الْإِتْوَسُّطِ ؛ لِيَسْتَدِلَّ بِالْقَصْدِ عَلَى الْعَالِي ، وَلِيَخْرِجَ السَّامِعَ مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ
فِي زِدَادٍ نَشَاطُهُ وَتَوَفَّرَ رَغْبَتُهُ ، فَيَصْرِفُوهُ فِي وُجُوهِ الْكَلَامِ إِيْجَازَهُ وَإِطْنَابَهُ ، حَتَّى
اسْتَعْمَلُوا التَّكْرَارَ لِيَتَوَكَّدَ الْقَوْلُ لِلْسَّامِعِ .

وَقَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ وَفَصِيحِ الشَّعْرِ مِنْهُ شَيْءٌ كَثِيرٌ ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ كَلَّا
سَوْفَ تَعْلَمُونَ ، ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَإِنَّ الْعُسْرَ يُسْرًا إِنْ
مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ . فَيَكُونُ لِلتَّوَكِيدِ كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ : أَرَمَ أَرَمَ ، وَاعْجَلْ اعْجَلْ .
وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :

كَمْ نِعْمَةٍ كَانَتْ لَكُمْ كَمْ كَمْ وَكَمْ كَانَتْ وَكَمْ

وقال آخر^(١) :

هَلَّا سَأَلْتُ مُجُوعَ كِنْدَةَ يَوْمَ وَلَّوْا أَيْنَ أَيْنَا

وإنما جاءوا بالصفقة وأرادوا تركيدها فكرهوا إعادتها ثانية ؛ ففترروا منها
حرافاً ، ثم أتبعوها الأولى ؛ كقولهم : «عطشان نطشان» كرهوا أن يقولوا : عطشان
عطشان ؛ فأبدلوا من العين نونا . وكذلك قالوا : حسن بسن . وشيطان ليطان ، في
أشباه له كثيرة .

الاتباع

وقد كرر الله عز وجل في سورة الرحمن قوله : ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ؛
وذلك أنه عدّد فيها نعماءه وأذكر عبادته آلاءه ، ونبّههم على قدرها ، وقدرته عليها ،
ولطفه فيها ، وجعلها فاصلة بين كل نعمة ليعرف موضع ما أسداه إليهم منها .

وقد جاء مثل ذلك عن أهل الجاهلية ؛ قال مهلهل^(٢) :

* على أن ليس عدلاً من كُليب *

فكرّرها في أكثر من عشرين بيتاً .

وهكذا قول الحارث بن عباد :

* قرّباً مرّبط النعمة منى *

كرّرها أكثر من ذلك ؛ هذا لما كانت الحاجة إلى تكريرها ماسة ، والضرورة
إليه داعية ، لعظم الخطب ، وشدة موقع الفجعة ؛ فهذا يدلّك على أن الإطناب
في موضعه عندهم مستحسن ، كما أن الإيجاز في مكانه مستحب .

ولابدّ للكاتب في أكثر أنواع مكاتباته من شعبة من الإطناب يستعملها إذا
أراد المزوجة بين الفصلين ، ولا يُعاب ذلك منه . وذلك مثل أن يكتب : عظمت
نعمنا عليه ، وتظاهر إحساننا لديه . فيكون الفصل الأخير داحلاً في معناه في الفصل
الأول ؛ وهو مستحسن لا يعيبه أحد .

(١) البيت لعبيد بن الأبرص ، انظر شرح ديوان امرئ القيس ص ٤ (طبعة هندية)

سنة ١٣٢٤ . (٢) مهذب الأغاني : ١ - ١٩٠ .

ولما أُحيطَ بمروان قال خادمه باسل : من أغفل القليلَ حتى يكبر ، والصغيرَ حتى يكبر ، والخفيَ حتى يظهر أصابه مثلُ هذا .
وهذا كلامٌ في غاية الحسن ، وإن كان معنى الفصلين الأخيرين داخلًا في الفصل الأول .

وهكذا قول الشاعر^(١) :

إِنَّ شَرَّخَ الشَّبَابِ وَالشَّعْرَ الْأَسَدَ وَدَ مَالِمْ يُعَاصِ كَانَ جُنُونًا
فالشعر الأسود داخل في شَرَّخِ الشباب .

وكذلك قول أبي تمام^(٢) :

رُبَّ خَفِضٍ^(٣) تَحْتَ السَّرَى وَغَنَاءَ مِنْ عَنَاءٍ وَنَضْرَةٍ مِنْ شُحُوبِ
الغناء داخل في الخَفِضِ ، والعناء داخل في السرى فاعلم .

ومما هو أجلُّ من هذا كله قولُ الله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾ ؛ فالإحسانُ داخل في العَدْلِ ، وإيتاء ذِي الْقُرْبَى داخل في الإحسان ؛ والفحشاء داخل في المنكر ، والبغى داخل في الفحش .

وهذا يدلُّ على أنَّ أعظم مدارِ البلاغة على تحسين اللفظ ؛ لأنَّ المعاني إذا دخل بعضها في بعض هذا الدخول ، وكانت الألفاظ مختارة حسنَ الكلام ؛ وإذا كانت مرتبة حسنةً والمعارض سيئةً كان الكلامُ مردوداً . فاعتمد على ما مثلته لك ، وقس عليه إن شاء الله .

(١) حسان بن ثابت، ديوانه: ٤١٣ (٢) ديوانه: ٣٦ (٣) خفض : سعة وراحة .

البَابُ السَّادِسُ

في حسن الأخذ وحل المنظوم (فصلان)

الفصل الأول من الباب السادس

في حسن الأخذ

تداول المعاني ليس لأحدٍ من أصناف القائلين غِنًى عن تناولِ المعاني ممَّن تقدَّمهم والصبَّ على قوالب مَنْ سَبَقَهُمْ ؛ ولكن عليهم - إذا أخذوها - أن يَكْسُوها ألفاظاً من عندهم ، ويُزَيِّدوها في معارض مَنْ تَأَلَّفَهُمْ ، ويُورِدُوها في غير حِلِّيَّتها الأولى ، ويَزِيدُوها في حُسْنِ تَأْلِفِها وجَوْدَةِ تَرْكِيبِها وكَمَالِ حِلِّيَّتها ومعرضها ؛ فإذا فعلوا ذلك فهم أحقُّ بها ممَّن سَبَقَ إليها ؛ ولولا أنَّ القائلَ يُودِّي ما سَمِعَ لما كان في طاقته أن يقول ؛ وإنما يَنْطِقُ الطِّفْلُ بمدِّ استماعه من البالغين .

وقال أميرُ المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه : لولا أنَّ الكلامَ يُعَادُ لنفد . وقال بعضهم : كلُّ شيءٍ ثَنِيَّتُهُ قَصْرُ إِلَّا الكلامَ فَإِنَّكَ إِذَا ثَنَيْتَهُ طَالَ . على أنَّ المعانيَ مشتركةً بين العقلاء ، وربما وقع المعنى الجيِّدُ للسوقيِّ والنبطيِّ والزنجيِّ ، وإنما تَتَفَاضَلُ النَّاسُ في الألفاظِ ورَصْفِها وتَأْلِفِها ونَظْمِها . وقد يقعُ للمتأخِّرُ معنى سَبَقَهُ إليه المتقدِّمُ من غير أن يَلَمَّ به ، ولكن كما وقع للأوَّلُ وقع للآخر . وهذا أمرٌ عَرَفْتُهُ من نَفْسِي ، فلستُ أُمَرِّي^(١) فيه ، وذلك أني عملتُ شيئاً في صِفَةِ النساءِ :

* سَفَرْنَ بُدُورًا وانتَقَبْنَ أَهْلَةً *

وظننتُ أني سبقتُ إلى جمع هذين التشبيهين في نصفِ بيت ، إلى أن وجدته

بَعِيْنِهِ لِبَعْضِ الْبَغْدَادِيِّينَ ؛ فَكَثُرَ تَعَجُّبِي ، وَعَزَمْتُ عَلَى الْآخِ كُمْ عَلَى التَّأَخُّرِ
بِالسَّرَقِ ^(١) مِنَ الْمُتَقَدِّمِ حُكْمًا حَتْمًا .

وَسَمِعْتُ مَا قِيلَ : إِنَّ مَنْ أَخَذَ مَعْنَى بَلْفَظِهِ كَانَ لَهُ شَارِقًا ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِبَعْضِ
لَفْظِهِ كَانَ لَهُ سَالِحًا ، وَمَنْ أَخَذَهُ فَكَسَاهُ لَفْظًا مِنْ عِنْدِهِ أَجْوَدَ مِنْ لَفْظِهِ كَانَ هُوَ
أَوَّلَى بِهِ مِنْ تَقَدُّمِهِ .

وَقَالُوا : إِنَّ أَبَا عُذْرَةَ الْكَلَامِ ^(٢) مَنْ سَبَكَ لَفْظَهُ عَلَى مَعْنَاهُ ؛ وَمَنْ أَخَذَ مَعْنَى
بِلَفْظِهِ فَلَيْسَ لَهُ فِيهِ نَصِيبٌ .

عَلَى أَنْ ابْتِكَارَ الْمَعْنَى وَالسَّبَقَ إِلَيْهِ لَيْسَ هُوَ فَضِيلَةٌ يَرْجِعُ إِلَى الْمَعْنَى ؛ وَإِنَّمَا هُوَ
فَضِيلَةٌ تَرْجِعُ إِلَى الَّذِي ابْتِكَرَهُ وَسَبَقَ إِلَيْهِ ؛ فَالْمَعْنَى الْجَيِّدُ جَيِّدٌ وَإِنْ كَانَ مُسَبِّقًا إِلَيْهِ ؛
وَالْوَسْطُ وَسَطٌ ، وَالرَّدَى رَدَى ، وَإِنْ لَمْ يَكُنَا مُسَبِّقًا إِلَيْهِمَا .

وَقَدْ أَطْبَقَ الْمُتَقَدِّمُونَ وَالتَّأَخَّرُونَ عَلَى تَدَاوُلِ الْمَانِي بَيْنَهُمْ ؛ فَلَيْسَ عَلَى أَحَدٍ فِيهِ
عَيْبٌ إِلَّا إِذَا أَخَذَهُ بِلَفْظِهِ كُلَّهُ ، أَوْ أَخَذَهُ فَأَفْسَدَهُ ، وَقَصَّرَ فِيهِ عَنْ تَقَدُّمِهِ ، وَرَبَّمَا
أَخَذَ الشَّاعِرُ الْقَوْلَ الشَّهْوَرِ وَلَمْ يُبَالِ ؛ كَمَا فَعَلَ النَّابِغَةُ فَإِنَّهُ أَخَذَ قَوْلَ وَهْبِ بْنِ الْحَارِثِ
ابْنُ زَهْرَةَ :

تَبْدُو كَوَاكِبُهُ وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ تَجْرِي عَلَى الْكَاسِ مِنْهُ الصَّابُ وَالْمَقْرُ ^(٣)
وَقَالَ النَّابِغَةُ ^(٤) :

تَبْدُو كَوَاكِبُهُ وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَا النُّورَ نَوْرٌ وَلَا الْإِظْلَامَ إِظْلَامٌ
وَأَخَذَ قَوْلَ رَجُلٍ مِنْ كِنْدَةَ فِي عَمْرِو بْنِ هِنْدَ :

هُوَ الشَّمْسُ وَاقَتْ يَوْمَ دَجْنٍ فَأَفْضَلَتْ عَلَى كُلِّ ضَوْءٍ وَالْمَلُوكِ كَوَاكِبُ

(١) السرقة . (٢) يريد منشئه ومبتدعه . (٣) الصاب : شبيهه بالصبر .

(٤) ديوانه : ٧٠

قال^(١) :

بَأْكَ^(٢) شَمْسُ وَالْمَلُوكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُمْ كَوْنُكَ

وَسُتُشَبِّعُ الْقَوْلَ فِي هَذَا الْبَابِ .

وَالْحَازِقُ يُخْفَى دَيْبِيهِ إِلَى الْمَعْنَى يَأْخُذُهُ فِي سُرَّةٍ فَيَحْكُمُ لَهُ بِالسَّبْقِ إِلَيْهِ أَكْثَرُ مِنْ يَرُثُ بِهِ .

وَأَحَدُ أَسْبَابِ إِخْفَاءِ السَّرِّقِ أَنْ يَأْخُذَ مَعْنَى مِنْ نَظْمٍ فَيُورِدُهُ فِي نَثْرٍ ، أَوْ مِنْ نَثْرٍ فَيُورِدُهُ فِي نَظْمٍ ، أَوْ يَنْقُلُ الْمَعْنَى الْمُسْتَعْمَلَ فِي صِفَةِ خَرَفٍ فَيَجْعَلُهُ فِي مَدِيحٍ ، أَوْ فِي مَدِيحٍ فَيَنْقُلُهُ إِلَى وَصْفٍ ؛ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَكْمَلُ لِهَذَا إِلَّا الْمُبَرِّزُ ، وَالسَّامِلُ الْمَقْدَمُ ؛ فَمِنْ أَخْفَى دَيْبِيهِ إِلَى الْمَعْنَى وَسُتْرَهُ غَايَةَ السُّتْرِ أَبُو نَوَاسٍ فِي قَوْلِهِ^(٣) :

أَعْطَيْتُكَ رِيحَانَهَا الْعُقَارُ وَحَانَ مِنْ لَيْلِكَ انْسِفَارُ

إِنْ كَانَ قَدْ أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ الْأَعَشَى ، عَلَى مَا حَكَّوْا ، فَقَدْ أَخْفَاهُ غَايَةَ الْإِخْفَاءِ ؛

وَقَوْلِ الْأَعَشَى^(٤) :

وَسَبَيْتُهُ مِمَّا تَعْتَقُ بِأَيْلِ كَدَمِ الذَّبِيحِ سَلْبَتُهَا جَرِيَالَهَا^(٥)

سُئِلَ الْأَعَشَى عَنْ « سَلْبَتُهَا جَرِيَالَهَا » . فَقَالَ : شَرَبْتُهَا حَمَاءً ، وَبُلْتُهَا بَيْضَاءً . فَبَقِيَ حُسْنُ لَوْنِهَا فِي بَدَنِ . وَمَعْنَى : « أَعْطَيْتُكَ رِيحَانَهَا الْعُقَارُ » ؛ أَيْ شَرَبْتُهَا فَانْتَقَلَ طَبِيعُهَا إِلَيْكَ .

وَهَكَذَا قَوْلُهُ^(٦) :

لَا يَنْزِلُ اللَّيْلُ حَيْثُ حَامَتْ فَدَهْرُ شَرَّائِهَا نَهَارُ

مِنْ قَوْلِ قَيْسِ بْنِ الْخَطِيمِ :

قَضَى اللَّهُ حِينَ صَوَّرَهَا أَلْ خَالِقُ أَلَّا تَكُنْهَا السُّدْفُ^(٧)

(١) ديوانه : ١٧ . (٢) في الديوان : فَاك . (٣) ديوانه : ٢٧٤ .

(٤) اللسان - مادة جزل ، الشعر والشعراء : ٢١٦ ، العرب : ١٠٣ .

(٥) السبيخة : الحمر . وجريالها : لونها . (٦) ديوانه : ٢٧٤ . (٧) السدف : الظلمة .

وهذا المعنى منقول من الفزل إلى صفة الخمر فهو خفي .
ومن هذا ما نقله من قول أوس بن حجر في صفة الفرس ، فجعله في صفة امرأة :
جفراً صَفْرَاءَ لَا الطُّولَ عَابَهَا وَلَا قِصَرَ أَزْرَى بِهَا فَتَعَطَّلَا
وقول أبي نواس ^(١) :

فَوْقَ الْقَصِيرَةِ وَالطَّوِيلَةِ فَوْقَهَا دُونَ السَّمِينِ وَدُونَهَا الْمَهْزُولُ
وإن كان أخذه من قول ابن الأحرر :
تَفَوَّتَ الْقِصَارَ وَالطَّوَالَ تَفَتَّتَهَا فَمَنْ يَرَهَا لَمْ يَنْسَهَا مَا نَسَكَمَّا
أو من قول ابن عجلان النهدي :
وَمَخْمَلَةٌ بِاللَّحْمِ مِنْ دُونَ ثَوْبِهَا تَطُولُ الْقِصَارَ وَالطَّوَالَ تَطُولُهَا
فقد أخذه بلفظه ، وأحد هذين أخذه من قول أوس ، والإحسان فيه له .
ومما أخذه ونقله من معنى إلى معنى قوله :

كَمِيتٌ جِسْمُهَا مَعَنَا وَرَبَّاهَا عَلَى سَفَرٍ
ومن أخفى الأخذ أبو تمام ^(٢) في قوله :
جَمَعَتْ عُرَى أَعْمَالِهَا ^(٣) بَعْدَ فُرْقَةٍ إِلَيْكَ كَمَا ضَمَّ الْأَنَايِبَ عَامِلٌ ^(٤)
قالوا : هو من قول الخبيل الربمي :
أَوَّلُكَ إِخْوَانُ الصَّفَاءِ رُزِيهِمْ فَمَا الْكَفُّ إِلَّا إَصْبَعٌ ثُمَّ إَصْبَعٌ
وهكذا قوله - وقد نقله من معنى إلى آخر ^(٥) :
مَكَارِمُ لَجَّتْ فِي عُلوِّ كَأَنَّمَا ^(٦) تَحَاوَلُ ثَأْرًا عِنْدَ بَعْضِ الْكَوَاكِبِ

(١) ديوانه : ٣٨٨ . (٢) ديوانه : ٢٥٧ . (٣) في الديوان : جمعت عرى آماله .

(٤) العامل : الريح . (٥) ديوانه : ٤٢ . (٦) في الديوان :

* معال تبادت في العلو كأنما *

قالوا هو من قول الأخطل :
عَرُوفٌ لِحَقِّ السَّائِلِينَ كَأَنَّهُ
بِعَقْرِ الْمَتَالِي (١) طَالِبٌ بِذُنُوبٍ *
وهكذا قول بشار (٢) :

يَا أَطِيبَ النَّاسِ رِيقًا غَيْرَ مُخْتَبِرٍ إِلَّا شَهَادَةَ أَطْرَافِ الْمَسَاوِيكِ
من قول سليلك :

وَتَبَسُّمٍ عَنْ أَلْيِ اللَّشَّاتِ مُفْلَجٍ خَلِيقِ الثَّنَائِيَا بِالْمَذُوبَةِ وَالْبَرْدِ
ومن قول الآخر :

وَمَا ذُنْفُهُ إِلَّا بَعِيْنِي تَفَرُّسًا كَمَا شِيمَ فِي أَعْلَى السَّحَابَةِ بَارِقُ
ومما أَخَذَهُ وَزَادَ فِيهِ عَنِ الْأَوَّلِ قَوْلُهُ (٣) :

* أَفْنَاهُمُ الصَّبْرُ إِذْ أَبْقَاكُمْ الْجَزَعُ (٤) *

من قول السموءل (٥) :

يُقَرِّبُ حُبُّ الْمَوْتِ آجَالَنَا لَنَا وَتَسْكُرُهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ
أورده أبو تمام في نصف بيت واستوفى التطبيق .

ومن هذا الضرب قوله :

عَلَّمَنِي جُودُكَ السَّمَحَ فَمَا أَبْقَيْتَ شَيْئًا لَدَيَّ مِنْ صَلَاتِكَ

من قول ابن الجياط :

لَمَسْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أَبْتَغِي الْغِنَى وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدِي
فَلَا أَنَا مِنْهُ مَا أَفَادَ ذُو الْغِنَى أَوَدْتُ وَأَعْدَانِي فَأَنْلَفْتُ مَا عِنْدِي

ومن نقل المعنى من صفة إلى أخرى البحتري فإنه قال في التوكل (٦) :

(١) المتالي : الإبل التي قد تنج بعضها وبعضها لم ينتج . (٢) الوساطة : ٢٣١ .

(٣) ديوانه : ٣٧٢ . (٤) صدره : * قيم الشامة لإعلانا بأسد وغى *

(٥) شعراء اليهود : ٢٤ . (٦) ديوانه : ٢١٢ .

ولو أنَّ مُشْتَقًّا تَكَلَّفَ غَيْرَ مَا فِي وَسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ الْمُنْبَرُ
أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ الرَّجُلِ فِي صِفَةِ نِسَاءٍ :
لو كَانَ حَيًّا قَبْلَهُنَّ ظَعَانُنَا حَيًّا الْخَطِيمُ وَجُوهُهُنَّ وَزَمْزَمُ
إِلَّا أَنَّهُ غَيْرُ خَافٍ .

وَمِنْ أَخَذَ الْمَعْنَى فَزَادَ عَلَى السَّابِقِ إِلَيْهِ زِيَادَةٌ حَسَنَةً أَبُو نُوَاسٍ فِي قَوْلِهِ (١) :
يَبْكِي فَيُذِرِي الدَّرَّ مِنْ نَرْجِسٍ وَيَلْطَمُ الْوَرْدَ بَعْغَابٍ
أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ الْأَسْوَدِ بْنِ يَعْفَرَ :
يَسْمَعِي بِهَا ذُو تَوَمَتَيْنِ كَأَنَّمَا قَنَاتُ أَنَا مِلْهُ مِنَ الْفِرْصَادِ (٢)
وَأَخَذَ بَعْضُ التَّأَخَّرِينَ بَيْتَ أَبِي نُوَاسٍ ، فَزَادَ عَلَيْهِ زِيَادَةً عَجَبِيَّةً ، فَقَالَ :
وَأَسْبَلْتُ لَوْلَا مِنْ نَرْجِسٍ فَسَقْتُ - وَرَدًّا وَعَصَبْتُ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرْدِ
فَجَاءَ بِمَا لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَزِيدَ عَلَيْهِ .

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا قَوْلُهُ - وَقَدْ زَادَ فِيهِ عَلَى الْأَوَّلِ (٣) :
فَتَمَشَّتْ فِي مَفَاصِلِهِمْ كَتَمَشَّى الْبُرْءُ فِي السَّقَمِ
أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ مُسْلِمٍ :

تَجْرِي مَحَبَّتُهَا فِي قَلْبِ عَاشِقِهَا تَجْرِي الْمَعَافَاةُ فِي أَعْضَاءِ مُنْتَكِسِ
وَجَمِيعُ ذَلِكَ مَا خُوِذَ مِنْ قَوْلِ بَعْضِ مُلُوكِ الْبَلَدِ :

مَنْعَ الْبَقَاءِ تَقَلُّبُ الشَّمْسِ وَطُلُوعُهَا مِنْ حَيْثُ لَا تَعْمَى
يَجْرِي عَلَى كَبَدِ السَّمَاءِ كَمَا يَجْرِي حِمَامُ الْمَوْتِ فِي النَّفْسِ

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ مُسْلِمٍ :

أَحَبُّ الرِّيحِ مَا هَبَّتْ شِمَالًا وَأَحْسَدُهَا إِذَا هَبَّتْ جَنُوبًا

(١) الوساطة : ٣٢٢ ، ٣٢٧ . (٢) التوهمتان : مثنى تومة ، وهي الحبة من الدر .

والفرصاد : الحرة (٣) الوساطة : ٥٦ .

فقسم تقسيماً حسناً ؛ ومعناه أن الشمال تجىء من ناحية حبيبه إليه فأحبها ،
والجنوب تهبّ إلى الحبيب ، فحسدها لمباشرتها جسمه ؛ وهو مأخوذ من قول
جران العود :

إِذَا هَبَّتِ الْأَرْوَاحُ مِنْ نَحْوِ أَرْضِكُمْ وَجَدْتُ لِرَبَّاهَا عَلَى كَيْدِي بَرْدًا
وزاد مسلم في قوله أيضاً :

* وَيُنْعَمُ السَّيْفُ بَيْنَ النَّحْرِ وَالْجِيدِ *

على أن السابق إلى هذا المعنى هو بعض الفرسان إذ يقول :
جَعَلْتُ السَّيْفَ بَيْنَ اللَّيْتِ^(١) مِنْهُ وَبَيْنَ سَوَادِ لَحْيَيْهِ عِذَارًا .
لأن الإغماد فيه أشدّ تأثيراً من وضع العذار عليه .
وقد زاد أبو نواس على جرير في قوله^(٢) :

وَقَدْ أَطْوَلُ نَجَادَ السَّيْفِ مُحْتَبِيًّا مِثْلَ الرُّدْبِيِّ هَزَّتُهُ الْأَنْابِيبُ
فقال أبو نواس^(٣) :

سَبَطَ الْبَنَانُ إِذَا احْتَبَى بِنَجَادِهِ غَمْرُ الْجَاحِمِ وَالسَّاطُ قِيَامُ^(٤)
قوله : « غمر الجاحم » أحسن من قول جرير : « مثل الرُدْبِيِّ » .
وهكذا قوله^(٥) :

أَشْمَ طُوَالِ^(٦) السَّاعِدَيْنِ كَأَنَّمَا ثَلَاثُ^(٧) نِجَادٍ سَيْفُهُ بِإِوَاءِ

(١) أدنى صفحتي العنق . (٢) ديوانه : ٢٤ . (٣) ديوانه : ٦٤ .

(٤) في الديوان : فرع الجاحم ، ورجل سبط البنان : سخي .

(٥) ديوانه : ٦٣ . (٦) طوال : ماويل .

(٧) ثلاث الشيء لوثا : أداره مرتين كما تدار المأمة . وفي الديوان : يناط ، وهو قريب

من معنى الأول .

أَحْسَنَ لَفْظًا وَسَبَّكََا مِنْ قَوْلِ عَنَّتَرَةَ^(١) :
بَطْلٌ كَانَ فِيمَا بِهِ فِي سَرَحَةٍ يُخَذِي نَعَالِ السَّبْتِ لَيْسَ بِتَوَامٍ^(٢)
وهو أيضاً أنغم لفظاً من قول الآخر :
فَجَاءَتْ بِهِ عَبَلُ الْعِظَامِ كَأَمَّا عِمَامَتُهُ بَيْنَ الرَّجَالِ لَوَاهِ
ومما أخذه فجاء به أَحْسَنَ لَفْظًا وَسَبَّكََا قَوْلُهُ فِي ذَنْبِ النَّاقَةِ :
أَمَّا إِذَا رَفَعْتَهُ شَامِدَةً فَتَقُولُ رَنَقَ فَوْقَهَا نَسْرٍ^(٣)
أَخَذَهُ مِنْ أَبِي دَوَادٍ :

تَلَوِي بِذِي خُصْلٍ ضَافٍ تُشَبِّهُهُ قَوَادِمًا مِنْ نُسُورٍ مُضْرَحِيَّاتٍ^(٤)
ومما أخذه فجاء به أَحْسَنَ رَصْفًا ، وَزَادَ فِي الْمَعْنَى زِيَادَةً بَيِّنَةً قَوْلُهُ^(٥) :
وَمَا خُبْرُهُ^(٦) إِلَّا كَلَيْبُ بْنُ وَائِلٍ لِيَالِي يَحْمِي عِزُّهُ مَنَّبَتِ الْبَقْلِ
وَإِذْ هَرَّ لَا يَسْتَبُّ خَصْمَانِ عِنْدَهُ وَلَا الصَّوْتُ مَرْفُوعٌ بِجِدٍّ وَلَا هَزَلٍ
أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ مَهْلَمٍ :

أَوْدَى الْخِيَارُ مِنَ الْمَعَاوِرِ كُلِّهِمْ وَاسْتَبَّ بَعْدَكَ - يَا كُذِّيبُ - الْمَجْلِسُ
وهكذا قَوْلُهُ - هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَطِيَّةَ الْعَطَوِي :
مَا الْمَيْشُ إِلَّا فِي جَنْوُنِ الصَّبَا فَإِنْ تَوَلَّى فَجَنْوُنُ الدَّمَامِ

(١) ديوانه : ١٢٣ ، اللسان - مادة سبت .

(٢) السرحة : من عظام الشجر . ونعال السبت : هي النعال المعمولة من الجلود المدبوغة .
التوأم : الذي يولد معه آخر . وقال في اللسان - مادة سبت : مدحه في هذا البيت بأربع خصال
كرام : جملة بطلا شجاعا ، وجملة طويلا لتشبيهه بالسرحة ، وجملة شريفاً للبسه نعال السبت (لأن
الملوك كانت تلبسها) ، وجملة تام الخلق ناميا ، لأن التوأم يكون أقص خلقا وقوة وعقلا .
(٣) شامدة : رافعة ذنبها . (٤) المضرحي من الصقور : ما طال جناحاه .
(٥) ديوانه : ١٧١ ، يهجو . (٦) في ط : خبره - بالراء .

رَاحَ إِذَا مَا الشَّبِيخُ وَالْيَهِمَا خَمْسًا تَرَدَّى بِرَدَاكَ الْغُلَامُ
أَحْسَنُ رَصْفًا مِنْ قَوْلِ حَسَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١) :
إِنَّ شَرِيخَ الشَّبَابِ وَالشَّعْرَ الْأَسَدَ وَدَ مَا لَمْ يُمَاصَ كَانَ جُنُونًا
وقول أبي تمام (٢) :

نَقَلَ فَوَادَكَ حَيْثُ شَبَّتَ مِنَ الْهَوَى مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
أَبَيْنُ وَأَدْخَلَ فِي الْأَمْثَالِ مِنْ قَوْلِ كَثِيرٍ :
إِذَا مَا أَرَادَتْ خُلَّةٌ أَنْ تُزِيلَنَا أَيْبِنَا وَقُلْنَا الْحَاجِيَّةُ أَوَّلُ (٣)
وقد زاد أبو تمام أيضًا في قوله (٤) :

وَأُنَجِّدُكُمْ مِنْ بَعْدِ لِهَامٍ دَارِكُمْ فَيَا دَمْعُ أَنْجِدْنِي عَلَى سَا كِنِي نَجِدِ (٥)
على الأعرابي في قوله :

وَمُسْتَنْجِدٍ لِلزُّنِ دَمْعًا كَأَنَّهُ عَلَى الْخَدِّ مِمَّا لَيْسَ بِرَقًا حَازِرُ
بقوله : « أنجدني على سَا كِنِي نجد » ؛ وقد زاد أيضًا في قوله (٦) :

وَأَنْ بَيْنَ حِطَانًا عَلَيْهِ فَإِنَّمَا أُولَئِكَ عُقَالَانَهُ لَا مَعَاقِلَهُ (٧)

على زهير في قوله : « وَالسِّيُوفُ مَعَاقِلُهُ » (٨) لِمَا جَاءَ بِهِ مِنَ التَّجَنُّيسِ فِي قَوْلِهِ :
« عُقَالَانَهُ ، وَمَعَاقِلَهُ » . على أَنَّ قَوْلَ زُهَيْرٍ فِي مَعْنَاهُ لَا يَلْحَقُهُ لَاحِقٌ ، وَإِنَّمَا زَادَ
عَلَيْهِ أَبُو تَمَامٍ فِي اللَّفْظِ .

وَأَخَذَ قَوْلَ أَبِي تَمَامٍ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ ، فَقَالَ : وَأَصْبَحَ مَا كَانَ يُجَرِّزُهُمْ
يُجَرِّزُهُمْ ؟ وَمَا كَانَ يُنْقِلُهُمْ يَقْتُلُهُمْ . وَنَقَلَهُ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ ، فَقَالَ : وَاسْتَنْزَلُوهُ مِنْ

(١) ديوانه : ٤١٣ . (٢) ديوانه : ٤٥٧ . (٣) ديوانه : ١٢٧ .

(٤) الشعر والشعراء : ٤٨٨ (٥) أنجدتم : ارتفعتم . لِهَامٍ : إخفاض .

(٦) ديوانه : ٢٣١ . (٧) المقالات : القيود . والمعائل : الملاجئ . (٨) من بيته :

أَبِي الضَّمِّمِ وَالنِّهْمَانِ يَحْرِقُ نَابَهُ عَلَيْهِ فَأَنْضَى وَالسِّيُوفُ مَعَاقِلَهُ

ديوانه : ١٤٣ .

مُنْقَلٍ إِلَى عَمَّالٍ ، وَبَدَّلُوهُ آجَالًا مِنْ آمَالٍ . وقوله : « آجَالًا مِنْ آمَالٍ » مأخوذ من قول مسلم ^(١) :

مُوفٍ عَلَى مُهَاجٍ فِي يَوْمٍ ذِي رَهْجٍ كَأَنَّهُ أَجَلٌ يَسْمَعِي إِلَى أَمَلٍ
يَنَالُ بِالرُّفْقِ مَا يَمْنَى الرَّجُلُ بِهِ كَالْمَوْتِ مُسْتَعِجِلًا يَأْتِي عَلَى مَهَلٍ
وقد أخذ أيضاً قول أبي دهب ^(٢) :

مَا زِلْتُ فِي الْعَفْوِ لِلذُّنُوبِ وَإِطْعَ أَلَا قِي لِمَا نِي بِحُرْمِهِ غَلِقَ ^(٣)
حَتَّى تَمْنَى الْبَرَاءَةُ أَنَّهُمْ عِنْدَكَ أَمْرِي ^(٤) فِي الْقِدِّ وَالْحَلَقِ

فجاء به في بيت واحد وهو قوله ^(٥) :

وَتَكْفَلُ الْإِيْتَامَ عَنْ آبَائِهِمْ حَتَّى وَدَدْنَا أَنَّنَا إِيْتَامٌ

وسبق أيضاً مَنْ قَدَّمَهُ فِي قَوْلِهِ حَتَّى صَارَ لَا يَلْحَقُهُ فِيهِ أَحَدٌ بَعْدَهُ ^(٦) :

وَرَكِبَ كَأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ عَرَسُوا ^(٧) عَلَى مِثْلِهَا وَاللَّيْلُ تَسْطُو غِيَاهُ ^(٨)
لَأَمْرٍ عَلَيْهِمْ أَنْ تَمَّ صُودُورُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَمَّ عَوَافِيُهُ
سَبَقًا بَيْنًا بِهَذِهِ الْمَعَانِي ؛ وَإِنَّمَا أَخَذَ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ مِنْ قَوْلِ الْبُعِيثِ ^(٩) :

أَطَافَتْ بِرَكْبٍ كَالْأَسِنَّةِ هُجِّدَ بِخَاشِعَةِ الْأَصْوَاءِ غُبِرَ صُحُوفُهَا ^(١٠)

(١) الشعر والشعراء : ٨٨٠ ، الموازنة : ٣٣ . (٢) شرح الحماسة : ٤ - ١٦٦ .

(٣) المعاني : الأسير . الغني : الأسير الذي لم يغد . (٤) في الحماسة : عندك أمني .

(٥) ديوانه : ٢٨٠ . (٦) ديوانه : ٤٤ ، الحماسة : ١ - ٥ ، الموازنة : ٢٥ .

(٧) عرسوا : نزلوا ليلاً . (٨) غياهه : ظلماته .

(٩) التي في الموازنة صفحة ٢٥ : إنه أخذ صدر البيت الأول من قول كثير :

وركب كأطراف الأسنة عرسوا فلأنس في أصلاهن نحول

ثم قال : ويشبه قول البعيث ، وأنشد البيت وصدره :

* أطاف بشعث كالأسنة هجد *

(١٠) كل ساكن : خاشع . والأصواء : الأعلام . الصحن : ساحة وسط الفلاة .

والبيت الثاني من بعض الأعراب^(١) :

غُلامٌ وَغَى تَقَحَّمَهَا فَأَبْلَى فَخَانَ بِلَاءُهُ الزَّمَنُ الْخَوُونَ^(٢)
وكان على الفتى الإقدامُ فيها وليس عليه ما جنتِ النونُ
وبين القولين بونٌ بعيد .

وزاد أيضاً في قوله^(٣) :

إذا شَبَّ نارًا أَقْعَدْتُ كُلَّ قَائِمٍ وقامَ لها من خَوْفِهِ كُلُّ قَاعِدٍ
على الآخر في قوله :

أناي وأهلي بالمدينة وقمة لآلِ تميمٍ أَقْعَدْتُ كُلَّ قَائِمٍ
فقول أبي تمام : « وقام لها من خَوْفِهِ كُلُّ قَاعِدٍ » زيادةٌ حسنة .
وكذلك قوله في ابني عبد الله بن طاهر^(٤) :

نَجْمَانِ شَاءَ اللَّهُ أَلَا يَطْلُمَا إِلَّا ارْتِدَادَ الطَّرْفِ حَتَّى يَأْهَلَا^(٥)
إِنَّ الْفَجِيعَةَ بِالرِّيَاضِ نَوَاضِرًا لِأَجَلٍ مِنْهَا بِالرِّيَاضِ ذَوَابِلًا
لَهْفِي عَلَى تِلْكَ الْهَاطِلِ^(٦) فِيهِمَا لَوْ أُمِهَلَتْ حَتَّى تَسْكُونَ شَمَائِلًا
لَوْ يُنْسَانِ لَكَانَ هَذَا غَارِبًا لِلْمَكْرُمَاتِ وَكَانَ هَذَا كَاهِلًا^(٧)
إِنَّ الْهَلَالَ إِذَا رَأَيْتَ مُنْمُوهُ أَيقَنْتَ أَنَّ سَيَكُونُ بَدْرًا كَامِلًا
أحسنُ وأجودُ مما أخذ منه هذه المعاني وهو قول الفرزدق^(٨) :

وَجَفَنُ سَلَاحٍ قَدْ رُزِيتَ فَلَمْ أَنْحُ عَلَيْهِ وَلَمْ أَتَعِبْ^(٩) عَلَيْهِ الْبَوَاكِيا

(١) الموازنة ٢٥ . (٢) في الموازنة : الدهر . (٣) ديوانه : ٣٦٦ ، من قصيدة يرثي بها خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني . (٤) ديوانه : ٣٨٠ . (٥) يأفلا: يفتيا . (٦) في الديوان : الشواهد ، وهما بمعنى واحد . (٧) ينسئان : يؤخران . الغارب : ما بين العنق والسنام . السكاهل : مقدم أعلى الظاهر مما يلي العنق . (٨) الموازنة : ٣٧ . (٩) في الموازنة : أبعث .

وفي جوفه^(١) من دارم ذو حفيظة لو ان المنايا أنسائه^(٢) لياليا
لا يقع بيت الفرزدق مع أبيات أبي تمام موقعا .
وقد أجاد أيضاً في قوله^(٣) :

وقد علم القرن المساميك أنه سيمفرق في البحر الذي أنت حائض^(٤)
وزاد فيه على من أخذه منه وهو لقيط بن يعمر :

* إني أخاف عليها الأزلم الجذعا^(٥) *

بيت أبي تمام أكثر ماء وأبين معنى .

وأخذ قول الفرزدق^(٦) :

وما أمرتني^(٧) النفس في رحلة لها إلى أحد^(٨) إلا إليك ضميرها
فشرحه فقال^(٩) :

وما طوّنت^(١٠) في الآفاق إلا ومن جدواك راحلتى وزادى
مقيم الظن عندك والأمانى وإن فلقته ركابي في البلاد
وإلى بيت الفرزدق يشير القائل :

مدحتك جهدي بالذي أنت أهله فقصر عما فيك من صالح جهدي
فما كل ما فيه من الخير قلته ولا كل ما فيه يقول الذي بعدي
وكنت إذا هيأت مدحا للمجد أتاني الذي فيه بأدنى الذي عندي

(١) في الموازنة : بطنه . (٢) في الموازنة : أمهله . (٣) ديوانه : ١٨٥ .

(٤) القرن : النظير ، ورواية الديوان القرن المناوى . (٥) الأزلم الجذع : الدهر ،

وقيل : الدهر الشديد ، وقيل : كل يوم وليلة . (٦) الوساطة : ٢٤٤

(٧) في الوساطة : وما و امرتني . (٨) في الوساطة : في رحلة إلى جدا أحد .

(٩) ديوانه : ٧٩ ، الوساطة : ٢٤٥ ، التبيان : ١ - ٣٦٥ .

(١٠) في الديوان : وما سافرت . جدواك : عطاؤك .

ومن هاهنا أخذ أبو نواس قوله^(١) :

إِذَا نَحْنُ أَتَيْنَا عَلَيْكَ بِصَالِحٍ فَأَنْتَ كَمَا تُنْثَى وَفَوْقَ الَّذِي تُنْثَى
وَإِنْ جَرَّتِ الْأَلْفَاظُ يَوْمًا بِمَدْحَةٍ لَغَيْرِكَ إِنْسَانًا فَأَنْتَ الَّذِي تَعْنَى

ويشير إلى قول الخنساء^(٢) :

وَمَا بَلَغَ الْمُهْدُونَ فِي الْقَوْلِ مِدْحَةً وَإِنْ أَطْنَبُوا إِلَّا الَّذِي فِيكَ أَفْضَلُ
وَقَالَ الْبَحْتَرَى^(٣) :

فَمِنْ لَوْلَوْ تَجَلَّوْهُ عِنْدَ ابْتِسَامِهَا وَمِنْ لَوْلَوْ عِنْدَ الْحَدِيثِ تُسَاقِطُهُ
أَحْسَنَ لَفْظًا وَسَبْكًَا مِنْ قَوْلِ أَبِي حِيَةَ :

إِذَا هُنَّ سَاقَطْنَ الْحَدِيثَ كَأَنَّهُ سَقَطَ حَصَى الرَّجَانِ مِنْ سِلْكِ نَازِمٍ
وَبَيْتُ الْبَحْتَرَى أَيْضًا أَتَمُّ مَعْنَى ؛ لِأَنَّهُ تَضَمَّنَ مَا لَمْ يَتَضَمَّنْهُ بَيْتُ أَبِي حِيَةَ مِنْ
تَشْبِيهِ الثَّغْرِ بِالْدَّرِّ .

وقد زاد أيضًا في قوله^(٤) :

وَفَرَّسَانِ هَيَّجَاءَ تَجِيئُ صُدُورُهَا بِأَخْقَادِهَا حَتَّى يَضِيقَ ذُرُوعُهَا^(٥)
تَقْتُلُ مِنْ وَثَرٍ أَعَزَّ نَفْسِهَا عَلَيْهَا بِأَبْدٍ مَا تَكَادُ تُطِيعُهَا
إِذَا احْتَرَبَتْ يَوْمًا فَمَا ظَلَّتْ نَفْسُهَا^(٦) تَذَكَّرَتْ الْقَرْبَى فَنَاضَتْ دُمُوعُهَا
شَوَاجِرُ أَرْمَاحٍ تَقَطُّعُ بَيْنَهَا شَوَاجِرُ أَرْحَامٍ مَلُومٌ قَطُوعُهَا
عَلَى مَنْ قَالَ :

وَنَبِيٍّ جِنِّ تَقْتُلُكُمْ - عَلَيْكُمْ وَتَقْتُلُكُمْ كَأَنَّا لَا نُبَالِي
وَقَرِيبٌ مِنْهُ قَوْلُ مَهْلَلٍ :

لَقَدْ قَتَلْتُ بَنِي بَكْرِ بِرَبِّهِمْ حَتَّى بَكَيْتُ وَمَا يَسِيحُ لَهُمْ أَحَدٌ

(١) الوساطة : ٣١٨ . (٢) الوساطة : ٣١٨ ، الديوان : ٢٤ .

(٣) ديوانه : ٣٣١ . (٤) ديوانه : ٣١٧ . (٥) في الديوان : دروعها .

(٦) في الديوان : ففاضت دماؤها .

وَيَبْتَ الْبُخْتَرَى أَجُودُ مِنْ بَيْتِهِمَا بغيرِ خلاف ؛ ومن قول فليح بن زبد الفهرى
أيضاً :

أَتَبَكِينَ مِنْ قَتَلِي وَأَنْتِ قَتَلْتَنِي بِحُبِّكَ قَتَلًا بَيْنًا لَيْسَ يُشْكِلُ
فَأَنْتِ كَذَبَاحِ الْمَصَافِيرِ دَائِبًا وَعَيْنَاهُ مِنْ وَجْدٍ عَلَيْهِنَّ تَهْمُلُ
وبيته (١) :

كَلَّ عَانٍ يُتَرَجَّى فَكِهِ وَلِذَاتِ الْخَالِ عَانٍ مَا يُفَكُّ
أَحْسَنَ رَصْفًا مِنْ قَوْلِ زَهِيرٍ وَهُوَ الْأَصْلُ (٢) :
وَكَلَّ حُبِّ أَحَدَثِ النَّأْيِ عِنْدَهُ سُلُوَ فَوَائِدٍ غَيْرِ حُبِّكَ مَا يَسْلُو
وهكذا قوله (٣) :

قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الدَّرُوعَ لَمَوْفٍ لِبَسَتَهُمُ الْأَحْسَابُ فِيهِ دُرُوعًا (٤)
أَتَمَّ وَأَجُودُ مِنْ قَوْلِ الْأَوَّلِ :
لَبَسُوا الدَّرُوعَ عَلَى الْقُلُوبِ بِ مَظَاهِرِينَ لَدَفَعَ ذَلِكَ
وقال أعرابي :

* إِنَّ النَّدَى حَيْثُ تَرَى الضَّغَاطَ (٥) *

فأخذه بشار وشرحه ويثنه ، فقال :

يَسْقُطُ الطَّيْرُ حَيْثُ يَنْتَثِرُ الْـ حَبُّ وَتُغْشَى مَنَازِلُ الْكُرْمَاءِ
ومثله قول الآخر :

يَزْدَحِمُ النَّاسُ عَلَى بَابِهِ وَالْمَنْهَلُ الْعَذْبُ كَثِيرُ الزَّحَامِ

(١) ديوانه : ١٥١ . (٢) ديوانه : ٩٧ . (٣) ديوانه : ٨٥ .

(٤) في الديوان : * لبستهم الأعراض فيه دروعا *

(٥) الضغاط : الزحام .

وأخبرني أبو أحمد قال: أخبرني الصولي ، قال: سمعت من ينشد المبرد لسلم الخاسر:

سَقَتْنِي بَعِيْنَهَا الْهَوَى وَسَقَيْتُهَا فَدَبَ دَيْبَ الْحَمْرِ فِي كُلِّ مَفْصِلِ

فقال له المبرد: قد حسنه أبو نواس حيث يقول:

وَيَدْخُلُ حُبُّهَا فِي كُلِّ قَلْبٍ مَدَاخِلَ لَا يُغْلِقُهَا الْمَدَامُ

وقول البحتري^(١):

* وَغَايِرَ حُبِّ غَارِ بِي ثُمَّ أَنْجَدَا *

أجود من قول من تقدمه ، وهو الأصل:

* أَغَارَ الْهَوَى يَا عَبْدَ قَيْسٍ وَأَنْجَدَا *

وأخذ أيضا أبو تمام خبر الشماخ مع أحيحة بن الجلاح لما أنشده الشماخ^(٢):

إِذَا بَلَغْتَنِي وَحَمَلْتَ رَحْلِي عَرَابَةَ فَاشْرَقِي بَدَمِ الْوَتِينِ^(٣)

فقال له أحيحة: بنيت المجازاة جازيتها فنقل أبو تمام هذا الخبر ، فقال^(٤):

لَسْتُ كَشَمَّاخِ الْمَذْمُومِ فِي سِوِءِ مُكَافَاتِهِ وَمُجْتَرِمِهِ

أَشْرَقَهَا مِنْ دَمِ الْوَتِينِ لَقَدْ ضَلَّ كَرِيمُ الْأَخْلَاقِ عَنْ شِيَمِهِ

ذَلِكَ حُكْمُ قَضَى بِفَيْصَلِهِ أَحِيْحَةُ بْنُ الْجَلَّاحِ فِي أَطْمِهِ^(٥)

وأخبرنا أبو أحمد قال ، قال أبو العيناء: سمعتُ أبا نواس يقول: والله ما أحسن

الشماخ حيث يقول^(٦):

إِذَا بَلَغْتَنِي وَحَمَلْتَ رَحْلِي عَرَابَةَ فَاشْرَقِي بَدَمِ الْوَتِينِ

(١) ديوانه: ١٧٤ ، صدره: * أجزني من الواشي الذي جار واعتدى *

(٢) ديوانه: ٩٢ ، الموشح: ٦٧ . (٣) عرابة — بالفتح: اسم رجل من أوس الأنصار مشهور بالكرم والوتين: عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه .

(٤) الموشح: ٦٩ . قال: ورويت لغيره . (٥) الأطم: حصن مبني بحجارة . وقيل:

هو كل بيت مرابم مسطح . (٦) ديوانه: ٩٢ .

هَلَّا قَالَ كَمَا قَالَ الْفَرَزْدَقُ ^(١) :

عَلَامَ تَلَفَّتَيْنِ وَأَنْتِ تَحْتِي وَخَيْرُ النَّاسِ كُلُّهُمْ أُمَامِي
مَتَى تَرِدِي الرِّصَافَةَ تَسْتَرِيحِي مِنَ التَّهْجِيرِ وَالْدَبْرِ ^(٢) الدَّوَامِي
وَكَانَ قَوْلُ الشَّمَاخِ عِيْبًا عِنْدِي ، فَلَمَّا سَمِعْتَ قَوْلَ الْفَرَزْدَقِ تَبِعْتُهُ ، فَقُلْتُ ^(٣) :
وَإِذَا الْمَطِيُّ بَنَاهُ بَلْعَنَ مُحَمَّدًا فَظُهُورُهُنَّ عَلَى الرَّجَالِ جَرَامُ
قَرَبْنَا مَنْ خَيْرٍ مِنْ وَطِيءِ الْحَصَى فَلَهَا عَلَيْنَا حُرْمَةٌ وَذِمَامُ
وَقُلْتُ ^(٤) :

أَقُولُ لِنَاقَتِي إِذَا بَلَعَتْني لَقَدْ أَصْبَحْتُ عِنْدِي بِالْثَمِينِ
فَلَمْ أَجْعَلْكَ لِلْغُرَبَانِ نُحْلًا ^(٥) وَلَا قُلْتُ أَشْرَقِي بَدَمِ الْوَتِينِ
حَرُمْتُ عَلَى الْأَزِمَّةِ وَالْوَلَايَا وَأَعْلَاقِ الرَّحَالَةِ وَالْوَضِينِ ^(٦)
وَتَبِعَ الشَّمَاخُ ذُو الرِّمَةِ فَقَالَ ^(٧) :

إِذَا ابْنُ أَبِي مُوسَى بَلَّالًا بَلَعْتَهُ فَقَامَ بِفَأْسٍ بَيْنَ وَصْلَيْكَ جَازِرُ
وَسَمِعَ أَبُو تَمَامٍ قَوْلَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِلْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ : إِنَّكَ إِنْ
صَبَرْتَ جَرَى عَلَيْكَ قَضَاءُ اللَّهِ وَأَنْتَ مُأْجُورٌ ، وَإِنْ جَزَعْتَ جَرَى عَلَيْكَ أَمْرُ اللَّهِ
وَأَنْتَ مَوْزُورٌ ؛ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَسْلُ احْتِسَابًا سَلَوْتَ كَمَا تَسْلُو الْبَهَائِمُ ؛ فَخُكَاهُ حِكَايَةً
حَسَنَةً فِي قَوْلِهِ ^(٨) :

وَقَالَ عَلِيٌّ فِي التَّمَازِي لِأَشْعَثٍ وَخَافَ عَلَيْهِ بَعْضُ تِلْكَ الْمَآثِمِ ^(٩)

(١) الموشح : ٦٨ . (٢) الدبرة — بالفتح : قرحة الدابة ، وجمعها دبر وأدبار .
(٣) الموشح : ٦٩ ، ديوانه : ٦٤ . (٤) الموشح : ٦٩ ، ديوانه : ٦٥ .
(٥) النحل : الشيء المعطى . (٦) الولايا : البرازع : التي تكون تحت الرجل .
والوضين : بطن عريض منسوج من سيور أو شعر يشد به الرجل على البعير .
(٧) ديوانه : ٣٩ ، الموشح : ٦٩ . (٨) ديوانه : ٣١٩ .
(٩) المآثم : الذنوب .

أَتَصْبِرُ لِلْبَلَوَى رَجَاءً^(١) وَحِسْبَةً فَتُوجَرَ أَمْ تَسْلُو سُلوَ الْبَهَائِمِ
خُلِقْنَا رِجَالًا لِلتَّجَلُّدِ^(٢) وَالْأَسَى وَتِلْكَ الْفَوَانِي لِلْبُكَاءِ وَالْمَاتِمِ
والبيت الأخير من قول عبد الله بن الزبير لما قُتل مصعب : وإِنَّمَا التَّسْلِيمُ وَالسَّلَوةُ
لِحُزْمَاءِ الرِّجَالِ ؛ وَإِنَّ الْهَلْعَ وَالْجَزَعَ لِرَبَّاتِ الْحِجَالِ .

ومع قول زياد لأبي الأسود : لَوْ لَا أَنَّكَ ضَعِيفٌ لَاسْتَعْمَلْتِكَ . فقال أبو الأسود :
إِنْ كُنْتَ تَرِيدُنِي لِلصَّرَاعِ فَإِنِّي لَا أَصْلِحُ لَهُ ، وَإِلَّا فَفَيْرٌ شَدِيدٌ أَنْ آمُرَ وَأَنْهَى ؛
فقال أبو تمام^(٣) :

تَعْجَبُ^(٤) أَنْ رَأَتْ جِسْمِي نَجِيفًا^(٥) كَأَنَّ الْمَجْدَ يُدْرِكُ بِالصَّرَاعِ
وزاد أبو تمام أيضاً بقوله^(٦) :

أَطَالَ بَدِي عَلَى الْأَيَّامِ حَتَّى جَزَيْتُ صُرُوفَهَا^(٧) صَاعًا بِصَاعٍ
على أبي طالب في قوله :

فَإِنْ يُقْتَلَا أَوْ يُمَكِّنَ اللَّهُ مِنْهُمَا نَكِيلٌ لَهَا صَاعًا بِصَاعٍ الْمُكَائِلِ
بيت أبي تمام أصفى وأنصح .
وكذلك قوله^(٨) :

مِنَ النَّسَكَبَاتِ النَّاكِبَاتِ^(٩) عَنِ الْهَوَى فَحُبُّوْهَا يَمْشِي وَمَكْرُوهُهَا يَمْدُو
أحسنُ رصفاً مما أخذه منه . وهو الذي أنشدنيه أبو أحمد ، قال : أنشدنا ابن دريد
قال : أنشدنا الرياشي عن الميمري - حفص بن عمر لبعض المسجونين :

وَمُعِجِبُنَا الرُّؤْيَا فَجُلُّ حَدِيثِنَا ، إِذَا نَحْنُ أَصْبَحْنَا ، الْحَدِيثُ عَنِ الرُّؤْيَا
فَإِنْ حَسَنْتْ لَمْ تَأْتِ عَجَلَى وَأَبْطَأَتْ وَإِنْ قَبَحَتْ لَمْ تَحْتَسِبْ وَأَنْتَ عَجَلَى

(١) في الديوان : عزاء . (٢) في الديوان : للتصبر . (٣) ديوانه : ١٩٣ .
(٤) في الديوان : توجع . (٥) في الديوان : نجيلا . (٦) ديوانه : ١٩٣ .
(٧) في الديوان : فروضها . (٨) ديوانه : ١٢١ . (٩) الناكبات : الماتلات .

وأخبرني أبو أحمد ، قال أخبرني الصولي ، قال حدثني أبو بكر هرون بن عبد الله المهلبى ، قال : كنا فى حلقة دعبل ، فجرى ذكرُ أبي تمام ، فقال دعبل : كان يتبع معاني فياً أخذها ، فقال له رجل فى مجلسه : ما من ذلك أعزك الله ؟ فقال : قلت ^(١) : وإنَّ امرأً أسدى إلى بشافِعٍ
إليهِ ويرجو الشكرَ مِنى لأحمقٍ
شفيبك فاشكرْ فى أجوايحِ إنهُ يصونك عن مكرٍ وهما وهو يخلنُ
وقال هو ، يمدح يعقوب بن أبى ربمى ^(٢) :

إنَّ الأميرَ بلاكَ فى أخوالهِ فراكَ أهزَعَه غداةَ نِضالهِ ^(٣)
فتى أقومُ ^(٤) بحقِّ شكرِكَ إذ جنتُ بالغيِّبِ كفُّك لى إمَّارِ نوالهِ
فلقيتُ بينَ يديكَ حُلُوَ عِطائِهِ ولقيتُ بينَ يديَّ مرَّ سُوءِ آلِهِ
وإذا امرؤُ أسدى إليكَ صنيعةً من جأهِهِ فكأنَّها من مالهِ
فقال الرجلُ : أحسنَ والله ! فقال دعبل : كذبتَ قبَّحك الله ! قال : لئن كان سبق بهذا المعنى فتشيمته لا أحسنت ، وإن كان أخذه منك لقد أجاد ، فصار أولى به منك ! فنضب دعبل وقام .

وسمعَ بشارَ قولَ المجنون ^(٥) :
ألا إنَّما ليلىَ عصاَ خيزُرانةٍ إذا غمزوها بالأُكفِّ تَلينُ
فقال : والله لو جعلها عصاً من زُبْدٍ أو مُخٍّ لا أحسن ؛ ألا قال كما قلت ^(٦) :
وحوراءُ الدامِغِ ^(٧) من معدٍ كأنَّ حَدِيثَها قِطْعُ الجِمانِ ^(٨)
إذا قامتْ لِسُبْحَتِها ^(٩) تثنتُ كأنَّ عِظامَها من خيزُرانٍ

(١) الموازنة : ٢٩ . (٢) ديوانه : ٢٤٠ ، الموازنة : ٢٩ ، وفى الديوان : وقال لإسحاق بن أبى ربمى . (٣) الأهزَع : السهم الأخير يخبأ للشدائد .

(٤) فى الديوان : فتى النهوض . (٥) الموشح : ١٥٦ ، المختار من شعر بشار : ٣٤ .

(٦) الموشح : ١٦٥ ، المختار من شعر بشار : ٣٤ . (٧) فى الموشح : وبيضاء المحاجر .

(٨) فى الموشح : ثمر الجنان . (٩) فى الموشح : لصحبها ، وفى المختار : لمشيها .

ولما قال بشار^(١) :

مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ لَمْ يَظْفَرْ بِمَاجَتِهِ وَقَارَ بِالطَّيِّبَاتِ الْفَانِكُ اللَّهِجُ

تبعه سلم الخاسر ، فقال^(٢) :

مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ مَاتَ غَمًّا وَقَارَ بِاللَّذَّةِ الْجَسُورُ

فلما سمع بشار هذا البيت قال : ذهب ابنُ الفاعلة بيتي .

ومن حسن الاتباع أيضاً قولُ إبراهيم بن العباس حيث كتب : إذا كان للمحسن من الثواب ما يُقْنِعه ، وللمسيء من العقاب ما يَقْمَعُه ، ازداد المحسن في الإحسان رغبة ، وانقَادَ المسيء للحق رهبة . أخذه من قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه . أخبرنا به أبو أحمد ، قال أخبرنا أبو بكر الجوهري ، قال : أخبرنا أبو يعلى المقيري ، قال : أخبرنا العلاء بن الفضل بن جرير قال : قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : يَجِبُ عَلَى الْوَالِي أَنْ يَتَمَهَّدَ أُمُورَهُ ، وَيَتَفَقَّدَ أَعْوَانَهُ ، حَتَّى لَا يَخْفَى عَلَيْهِ إِحْسَانُ مُحْسِنٍ ، وَلَا إِسَاءَةُ مُسِيءٍ . ثُمَّ لَا يَتْرِكْ وَاحِدًا مِنْهُمَا بِغَيْرِ جَزَاءٍ ؛ فَإِنْ تَرَكَ ذَلِكَ تَهَاوَنَ الْمُحْسِنُ ، وَاجْتَرَأَ الْمُسِيءُ ، وَفَسَدَ الْأَمْرُ ، وَضَاعَ الْعَمَلُ .

وسمع بعضُ الكتَّابِ قول نُصَيْبٍ^(٣) :

فَعَاجِزُوا فَأَنْتُمْوَا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنَتَ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ

فكتب : وَلَوْ أَمْسَكَ لِسَانِي عَنْ شُكْرِكَ لَنُطْقَ عَلَى أَثْرِكَ .

وفي فصل آخر :

وَلَوْ جَعَدْتُكَ إِحْسَانَكَ لَا كُذِّبْتُ بِنِي آثَارُهُ ، وَنَمَتَّ عَلَى شَوَاهِدِهِ .

وقريبٌ منه قولُهم : شَهَادَاتُ الْأَحْوَالِ أَعْدَلُ مِنْ شَهَادَاتِ الرِّجَالِ ، أَخَذَهُ

ابنُ الرومي فشرحه في قوله^(٤) :

(١) المختار من شعر بشار : ٤٧ . (٢) المختار من شعر بشار : ٤٧ .

(٣) عيون الأخبار : ١ - ٢٩٩ . (٤) ليست في ديوانه المطبوع بين أيدينا .

حَالٌ انْسِدَادٌ فَمَيَّ عَمَّا يَرْبُيْكُمْ لَكِنْ فَمُ الْحَالِ مِنِّي غَيْرُ مَسْدُودٍ
حَالٌ نَصِيحٌ بِمَا أَوْلَيْتَ مُعْلِنَةً وَكُلُّ مَا تَدَّعِيهِ غَيْرُ مَرْدُودٍ
كُلِّي هِجَاءً وَقَتْلِي لَا يَحِلُّ لَكُمْ فَا يُدَارِيكُمْ مِنِّي سِوَى الْجُودِ
وقريب منه أيضاً قول الشاعر (١) :

أَفَأَنْتَ الْهَجَّاجُ عَنْ سُلْطَانِهِ بِيَدِ نَمْرٍ بِأَمْنٍ مَوْلَانُهُ
مَاذَا أَقُولُ إِذَا وَقَفْتُ إِزَاءَهُ فِي الصَّفِّ وَاحْتَجَّجْتُ لَهُ فَعَلَاتُهُ
أخذه أبو تمام فقال (٢) :

أَلْبَسَ (٣) هَجَرَ الْقَوْلِ مَنْ لَوْ هَجَّوْنَهُ إِذَا لَهَجَانِي عَنْهُ مَعْرُوفُهُ عِنْدِي
وَمِنْ أَحْسَنِ الْإِتْبَاعِ أَيْضاً أَحْمَدُ بْنُ يَوْسَفَ - وَقَدْ سَمِعَ قَوْلَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :
لَا تَكُونَنَّ كَمَنْ يَمْجِزُ عَنْ شُكْرِ مَا أُوتِيَ ، وَيَلْتَمِسُ الزِّيَادَةَ فِيمَا بَقِيَ . فَكُتِبَ : أَحَقُّ
مَنْ أَثْبَتَ لَكَ الْعُدْرَ فِي حَالِ شُغْلِكَ مَنْ لَمْ يَخْلُ سَاعَةً مِنْ بَرِّكَ فِي وَقْتِ فَرَاغِكَ .
وَأَخَذَهُ أَخْذاً ظَاهِراً أَحْمَدُ بْنُ صَبِيحٍ فَقَالَ : فِي شُكْرٍ مَا تَقَدَّمَ مِنْ إِحْسَانِ الْأَمِيرِ
شَاغِلٌ عَنْ اسْتِبْطَاءِ مَا تَأَخَّرَ مِنْهُ .

وَأَخَذَهُ سَمْعِدُ بْنُ حَمِيدٍ فَقَالَ : لَسْتُ مُسْتَقِلاًَّ لَشُكْرٍ مَا مَضَى مِنْ بَلَائِكَ ،
فَأَسْتَبْطِئُ دَرَكَ مَا أُوْمَلُّ مِنْ مَزِيدِكَ .
وَمِنْ هَذَا أَيْضاً قَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ (٤) :

لَا تُسَدِّبَنَّ إِلَى عَارِفَةٍ حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَاسَلَفَةٍ

وَأَخْبَرَنِي أَبُو أَحْمَدَ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ ، قَالَ ، قَالَ أَبُو تَمَامٍ
لَا بَنِي أَبْنَى دَوَادٍ لَمَّا غَضِبَ عَلَيْهِ : أَنْتَ النَّاسُ كُلُّهُمْ ، وَلَا طَاقَةَ لِي بَغْضَبِ جَمِيعٍ

(١) الموازنة : ٣١ . (٢) الموازنة : ٣١ ، ديوانه : ١٣٩ .

(٣) في الديوان والموازنة : أسربل . (٤) ديوانه : ٧١ .

الناس . فقال ابنُ أبي دُواد : ما أحسنَ هذا ! مِنْ أَيْنَ أَخَذْتَهُ ؟ قال : من قول أبي نُوَاس^(١) :

وليس لله^(٢) بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدٍ

وَمَنْ سَمِعَ هَذَا الْكَلَامَ يَظُنُّهُ مَسْرُوقًا مِنْ قَوْلِ جَرِير^(٣) :

إِذَا غَضِبْتَ عَلَى بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتُ النَّاسَ كُلَّهُمُ غَضَابًا

وأخبرنا أبو أحمد قال : أخبرنا الأخفش ، قال : أخبرنا المبرد عن الجاحظ قال ،

سمع قليب المعتزلى أبياتاً للعتبي ، وهى :

أَفَلْتُ بِطَالَتِهِ وَرَاجَعَهُ حِلْمٌ وَأَعَقَبَهُ الْهَوَى نَدَمًا

أَلْقَى عَلَيْهِ الدَّهْرُ كُلَّكَلَةٍ وَأَعَارَهُ الْإِقْتَارَ وَالْمَدَمَ

فَإِذَا أَلَمَ بِهِ أَخُو ثِقَةٍ غَضَّ الْجُفُونَ وَجَمَجَجَ^(٤) الْكَلِمَا

فقال لبعض الملوك يستعطفه على رجل من أهله : جعلنى الله فداءك ، ليس هو

اليوم كما كان ، إنه وحياتك أفلت بطالته ، أى والله ، وراجعه حلمه ، وأعقبه - وحقك -

الهوى ندماً ؛ أنحى الدهرُ - والله - عليه بكلِّكَلَةٍ ؛ فهو اليوم إذا رأى أخاً ثِقَةً غَضَّ

بَصَرَهُ ، وَجَمَجَجَ كلامه .

وبهذا يعرف أن حلَّ المنظوم ، ونَظْمَ المحلول أسهل من ابتدائهما ؛ لأنَّ المعانى

إذا حَلَّتْ مَنَظُومًا أو نَظُمَتْ مَثُورًا حاضرةٌ بين يديك تزيدُ فيها شيئاً فينحلُّ ،

أو تنقص منها شيئاً فينتظم ، وإذا أردتَ ابتداء الكلام وجدتَ المعانى غائبةً عنك

فتحتاج إلى فِكْرٍ يحضرُكها .

والمحلول من الشعر على أربعة أضرب ؛ فضرب منها يكونُ بإدخالِ لفظَةٍ بين

ألفاظِهِ . وضرب ينحلُّ بتأخير لفظَةٍ منه وتَقْدِيمِ أخرى فيحسن محلوله ويستقيم .

(١) الوساطة : ٢٥٠ . (٢) فى الوساطة : وليس على الله . (٣) ديوانه : ٧٨ .

(٤) من مجج الكتاب : لم يبين حروفه .

وضرب منه ينحلّ على هذا الوجه ولا يحسُن ولا يستقيم . وضربُ تكسو ما تحلّه من المعاني ألفاظاً من عندك وهذا أرفع درجاة لك .

فأما الضربُ الأولُ فمثاله ما تقدّم من صدر كلام قليب المعتزلي^(١) .

وأما الضرب الثاني فمثاله ما ذكره بعضُ الكتاب من قول البحترى^(٢) :

نَظَلُّبُ الْأَكْثَرِ فِي الدُّنْيَا وَقَدْ نَبْلُغُ الْحَاجَةَ فِيهَا بِالْأَقَلِّ

ثم قال : فإذا نثرت ذلك ولم تزد في ألفاظه شيئاً قلت : نَظَلُّبُ فِي الدُّنْيَا الْأَكْثَرُ ، وقد نبْلُغُ منها الحاجة بالأقل .

وقوله^(٣) :

أَطْلُ جَفْوَةِ الدُّنْيَا وَتَهْوِينِ شَأْنِهَا فَمَا الْغَافِلُ الْمَغْرُورُ فِيهَا بِمَا قَلَّ

يُرْجَى الْخُلُودَ مَعْشَرُ ضَلَّ سَعْيُهُمْ^(٤) وَدُونَ الَّذِي يَبْتَغُونَ^(٥) غَوْلُ الْغَوَائِلِ

إِذَا مَا حَرِيْزُ الْقَوْمِ بَاتَ وَمَا لَهُ مِنْ اللَّهِ وَاقٍ فَهُوَ بِأَدَى الْمَقَاتِلِ

. فإذا ما نثرت ذلك من غير أن تزيد في ألفاظه شيئاً قلت : أطل تهوين شأن

الدنيا وجفوتها ؛ فما المغرور الغافل فيها بما قل ؛ ويرجو معشر ضل رأيهم الخلود ،

وغول الغوائل دون ما يرجون ؛ وإذا بات حريز القوم ماله واقٍ من الله فهو بأدى

المقاتل .

وهذا المعنى مأخوذ من قول التغلبي :

لَمَمَرُّكَ مَا يَذِرِي الْفَتَى كَيْفَ يَتَّقِي إِذَا هُوَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ اللَّهَ وَاقِيًا

وأما الضرب الثالث فهو أن توضع ألفاظ البيت في مواضع ، ولا يحسن وضعها

في غيرها ، فيختل إذا نُثِرَ بتأخير لفظٍ وتقديم آخر ، فتحتاج في نشره إلى التقصان

(١) صفحة ٢١٦ من هذا الكتاب . (٢) ديوانه ٢ : ١٨١ .

(٣) ديوانه ٢ : ٢١٧ . (٤) في الديوان : رأيهم .

(٥) في الديوان : يرجون .

منه والزيادة فيه ، كقول البحترى ^(١) :

يُسْرُ بِعُمْرَانِ الدَّيَّارِ مُضَلَّلٌ وَعُمْرَانُهَا مُسْتَأْنَفٌ مِنْ خَرَابِهَا
وَلَمْ أَرْضَ الدُّنْيَا أَوْانَ جَبِيْهَا فَكَيْفَ أَرْضَانِيَّهَا أَوْانَ ذَهَابِهَا
فَإِذَا نُزِرَ عَلَى الْوَجْهِ قِيلَ : يُسْرُ مُضَلَّلٌ بِعُمْرَانِ الدُّنْيَا ، وَمِنْ خَرَابِهَا عُمْرَانُهَا
مُسْتَأْنَفٌ ، وَلَمْ أَرْضَ أَوْانَ جَبِيْهَا الدُّنْيَا ؛ فَكَيْفَ أَوْانَ ذَهَابِهَا أَرْضَانِيَّهَا .
فهذا ثَرُّ فاسد ؛ فَإِذَا غَيَّرْتَ بَعْضَ الْفَاضِلِ حَسُنَ وَهُوَ أَنْ تَقُولَ : يُسْرُ الْمُضَلَّلُ بِعُمْرَانِ
الدَّيَّارِ ، وَإِنَّمَا تَسْتَأْنَفُ عُمْرَانُهَا مِنْ خَرَابِهَا ، وَمَا أَرْضَيْتُ الدُّنْيَا أَوْانَ جَبِيْهَا ؛ فَكَيْفَ
أَرْضَيْيَهَا أَوْانَ ذَهَابِهَا ؟

ونحن نقول : إِنَّ مِنَ النِّظْمِ مَا لَا يُمْكِنُ حَلُّهُ أَصْلًا بِتَأْخِيرِ لَفْظَةٍ وَتَقْدِيمِ أُخْرَى مِنْهُ
حَتَّى يَلْحَقَ بِهِ التَّغْيِيرُ وَالزِّيَادَةُ وَالنَّقْصَانُ مِثْلَ قَوْلِ الشَّاعِرِ :

لِسَانُ أَفْتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالْدَّمِ
فَالْمِصْرَاعُ الْأَوَّلُ يُمْكِنُ أَنْ تَوْخَّرَ الْفَاضِلُ ^(٢) وَتَقَدَّمَ ؛ فَيَصِيرُ ثَرًّا مُسْتَقِيمًا ؛ وَهُوَ أَنْ
تَقُولَ : فُؤَادُ الْفَتَى نِصْفٌ وَلِسَانُهُ نِصْفٌ . وَلَا يُمْكِنُ فِي الْمِصْرَاعِ الثَّانِي ذَلِكَ حَتَّى
تَرِيدَ فِيهِ أَوْ تَنْقُصَ مِنْهُ ؛ فَتَقُولَ : لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ وَفُؤَادُهُ نِصْفٌ ، وَصُورَتُهُ مِنَ
اللَّحْمِ وَالْدَّمِ فَضْلٌ لَا غِنَاءَ بِهَا دُونَهُمَا وَلَا مُعَوَّلٌ عَلَيْهَا إِلَّا مَعَهُمَا .

وَزِيَادَةُ الْأَلْفَاظِ الَّتِي تَحْصُلُ فِيهِ لَيْسَتْ بِضَائِرَةٍ ؛ لِأَنَّ بَسْطَ الْأَلْفَاظِ فِي أَنْوَاعِ الْمَنْشُورِ
سَائِلٌ ؛ أَلَا تَرَى أَنَّهَا ^(٣) تَحْتَاجُ إِلَى الْإِزْدَوَاجِ ، وَمِنْ الْإِزْدَوَاجِ مَا يَكُونُ بِتَكَرُّرِ
كَلِمَتَيْنِ لَهَا مَعْنَى وَاحِدٌ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَبِيحٍ إِلَّا إِذَا اتَّفَقَ لَفْظَاهُمَا .

وَيَسُوءُ هَذَا فِي الشَّعْرِ أَيْضًا كَقَوْلِ الْبَحْتَرِيِّ ^(٤) :

بُودَى لَوْ يَهْوَى الْعُدُولُ وَيَمَشُقْ فَيَعْلَمُ أَسْبَابَ الْهَوَى كَيْفَ تَعَلَّقُ

(١) ديوانه : ١ - ٤٧ . (٢) في ط : لفظه . (٣) أى أنواع المنشور .

(٤) ديوانه : ٢ - ١٢٤ .

فيهوى ، ويمشق سَوَاءً في المعنى وهو حَسَنٌ ؛ إِلَّا أَنَّ أَكْثَرَ مَا يَحْسُنُ فِيهِ
إِيرَادُ الْمَعْنَى عَلَى غَايَةٍ مَا يُمْكِنُ مِنَ الْإِيْجَازِ .

ومعنى قوله : « فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالدَّمِ » . دَاخِلٌ فِي قَوْلِهِ : « لِسَانُ
الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فَوَاضَاهُ » . وَالْمِصْرَاعُ الثَّانِي إِنَّمَا هُوَ تَذْيِيلٌ لِلْمِصْرَاعِ الْأَوَّلِ ؛
فَإِذَا أُرِدَتْ أَنْ تَحْلَهُ حَلًّا مُقْتَصِرًا بِغَيْرِ لَفْظِهِ قُلْتُ : الْإِنْسَانُ شَطْرَانِ : لِسَانٌ وَجَنَانٌ .
وَمَا لَا يُمْكِنُ حَلُّهُ بِتَقْدِيمِ لَفْظِهِ مِنْهُ وَتَأْخِيرِ أُخْرَى أَيْضًا قَوْلَ أَبِي نَوَاسٍ :

أَلَا يَأْنِي الَّذِينَ فَنُّوا وَبَادُوا أَمَّا وَاللَّهِ مَا ذَهَبُوا لَتَبَقَى

فتحل المصراع الأول فتقول : أَلَا يَأْنِي الَّذِينَ مَاتُوا وَمَضُوا ؛ فَيَحْسَنُ . وَتَقُولُ
فِي الْمِصْرَاعِ الثَّانِي : لَتَبَقَى أَمَّا وَاللَّهُ مَا مَاتُوا . أَوْ لَتَبَقَى مَا مَاتُوا وَمَضُوا ، أَمَّا وَاللَّهُ ؛
فَلَا يَكُونُ ذَلِكَ شَيْئًا ؛ فَتَحْتَاجُ فِي ثَرِهِ إِلَى تَغْيِيرِهِ وَإِبْدَالِ أَلْفَاظِهِ ؛ فَتَقُولُ : أَلَا يَأْنِي
الَّذِينَ مَاتُوا وَمَضُوا وَظَلَمُوا فَنَاءً ؛ أَمَّا وَاللَّهُ مَا ظَلَمُوا لَتُبْقِيَ ، وَلَا رَأَمُوا إِلَّا لِتَرِيمَ ،
وَلَا مَاتُوا لَتَحْيَا ، وَلَا فَنُوا لَتَبْقَى .

وَفِي هَذِهِ الْأَلْفَاظِ طَوْلٌ ، وَلَيْسَ بِضَائِرٍ عَلَى مَا خَبَّرْتُكَ ؛ فَإِنْ أُرِدْتَ اخْتِصَارَهُ
قُلْتُ : أَمَّا وَاللَّهُ إِنْ مَاتَ لَمْ يُصَبِّكَ فِي أَبِيكَ إِلَّا لِيُصِيبَكَ فِيكَ .

وَالضَّرْبُ الرَّابِعُ أَنْ تَكُسُوَ مَا تَحْلَهُ مِنَ الْمَنْظُومِ أَلْفَاظًا مِنْ عِنْدِكَ ؛ وَهَذَا أَرْفَعُ
دَرَجَاتِكَ .

ثم نرجع إلى السرقات : قَالَ بَعْضُهُمْ لِلرَّبِيعِ بْنِ خَيْثَمٍ ، وَقَدْ رَأَى اجْتِهَادَهُ فِي
الْعِبَادَةِ : اتَّبَعْتَ نَفْسَكَ ، قَتَلْتَ نَفْسَكَ . فَقَالَ : رَاحَتَهَا أَطْلُبُ . فَقَالَ الشَّاعِرُ (١) :
سَأَطْلُبُ بَعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ ، لَتَقْرُبُوا وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدُّمُوعَ لَتَجْمَدَا

رجوع إلى
السرقات

(١) الوساطة : ٢٢٩ ، معاهد التنصيص : ١ - ٢٠ . والفائل : العباس بن الأحنف .

وقال غيره ^(١) :

تَقُولُ سُلَيْمَى لَوْ أَقْتِ بِأَرْضِنَا وَلَمْ تَدْرِ أَنِّي لِلْمُقَامِ أَطَوُّفٌ
ومثل ذلك أن بعضهم رأى أعرابياً مُقْبِلاً إلى مكة ليصوم فيها شهرَ رمضان
والحرُّ شديد ؛ فقال له : أَتَجْمَعُ على نفسك الصومَ وَحَرَ تِهَامَةٍ ؟ فقال : مِنَ الْحَرِّ أَفْرٌ !
وقيل لروح بن قبيصة بن المهلب ، وهو واقفٌ في الشمس على بابِ الخليفة : لقد طالَ
وقوفُك في الشمسِ ! فقال : الظلُّ أريد ؛ فقال أبو تمام ^(٢) :

أَأَلَفَ النَّجِيبِ كَمْ افْتِرَاقٍ أَظَلَّ فَبَكَانَ دَاعِيَةً اجْتِمَاعِ
وَلَيْسَتْ فَرَحَةُ الْأَوْبَاتِ إِلَّا لِمَوْقُوفٍ عَلَى تَرَحِّ الْوَدَاعِ

وقال امرؤ القيس ^(٣) :

فَبَعْضَ اللَّوْمِ عَاذِلَتِي فَأَنَّى سَتَكْفِيَنِي التَّجَارِبُ وَانْتِسَابِي
يقول : لَا أَنْتَسِبُ إِلَّا إِلَى مِيتَ .

وقال لبيد ^(٤) :

فَإِنْ لَمْ تَجِدْ مِنْ دُونِ عَدْنَانَ وَالْدَا وَدُونَ مَعْدٍ فَلْتَرُعَاكَ الْمَوَازِلُ
فأخذه الحسن البصري ، فقال نثراً : إِنَّ امرءاً لَمْ يَعُدْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
إِلَّا أَبَا مَيْتًا لَمُعْرُقٍ لَهُ فِي الْمَوْتِ ؛ فأخذه أبو نواس ، فقال ^(٥) :

وَمَا النَّاسُ إِلَّا هَالِكٌ وَابْنُ هَالِكٍ وَذُو نَسَبٍ فِي الْأَهَالِكِينَ عَرِيقٌ ^(٦)
وقال الله عز وجل : ﴿ يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيِّحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُو ﴾ ، فأخذه الشاعر
فقال - وقصر عنه :

(١) الوساطة : ٢٢٩ ، التبيان : ٢ - ٣٨٨ . والقائل : عروة بن الورد .

(٢) الوساطة : ٢٢٩ ، ديوانه : ١٩٣ . (٣) ديوانه : ١٢١ .

(٤) شرح ديوان امرئ القيس : ١٢١ . (٥) ديوانه : ١٩٢ .

(٦) رواية البيت في الديوان :

أرى كل حي هالكا وابن هالك وذو نسب في العالمين عريق

ما زالت تحسبُ كلَّ ذَنْبٍ بَعْدَهُمْ خَيْلاً تَكْرَرُ عَلَيْهِمْ وَرِجَالاً
وكذا قَصَّرتِ الخنساء في قولها :
ولولا كثرةُ الباكين حَوْلِي على إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي
وما يَبْكُونِ مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ أُعْزِي النَّفْسَ عَنْهُ بِالتَّائِي
عن قول الله تعالى : ﴿ وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي الْمَذَابِ
مَشْتَرِكُونَ ﴾ .

ومن خفي السرق أن أبا مسلم قال لجلسائه : أى الأعراض الأم ؟ فقالوا
من خفي السرق
وأكثرُوا . فقال : الأمُّ عَرْضٌ لم يرتع فيه حَمْدٌ ولا ذم ؛ فأخذه المِراغى ، فقال :
هَجَوْتُ زُهَيْرًا ثُمَّ إِنِّي مَدَحْتُهُ وما زالتِ الأشرافُ تُهْجَى وَتُمدَحُ
وأخذ على بن الجهم قول الفرزدق (١) :
ما البَاهِلُ بِصَادِقٍ نَكَ وَغَدُهُ ومَتَى تَمِدُّكَ الْبَاهِلِيَّةُ تَصْدُقُ
فقال (٢) :

الرَّحَجِيُّونَ لَا يُوفُونَ مَا وَعَدُوا وَالرَّحَجِيَّاتُ لَا يُخْلِفْنَ مِيعَادَا
وسمع بعضهم قول العرب : إذا فارق القمرُ الثريا فقد ولَّى الشتاء . فنظمه فقال :
إذا ما فارقَ الْقَمَرُ الثَّرِيَا لثَالِثَةٌ فَقَدْ ذَهَبَ الشِّتَاءُ
وسمعت قول النبي صلى الله عليه وسلم : « يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَذْنَاهُمْ وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ حَيْثُمَا كَانُوا »
فقلت :
يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَذْنَاهُمْ وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ حَيْثُمَا كَانُوا
وهذا يدلُّ على صِحَّةِ ما تقدَّم .

(١) ديوانه : ٩٢ .

(٢) ديوانه : ١٢٤ ، وفيه الرحجيون والرحجيات — بالحاء .

وسمع بعض الكتاب قول أبي تمام^(١) :

فإنَّ يَجِدُ عِلَّةً نَعْمُ بِهَا حتى تَرَانَا نَعَادُ مِنْ مَرَضِهِ^(٢)

فكتب : من نَزَلَ منزلي من طاعتك ومشاركتك كان حقيقاً أن يهنأ
بالنعمة تَحْدُثُ عندك ، ويمزى على النائبة تُبْلِمُ بك . فنقل القيادة إلى المصيبة
والتمزية .

وقال بعضهم : الكتابة نقض الشعر .

وقيل للعتابي : بم قدرت على البلاغة ؟ فقال : بحل معقود الكلام .

وأحسن أبو تمام في قوله^(٣) :

إِلَيْكَ هَتَكُنَّا جُنْحَ لَيْلٍ كَأَنَّمَا قد اِكْتَحَلْتَ مِنْهُ الْبِلَادُ بِإُمِيدٍ^(٤)

وزاد فيه على أبي نواس ، ومنه أخذ ، وهو قوله :

أَبْنِي لِي كَيْفَ صِرْتَ إِلَى حَرِيمِي وَجُنْحُ اللَّيْلِ مُكْتَحِلٌ بِقَارِ

لأنَّ الاِكتِحَالَ يكون بالإميد ، ولا يكون بالقار .

ومن أخفى الأخذ ابن أبي عبيدة في قوله :

مَا كُنْتُ إِلَّا كَأَحْمَرِ مَيْتٍ دَعَا إِلَى أَكْلِهِ اضْطِرَارُ

أخذه من قول الأول :

وإنَّ بَقَوْمٍ سَوْدُوكَ لِفَاقَةً إِلَى سَيِّدٍ لَوْ يَطْفَرُونَ بِسَيِّدٍ

ذكر ذلك عن المأمون .

ومما زاد فيه التأخرُ على المتقدم فحَسَنَ مَعْرَضُهُ ، وسهل مطلعه قولُ ابن المعتز :

وَلَا حَ ضَوْءُ هَالِكٍ كَادَ يَفْضَحُنَا مِثْلَ الْقَلَامَةِ إِذْ قَدَّتْ مِنَ الظُّفْرِ

(١) ديوانه : ١٨٩ . (٢) في الديوان : * حتى كأننا نعاد من مرضه *

(٣) ديوانه : ١٠٣ . (٤) الإمداد : حجر الكحل .

وقال الأول^(١) :

كَأَنَّ ابْنَ لَيْلَتِهِ جَانِحًا فَسَيْطٌ لَدَى الْأُفُقِ مِنْ خَنْصِيرٍ^(٢)
الْفَسَيْطُ : قَلَامَةُ الظَّفَرِ .

وما يُعرَفُ للمتقدِّم معنى شريفٌ إلا نازَعَه فيه المتأخِّرُ وطلب الشَّرْكَه فيه معه
إلا بيت عنتره^(٣) :

وَتَرَى الذُّبَابَ بِهَا يُغْنَى وَحَدَهُ هَزَجًا كَفِعْلٍ الشَّارِبِ الْمُتَرَنِّمِ
غَرْدًا يَحْكُ^(٤) ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ قَدَحٌ^(٥) الْمُكَبِّ عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْدَمِ
فإنه ما نُوْزِعَ في هذا المعنى على جَوْدَتِهِ . وقد رَامَهُ بعضُ الْمُجِيدِينَ
فافتَضَحَ .

وأخذ البحتري قول الشماخ^(٦) :

وَقَرَّبْتُ مُبْرَاةً كَأَنَّ ضُلُوعَهَا مِنَ الْمَاسِخِيَّاتِ الْقِسِيِّ الْمُوتَرِ^(٧)
مُبراة - من البرة ، وهى الحَلَقَةُ تُجْعَلُ في أنْفِ الناقة فزاد عليه ؛ فقال^(٨) :
كَالْقِسِيِّ الْمُعْطَفَاتِ بِلِ الْ أَسْهَمِ مَبْرِيَّةٍ بِلِ الْأَوْتَارِ
وهذا ترتيب مصيب من أجل أنه بدأ بالأغْلَظِ ، ثم انحطَّ إلى الأدق ؛ وقد عيب

(١) اللسان - مادة فسط . (٢) نسبة في اللسان لعمر بن قيس ، وصدره فيه :

* وكأل ابن مرثها جانحاً *

وقال في اللسان : ويروى كأن ابن ليلتها الخ ، ويروى بدل فسيط قصيص وهو ما قص
من الظفر .

(٣) ديوانه : ١٢٣ . (٤) في الديوان : يسن . (٥) في الديوان : فعل .

(٦) ديوانه : ٢٧ . (٧) البيت أوردته في اللسان في مادة برى ، ونسبه للناطقة الجمعدى

هكذا : فقربت مبرة تحال ضلوعها ... الخ ؛ ثم أوردته ثانية في مادة مسخ منسوباً للشماخ وقال :

الماسخيات : القسي منسوبة إلى ماسخة . وماسخة رجل من أزد السراة كان قواسا . قال ابن الكلبي :

هو أول من عمل القسي من العرب . والمبرة : الناقة التى جعلت البرة في مارنها .

(٨) ديوانه : ٢٤ .

ترتيب أبي تمام في قوله :

* أو كالخلق أو كالملااب (١) *

فبدأ بالأنفس ثم انحط إلى الأخس ؛ كما نقول : هو مثل النجم ، بل القمر ،
بل الشمس ؛ فترفع من الشيء إلى ما هو أعلى منه ؛ وإذا قلت : هو مثل الشمس ،
بل القمر ، بل النجم ، لم يحسن .

وقال عروة بن الورد (٢) :

تقول سُلَيْمَى لَوْ أَقَمْتَ بَارِضَنَا ولم تَدْرِ أَنِّي لِلْمُقَامِ أَطَوُّفُ
أخذه أبو تمام وزاد عليه فقال (٣) :

رُبَّ حَفْضٍ تَحْتَ الشَّرَى وَغَنَاءٍ من عَنَاءٍ وَنَضْرَةٍ مِنْ شُحُوبِ
وقال إبراهيم بن العباس للفضل بن سهل (٤) :

لِفَضْلٍ بِنِ سَهْلٍ يَدُ تَقَاصَرَ عَنْهَا الْمَثَلُ
فَبَسَّطَهَا لِلْغِنَى وَسَطَوْتُهَا لِلْأَجَلِ
وَبَاطِنَهَا لِلنَّدَى وَظَاهِرُهَا لِلْقَبْلِ

فاتبعه ابن الرومي فأحسن الاتباع ؛ فقال :

أصبحتُ بين خصاصةٍ وتَجَمُّلٍ والحرُّ بينهما يَمُوتُ هَزِيلًا
فأمددُ إِلَى يَدَا تَعَوُّدِ بَطْنِهَا بَذَلَ النِّوَالِ وَظَهَرُهَا التَّقِيمِلَا

وقال بشار :

الدَّهْرُ طَلَّعَ بِأَحْدَانِهِ وَرُسُلُهُ فِيهَا الْمَقَادِيرُ
مَحْجُوبَةٌ تَنْفِذُ أَحْكَامَهَا لَيْسَ لَنَا عَنْ ذَاكَ تَأْخِيرُ

(١) الملااب — بالفتح : نوع من العطر ، والبيت في ديوانه صفحة ٣٥٤ :

خلق كالدمام أو كرضاب المسك أو كالعير أو كالملااب

(٢) الوساطة ٢٢٩ ، ديوانه ١٦٥ (٣) ديوانه ٣٦ (٤) ديوانه ١٢٦

فَاتَّبَعَهُ ابْنُ الرُّومِيِّ وَأَحْسَنَ الْإِتِّبَاعَ ، فَقَالَ :
يُظَلُّ عَنْ الْحَرْبِ الْعَوَانَ بِمَعْزِلٍ وَأَثَارُهُ فِيهَا وَإِنْ غَابَ شُهِدُ
كَمَا احْتَجَبَ الْقُدَارُ وَالْحُكْمُ حُكْمُهُ عَلَى الْخَلْقِ طُرًّا لَيْسَ عَنْهُ مُعَرَّذٌ^(١)
إِلَّا أَنْ قَوْلَ بَشَارٍ أَكْثَرُ مَاءٍ وَطَلَاوَةٍ .
وَمَا لَمْ يُسَيِّئِ الْإِتِّبَاعَ فِيهِ قَوْلُهُ أَيْضًا :
سَكَنْتُ سَكُونًا كَانَ رَهْنًا بَوْتِبَةٍ عَمَّاسٍ ، كَذَاكَ اللَّيْثُ لِلْوَتْبِ يَلِيدُ^(٢)
وَأِنَّمَا أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ النَّابِغَةِ^(٣) :
وَقُلْتُ يَا قَوْمُ إِنَّ اللَّيْثَ مُنْقَبِضٌ عَلَى بَرَائِنِهِ لِلْوَتْبَةِ الضَّارِي
وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ :
كَأَنَّ أَبَاهُ حِينَ سَمَّاهُ صَاعِدًا رَأَى كَيْفَ بَرَّقَ فِي الْمَالِ وَيَضَعُدُ
أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ الْبُخْتَرِيِّ^(٤) :
سَمَاهُ أَسْرَتَهُ^(٥) الْعَلَاءُ ، وَإِنَّمَا قَصَدُوا بِذَلِكَ أَنْ يَتِمَّ غَلَاؤُهُ
وَزَادَ أَبُو تَمَامٍ أَيْضًا عَلَى الْأَفْوِهِ ، وَالنَّابِغَةِ ، وَأَبِي نَوَاسٍ ، وَمُسْلِمٍ ، فِي مَعْنَى تَدَاوُلُوهُ ؛
وَهُوَ قَوْلُ الْأَفْوِهِ^(٦) :
وَرَى الطَّيْرَ عَلَى آثَارِنَا رَأَى عَيْنٍ ثِقَةٍ أَنْ سَمَّارُ^(٧)
وَقَوْلِ النَّابِغَةِ^(٨) :
إِذَا مَا غَزَوْا بِالْجَيْشِ حَلَقَ فَوْقَهُمْ عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ^(٩)
جَوَانِحٍ قَدْ أُيْقِنَ أَنْ قَبِيلَهُ إِذَا مَا التَّقَى الْجَمْعَانِ أَوَّلُ غَالِبِ

(١) عرد : هرب . (٢) عماس : شديدة . يلبد : يلزق بالأرض .
(٣) ديوانه : ٥٧ . (٤) ديوانه : ٣٢٣ . (٥) في الديوان : سمته أسرته .
(٦) الوساطة : ٢٧٠ ، التبيان : ٢ - ١٣٨ ، ديوان الأفوه : ١٣ .
(٧) تمار : تعطى الميرة بما تجمد من لحوم القتل . (٨) ديوانه : ١٠ .
(٩) العصائب : الجماعات .

وقول أبي نواس^(١) :

تَتَأْتِي^(٢) الطَّيْرُ غُدْوَتَهُ ثِقَةً بِالشَّبْعِ مِنْ جَزَرِهِ

وقول مسلم^(٣) :

قَدْ عَوَّدَ الطَّيْرَ عَادَاتٍ وَثَقَنَ بِهَا فَهِنَّ يَتَّبِعْنَهُ فِي كُلِّ مَرْتَحَلٍ

فقال أبو تمام^(٤) :

أَقَامَتْ مَعَ الرَّايَاتِ حَتَّى كَانَتْهَا مِنْ الْجَيْشِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تُقَاتِلْ

فقوله : « أقامت مع الرايات » زيادة .

وزاد عليه بعضُ المحدثين ، فقال :

يُطَمِّعُ الطَّيْرُ فِيهِمْ طَوْلُ أَكْلِهِمْ حَتَّى تَكَادَ عَلَى أَحْيَائِهِمْ تَقَعُ

وقال أبو تمام^(٥) :

هِمَّةٌ تَنْطُحُ النُّجُومَ وَجَدُّ أَلْفٍ لِلْحَضِيضِ فَهُوَ حَضِيضُ

أخذه البحترى فحسَّنه وهو قوله^(٦) :

مُتَحَيِّرٌ يَغْدُو بِعَزْمٍ قَائِمٍ فِي كُلِّ نَائِيَةٍ وَجَسَدٍ قَاعِدٍ

ومما أخذه أيضاً من أبي تمام فقسَّمه تقسيماً حسناً قوله^(٧) :

مَلِكٌ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ كَرِيهَةٌ إِقْدَامُ عِزٍّ وَاعْتِرَاضُ مُجَرَّبٍ

هو من قول أبي تمام^(٨) :

وَمُجَرَّبُونَ سَقَاهُمْ مِنْ بَاسِهِ فَإِذَا لَقُوا فَكَانَهُمْ أَغْمَارُ^(٩)

وقال أبو التماهيبة^(١٠) :

كَمْ نِعْمَةٍ لَا يُسْتَقَلُّ بِشُكْرِهَا لِلَّهِ فِي طَيِّ السَّكَارَةِ كَامِنَةٌ

(١) الوساطة : ٢٧١ ، ديوانه : ٦٨ ، رغبة الأمل : ٤-١٢١ . (٢) تأتي : تعتمد .

(٣) الشعر والشعراء : ٨١١ . (٤) الوساطة : ٢٧١ ، التبيان : ٣-٣٣٩ ، ديوانه : ٢٤٨ .

(٥) ديوانه : ١٨١ . (٦) ديوانه : ١٦٩ . (٧) ديوانه : ٢٠ .

(٨) ديوانه : ١٤٨ . (٩) أغمار : غير مجربين . (١٠) عيون الأخبار : ٣-٥٢ .

أخذه أبو تمام ، فقال (١) :

قد يُنِمُّ اللهُ بِالْبَاوِي وَإِنْ عَظُمَتْ
فَزَادَ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ أَتَى بِضِدِّ الْمَعْنَى .

وقال أبو تمام (٢) :

رَأَيْتُ رَجَاؤِي فِيكَ وَخُذْكَ هِمَّةً
وَلَكِنَّهُ فِي سَائِرِ النَّاسِ مَطْمَعُ

فأخذه البحترى فاختصره ، فقال (٣) :

ثَنَى أَمَلِي فَاخْتَارَهُ عَنْ مَعَاشِرِ
يَبْتَغُونَ وَالْأَمَالُ فِيهِمْ مَطَامِعُ

وأخذه ابن الرومي ، فقال :

بِهِ صَدَّقَ اللهُ الْأَمَانِي حَدِيثُهَا
وَقَدْ مَرَّ دَهْرُهُ وَالْأَمَانِي وَسَاوِسُ

وقال أبو تمام (٤) :

رَافِعٌ (٥) كَفَّهُ لِسَبْرِي فَمَا أَحْ
سَبِيهُ جَاءَنِي لَغَيْرِ اللَّطَامِ (٦)

أخذه البحترى فزاد عليه في حُسْنِ اللفظ والسَّيِّئِ ؛ فقال (٧) :

وَوَعْدٌ لَيْسَ يُعْرَفُ مِنْ عُبُوسٍ
بَأَوْجُهُمْ أَوْعَدُ أَمْ وَعِيدُ

وقال الحنيف بن السَّجَّاف :

وَفَرَّقْتُ بَيْنَ ابْنِي هَنِيمٍ بِطَمْنَةٍ
لَهَا عَانِدٌ يَكْسُو السَّلِيلَ إِزَارَهَا

يعني بالمعاند : الدم ؛ فأخذه البحترى فزاد عليه في اللفظ ، وقال (٨) :

سَلَبُوا وَأَشْرَقَتِ الدَّمَاءُ عَلَيْهِمْ
مُحْمَرَّةً فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يُسَلَبُوا

على أن « محمرة » حشو .

وقال أبو تمام (٩) :

(١) ديوانه : ٣١٦ . (٢) ديوانه : ١٩٢ . (٣) ديوانه : ٧٦ .

(٤) ديوانه : ٢٨٣ . (٥) في الديوان : رافعا ، الموازنة : ١٣٩ .

(٦) السبر : الاختبار ، واللطام : الضرب على الحد . (٧) ديوانه ١٧٢ ، الموازنة ١٣٩ .

(٨) ديوانه : ٦٣ . (٩) ديوانه : ١٧٩ .

كَأَنَّمَا خَامَرَهُ أُؤْلِقَ^(١) أَوْ خَالَطَتْ^(٢) هَامَتَهُ الْخَنْدَرِيسُ^(٣)

وقال البحرى^(٤) :

وَتَحَال رَيْعَانُ الشَّبَابِ يَرُوعُهُ مِنْ حَدَّةٍ^(٥) أَوْ نَشْوَةٍ أَوْ أَفْكَلٍ^(٦)

فزاد عليه .

وقال أبو تمام^(٧) :

أَنْضَرْتُ أَيْكَتِي عَطَابَاكَ حَتَّى عَادَ غُصْنِي سَاقًا وَكَانَ قَضِييَا^(٨)

فقال البحرى - وزاد^(٩) :

حَتَّى يَمُودَ الدُّوَيْبُ لَيْثًا ضَيْغَمًا وَالْغُصْنُ سَاقًا وَالْقَرَارَةُ نَيْقًا^(١٠)

ومثل هذا كثير وفيما أوردتُ كفايةً إن شاء الله .

(١) فى الديوان : أَوْ غَازَلْتُ . (٢) الأولق : الجنون . والخندريس : الحمر .
(٣) الموازنة : ١٤٢ . (٤) فى الموازنة : من جنة . (٥) الأفكل : الرعدة .
(٦) ديوانه : ٢٨١ . (٧) رواية الديوان : * صار ساقا عودى وكان قضيا *
(٨) ديوانه : ١٤٧ . (٩) نيقا : مرتفعا .

الفصل الثاني

من الباب السادس ، في قبج الأخذ

وَقُبِجُ الْأَخْذِ أَنْ تَعْمِدَ إِلَى الْمَعْنَى فَنَتَنَاوِلَهُ بِلَفْظِهِ كُلَّهُ أَوْ أَكْثَرَهُ ، أَوْ تُخْرِجَهُ فِي مَعْرَضٍ مُسْتَهْجَنٍ ؛ وَالْمَعْنَى إِنَّمَا يَحْسُنُ بِالْكُسُوءَةِ : أَخْبَرْنَا بَعْضُ أَصْحَابِنَا قَالَ : قِيلَ لِلشَّعْبِيِّ : إِنَّا إِذَا سَمِعْنَا الْحَدِيثَ مِنْكَ نَسَمُّهُ بِخِلَافِ مَا نَسَمُّهُ مِنْ غَيْرِكَ ! فَقَالَ : إِنِّي أَجِدُهُ عَارِيًّا فَأَكُسُوهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَزِيدَ فِيهِ حَرْفًا ؛ أَيْ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَزِيدَ فِي مَعْنَاهُ شَيْئًا .

فَمَا أَخَذَ بِلَفْظِهِ وَمَعْنَاهُ وَادَّعَى أَخْذَهُ — أَوْ ادَّعَى لَهُ — أَنَّهُ لَمْ يَأْخُذْهُ ، وَلَكِنْ وَقَعَ لَهُ كَمَا وَقَعَ لِلأَوَّلِ ؛ كَمَا سُئِلَ ابْنُ عَمْرٍو بْنُ الْمَلَاءِ عَنِ الشَّاعِرِينَ يَتَفَقَّانَ عَلَى لَفْظٍ وَاحِدٍ وَمَعْنَى . فَقَالَ : عَقُولُ رِجَالٍ تَوَافَتْ عَلَى أَلْسِنَتِهَا ، وَذَلِكَ قَوْلُ طَرْفَةِ (١) :

وَقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَى مَطِيَّهِمْ يَقُولُونَ : لَا تَهْلِكْ أُمِّي وَتَجَلَّدِ
وهو قول امرئ القيس (٢) :

وَقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَى مَطِيَّهِمْ يَقُولُونَ : لَا تَهْلِكْ أُمِّي وَتَجَمَّلِ
فَمَيَّزَ طَرْفَةُ الْقَافِيَةِ .

وَقَالَ الْحَرِثُ بْنُ وَعِلَةَ (٣) :

الآن لَمَّا ابْيَضَّ مَسْرَبَتِي (٤) وَعَصِضْتُ مِنْ نَابِي عَلَى جِذْمٍ (٥)

وَقَالَ غَسَّانُ السَّلِيلِي :

الآن لَمَّا ابْيَضَّ مَسْرَبَتِي وَعَصِضْتُ مِنْ نَابِي أَجْدَانِي

(١) جَهْرَةُ أَشْعَارِ الْعَرَبِ : ١٣٠ (٢) جَهْرَةُ أَشْعَارِ الْعَرَبِ : ٥٠ .

(٣) اللِّسَانُ — مَادَّةُ سَرَبٍ ، وَجِذْمٍ . (٤) الْمَسْرَبَةُ : شَعْرُ الصَّدْرِ .

(٥) الْجِذْمُ : أَصْلُ الشَّيْءِ ، وَجِذْمُ الْأَسْنَانِ : مَنَابِتُهَا .

وقال البعيث :

أَتَرْجُو كَلْبَبٌ أَنْ يَجِيءَ حَدِيثُهَا بِخَيْرٍ وَقَدْ أُعْيَا كَلْبِيًّا قَدِيمُهَا

وقال الفرزدق :

أَتَرْجُو رَبِيعٌ أَنْ تَجِيءَ صِبَاغُهَا بِخَيْرٍ وَقَدْ أُعْيَا رَبِيعًا كِبَارُهَا

ومثلُ هذا كثيرٌ في أشعارهم جداً .

والأخذُ إذا كان كذلك كان مَعِيًّا وإن ادَّعى أن الآخرَ لم يَسْمَعْ قولَ الأولِ ، بل وَقَعَ لهذا كما وقعَ لذاك ؛ فإنَّ صحَّةَ ذلك لا يعلمُها إلاَّ الله عز وجل ، والعيبُ لازمٌ للآخر .

رَوَى لَنَا أَنَّ عُمَرَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ أَنْشَدَ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

* تَشَطَّ غَدَاً دَارُ جِيرَانِنَا (١) *

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ :

* وَلِلدَّارِ بَعْدَ غَدٍ أَبَعْدُ *

فَقَالَ عُمَرُ : وَاللَّهِ مَا قُلْتُ إِلَّا كَذَلِكَ .

وإذا كان القومُ في قبيلةٍ واحدةٍ ، وفي أرضٍ واحدةٍ ، فإنَّ خواطرهم تَقَعُ متقاربةً ، كما أن أخلاقهم وشمائلهم تكون متضاربةً ؛ وأنشدتِ الصاحِبُ إِسْمَاعِيلُ ابْنَ عَبَّادٍ :

* كَانَتْ سِرَاةُ النَّاسِ تَحْتَ أَظْلِهِ (٢) *

فَسَبَقَنِي وَقَالَ :

* فَغَدَتْ سِرَاةُ النَّاسِ فَوْقَ سِرَاتِهِ (٣) *

وَكَذَلِكَ كُنْتُ قُلْتُ .

(١) ديوانه : ٧٢ . (٢) الأطل : بطن الإصبع ، مما يلي صدر القدم إلى الخنصر .

(٣) السراة : أعلى كل شيء .

فعلى هذا جاز ما يُدعى لهم ؛ والظاهر ما قلناه ؛ فهذا ضرب .
والضرب الآخر من الأخذ المستهجن أن يأخذ المعنى فيفسده أو يعوصه ،
أو يخرججه في معرض قبيح وكسوة مسترذلة ، وذلك مثل قول أبي كريمة :
قفاه وجهه ، ثم وجهه الذى قفاه وجهه يشبه البدر
وإنما أخذ هذا من قول أبي نواس^(١) :
يا بى أنت من مليح بديع بد حسن الوجوه حسن قفاكا
وأحسن ابن الرومى فيه فقال :

ما ساءنى إغراضه عنى ولكن مررتى
سألفتناه عوض من كل شئ حسن

وإليه أشار عبد الصمد بن المذل فى قوله :

لما رأيت البدر فى أفق السماء وقد تعلّى
ورأيت قرن الشمس فى أفق الغروب وقد تدلّى
شبهت ذاك وهذه وأرى شبيهما أجلا
وجهه الحبيب إذا بدا وقفنا الحبيب إذا تولى

وأخسده أبو نواس من قول النابغة^(٢) للنعمان بن المنذر : أيقأخرك ابن جفنة !
واللات ، لأمسك خير من يومه ، ولقدالك أحسن من وجهه ، وليسارك أسمح
من يمينه ، ولعبيدك أكثر من قومه ، ولنفسك أكبر من جنده ، وليومك أشرف
من دهره ، ولوعذك أنجز من رفده ، ولهزلك أصوب من جدّه ، ولسكرسيك
أرفع من نسيره ، ولغيرك أبسط من شيره ، ولأملك خير من أبيه .

(١) هذا البيت ليس فى ديوان أبي نواس المطبوع بأيدينا وفى ديوان أبى تمام :

يا أبا جعفر خلقت بديعا فإن حسن الوجوه حسن قفاكا

(٢) فى ظ : من قول النابغة بقوله . . .

والنافعة أحذق الجماعة ؛ لأنه ذكر القَدَّال، وهؤلاء قالوا : القَفَا ، ولا يُسْتَحْسَن
أن يخاطب الرجلُ فيقال له : قفالك حاله كذا وكذا .
ومن ذلك قول الحسن بن وهب ، وقد سَمِعَ قولَ أعرابي اجتمع مع عَشِيق له
في بعض الليالي : اجتمعت معها في ظلمة الليل ، وكان البدر يُرِينِها ، فلما غاب أَرْتَنِيه ،
فقال :

أَرَانِي البدرُ سُنَّتَهَا عِشَاءً فلما أَرَمَعَ البدرُ الأَفْوَلا
أَرْتَنِيه بِسُنَّتِهَا ^(١) فَكَانَتْ من البدرِ النورِ لِي بِدِيلَا
فأطال الكلام ، وجعل المعنى في بيتين ، وكرّر السّنة والبدر .
وقال البحترى فَأَرَبَنِي عَلَى الأعرابيَّ وزادَ عليه ^(٢) :

أَضَرَّتْ بَضْوَةُ البدرِ والبدرُ طَالِعٌ وَقَامَتْ مَقَامَ البدرِ لِمَا تَغْيِيَا
وسمع بعضهم قول محمود الوراق :
إِذَا كَانَ شُكْرِي نِعْمَةً اللَّهِ نِعْمَةً عَلَىَّ لَهُ فِي مِثْلِهَا يَجِبُ الشُّكْرُ
فكَيْفَ بَلُوغُ الشُّكْرِ إِلَّا بِفَضْلِهِ وَإِنْ طَالَتْ الأَيَّامُ وَاتَّصَلَ العُمُرُ
إِذَا مَسَّ بالسَّراءِ عَمَّ سُرُورُهَا وَإِنْ مَسَّ بالضَّرَاءِ أَعْقَبَهَا الأَجْرُ
وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا لَهُ فِيهِ نِعْمَةٌ تَضِيقُ بِهَا الأَوْهَامُ وَالْبَرُّْ وَالْبَحْرُ
فقال وأساء :

الْحَمْدُ لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ ذُو نِعَمٍ لَمْ يُحْصِهَا عَدَدًا بِالشُّكْرِ مَنْ حَمِدَا
شُكْرِي لَهُ عَمَلٌ فِيهِ عَلَىَّ لَهُ شُكْرٌ يَكُونُ لَشُكْرِ قَبْلَهُ مَدَدَا
فهذا مثالُ قُبْحِ الأَخْذِ ، فأَعْلَمَهُ .

وأخذ ابن طباطبا قول علي رضي الله عنه : قِيَمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يَحْسِنُهُ ؛ فقال :

(١) السنة : الصورة ، أو الوجه ، أو الجبهة . (٢) ديوانه : ٥٥ .

فِي الْأَعْمَى دَعْنِي أَغَالِ بِقِيَمِي فَقِيَمَةُ كُلِّ النَّاسِ مَا يُحْسِنُونَهُ
فَأَخْذَهُ بَلْفِظَهُ ، وَأَخْرَجَهُ بَغِيضًا مُتَكَلِّفًا .
والجيدُ قول الآخر :

* فقيمة كل امرئ علمه *

فهذا وإن كان أخذه ببعض لفظه فإن « كلا » في بيته أحسن موقعا منه
في بيت ابن طباطبا .

وقال قِرْوَاش بن حَوْط :

دَنَوْتُ لَهُ بِأَبْيَضَ مَشْرِفِي كَمَا يَدْنُو الْمَصَافِحُ لِلْعِنَاقِ

أخذه أبو تمام فقصر عنه (١) ؛ وقال :

حَنَّا إِلَى الْمَوْتِ حَتَّى ظَنَّ جَاهِلُهُ بِأَنَّهُ حَنَّ مُشْتَقًا إِلَى وَطَنِـ

وَأَحْسَنَ تَقْسِيمَهُ الْبَحْثَرَى ، فَقَالَ (٢) :

تَسْرَعُ حَتَّى قَالَ مَنْ شَهِدَ الْوَفَى لِقَاءَ أَعَادٍ أَمْ لِقَاءَ حَبَائِبِ

وقال ذو الرمة (٣) :

وَلَيْلٍ كَجَلَابِ الْعُرُوسِ اذْرَعَتْهُ بِأَرْبَعَةِ وَالشَّخْصُ فِي الْعَيْنِ وَاحِدُ

أَحْمُ عِلَافِيٍّ وَأَبْيَضُ صَارِمٍ وَأَعْيَسُ مَهْرِيٍّ وَأَرْوَعُ مَا جَدُ (٤)

أخذه أبو تمام فقصر وقال (٥) :

الْبَيْدُ وَالْعَيْسُ وَاللَّيْلُ التَّمَامُ مَعًا (٦) ثَلَاثَةٌ أَبَدًا يُقَرَّنَ فِي قَرْنِ (٧)

(١) ديوانه : ٣٨٨ . (٢) ديوانه : ١ - ٧٣ . (٣) اللسان - مادة علف .

(٤) البيت الثاني أنشده في اللسان : بكسر العين من علفي ، وقال : العلاف : أعظم الرجال .

والأحم : الأسود وقيل الأبيض . (٥) ديوانه : ٣٣٤ .

(٦) صدر البيت في ديوانه : * العيس والهمل والليل التمام معا *

(٧) القرن : الحبل .

وبيت البحتري في معناه أجود من هذا ، إلا أنه لا يلحق بيت ذى الرمة :
 اطلباً ثالثاً سِوَايَ فَإِنِّي رَابِعُ الْعَيْسِ وَالذُّجَى وَالْبَيْدِ
 ومما قصر فيه البحتري ^(١) :

قَوْمٌ تَرَى أَرْمَاحَهُمْ يَوْمَ الْوَعَى مَشْغُوفَةٌ بِمَوَاطِنِ الْكِتْمَانِ
 أخذه من قول عمرو بن معديكرب ^(٢) :

وَالضَّارِبِينَ بِكُلِّ أَبْيَضٍ مُرْهَفٍ وَالطَّاعِنِينَ بِجَمَاعِ الْأَضْغَانِ
 قوله : « جماع الأضغان » أجود من قوله : « مواطن الكتمان » ؛ لأنهم إنما
 يطاعنون الأعداء من أجل أضغانهم ، فإذا وقع الطعن في موضع الضغن فذلك
 غاية المراد .

ومما قصر فيه قوله ^(٣) :

مِنْ غَادَةٍ مَنَعَتْ وَتَمَنَعُ نَيْلَهَا فَلَوْ أَنَّهَا بَذَلَتْ لَنَا لَمْ تَبْدُلْ
 أخذه من قول عبد الصمد بن المذل ^(٤) :

ظَنَيْتُ كَانَ يَخْضِرُهُ مِنْ دِقَّةٍ ظَمًا وَجُوعًا
 وَمِنْ الْبَلِيَّةِ أَنَّنِي غُلَّقْتُ مَمْنُوعًا مَمْنُوعًا ^(٥)

بيت عبد الصمد أبيْنُ مَسْنَى مع شدة الاختصار . وبيت البحتري كالمعوص
 لا يقام إعرابه إلا بعد نظر طويل .

وقال جابر بن السليك الحمداني ^(٦) :

أَرَمِي بِهَا اللَّيْلَ قُدَّامِي فَيَغْشَمُ بِي ^(٧) إِذِ الْكَوَاكِبُ مِثْلُ الْأَعْيُنِ الْحَوْلِ

(١) معاهد التنصيص : ٢ - ١٧٢ . (٢) الموازنة : ١٣٤ . (٣) الموازنة : ١٣٦ .

(٤) الموازنة : ١٣٦ . (٥) في الموازنة : ممنوعاً مبنياً . (٦) الموازنة : ١٣٦ .

(٧) في الموازنة : فيهمش .

أخذه البحترى فقصر في النظم عنه فقال^(١) :
وَحِدَانِ الْقَلَاصِ حَوْلًا إِذَا قَا بَلْنَ حَوْلًا مِنْ أَنْجُمِ الْأَسْحَارِ
الأول أسلس .

وقال أبو تمام^(٢) :
فَلَمْ يَجْتَمِعْ شَرْقٌ وَغَرْبٌ لِقَاصِدٍ وَلَا الْمَجْدُ فِي كَفِّ امْرِئٍ وَالذَّرَاهِمُ
وقال البحترى فقصر^(٣) :

لِيَفِرَّ وَفَرَّكَ الْمَوْفَى^(٤) وَإِنْ أَاءَ وَزَّ أَنْ يُجْمَعَ النَّدَى وَوُفُورُهُ
وأخذ أبو تمام قول الشاعر :
فَقُلْتُ لَهُمْ لَا تَعْدُلُونِي وَانظُرُوا إِلَى النَّازِعِ الْقُصُورِ كَيْفَ يَكُونُ
فقال وقصر^(٥) :

هَرِمْتُ بَعْدِي وَالرَّبْعُ الَّذِي أَفَلَتُ مِنْهُ بُدُورُكَ مَعْدُورٌ عَلَى الْهَرَمِ
متكلف ردى الاستمارة .

وقد يتفق المبتدئ للمعنى والآخذ منه في الإساءة ؛ قال ابن أذينة :
كَأَنَّمَا عَائِلُهَا دَائِبًا ذَيْنَهَا عِنْدِي بَنَزِينَ
فأتى بعبارة غير مرضية ونسج غير حسن ، وأخذه أبو نواس فقال :
كَأَنَّمَا أَتُّنُوا وَلَمْ يَعْلَمُوا عَلَيْكَ عِنْدِي بِالَّذِي عَابُوا
فأتى أيضاً برصف مردول ونظم مردود .

وقد يستوى الآخذ والمأخوذ منه في الإجادة ؛ في التعبير عن المعنى الواحد .
قال أعرابي :

* قَتَمَ عَلَيْهَا السِّكُّ وَاللَّيْلُ عَاكِفُ *

(١) ديوانه : ٢ — ٢٤ ، الموازنة : ١٣٦ . (٢) ديوانه : ٢٨٦ .

(٣) ديوانه : ٢ — ٣١ . (٤) في الديوان : الملقى . (٥) ديوانه : ٢٦٧ .

وقال البحتري^(١) :

وحاولنَ كَيْمانَ التَّرحُّلِ في الدَّجَى فَنَمَّ بَهَنَ الْمِسْكِ حَتَّى تَضَوَّعا
وقال أيضاً^(٢) :

فَكَانَ الْعَبِيرُ بِهَا وَاشِيَاً وَجَرَسُ الْحُلَى عَلَيْهَا رَقِيًّا
وقال النابغة^(٣) :

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُذْرِكِي وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعُ
وقال أبو نواس^(٤) :

لَا يَنْزِلُ اللَّيْلُ حَيْثُ حَلَّتْ فَدَهْرُ شَرَّابِهَا نَهَارُ
فَأَحْسَنَّا جَمِيعاً فِي الْعِبَارَةِ ؛ وَلِلنَّابِغَةِ قَصِيدَةُ السَّبْقِ .
ومثل ذلك قول لبيد^(٥) :

* وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الْوَدَائِعُ *

وقال بشار :

* وَرَدَّ عَلَى الصَّبَا مَا اسْتَعَارَا *

وقال الفرزدق^(٦) :

تَقَارِيقُ شَيْبٍ فِي الشَّبَابِ لَوَامِعٌ وَمَا حُسْنُ كَيْلٍ لَيْسَ فِيهِ نُجُومُ
وقال أبو نواس :

كَأَنَّ بَقَايَا مَا عَفَا مِنْ حَبَابِهَا تَقَارِيقُ شَيْبٍ فِي سَوَادِ عِذَارِ
البيتان متساويان في حُسن الرصف ، وإن كان أبو نواس أساء في أخذه

(١) ديوانه : ٩٧ . (٢) ديوانه : ٥١ .

(٣) ديوانه : ٧١ . (٤) ديوانه : ٢٧٤ ، والشعر والشعراء : ٧٨٣ .

(٥) الشعر والشعراء : ٢٣٦ ، اللسان : ١٩ - ٣٥٢ .

(٦) الشعر والشعراء : ٤٦٧ .

لفظ الفرزدق ؛ وفي قول الفرزدق أيضا زيادة ، وهي : « وما حُسْنُ ليلٍ ليس فيه نُجُومٌ » .

وأنشد أبو أحمد ؛ قال : أنشدنا أبو بكر عن عبد الرحمن عن عمه :
حرّامٌ على أرْمَاحِنَا طَمَنٌ مُدِيرٌ وَتَنَدَّقُ قِدَمًا فِي الصُّدُورِ صُدُورُهَا
مسلمةٌ أعْجَازُ خَيْلِي فِي الْوَعَى وَمَكْلُومَةٌ لَبَّاتُهَا وَنُحُورُهَا
أخذه أبو تمام ؛ فقال (١) :
أَنَاسُ إِذَا مَا اسْتَحْكَمَ الرَّوْعُ كَسَرُوا صُدُورَ الْعَوَالِي فِي صُدُورِ الْكَتَائِبِ (٢)

فأحسننا جميعاً .
ومثله قول الآخر :

يَلْقَى السَّيْفُ بَوَاجِهِ وَيَنْجِرُهُ وَيُقِيمُ هَامَتَهُ مَقَامَ الْمَغْفِرِ
وَيَقُولُ لِلطَّارِفِ (٣) اصْطَبِرْ إِشْبَا الْقَنَا فَهَدَمْتُ رُكْنَ الْمَجْدِ إِنْ لَمْ تَعْقِرْ
ومثله قول بكر بن النطاح :

يَتَلَقَّى النَّدَى بَوَاجِهِ حَيًّا وَصُدُورَ الْقَنَا بِوَجْهِهِ وَقَاحِ

وهذا كله مأخوذ من قول كعب بن زهير (٤) :

لَا يَبْقُ الطَّمَنُ إِلَّا فِي نُحُورِهِمْ وَمَا لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ (٥)
وهو دون جميع ما تقدم .

وقد أتيت في هذا الباب على الكفاية ، ولا أعلم أحداً ممن صنف في سرق الشعر
فثقل بين قول المُبْتَدِى وقول التَّالِي ؛ وبين فَضْلِ الْأَوَّلِ على الْآخِرِ ، وَالْآخِرِ على
الْأَوَّلِ ، غَيْرِي ؛ وإنما كانت العلماء قبلِي يَنْهَوْنَ على مواضع السَّرْقِ فقط ؛ فَفَسِدُ بِنَا

(١) ديوانه : ٤٢ . (٢) صدره في الديوان :

* إِذَا الْحَيْلُ جَابَتْ قَسَطُ الْحَرْبِ صَدَعُوا *

(٣) الكريم من الخيل . (٤) ديوانه : ٢٥ . (٥) التهليل : النكوس والتأخر .

أَوْرَدْتُهُ عَلَى مَا تَرَكْتُهُ ؛ فَإِنِ لَوْ اسْتَفْصَيْتُهُ لَخَرَجَ الْكِتَابُ عَنِ الْمَرَادِ ، وَزَاغَ عَنِ الْإِثَارِ ؛ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ .

تمَّ الجزء الأول من كتاب الصناعتين ، ويتلوه في الجزء الثاني
الباب السابع في التشبيه . والحمد لله وحده ،
وصلواته على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين وسلامه .
وهو حسبنا ونعم الوكيل

البَابُ السَّابِعُ

في التشبيه (فصلان)

الفصل الأول من الباب السابع

في حدّ التشبيه وما يُستَحْسَن من منثور الكلام ومنظومه

التشبيه : الوصفُ بأنَّ أحدَ الموصوفين ينوبُ منابَ الآخرِ بِأداة التشبيه ، نابَ التشبيه منابه أو لم يَنْبُ ، وقد جاء في الشعرِ وسائرِ الكلامِ بغيرِ أداة التشبيه . وذلك قولك : زيدٌ شديدٌ كالأسد ؛ فهذا القولُ الصوابُ في العُرفِ ودَاخلُ في محمودِ المبالغة ، وإن لم يكن زيدٌ في شدّته كالأسد على الحقيقة ؛ على أنه قد روى أن إنساناً قال لبعض الشعراء : زعمتُ أنّك لا تسكذبُ في شعرك ، وقد قلت :

* ولأنتَ أَجْرًا من أُسامَةِ *

أَوْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ رَجُلٌ أَشْجَعَ من أَسَدٍ فَقَالَ : قد يَكُونُ ذلك ؛ فإنّا قد رأينا مجزأة بن ثور فتح مدينةً ولم نر الأسدَ فعلَ ذلك ، فهذا قول .

ويصحُّ تشبيه الشيء بالشيء مُجَمَّلة ، وإن شابهه من وَجْهٍ واحد ؛ مثل قولك : وجهك مثلُ الشمس ، ومثلُ البدر ؛ وإن لم يَكُنْ مثلهما في ضيائهما وعلوّهما ولا عِظَمِهما ؛ وإنما شَبَّهَ بهما لمعنى يَجْمَعُهُما وإياه وهو الحُسْن . وعلى هذا قولُ الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾ ؛ إنما شَبَّهَ المراكبَ بالجبال من جهةٍ عِظَمِها لا من جهة صلابتها ورُسوخها ورزانتها ، ولو أشبه الشيء الشيء من جميع جهاته لكان هو هو .

أوجه
التشبيه

والتشبيهُ على ثلاثة أوجه : فواحدٌ منها تشبيه^(١) شيئين متفقين من جهة اللون؛ مثلُ تشبيهِ اللبلة باللبلة ، والماء بالماء ، والغراب بالغراب ، والحرّة بالحرّة . والآخر تشبيهُ شيئين متفقين يُعرَفُ اتِّفَاقُهُمَا بدليل ؛ كتشبيهِ الجوهر بالجوهر ، والسواد بالسواد . والثالث تشبيهُ شيئين مختلفين لمعنى يجمعُهُما ؛ كتشبيهِ البَيَّانِ بالسَّحَرِ ؛ والمعنى الذى يجمعهما لطافةُ التدبير ودقةُ السِّلَكِ . وتشبيهُ الشدة بالموت ، والمعنى الذى يجمعهما كراهيةُ الحال وصعوبةُ الأمر .

أجود
التشبيه

وأجود التشبيه وأبلغه ما يقع على أربعة أوجه :

أحدها : إخراج مالا تقع عليه الحاسة [إلى ما يقع عليه]^(٢) ؛ وهو قولُ الله عزَّ وجل : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً ﴾ . فأخرج مالا يحسُّ إلى ما يحسُّ ؛ والمعنى الذى يجمعهما مُبْطِلَانِ التَّوَهُّمِ مع شِدَّةِ الحاجة وعِظَمِ الْفَاقَةِ ، ولو قال : يَحْسَبُهُ الرَّأْيُ مَاءً لم يَقَعْ مَوْقِعَ قَوْلِهِ : « الظَّمْآنُ » ؛ لأنَّ الظَّمْآنَ أَشَدُّ فَاقَةً إِلَيْهِ ، وَأَعْظَمُ حِرْصًا عَلَيْهِ .

وهكذا قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ . والمعنى الجامعُ بينهما بَعْدُ التَّلَاقِ ، وَعَدَمُ الِاتِّفَاعِ . وكذلك قوله عزَّ وجل : ﴿ فَثُلَّةٌ كَثُلَ الْكُذِّبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ﴾ ؛ أَخْرَجَ مَالًا تَقَعُ عَلَيْهِ الْحَاسَةُ إِلَى مَا تَقَعُ عَلَيْهِ مِنْ لَهْثِ الْكُذِّبِ . والمعنى أَنَّ الْكُذِّبَ لَا يُطِيعُكَ فِي تَرْكِ اللَّهْثِ عَلَى حَالٍ ، وَكَذَلِكَ الْكَافِرُ لَا يُجِيبُكَ إِلَى الْإِيمَانِ فِي رِفْقٍ وَلَا عُنفٍ .

وهكذا قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفَيْنِهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ ﴾ . والمعنى الذى يجمعُ بينهما الحاجةُ إلى المنفعة ، والحسرةُ لما يفوتُ من دَرَكِ الحاجة .

(١) فى ط : تشبيه . (٢) زيادة من .

والوجه الآخر لإخراج ما لم تجر به العادة إلى ما جرت به العادة ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ﴾ ؛ والمعنى الجامع بين المشبة والمشبّه به الانتفاع بالصورة .

ومن هذا قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ ... إِلَى قَوْلِهِ : كَأَنَّ لَمْ تَعْنِ بِالْأُنْسِ ﴾ ؛ هو بيان ما جرت به العادة إلى ما لم تجر به . والمعنى الذى يجمع الأمرين الزينة والبهجة ، ثم الهلاك ، وفيه الميزة لمن اعتبر ، والموعظة لمن تذكر .

ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ، تَنزِعُ النَّاسَ كُلَّهُمْ أَعْجَازًا نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾ ، فاجتمع الأمران فى قلع الريح لهما وإهلاكهما والتخوف من تعجيل العقوبة .

ومن هذا قوله تعالى : ﴿ فَسَكَاتٌ وَرَدَّةٌ كَذَلِكَ هَانِ ﴾ . والجامع للمعنيين الحُمْرَةُ ولين الجوهر ، وفيه الدلالة على عظم الشأن ؛ ونفوذ السلطان .

ومنه قوله تعالى : ﴿ اْعْلَمُوا أَنَّمَا الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ... إِلَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ﴾ ؛ والجامع بين الأمرين الإعجاب ، ثم سرعة الانقلاب ؛ وفيه الاحتقار للدنيا والتحذير من الغرار بها .

والوجه الثالث : إخراج ما لا يُعرف بالبدئية إلى ما يُعرف بها ؛ فمن هذا قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ ، قد أخرج ما لا يُعلم بالبدئية إلى ما يُعلم بها ؛ والجامع بين الأمرين العظم ؛ والفائدة فيه التشويق إلى الجنة بحسن الصفة .

ومثله قوله سبحانه : ﴿ كَثُلَ الْحِمَارُ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ ، والجامع بين الأمرين الجهل بالمحمول ؛ والفائدة فيه الترغيب فى تحفظ العلوم ، وترك الاتكال على الرواية دون الدراية .

ومنه قوله تعالى : ﴿ كَانَهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٌ ﴾ ؛ والجامعُ بين الأمرين خُلُوُّ
الأجساد من الأرواح ؛ والفائدةُ الحثُّ على احتقارِ ما يُؤوّل به الحال .
وهكذا قوله سبحانه : ﴿ كَشَلِّ الْمُنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بِئْتًا ﴾ ؛ فالجامعُ بين
الأمرين ضعفُ المعتمد ؛ والفائدةُ التحذيرُ من حَمْلِ النفس على التغيرير بالعمل على
غير أس .

والوجهُ الرابع : لإخراجُ مالا قوّة له في الصفة على ماله قوّة فيها ؛ كقوله عزّ
وجلّ : ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾ ؛ والجامعُ بين الأمرين العظمُ ،
والفائدةُ البيانُ عن القدرة في تَسْخِيرِ الأجسامِ العظامِ في أعظم ما يكونُ من المساء .
وعلى هذا الوجه يَجْرَى أكثرُ تشبيهاتِ القرآن ، وهي الغايةُ في الجوّدة ، والنهايةُ
في الحسن .

وقد جاء في أشعار المحدثين تشبيهُ ما يَرَى العيانُ بما يُنَال بالفكر ، وهو
رَدِيء ، وإن كان بعضُ الناس يستحسنُه لما فيه من اللطافة والدقّة ، وهو مثل قول
الشاعر (١) :

وَكُنْتُ أَعَزَّ عَزًّا مِنْ قُنُوعٍ يَمُوحُهُ صَفُوحٌ مِنْ مَلُولٍ (٢)
فَصِرْتُ أَذْلَ مِنْ مَعْنَى دَقِيقٍ بِهِ فَقَرُّ إِلَى فَهْمٍ (٣) جَلِيلٍ

وكقول الآخر :

وَنَدَمَانٍ سَقِيتُ الرِّاحَ صِرْفًا وَأُفُقُ اللَّيْلِ مَرْتَفَعُ الشُّجُوفِ
صَفَتْ وَصَفَتْ زُجَاجُهَا عَلَيْهَا كَمَعْنَى دَقٍّ فِي ذَهْنٍ لَطِيفٍ
فَأَخْرَجَ مَا تَقَعُ عَلَيْهِ الْحَاسَةُ إِلَى مَا لَا تَقَعُ عَلَيْهِ ، وما يُعْرِفُ بالعيان إلى ما يُعْرِفُ
بالفكر ، ومثله كثيرٌ في أشعارهم .

(١) ديوان أبي تمام : ٥٠٣ . (٢) في الديوان : صفوح عن جهول .

(٣) في الديوان : إلى معنى .

وأما الطريقةُ المسلوكةُ في التشبيهِ ، والنَّهْجُ القاصدُ في التمثيلِ عند القدماء الطريقة
المسلوكة في التشبيه
والمحدثين فتشبيهُ الجَوَادِ بِالْبَحْرِ والمطر ، والشَّجَاعِ بِالْأَسَدِ ، وَالْحَسَنِ بِالشَّمْسِ
وَالْقَمَرِ ، وَالْمَهْمِ الْمَاضِي بِالسَّيْفِ ، وَالْعَالِي الرَّتْبَةِ بِالنَّجْمِ ، وَالْحَلِيمَ الرِّزِينَ بِالْجَبَلِ ،
وَالْحَيَّ بِالْبَكْرِ ، وَالْفَائِتَ بِالْحُلْمِ ؛ ثُمَّ تشبيه اللّثيمِ بِالسَّكْبِ ، وَالْجَبَانَ بِالصُّفْرَدِ (١) ،
وَالطَّائِشَ بِالْفَرَّاشِ ، وَالدَّلِيلَ بِالنَّقْدِ (٢) وَالنَّبْلَ وَالْفَقْعَ (٣) وَالْوَتْدَ ؛ وَالْقَاسِيَ بِالْحَدِيدِ
وَالصَّخْرَ ، وَالبليدَ بِالْجَمَادِ ؛ وَشُهْرَ قَوْمٍ بِمُخْصَالٍ مَحْمُودَةٍ ؛ فَضَارُوا فِيهَا أَعْلَامًا فَجَرَوْا
بِحَجَرٍ مَا قَدَّمْنَاهُ ؛ كَالسَّمُوعِ فِي الْوَقَاءِ ، وَحَاتَمَ فِي السَّخَاءِ ، وَالْأَخْنَفَ فِي الْحِلْمِ ،
وَسَجْبَانَ فِي الْبَلَاغَةِ ، وَقُسَّ فِي الْخَطَابَةِ ، وَلُقْمَانَ فِي الْحِكْمَةِ . وَشُهْرَ آخَرُونَ بِأَضْدَادِ
هَذِهِ الْخِصَالِ ؛ فَشَبَّهَ بِهِمْ فِي حَالِ الذَّمِّ كِبَا قِلَ فِي الْعِي (٤) ، وَهَبَنَقَةَ فِي الْحُمُقِ ،
وَالْكُسَمَى فِي النَّدَامَةِ ، وَالْمَرْزُوفَ ضَرْطًا فِي الْجُبْنِ ، وَمَادِرَ فِي الْبُخْلِ .

والتشبيهُ يَزِيدُ الْمَعْنَى وَضُوحًا وَيُكْسِبُهُ تَأْكِيدًا ؛ وَلِهَذَا مَا أَطْبَقَ جَمِيعُ الْمُتَكَلِّمِينَ
مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَسْتَغْنِ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْهُ .

وَقَدْ جَاءَ عَنِ الْقَدَمَاءِ وَأَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ كُلِّ جِيلٍ مَا يَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى شَرْفِهِ وَفَضْلِهِ
وَمَوْقِعِهِ مِنَ الْبَلَاغَةِ بِكُلِّ لِسَانٍ . فَمِنْ ذَلِكَ مَا قَالَ صَاحِبُ كَلِيلَةِ وَدَمْنَةِ : الدُّنْيَا كَلَمَاءُ
الْمَلْحِ كُلَّمَا أَزْدَدْتَ مِنْهُ شُرْبًا أَزْدَدْتَ عَطْشًا . وَقَالَ : صُحْبَةُ الْأُمُرَارِ تُورِثُ الشَّرَّ
كَالْمَرِّحِ إِذَا مَرَّتْ عَلَى الْمُنْتَنِ حَمَلَتْ نَتْنًا ، وَإِذَا مَرَّتْ عَلَى الطَّيِّبِ حَمَلَتْ طَيِّبًا . وَقَالَ :
مَنْ لَا يَشْكُرْ لَهُ كَانَ كَمَنْ نَثَرَ بَذْرَهُ فِي السَّبَاخِ ، وَمَنْ أَشَارَ عَلَى مُعْجَبٍ كَانَ كَمَنْ
سَارَّ الْأَصَمَّ . وَقَدْ نَظَّمْتُ هَذَا الْمَعْنَى . فَقُلْتُ :

أَلَا إِنَّمَا النِّعْمَى تُجَاوِزِي بِمِثْلِهَا إِذَا كَانَ مَسْدَاهَا إِلَى مَا جَدَّ حُرٌّ

(١) الصفرَد : طائر جبان . (٢) جنس من الغنم قبيح الشكل .

(٣) الفقع ، يفتح الفاء وتكسر : البيضاء الرخوة من الكمأة . قال في اللسان : يقال للذليل :

هو أذل من فقع بقرقرة ، لأنه لا يمتنع على من اجتنأه أو لأنه يوطأ بالأرجل .

(٤) باقل : اسم رجل يضرب به المثل في العي .

فَأَمَّا إِذَا كَانَتْ إِلَى غَيْرِ مَا جِدِ فَقَدْ ذَهَبَتْ فِي غَيْرِ أَجْرٍ وَلَا شُكْرِ
إِذَا الرُّءُوسُ أَلْقَى فِي السَّبَاخِ بُذُورَهُ أَضَاعَ فَلَمْ تَرْجِعْ بَرْزَعٍ وَلَا بَذَرٍ

وقال : لا يخفى فضلُ ذِي العلمِ وإنْ أخْفَاهُ كَالْمِسْكِ يُخْبَأُ وَيُسْتَرُّ ، ثم لا يمنع ذلك
رَأْيَ حَتِّهِ أَنْ تَفُوحَ . أَخَذَهُ الصَّاحِبُ فَسَكَّتَبَ : فَأَنْتَ - أَدَامَ اللَّهُ عَزَّكَ - وَإِنْ طَوَّيْتَ
عَنَّا خَبَرَكَ ، وَجَمَلْتَ وَطَنَكَ وَطَرِكَ ، فَأَنْبَأُوكَ تَأْتِينَا ، كَمَا وَشَى بِالْمِسْكِ رَبِّيَّاهُ ، وَنَمَّ
عَلَى الصَّبَاحِ مُحْيَاهُ .

وقال أيضاً : الرَّجُلُ ذُو المَرُوءَةِ يُكْرَمُ عَلَى غَيْرِ مَالٍ كَالْأَسَدِ يُهَابُ وَإِنْ كَانَ
رَأْيِيضًا ، وَالرَّجُلُ الَّذِي لَا مَرُوءَةَ لَهُ يَهَانَ وَإِنْ كَانَ غَنِيًّا كَالْكَلْبِ يَهُونُ عَلَى النَّاسِ
وَإِنْ عَسَى وَطَوَّفَ .

وقال : المَوَدَّةُ بَيْنَ الصَّالِحِينَ سَرِيعٌ اتِّصَالُهَا بَطِيءٌ انْقِطَاعُهَا كَأَنِّيَّةِ الذَّهَبِ الَّتِي
هِيَ بَطِئَةُ الانْكِسَارِ هَيَّئَةِ الإِعَادَةِ ؛ وَالمَوَدَّةُ بَيْنَ الْأَشْرَارِ سَرِيعٌ انْقِطَاعُهَا بَطِيءٌ
اتِّصَالُهَا كَأَنِّيَّةِ الْفَخَّارِ يَكْسِرُهَا أَدْنَى شَيْءٍ ، وَلَا وَصَلَ لَهَا .

وقال : لَا يَرُدُّ بَأْسَ المَدْوَةِ الْقَوَى بِمِثْلِ التَّدْلِيلِ لَهُ ، كَمَا أَنَّ العُشْبَ إِنَّمَا يَسْلَمُ مِنَ
الرِّيحِ المَاصِفِ بِلِينِهِ لَهَا وَإِنْثِنَانِهِ مَعَهَا .

وقال : لَا يُحِبُّ المَذْنِبُ أَنْ يَفْحَصَ عَنْ أَمْرِهِ لِقُبْحِهِ مَا يَسْكَشِفُ عَنْهُ ، كَالشَّيْءِ
الْمُسْتَقْنِ كُلَّمَا أُثِيرَ ازْدَادَ تَقْنُنًا .

وقال أيضاً : مَنْ صَنَعَ مَعْرُوفًا لِمَاجِلِ الْجَزَاءِ فَهُوَ كَمُنْتَقَى الْحَبِّ لِلطَّيْرِ لَا لِيَنْفَعَهَا
بَلْ لِيَصِيدَهَا بِهِ .

وقال أيضاً : المَالُ إِذَا كَانَ لَهُ مَدَدٌ يَجْتَمِعُ مِنْهُ وَلَمْ يُصْرَفْ فِي الْحَقُوقِ أَمْرَعُ إِلَيْهِ
الْهَلَاكُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ ، كَالْمَاءِ إِذَا اجْتَمَعَ فِي مَوْضِعٍ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ طَرِيقٌ إِلَى النِّفُودِ تَفَجَّرَ
مِنْ جَوَانِبِهِ فَضَاعَ .

وقال أيضاً : الْأَدَبُ يُذْهِبُ عَنِ الْعَاقِلِ السُّكْرَ وَيَزِيدُ الْأَهْمَقَ سُكْرًا ، كَالْهَارِ يَزِيدُ
الْبَصِيرَ بَصَرًا وَيَزِيدُ الْخَفَّاشَ سُوءَ بَصَرٍ .

وقد أَحْسَنَ في هذا المعنى جعفر بن محمد رضي الله عنهما ، فقال : الأدبُ عند
الأحمق كاللواء العذب في أصول الحنظل كلما ازدادَ رِيًّا ازدادَ مَرَارَةً .

وقال صاحب كلیلة ودمنة : الدنيا كدودة القز لا تزدادُ إلا بِرِسَمٍ^(١) على نَفْسِهَا
لفاً إلا ازدادت من الخروج بُعْدًا .

وقال : إذا عثر الكريم لم ينتمش إلا بكريم ، كالفيل إذا توحل لم يقلعه إلا الفيلة .
وقال الشاعر في هذا المعنى :

وإذا الكريمُ كَبَتْ به أياؤه لم ينتمش إلا بعطفِ كريم

وقال صاحب كلیلة أيضا : يبقى الصالح من الرجال صالحا حتى يُصاحب فاسدا ؛
فإذا صاحبه فسد ، مثل مياه الأنهار تكون عذبة حتى تُخَالِطَ ماء البحر ، فإذا
خالطته ملحت .

وقال بعضُ الحكماء : الدنيا كالمنجل استواؤها في اعوجاجِها .

وجوه
التشبيه

والتشبيه بعد ذلك في جميع الكلام يجرى على وجوه :

منها تشبيه الشيء بالشيء صورة ؛ مثل قول الله عز وجل : ﴿ والقمرَ قَدَرْنَا ﴾
منازلَ حتى عاد كالعُرْجُونِ^(٢) القديم ﴿ . أخذه ابن الرومي ، فقال في ذم الدهر^(٣) :

تَأْتِي على القَمَرِ السَّارَى نَوَائِبُهُ حتى يُرَى نَاحِلًا في شَخْصِ عُرْجُونٍ
وَأين يقع هذا من لَفْظِ القرآن .

ومن ذلك قولُ امرئ القيس^(٤) :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَأْسًا لدى وَكْرِهَا العُنَابُ والحَشَفُ البَالِي^(٥)

(١) الحرير . (٢) العرجون : العنق عامة ، وقيل : لا يكون عرجونا إلا إذا بيس واعوج .

(٣) ديوانه : ٢٥ . (٤) ديوانه : ٦٤ . (٥) الحشف : أردأ التمر أو الضعيف

لا نوى له أو اليابس الفاسد .

وقوله أيضاً^(١) :

كَأَنَّ عُيُونََ الْوَحْشِ حَوْلَ خِبَائِنَا وَأَرْحُلُنَا الْجَزَعُ^(٢) الَّذِي لَمْ يُثَقِّبْ

وقول عدى بن الرقاع^(٣) :

تُزَجِّجِي أَغْنَى كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا^(٤)
ومنها تشبيه الشيء بالشيء لونا وحسناً ؛ كقول الله عز وجل : ﴿ كَأَنَّهُنَّ
الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴾ . وكقول حميد
ابن ثور :

والليل قدْ ظَهَرَتْ نَجِيرَتُهُ^(٥) وَالشَّمْسُ فِي صَفَرَاءِ كَلُورَسٍ

وكقول الآخر :

قَوْمٌ رِبَاطُ الْخَيْلِ وَسَطَ بِيوتِهِمْ وَأَسِنَّةُ زُرْقٍ يُخَلْنَ نُجُومًا

ومنها تشبيهه به لونا وسبوغاً ، كقول امرئ القيس^(٦) :

وَمَشْدُودَةُ السَّكِّ مَوْضُونَةٌ تَضَاءَلُ فِي الطَّيِّ كَالْمِبْرَدِ^(٧)

يَفِضُ عَلَى الْمَرْءِ أَرْدَانُهَا كَفَيْضِ الْأَنْثَى عَلَى الْجَدِّجِدِ^(٨)

شبهه الدرع بالأنثى في بياضها وسبوغها ؛ لأنها تعمُّ الجسد كما تعمُّ الأنثى
الجدجد إذا تفجَّر فيه ؛ والأنثى : السيل .

ومنها تشبيهه به لونا وصورة ، كقول النابغة^(٩) :

تَجَلُّوْا بِقَادِمَتِي حَمَامَةً أَيْكَةً بَرَدًا أُسِفَ لثَاتُهُ بِالْإِثْمِدِ

(١) ديوانه : ٨٠ . (٢) الجزع : الحزب الباني فيه سواد وبياض .

(٣) اللسان - مادة زجا ، الأغاني : ٩ - ٣١٣ ، الشعر والشعراء : ٦٠١ .

(٤) الروق : القرن . (٥) النخيزة : نسيجة شبه الحزام تكون على القساطيط والبيوت .

(٦) البيت الأول في اللسان مادة سكك منسوباً إلى امرئ القيس . وفي مقاييس اللغة ١ - ٤٠٨ .

البيت الثاني ليس منسوباً ، وليس في ديوانه . (٧) السك : الدرع الضيقة الخلق ، والموضونة :

الدرع المنسوجة أو المغاربة النسج . (٨) الجدجد : الأرض المستوية . (٩) ديوانه : ٣٧ .

كَالْأَفْحَوَانِ غَدَاةَ غَبِّ سَمَائِهِ جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدَى
شَبَّهَ الثَّغَرُ بِالْأَفْحَوَانِ لَوْنًا وَصُورَةً ؛ لِأَنَّ وَرَقَ الْإِفْحَوَانِ صُورَتُهُ كَصُورَةِ
الثَّغَرِ سَوَاءً ، وَإِذَا كَانَ الثَّغَرُ نَقِيًّا كَانَ فِي لَوْنِهِ سَوَاءً .

وكقول امرئ القيس :

جَمْتُ رُدِّيْنِيًّا كَانَ سِنَانُهُ سَنَا لَهَبٍ لَمْ تَنْصِلْ بِدُخَانٍ
وَمَا يَتَضَمَّنُ مَعْنَى اللَّوْنِ وَحْدَهُ قَوْلُ الْأَعَشَى (١) :
وَسَبِيئَةٍ مِمَّا تُعْتَقُ بِأَيْلٍ كَدَمَ الذِّبْيَحِ سَلَبَتُهَا جَرِيَالَهَا (٢)
وقول الشماخ (٣) :

إِذَا مَا اللَّيْلُ كَانَ الصَّبْحُ فِيهِ (٤) أَشَقَّ كَمَفَرَقِ الرَّأْسِ الدَّهَيْنِ
وقول زهير (٥) :

* وَقَدْ صَارَ لَوْنُ اللَّيْلِ مِثْلَ الْأَرَنْدَجِ (٦) *

وقول امرئ القيس (٧) :

وَأَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ مُرَخَّ سُدُوهُ عَلَى بَأْنَوعِ الْهُمُومِ لَيْبَتَلِي
وَفِي هَذَا مَعْنَى الْهَوْلِ أَيْضًا .
وقول كعب بن زهير (٨) :

وَأَيْلَةٍ مُشْتَاقٍ كَانَ نُجُومُهَا تَفَرَّقْنَ مِنْهَا فِي طَيِّالَسَةٍ خُضِرِ
وقول ذى الرمة :

وَلَيْلٍ كِجْلَبَابِ الْعُرُوسِ اذْرَعَتْهُ بَأَرْبَمَةٍ وَالشَّخْصُ فِي الْعَيْنِ وَاحِدٌ

(١) اللسان - مادة جزل ، مقاييس اللغة : ١ - ٤٤٥ . (٢) جريالها : لونها .

(٣) ديوانه : ٩٦ . (٤) في الديوان : * إِذَا الصَّبْحُ شَقَّ اللَّيْلَ عَنْهُ *

(٥) ديوانه : ٣٢٣ . (٦) البيت في الديوان :

زَجَرْتُ عَلَيْهِ حَرَّةَ أَرْحِيَّةٍ وَقَدْ كَانَ لَوْنُ اللَّيْلِ مِثْلَ الْبَرَنْدَجِ

الْأَرَنْدَجُ وَالْبَرَنْدَجُ : جِلْدٌ أَسْوَدٌ . أَوْ السَّوَادُ يَسْوَدُ بِهِ الْخَفُّ .

(٧) ديوانه : ٣٣ . (٨) ديوانه : ٢٥٩ .

وقوله أيضاً^(١) :

وقَدْ لَاحَ لِلسَّارَى الَّذِي كَمَلَ السَّرَى عَلَى أُخْرِيَّاتِ اللَّيْلِ فَتَقَّ مُشَهَّرُ
كَلُونِ الحِصَانِ الْأَنْبِطِ^(٢) الْبَطْنُ قَائِمًا تَمَائِلَ عَنْهُ الْجُلُّ وَاللَّوْنُ أَشْقَرُ

ومنها تشبيهه به حركة ؛ وهو قول عنتره^(٣) :

غَرَدًا يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ قَدَحَ الْمَكِبِّ عَلَى الرِّثَادِ الْأَجْدَمِ

وقول الأعشى :

غَرَاهُ فَرَعَاءُ^(٤) مَضْفُولٌ عَوَارِضُهَا تَمْشِي الْهُوَيْنَا كَمَا يَمْشِي الْوَجِي الْوَجِلُ

وقول الآخر :

كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا مَرُّ السَّحَابَةِ لَا رَيْثٌ وَلَا عَجَلُ

وقول الآخر :

كَأَنَّ أَنْوْفَ الطَّيْرِ فِي عَرَصَاتِهَا خَرَاطِيمُ أَفْلَامٍ تَخُطُّ وَتُجْمِ

ومنها تشبيهه به معنى ، كقول النابغة^(٥) :

فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَالْمَلُوكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُمْ كَوَكَبُ

وقوله^(٦) :

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُنتَأَى عَنْكَ وَاسِعُ

وكقول الآخر :

وَكَالسَّيْفِ إِنْ لَا يَنْتَه لَانَ مَتْنَهُ وَحَدَّاهُ إِنْ خَاشَنَتْهُ خَشِنَانِ

وقول مسلم بن الوليد :

وَإِنِّي وَإِسْمَاعِيلَ يَوْمَ ودَاعِهِ لَكَالْغَمْدِ يَوْمَ الرُّوعِ فَارَقَهُ النَّصْلُ

(١) اللسان - مادة نبط وهما لدى الرمة . وقال في اللسان : شبه بياض الصبح طالماً في احمرار الأفق بفرس أشقر قد مال عنه جله فبان بياض لبطله . (٢) الأنبط : الأبيض البطن والصدر . (٣) الشعر والشعراء : ٢٠٧ ، ديوانه : ١٢٣ . (٤) فرعاء : طويلة الشعر . (٥) ديوانه : ١٧ . (٦) ديوانه : ٧١ .

وقوله :

فَإِنْ أَغْشَى قَوْمًا بَعْدَهُ أَوْ أَرْزَهُمْ فَكَالَوْحِشِ يَدْنِيهَا مِنَ الْآنَسِ الْمَحَلُّ

وقول الآخر :

وَالدَّهْرُ يَقْرَعُنِي طَوْرًا وَأَقْرَعُهُ كَأَنَّهُ جَبَلٌ يَهْوِي إِلَى جَبَلٍ

وقول الآخر :

كَمْ مِنْ فُؤَادٍ كَأَنَّهُ جَبَلٌ أَزَالَهُ عَنْ مَقَرِّهِ النَّظَرُ

وقد يكون التشبيه بغير أداة التشبيه ؛ وهو كقول امرئ القيس ^(١) :

لَهُ أَيُّطَلَا ظَنِّي وَسَاقًا نَعَامَةً وَإِرْخَاءَ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيْبَ تَنَفُّلٍ ^(٢)

هذا إذا لم يُحمَل على التشبيه فسد الكلام ؛ لأنَّ الفرس لا يكون له أيطلا ظني ولا ساقا نعاماً ولا غيره مما ذكره ، وإنما المعنى له أيطلان كأيتلَى ظني وساقان كساقَي نعامة . وهذا من بديع التشبيه ؛ لأنه شبه أربعة أشياء بأربعة أشياء في بيت واحد ، وكذلك قولُ المرقش ^(٣) :

النَّشْرُ مِسْكٌ وَالْوُجُوهُ دَنَاءٌ نِيرٌ وَأَطْرَافُ الْأُكُفِّ عَمَمٌ

فهذا تشبيه ثلاثة أشياء في بيت واحد .

وضرب منه آخر ، ومنه قول امرئ القيس ^(٤) :

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا سُمُوَّ حَبَابِ الْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالٍ

فحذف حرف التشبيه .

ثم نُورِد هاهنا شيئاً من غرائب التشبيهات وبدائنها ، ليكون مادة لمن يريدُ

العمل بِرَسْمِنَا في هذا الكتاب ؛ فن بديع التشبيه قولُ امرئ القيس ^(٥) :

(١) ديوانه ٣٦ . (٢) أيطلا ظي : خاصرتاه . والسرحان : الذئب . وإرخاؤه : مده عنقه

مسترسلا . والتنفل : ولد الثعلب . وتقريبه : جمع يديه ووثبه . (٣) الشعر والشعراء : ١٦٥ .

(٤) ديوانه : ٥٢ . (٥) ديوانه : ٦٤ ، معاهد التنصيص : ٢ - ٣٠ .

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي
فَشَبَّهَ شَيْئَيْنِ بَشَيْئَيْنِ مَفْصَلًا : الرطب بالعناب ، واليابس بالحشف ؛ فجاء في غاية
الجودة .

ومثله قول بشار^(١) :

كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رءُوسِنَا وَأَسْيَافُنَا كَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ
فَشَبَّهَ ظُلْمَةَ اللَّيْلِ بِمُثَارِ النَّقْعِ ، وَالسُّيُوفِ بِالْكَوَاكِبِ .
وَيَتُّ أَمْرِي الْقَيْسَ أَجُودَ ؛ لِأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا أَشَبَّهُ بِالْعُنَابِ
وَالْحَشَفِ مِنَ السُّيُوفِ بِالْكَوَاكِبِ .

ومثل قول النمرى^(٢) :

لَيْلٌ مِنَ النَّقْعِ لَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ إِلَّا جَبِينُكَ وَالْمَذْرُوبَةُ الشُّرْعُ^(٣)
وقول المتأبى^(٤) :

مَدَّتْ سَنَا بَكُهَا مِنْ فَوْقِ أَرْؤُسِهِمْ لَيْلًا كَوَاكِبُهُ الْبَيْضُ الْمَبَاتِيرُ^(٥)
ومن بدیع التشبيه قول الآخر :

نَشَرْتُ إِلَى غَدَائِرًا مِنْ شَمْرِهَا حَذَرَ الْكَوَاشِشِ وَالْعَدْوِ الْمَوْبِقِ
فَسَكَأَنِي وَكَأَنَّمَا وَكَأَنَّهُ صُبْحَانِ بَاتًا تَحْتَ كَيْلٍ مُطْبِقِ

شَبَّهَ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ مَفْصَلَةً .

وقال البحتري^(٦) :

تَبَسُّمٌ وَقُطُوبٌ فِي نَدَى وَوَعَى كَالْفَيْثِ وَالْبَرْقِ تَحْتَ الْعَارِضِ الْبَرْدِ

(١) معاهد التنصيص : ٢ - ٢٨ . (٢) معاهد التنصيص : ٢ - ٣١ ، المختار من

شعر بشار : ١ (٣) المذروبة : المحدودة . والشرع : جمع شراع بالكسر كل ما يشرع :

أى ينصب ويرفع . (٤) المختار من شعر بشار : ١ (٥) سنا بكها : أطرافها . والمباتير :

السيوف القاطعة . (٦) ديوانه : ١٥٢ .

وَأَتَمُّ مَا فِي هَذَا قَوْلُ الْوَأَوَاءِ :

وَأَسْبَلَتْ لَوْلُؤًا مِنْ نَرْجِسٍ فَسَمَتْ وَرَدًّا وَعَصَبَتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرَدِ
فَشَبَّهَ خَمْسَةَ أَشْيَاءَ بِخَمْسَةِ أَشْيَاءَ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ : الدَّمْعُ بِاللَّوْلُؤِ ، وَالْمِيزَانُ بِالنَّجَسِ ،
وَالْخَلْدُ بِالْوَرْدِ ، وَالْأَنَامِلُ بِالْعُنَابِ ؛ لِمَا فِيهِنَّ مِنَ الْخَضَابِ ، وَالْبَغَرُ بِالْبَرَدِ . وَلَا أَعْرِفُ
لِهَذَا الْبَيْتِ ثَانِيًا فِي أَشْعَارِهِمْ .

وقول البحتري ^(١) :

كَالسَّيْفِ فِي إِخْذَامِهِ وَالنَّيْثِ فِي إِرْهَامِهِ وَاللَّيْثِ فِي إِقْدَامِهِ ^(٢)
فَشَبَّهَ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ .

وقلت في مثله :

كَالسَّيْفِ فِي غَمَرَاتِهِ وَالْبَدْرِ فِي ظُلُمَاتِهِ وَالنَّيْثِ فِي أَزْمَاتِهِ
وقال البحتري ^(٣) :

شَقَائِقُ يَحْمِلُنَ النَّدَى فَكَأَنَّهُ دُمُوعُ التَّصَابِي فِي خُدُودِ الْخَرَائِدِ
فَشَبَّهَ شَيْئَيْنِ بِشَيْئَيْنِ .

ومثله قول أبي نواس ^(٤) :

يَا قَرَأَ أَبْصَرْتُ فِي مَأْتَمٍ ^(٥) يَنْدُبُ شَجَوًا بَيْنَ أَتْرَابِ
يَبْكِي فَيَلْقَى الدُّرَّ مِنْ نَرْجِسٍ وَيَلْطِمُ الْوَرْدَ بِعُنَابِ

أَخَذَهُ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ فَقَلَبَهُ هَجَاءً فَقَالَ :

يَا قَرْدَةً أَبْصَرْتُ فِي مَأْتَمٍ تَنْدُبُ شَجَوًا بِتَخَالِيطِ
تَبْكِي فَتَلْقَى الْبَعَرَ مِنْ كُوَّةٍ وَتَلْطِمُ الشُّوكَ بِبِلُوطِ

(١) ديوانه : ٢٥١ . (٢) الخدم : سرعة القطع . أرهمت السماء : أنزلت المطر

الضعيف الدائم . (٣) ديوانه : ١ - ٩٣٦ . (٤) ديوانه : ٣٦١ .

(٥) في الديوان : * يا قرأ أبرزه مأتم *

وَشَبَّهْتُ الْهَلَالَ تَشْبِيهَا يَتَضَمَّنُ صِفَتَهُ مِنْ لَدُنْ هُوَ هَلَالٌ إِلَى أَنْ يَكْمُلَ ، فَقُلْتُ :
وَكَوْسُ إِذَا دَجَا اللَّيْلُ دَارَتْ تَحْتَ سَقْفٍ مَرَصَعٍ بِاللَّجَيْنِ
وَكَأَنَّ الْهَلَالَ مَرَأَةً زَبِيَّةً يَنْجَلِي كُلَّ لَيْلَةٍ إَصْبَعَيْنِ
وَمِنْ بَدِيعِ التَّشْبِيهِ قَوْلُ سَلَمَةَ بْنِ عَبَّاسٍ :

كَأَنَّ بَنِي ذَا لَانَ إِذَا جَاءَ جَمْعُهُمْ فَرَارِيحُ يُلْقَى بَيْنَهُنَّ سَوِيحُ
هَذَا لِدَقَّةِ أَصْوَاتِهِمْ وَعَجَلَةِ كَلَامِهِمْ ، وَقَوْلُهُ :
حَدِيثُ بَنِي قُرْطٍ إِذَا مَا لَقِيَهُمْ كَنَزُوا الدَّابَّ فِي الْعَرْفَجِ الْمُتَقَارِبِ
وَقَالَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ وَهُوَ ابْنُ نَبَاتَةَ فِي فَرَسٍ أَبْلَقٍ أَعْرَ :
وَكَأَنَّمَا لَطَمَ الصَّبَاحُ حَبِيبَتَهُ فَاقْتَصَّ مِنْهُ نَخَاصَ فِي أَحْشَائِهِ
وَقَالَ آخَرُ :

* لَيْلٌ يَجُرُّ مِنَ الصَّبَاحِ ذَلَالًا ^(١) *

وَمِنْ مَلِيحِ التَّشْبِيهِ وَبَدِيعِهِ قَوْلُ ابْنِ الْمَعْتَرِ ^(٢) :
وَالصَّبْحُ يَتَلَوُ الْمُشْتَرَى فَكَأَنَّهُ غُرْيَانُ يَمْشِي فِي الدَّجَى بِسَرَّاجِ
وَقَوْلُهُ فِي صِفَةِ فَرَسٍ ^(٣) :
وَمُحَجَّلٌ غَيْرُ الْيَمِينِ كَأَنَّهُ مُتَبَخَّرٌ يَمْشِي بِكُمْ مُسْبَلِ
وَقَالَ أُعْرَابِي :

بَغَزَوْ كَوْلَجَ الذُّبَّ غَايَ وَرَأْمِجَ وَسَيَّرَ كَصَدْرِ السَّيْفِ لَا يَتَعَرَّجِ
وَقَوْلُ ابْنِ الرِّقَاعِ ^(٤) :

تُرْجَى أَغْنَى كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْفِهِ قَلَمُ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا

(١) الذَّلَالُ : أَسَافِلُ الْقَمِيمِ الطَّوِيلِ . (٢) دِيَوَانُهُ : ٢ - ٧٤ .

(٣) دِيَوَانُهُ : ١٢٦ . (٤) الشَّعْرُ وَالشَّعْرُ : ٦٠١ .

وقول الطرمّاح :

يبدو وتضمّره البلاد كأنه سيفٌ على شرفٍ يُسلُّ ويغمدُ
وقول ذي الرمة في الحرباء^(١) :

ودويّة جرّاء جدّاء خيّمَتْ بها هبوات الصيف من كل جانب^(٢)
كأنّ يدَي حِربائها متملّماً يدا مُذنبٍ يستغفر الله تائبٍ
وقوله فيها^(٣) :

وقد جعلَ الحِرباءَ يصفرّ لونه وتخضرّ من حرّ الهجير غباغبه
ويسبحُ بالكفّين حتّى كأنه أخو فجرةٍ على به الجذع صالبه
أخذه البحرى ، فقال^(٤) :

فترأه مطرّداً على أعواده مثلَ اطرّادِ كواكبِ الجوزاء
مستشرقاً للشمس منتصباً لها فى أخرياتِ الجذع كالحِرباءِ
وقال ذو الرمة^(٥) :

يصلّى بها الحِرباءُ للشمس ما نلّا على الجدَلِ^(٦) إلّا أنه لا يُكَبّرُ
إذا حوّل الظلّ العشى رأيتَه خنيفاً وفى قرن الضحى يتنصّرُ

الحِرباء : دويّة كالعظاية تأتى شجرة تعرف بالتنضبة^(٧) فتمسك بيديها
غصنين منها ، وتقابل بوجهها الشمس ، فكيفها دارت الشمس دارت معها ، فإذا
غربت الشمس نزلت فرعت .. والحرباء ، فارسية معربة ؛ وإنما هي خرباء ؛ أى حافظ
الشمس ، والشمس تسمى بالفارسية خرب ؛ وقد ملّح ابن الرومى فى ذكرها حيث يقول
فى قينّة :

(١) ديوانه : ٥٨ ، ٥٩ . (٢) الدوية : الفلاة الواسعة . والجرداء : التى لا نبات فيها .
والهبوات : جمع هبوة بالفتح : الغبرة . والجداء : التى لا نبات فيها . (٣) اللسان (غيب) ،
وديوانه : ٤٧ . (٤) ديوانه : ١ - ٥ . (٥) ديوانه : ٢٢٨ .
(٦) الجدَل : أصل الشيء الباقي من الشجرة . (٧) التنضبة : واحدة التنضب ، شجر
له شوك قصار وليس من شجر الشواقي تألفه الحرابى .

ما بالها قد حسنت ورقمها أبدأ قبيح، قبح الرقباء
 ما ذاك إلا أنها شمس الضحى أبدأ يكون رقيبها الحرباء
 وقال ابن الرومي أيضاً في مصلوب :
 كم بأرض الشّام غادرت منهم غاراً موفياً على أهل نجد
 يلعب الدّستبند فرداً وإن كان له شاغل من الدّستبند^(١)
 وقال ابن المعتز^(٢) :
 وقد علا فوق الهلال كرته كهامة الأسود شابت لحيته
 وقال^(٣) :
 ورأسه كمثل فرق قد مطر وصدغه كالصّولجان المنكسر^(٤)
 ومن بديع التشبيه قول الآخر :
 بيضاء تسحب من قيام فرعها وتغيب فيه وهو جثل أسحج^(٥)
 فكانها فيه نهار ساطع وكأنه ليل عليها مظلم
 ومن بديعه قول مسلم :
 أجذك ما تدري أن ربّ ليلة كأن دجأها من قرونك تنشر
 وقول الفرزدق^(٦) :
 والشيب ينهض في الشّباب كأنه ليل يصيح بجانيه نهار
 وقلت :
 شمس هوت وهلال الشهر يتجمها كأنها سافرة قدام منتقب

(١) الدستبند: لعبة للمجوس يدورون وقد أمسك بعضهم يد بعض كالرقص، العرب ص ٢٣٧

(٢) ديوانه : ٢ - ١١٠ . (٣) ديوانه : ٢ - ١٠٣ .

(٤) الفرق - بالسكون : الطائر . والصولجان : المحجن . (٥) الجثل : الكثير المتلف .

من فرعها أي شعرها : والأسحج : الأسود . (٦) ديوانه : ٦٧ .

تبدو الثريا وأمر الليل مُجْتَمِعٌ كأنها عقربٌ مقطوعةُ الذنبِ

وقلت :

تلوحُ الثريا والظلامُ مقطَّبٌ فيضحك منها عن أغرِّ مفلجٍ
تسير وراءَ الهلالِ أمامها كما أواماتُ كفٍّ إلى نصفِ دُمْلَجٍ

وقال عبد الله بن المعتز :

أهلاً وسهلاً بالناي والعودِ وكأسِ ساقٍ كالغصنِ مَقْدُودِ
قد انقضتْ دولة الصيام وقد بشرَّ سقمُ الهلالِ بالعيدِ

وقال آخر :

تبدو الثريا كفأغرٍ شرِّه يفتحُ فاهُ لأكلِ عُنْقُودِ^(١)

قال أبو الحرث : جيز فلان كالمشجب^(٢) من حيث لقيته « لا » ، فقال

أبو العبر :

لو كنتَ من شيءٍ خلافاً لم تكنِ لتكونَ إلا يشجباً في مشجبِ
يا ليت لي من جلد وجهك رُقعةً فأقدَّ منها حافراً للأشهبِ

وقال بمض الحكاء : العقل كالسيف والنظر كالِمَسَنِّ . ونظر عبادةٍ إلى سوداء

تبكي ، فقال : كأنها تنورُ شنانٍ يَكِفُ ؛ فنظمته وقلت :

سوداء تَدْرِفُ دَمْعُها مثلُ الأثُونِ إذا وكفُ

وقال ابن المعتز :

وكانَّ عقرباً صدغُه وقفتُ لما دنتُ من نارِ وجنتِه

وقلت :

كانَّ نهوض النجم والأفق أخضرُ تَبْلِجُ ثَمَرِه تحت خضرةِ شاربِ

(١) الفأغر : من فغر فمه إذا فتحه . والشره : الشديد الحرص على الطعام .

(٢) المشجب : خبيبات موثقة منصوبة توضع عليها الثياب وتنشر .

وقال أوس بن حجر^(١) :

حتى تلفَ بدورِكم وقصوركم
جَمَعُ كَنَاصِيَةَ الحِصَانِ الأشقرِ
وقلت :

بكرنا إليه والظلامُ كأنه
غرابٌ على عُرفِ الصُّباحِ يُرْتَقِ^(٢)
وقلت :

إذا التوى الصُّدُغُ فوقَ وجنته
رأيتَ تفاحةً بها عَضَّةُ
وقلت :

والغيمُ يأخذه ريحٌ فتنفسه
كالقطنِ يندَفِ في زُرْقِ الدِّبَاجِ^(٣)
وقلت :

وقهوة من يد المغنوج صافية
كأنها عصرت من خد مغنوج
وقلت :

قم بنا نذعر الهموم بكأسٍ
وقد انجرت المجرة فيه
والثريا لمفرق الليل تاجُ
كسبيب^(٤) يمدّه نساجُ
وقلت :

وكانَّ النجومَ والليلُ داجٍ
نقشُ عاج يلوحُ في سَقَفِ ساجٍ
وقلت :

كان السَّمِيرِيَّاتِ فيه عقارب
تجىء على زرق الزجاج وتذهب
وقلت :

فأذريت دما بالدماء مُصَبَّعًا
وقد باشر الليل الصُّباحَ كأنه
كما يتواهى عَقْدُ عَقْدٍ مُنَسَّقٍ
بقية كُحْلٍ في كَهَالِقٍ أزرَقٍ
وهذا الجنس كثير ، وفيما أوردته كفاية إن شاء الله .

(١) ديوانه ١٠ ، والرواية فيه :

حتى تلف نخيلهم وزروعهم

(٢) الترنيق : رفرقة جناح الطائر . (٣) في الأصول : « الدوابيج » تصحيف ، والدبابيج

(٤) السبيب : شقة كتان رقيقة .

جمع ديباج ، وهو الثوب المتخذ من الإبريسم .

الفَصْلُ الثَّانِي

في البيان عن قُبْحِ التشبيه وعيوبه

والتشبيه يقيح إذا كان على خلاف ما وصفناه في أول الباب ، من إخراج الظاهر فيه إلى الخافي ، والكشوف إلى المستور ، والكبير إلى الصغير ، كما قال النابغة^(١) :

تَخْدِي بِهِمْ أَدَمَ كَأَنَّ رِحَالَهَا . عَلَقَ أَرِيْقَ عَلَى مَتُونِ صَوَارِ^(٢)

وقال لبید^(٣) :

نَعْمَةً ذَفَرَاءَ تُرْتَى بِالْعُرَى قُرْدُمَانِيًّا وَتَرَكَّا كَالْبَصْلِ^(٤)

وقال خُفَّافُ بْنُ نُدْبَةَ :

أَبَقِيَ لَهَا التَّمَدُّاءُ مِنْ عَتَدَاتِهَا وَمَتُونِهَا نَخِيوْطَةُ الْكِتَانِ

العتدات : القوائم ، والمتون : الظهور ؛ يقول : دقت حتى صارت متونها وقوائمها كالخيوط ، وهذا بعيد جدا . ومثل هذا محمود غير معيب عند أصحاب الغلو ومن يقول بفضله .

وإذا شبه أيضاً صغيراً بكبير وليس بينهما مقاربة فهو معيب أيضاً ، كقول ساعدة ابن جُوَيْة :

كَسَّاهَا رَطِيبُ الرِّيشِ فَاعْتَدَلَتْ لَهَا قِدَاحٌ كَأَعْنَاقِ الظُّبَاءِ الْفَوَارِقِ

شبه السهام بأعناق الظباء وليس بينهما شبه . ولو وصَّفها بالدقة لكان أولى .

(١) ديوانه : ٤٤ . (٢) تخدى : من الخدى ، وذلك سرعة السير من البعير وغيره معزج قوائمه . والأدم : الإبل التي في لونها أدمة . والعلق : الدلو . والمتن : الظهر ، والصوار : بالكسر والضم : القطيع من البقر . (٣) اللسان (قردم ، رتي ، ترك) .

(٤) الرتو : الشدة ، والقردمانية : الدروع الغليظة ، والترك : جمع تريكة ، وهي بيضة الحديد للرأس .

ومن معيب التشبيه قول بشر :

وجرّ الرامساتُ بها ذيولاً كأن شملها بعد الدبور^(١)
رماد بين أظفار ثلاثٍ كما وشم النواشرُ بالنؤور^(٢)
فشبه الشمال والدبور بالرماد .

ومن خطأ التشبيه قول الجعدى :

* كأن حجاج مقلتها قليبٌ *

والحجاج: العظم الذى ينبت عليه شعر الحاجب . وليس هذا مما يغور؛ وإنما تغور العين .

ومن التشبيه الكريه المتكلف قول زهير^(٣) :

فزلّ عنها ووَاقَى رأس مَرْقِيَةٍ كَمَنْصِبِ الْعَتْرِ دَمَى رَأْسِهِ النَّسْكَ^(٤)
ومن التشبيه الردىء اللفظ قول أوس بن حجر^(٥) :

كأن هراً جنياً تحت غُرَضِهَا^(٦) والتف ديكٌ برجليها وخزيرُ
وأعجب من هذا قول بشار :

* وبمض الجود خزير *

ومن بعيد التشبيه قول أعرابي :

وما زلتَ ترجو نيلَ سلمى وودها وتبعد حتى ابيض منك المسايح^(٧)
ملاً حاجبك الشيبُ حتى كأنه طباء جرت ، منها سنيحٌ وبارحُ
فشبه شعرات بيضاً فى حاجبيه بظباء سوانح وبوارح . وقال أبو تمام^(٨) :
كأننى حين جرّدت الرجا له عَصْبٌ صبيت به ماءً على الزمن

(١) الرامسات : الرياح الدوافن للآثار ، ومثله الروامس .

(٢) الأظفار : جمع واحد ظأر - بالفتح ، وهو المثل . والنؤور : دخان الشحم يعالج به الوشم

ليخضر . (٣) ديوانه : ١٧٨ . (٤) زل : سقط . والمنصب : الحجر . والعتر :

الذى يذبح فى رجب ، والنسك : جمع نسيكة ، وهو ما يذبح عليه . ورأسه : رأس الحجر .

(٥) الشعر والشعراء : ١٥٩ (٦) الفرضة : حزام الرجل .

(٧) المسايح : جوانب الرأس . (٨) ديوانه ١ : ٣٣٤ .

ولا يكاد يرى تشبيه أبرد من هذا .
وكتب آخر إلى أخ له يعتذر من ترك زيارته : قد طلعت في إحدى أنثي بثرة ،
فعمظمت حتى كأنها الرمانة الصغيرة .
وقال على الأسواري : فلما رأيتُه اصفرَّ وجهي حتى صار كأنه لون الكشوث^(١) .
وقال له محمد بن الجهم : كم آخذ من الدواء الذي جئت به ؟ قال : مقدار بكرة .
فجاء بلفظ قدر ، ولم يُبين عن المراد ؛ لأن البعر يختلف في الكبر والصغر ، ولا يعرف
أبكرة ظبي أراد أم بكرة شاة أم بكرة جمل .
ومن التشبيه المتنافر قول الجاني يصف ليلاً :
كأنما الطرف يرى في جوانبه عن العمى وكأن النجم قنديل
اجتماع العمى والقنديل في غاية التنافر :
ومن ردء التشبيه قول ابن المعتز :
أرى ليلاً من الشعر على شمس من الناس
الجمع بين الليل والناس ردء . وقد وقع هاهنا بارداً .

(١) الكشوث : نبات يجث مقطوع الأصل ، وقيل : لا أصل له وهو أصفر يتعلق بأطراف الشوك .

البَابُ الثَّامِنُ

في ذكر السجع والازدواج

لا يحسنُ منشور الكلام ولا يحلُّو حتى يكون مزدوجاً ، ولا تكاد تجدُ بليغاً كلاماً يخلو من الازدواج ، ولو استغنى كلام عن الازدواج لكان القرآن ؛ لأنه في نظمه خارج من كلام الخلق ، وقد كثر الازدواج فيه حتى حصل في أوساط الآيات فضلاً عما تراوج في الفواصل منه^(١) . كقول الله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ الْأَرْضَ وَجَمَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ . وقوله عز وجل : ﴿ أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَأْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ وَلَسْتُ بِأَخْذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ . إلى غير ذلك من الآيات .

وأما ما زُوج بينه بالفواصل فهو كثير . مثل قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ، وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَب ﴾ . وقوله سبحانه : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ . وقوله عز وجل : ﴿ وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ . وقوله جل ذكره : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ ؛ وهذا من المطابقة التي لا تجد في كلام الخلق مثلها حسناً ولا شدة اختصار ؛ على كثرة المطابقة في الكلام . وكذلك جميع ما في القرآن مما يجري على التسجيع والازدواج مخالف في تمكين المعنى ، وصفاء اللفظ ، وتضمن الطلاوة والماء لما يجري مجراه من كلام الخلق . ألا ترى قوله عز اسمه : ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا فَأَمْرُنَ بِهِ نَفْعًا فَوْسَطُنَ بِهِ سَجْمًا ﴾ قد بان عن جميع أقسامهم الجارية هذا المجرى ، من مثل قول

(١) في ١ « بالفاصل منه » .

الكاهن : والسماء والأرض ، والقرض والقرض ، والغمر والبرض^(١) . ومثل هذا من السجع مذموم لما فيه من التكلف والتعسف . ولهذا ما قال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل ، قال له : أُنْدَى^(٢) من لا شرب ولا أكل ، ولا صاح ، فاستهل ، فثقل ذلك يُطَلَّ^(٣) : أسجماً كسجع الكهان ! لأن التكلف في سجعهم فاش ، ولو كرهه عليه الصلاة والسلام لكونه سجماً لقال : أسجماً ؛ ثم شكت ، وكيف يذمه ويكرهه ، وإذا سلم من التكلف ، وبرئ من التعسف لم يكن في جميع صنوف الكلام أحسن منه .

وقد جرى عليه كثير من كلامه عليه السلام ؛ فمن ذلك ما حدثنا به يوسف الإمام بواسط ، قال حدثنا محمد بن خالد بن عبد الله أبو شهاب عن عوف عن زرارة ابن أوفى عن عبد الله بن سلام ، قال : لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة أنجفل الناس قبله ؛ فقيل : قدم رسول الله ، فجئت في الناس لأنظر إليه . فلما تبينت وجهه عرفت أنه ليس بوجه كذاب ، فكان أول شيء تكلم به أن قال : « أيها الناس ؛ أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل ، والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام » .

وكان صلى الله عليه وسلم ربماً غير الكلمة عن وجهها للموازنة بين الألفاظ وإتباع الكلمة أخواتها ؛ كقوله صلى الله عليه وسلم : « أعيذُ من الهامة ، والسمامة ، وكل عين لامة » . وإنما أراد « مُلَمَّة » . وقوله عليه السلام : « ارجعن مأزورات ، غير مأجورات » . وإنما أراد « موزورات » ، من الوزر . فقال : مأزورات ، لمكان مأجورات ، قصداً للتوازن وصحة التسجيع .

فكل هذا يؤذن بفضيلة التسجيع على شرط البراءة من التكلف والخلو من التعسف .

(١) البرض : القليل وماء برض قليل وهو خلاف الغمر . (٢) أُنْدَى ، من الدبة وذلك

حق القليل . (٣) يطل ؛ من طل دمه ؛ إذا أهدره . (والعبارة في نقد النثر ١٠٧)

وقد اعتمد في موضع تجنب السجع وهو معرض له ، وكلامه كان يطالبه . فقال : «وما يدريك أنه شهيد ، لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ، ويخل بما لا ينفعه» . ولو قال : بما لا يعنيه ، لكان سجعا . والحكيم العليم بالكلام يتكلم على قدر المقامات ، ولعل قوله : « ينفعه » كان أليق بالمقام فعدل إليه .

والسجع على وجوه : فمنها أن يكون الجزآن متوازنين متعادلين ، لا يزيد أحدهما على الآخر ، مع اتفاق الفواصل على حرف بعينه . وهو كقول الأعرابي : سنة جردت ، وحال جهدت ، وأيد جمدت ، فرحم الله من رحم ، فأقرض من لا يظلم . فهذه الأجزاء متساوية لا زيادة فيها ولا نقصان ، والفواصل على حرف واحد . ومثله قول آخر من الأعراب ، وقد قيل له : من بقي من إخوانك ؟ فقال : كلب نابج ، وحمار رامح ، وأخ فاضح . وقال أعرابي لرجل لثيما : نزلت بواد غير ممطور ، وفناء غير مغمور ، ورجل غير مسرور ؛ فأقم بندم ، أو ارتحل بدم . ودعا أعرابي ، فقال : اللهم هب لي حَقَّك ، وأرض عني خلقك . وقال آخر : شهادات الأحوال ، أعدل من شهادات الرجال . ودعا أعرابي ، فقال : أعوذ بك من الفقر إلا إليك ، ومن الدُّلِّ إلا لك . وقال أعرابي ذهب بابنه السيل : اللهم إن كنت قد أبليت ، فإنك طالسا عافيت . وقيل لأعرابي : ما خير العنب ؟ قال : ما اخضرَّ عودُه ، وطال عموُدُه ، وعظم عتقوده . وقال أعرابي : باكرنا وسمي ، ثم خلفه ولي^(١) . فالأرض كأنها وشى منشور ، عليه لؤلؤ منشور ، ثم أتننا غيوم جراد ، بمناجل حصاد ، فاحترت البلاد ، وأهلك العباد ، فسبحان من يهلك القوى الأكل ، بالضعيف المأكول .

وجوه
السجع

فهذه الفصول متوازية لا زيادة في بعض أجزائها على بعض ، بل في القليل منها ،

(١) الوسمى : مطر الربيع الأول ، والولى : المطر بعد المطر .

وقليل ذلك مغتفر لا يمتدّ به . فمن ذلك قوله : « فسبحان مَنْ يهلك القوى الأَكول »
فيه زيادة على ما بعده وهو حسن .

ومنها أن يكون ألفاظُ الجزأين المزدوجين مسجوعة ، فيكون الكلام سَجَمًا
في سجع ، وهو مثل قول البصير : حتى عاد تمريضُك تصريحًا ، وتمريضُك تصحيحًا .
فالتعريض والتمريض سجع ، والتصریح والتصحيح سجع آخر ، فهو سجع في سجع ؛
وهذا الجنس إذا سَلِمَ من الاستكراه فهو أَحْسَنُ وجوه السجع . ومثله قول صاحب :
لكنه محمد للشوق فأجرى جياده غُرًّا وقرحًا^(١) ، وأورى زناده قدحا فقدحا . وقوله :
هل من حق الفضل تهضمه شغفا ببلدتك ، وتظلمه كلفا بأهل جلدتك . وقوله :
وقد كتبتُ إلى فلان ما بوجز الطريق إلى تخليّة نفسه ، ويُنجز وعد الثقة في فك
حبسه ؛ فهذان الوجهان من أعلى مراتب الازدواج والسجع .

والذى هو دونهما : أن تكون الأجزاء متعادلة ، وتكون الفواصل على أحرف
متقاربة الخارج إذا لم يمكن أن تكون من جنس واحد ، كقول بعض الكتّاب :
إذا كنت لا تُؤثّر من نقص كرم ، وكنت لا أوتى من ضعف سبب ؛ فكيف
أخاف منك خيبة أمل ، أو عدولا عن اغتفار زلل ، أو فتورا عن لم شعث ،
أو قصورا عن إصلاح خلل . فهذا الكلام جيّد التوازن ولو كان بدل « ضعف سبب »
كلمة آخرها ميم ليكون مضاهيا لقوله : « نقص كرم » لكان أجود ؛ وكذلك القول
فيما بعده .

والذى ينبغى أن يستعمل في هذا الباب ولا بدّ منه هو الازدواج ، فإن أمكن
أن يكون كل فاصلتين على حرف واحد ، أو ثلاث ، أو أربع لا يتجاوز ذلك كان
أحسن ؛ فإن جاوز ذلك نسب إلى التكلف . وإن أمكن أيضا أن تكون الأجزاء
متوازنة كان أجمل ، وإن لم يكن ذلك فينبغى أن يكون الجزء الأخير أطول ، على أنه

(١) الفر : جمع أغر ، وهو الحصان يكون في وجهه بياض . الترح : جمع أفرح ، وهو

ما كان في وجهه بياض دون الغرة .

قد جاء في كثير من ازدواج الفصحاء ما كان الجزء الأخير منه أقصر ، حتى جاء في كلام النبي صلى الله عليه وسلم منه شيء كثير . كقوله للأَنْصار يُفَضِّلُهُمْ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ : « إِنْكُمْ لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الْفَزَعِ ، وَتَقْلُونَ عِنْدَ الطَّمَعِ » . وقوله صلى الله عليه وسلم : « رَحِمَ اللَّهُ مَنْ قَالَ خَيْرًا فَعَنِمَ ، أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ » . وكقول أعرابي : فلان صحيح النسب ، مستحکم السبب ، من أى أقطاره أُنَيْتَهُ أَتَى إِلَيْكَ بِحَسَنِ مَقَالٍ ، وَكَرَمِ فِعَالٍ . وقال آخر من الأعراب : اللهم اجعل خير عملى ما ولىَّ أجلي .

وينبغى أيضاً أن تكون الفواصل على زينة واحدة ، وإن لم يمكن أن تكون على حرف واحد ، فيقع التماثل والتوازن ، كقول بعضهم : اصْبِرْ عَلَى حَرِّ الْقَمَاءِ ، وَمَضَضُ النَّزَالِ ، وَشِدَّةُ الْمِصَاعِ^(١) ، ومداومة المراس . فلو قال : على حَرِّ الْحَرْبِ ، وَمَضَضُ الْمَنَازِلَةِ ، لبطل رَوْنَقُ التَّوْازُنِ ، وذهب حسنُ التَّعَادُلِ .

ومن عيوب الازدواج التجميع ؛ وهو أن تكون فاصلة الجزء الأول بعيدة المشاكلة لفاصلة الجزء الثانى ؛ مثل ما ذكر قدامة : أن كاتباً كتب : وصل كتابك فوصل به ما يستميد الحرّ ، وإن كان قديم العبودية ، ويستغرق الشكر ، وإن كان سالفٌ ودك لم يبق منه شيئاً ؛ فالعبودية بعيدة عن مشاكلة منه .

ومن عيوبه التطويل ؛ وهو أن تجيء بالجزء الأول طويلاً ، فتحتاج إلى إطالة الثانى ضرورة ، مثل ما ذكر قدامة : أن كاتباً كتب فى تمزية : إذا كان للمحزون فى لقاء مثله أكبر الراحة فى العاجل... فأطال هذا الجزء وعلم أن الجزء الثانى ينبغى أن يكون طويلاً مثل الأول وأطول ، فقال : وكان الحزن راتباً إذا رجع إلى الحقائق وغير زائل . فأتى باستكراه ، وتكلفٍ عجيب .

وقد أعجب العرب السجع حتى استعملوه فى منظوم كلامهم ، وصار ذلك الجنس

(١) المصاع : القتال والمجادة .

من الكلام منظوماً في منظوم ، وسجماً في سجع . وهذا مثل قول امرئ القيس^(١) :

* سَلِيمُ الشَّظَى عَيْلُ الشَّوَى شَنِجُ النَّسَا^(٢) *

وقوله^(٣) :

وأوتاده ماذية وعماده رَدِينَةٌ فيها أسنة قَعُضِبِ^(٤)

وقوله^(٥) :

فَتَوَرُّ الْقِيَامُ قَطِيعُ الْكَلَامِ يَفْتَرُ عَنْ ذِي غُرُوبٍ خَصِرِ^(٦)

. وسمى أهل الصنعة هذا النوع من الشعر المَرَصَّع ، وستره في موضعه مشروحاً مستقصى إن شاء الله تعالى .

•

(١) ديوانه : ٦٥ ، وبقية :

* له حجبات مشرفات على العالي *

(٢) الشظى : عظم لاصق بالذراع فإذا زال قيل شظيت الذابة . والشوى : اليدان والرجلان .

والشنج : التقبض . والنسا : عرق في الفخذ . (٣) ديوانه : ٧٩ (٤) المناذية :

الدروع البيض . والردينية : الرماح . وقعضب : رجل كان في الجاهلية يصنع الرماح .

(٥) ديوانه : ٨ . (٦) القروب : حدة الأسنان وماؤها : والخاصر : البارد .

البَابُ الثَّانِي

في شرح البديع ، وهو خمسة وثلاثون فصلا

الفصل الأول في الاستعارة والمجاز ، الفصل الثاني في التطبيق ، الفصل الثالث في التجنيس ، الفصل الرابع في المقابلة ، الفصل الخامس في صحة التقسيم ، الفصل السادس في صحة التفسير ، الفصل السابع في الإشارة ، الفصل الثامن في الأرداف والتوابع ، الفصل التاسع في المماثلة ، الفصل العاشر في الغلو ، الفصل الحادي عشر في المبالغة ، الفصل الثاني عشر في الكناية والتعريض ، الفصل الثالث عشر في العكس والتبديل ، الفصل الرابع عشر في التذييل ، الفصل الخامس عشر في الترصيع ، الفصل السادس عشر في الإيغال ، الفصل السابع عشر في التزئيع ، الفصل الثامن عشر في رد الأعجاز على الصدور ، الفصل التاسع عشر في التكميل والتميم ، الفصل العشرون في الالتفات ، الفصل الحادي والعشرون في الاعتراض ، الفصل الثاني والعشرون في الرجوع ، الفصل الثالث والعشرون في تجاهل العارف ، الفصل الرابع والعشرون في الاستطراد ، الفصل الخامس والعشرون في جمع المؤنثات والمختلف ، الفصل السادس والعشرون في السلب والإيجاب ، الفصل السابع والعشرون في الاستثناء ، الفصل الثامن والعشرون في المذهب الكلامي ، الفصل التاسع والعشرون في التشطير ، الفصل الثلاثون في المحاورة ، الفصل الحادي والثلاثون في الاستشهاد والاحتجاج ، الفصل الثاني والثلاثون في التعطف ، الفصل الثالث والثلاثون في المضاعف ، الفصل الرابع والثلاثون في التطريز ، الفصل الخامس والثلاثون في التلطف .

فهذه أنواع البديع التي ادّعى مَنْ لا رواية له ولا دراية عنده أن المحدثين ابتكروها وأن القدماء لم يعرفوها ؛ وذلك لما أراد أن يفخّم أمر المحدثين ؛ لأن هذا النوع من الكلام إذا سلم من التكلف ، وبرئ من العيوب ، كان في غاية الحسن ، ونهاية الجودة .

وقد شرحت في هذا الكتاب فنونه ، وأوضحت طرقة ، وزدت على ما أورده المتقدمون ستة أنواع : التشطير ، والمحاورة ، والتطريز ، والمضاعف ، والاستشهاد ، والتلطف . وشدت على ذلك فضل تشذيب ، وهذبته زيادة تهذيب ، وبالله أستعين على ما يُزَلّفُ لديه ، ويستدعى الإحسان من عنده . وهو تعالى وليه وموليه إن شاء الله .

الفَصِيلُ الْأَوَّلُ

في الاستعارة والمجاز

الاستعارة والغرض منها : نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض ، وذلك الغرض إما أن يكون شَرْحُ المعنى وفضل الإبانة عنه ، أو تَأْكِيدُه والمبالغة فيه ، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ ، أو تحسين المعرض الذي يبرز فيه ؛ وهذه الأوصاف موجودة في الاستعارة المصيبة ؛ ولولا أن الاستعارة المصيبة تتضمن مالا تتضمنه الحقيقة ؛ من زيادة فائدة لكانت الحقيقة أولى منها استعمالاً .

والشاهد على أن للاستعارة المصيبة من الموقع ما ليس للحقيقة أن قول الله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴾ أبلغ وأحسن وأدخل مما قصد له من قوله لو قال : يوم يكشف عن شدة الأمر ، وإن كان المعنيان واحداً ؛ ألا ترى أنك تقول لمن تحتاج إلى الجد في أمره : شتر عن ساقك فيه ، واشدُّ حيازيمك له ؛ فيكون هذا القول منك أوكد في نفسه من قولك : جدّ في أمرك ، وقول دريد بن الصمة^(١) :

كَمِيشُ الْإِزَارِ خَارِجٌ نَصْفُ سَاقِهِ صَبُورٌ عَلَى الْمَرْءِ طَلَّاعٌ أَنْجِدُ^(٢)
وقال الهذلي^(٣) :

وَكُنْتُ إِذَا جَارِي دَعَا لِمَضُوفَةٍ اشتر حتى ينصف الساقَ مَزَرِي
ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ ، ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ ؛ وهذا أبلغ من قوله سبحانه : ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ ؛ وإن كان في قوله : وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا أنفي لقليل الظلم وكثيره في الظاهر . وكذا قوله تعالى : ﴿ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾

(١) ديوان الحماسة : ٢ - ٣٠٨ (شرح التبريزي) .

(٢) كيش الإزار : قصيره . وطلاع أنجد : ضابط للأمر غالب لها .

(٣) ديوان الهذليين : ٣ - ٩٢ . المضوفة ، أي أمر ضافه ، أي نزل به وشق عليه .

أبلغ من قوله تعالى : ﴿ مَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا ﴾ ، وإن كان هذا أنفى لجميع ما يملك في الظاهر . وتقول العرب : ما رزأه زبالا . والزبال : ما تحمله النحلة بفيها ؛ يريدون ما نقصته شيئا . وقال النابغة ^(١) :

يجمع الجيش ذَا الْأَلُوفِ وَيَعْدُو مُنَّمٌ لَا يِرْزَأُ الْعَدُوَّ فِتِيلًا ^(٢)

ولو قلت أيضاً : ما يملك شيئا البتة ، وما يظلمون شيئا لما عمل عمل قولك : ما يملكون قطميرا . ولا يظلمون نقيرا ^(٣) ؛ وإن كان في الأول ما يؤكد من قولك : البتة ، وأصلا . كذا حكاه لي أبو أحمد عن أبيه عن عسل بن ذكوان . وليس يقتضى هذا أنهم يظلمون دون النقيير ، أو يملكون دون القطمير ؛ بل هو نفى لجميع الملك والظلم ، لا يشك في ذلك من يسمعه .

وفضل هذه الاستعارة وما شاكلها على الحقيقة أنها تفعل في نفس السامع مالا تفعل الحقيقة ؛ ومن غير هذا النوع قوله تعالى : ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ ﴾ معناه سنقصد ؛ لأنَّ القصد لا يكون إلا مع الفراغ ، ثم في الفراغ هاهنا معنى ليس في القصد وهو النوع والتهديد : ألا ترى قولك : سأفرغ لك ، يتضمن من الإبعاد مالا يتضمنه قولك : سأقصدك . وهكذا قوله تعالى : ﴿ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾ ؛ أى لا تسمى شيئا ، لأن المكان إذا كان خاليا فهو هواء حتى يشغله شيء . وقولك : هذا أوجز من قولك : لا تسمى شيئا ، فلا يجازه فضل الحقيقة . وكذلك قوله تعالى : ﴿ أَعْرَبْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ ، معناه أطلعنا عليهم . والاستعارة أبلغ ؛ لأنها تتضمن غفلة القوم عنهم حتى اطلعوا عليهم ، وأصله أن من عثر بشيء وهو غافل نظر إليه حتى يعرفه ، فاستمير الإعثار مكان التبيين والإظهار . ومنه قول الناس : ما عثرت من فلان على سوء قط ؛ أى ما ظهرت على ذلك منه .

(١) ديوانه : ٩٠ (٢) الفتل : ما كان في شق النواة .

(٣) القطمير : الفشرة الرقيقة على النواة . والنقيير : السكنة في النواة .

ومنه قوله عز اسمه : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾ ؛ فاستعمل النور مكان الهدى ، لأنه أبين ، والظلمة مكان الكفر لأنها أظھر . وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ ، وأصل الوزر ما حمّله الإنسان على ظهره . ومن ذلك قوله عز وجل : ﴿ وَلَكِنَّا مُحْمِلُنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا ﴾ أى أحمالا من حلّيمهم ، فذكر الحمل وأراد الإثم لما فى وضع الحمل عن الظهر من فضل الاستراحة ، وحسن ذكر إيقاض الظهر وهو صوته لذكر الحمل ؛ لأن حامل الحمل الثقيل جدير بإيقاض الظهر ، والأوزار أيضاً : السلاح . ومنه قوله تعالى : ﴿ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ . وقال الشاعر :

وَأَعْدَدْتُ لِلْحَرْبِ أَوْزَارَهَا رِمَاحًا طَوَالًا وَخِيَلًا ذُكُورًا^(١)

وقوله تعالى : ﴿ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ ﴾ ؛ أى ترخصوا . والاستمارة أبلغ ؛ لأن قولك : أغمض عن الشيء أدعى إلى ترك الاستقصاء فيه من قولك : رخص فيه . وكذلك قوله تعالى : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ معناه فإنه يماس المرأة وزوجها يماسها . والاستمارة أبلغ ؛ لأنها أدل على اللصوق وشدة المماس . ويحتمل أن يقال : إنهما يتجردان ويحتممان فى ثوب واحد ويتضامان فيكون كل واحد منهما للآخر بمنزلة اللباس ؛ فيجعل ذلك تشبيهاً بغير أداة التشبيه .

ولابد لكل استمارة ومجاز من حقيقة ، وهى أصل الدلالة على المعنى فى اللغة ، كقول امرئ القيس^(٢) :

وَقَدْ أَغْتَدَى وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَائِهَا بِمَنْجَرٍ قِيدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلٍ^(٣)

(١) البيت للأعشى : قال فى اللسان قال ابن برى : وصواب لإنشاده بفتح التاء من أعددت ، لأنه يخاطب هوزة بن على الحنفى . (٢) ديوانه : ٣٤ (٣) الوكينات : المواضع التى تأوى إليها الطير فى رموس الجبال . والمنجرد : الفرس القصير الشعر ، وذلك من صفة الخيل العناق . والأوابد : واحدة أبدة الوحش . والهيكل : الفرس الفخم المشرف .

والحقيقة مانع الأوابد من الذهاب والإفلات، والاستعارة أبلغ؛ لأن القيد من أعلى مراتب المنع عن التصرف، لأنك تشاهد ما في القيد من المنع، فلست تشك فيه. وكذلك قولهم: هذا ميزان القياس؛ حقيقته تعديل القياس، والاستعارة أبلغ؛ لأن الميزان يصور لك التعديل حتى تعينه، وللعيان فضل على ما سواه. وكذلك: العروض ميزان الشعر، حقيقته تقويمه.

ولا بد أيضاً من معنى مشترك بين المستعار والمستعار منه؛ والمعنى المشترك بين قيد الأوابد ومانع الأوابد هو الحبس وعدم الإفلات، وبين ميزان القياس وتعديله حصول الاستقامة وارتفاع الحيف والميل إلى أحد الجانبين؛ وهكذا جميع الاستعارات والمجازات.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ حقيقته عمدنا، وقدمنا أبلغ؛ لأنه دلّ فيه على ما كان من إهماله لهم، حتى كأنه كان غائباً عنهم، ثم قدم فاطلع منهم على غير ما ينبغي فجازاهم بحسبه؛ والمعنى الجامع بينهما العدل في شدة التكبير؛ لأن العمد إلى إبطال الفاسد عدل. وأما قوله: ﴿هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ فحقيقته أبطلناه حتى لم يحصل منه شيء، والاستعارة أبلغ؛ لأنه إخراج ما لا يرى إلى ما يرى. والشاهد أيضاً على أن الاستعارة أبلغ من الحقيقة أن قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَا كُفْرَ الْجَارِيَةِ﴾ حقيقته علّا وطها، والاستعارة أبلغ؛ لأن فيها دلالة القهر، وذلك أن الطغيان علوّ فيه غلبة وقهر. وكذلك قوله تعالى: ﴿بِرِّيحٍ صَرَّصٍ عَاتِيَةٍ﴾ حقيقته شديدة، والاستعارة أبلغ؛ لأن العتو شدة فيها تمرد. وقوله تعالى: ﴿بَسَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَفُورُ﴾ تكادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ حقيقة الشهيق هاهنا الصوت الفظيع؛ وهما لفظتان، والشهيق لفظة واحدة فهو أوجز على ما فيه من زيادة البيان. وتَمَيِّزُ حقيقته تنشق من غير تباين، والاستعارة أبلغ؛ لأن التميز في الشيء هو أن يكون كلُّ نوعٍ منه مباناً لغيره وصائراً على حدته، وهو أبلغ من الانشقاق؛ لأن الانشقاق قد يحصل في الشيء من غير تباين، والغَيْظُ

حقيقته شدة الغليان ، وإنما ذكر الغيظ ؛ لأن مقدار شدته على النفس مدرك محسوس ، ولأن الانتقام من يقع على قدره ؛ ففيه بيان عجيب وزجر شديد لا تقوم مقامه الحقيقة البتة . وقوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ ﴾ معناه ذهب ، وسكت أبلغ ؛ لأن فيه دليلاً على موقع المودة في الغضب إذا تَوَمَّلَ الحال ، ونظر فيما يمود به عبادة العجل من الضرر في الدين ، كما أن الساكت يتوقع كلامه .

وقوله تعالى : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ . وحقيقته ذر بأسي وعذابي ؛ إلا أن الأول أبلغ في التهديد ؛ كما تقول إذا أردت المبالغة والإبعاد : ذرني وإياه ، ولو قال : ذر ضربني له وإنكارى عليه لم يسد ذلك المسد ، ولعله لم يكن حسناً مقبولاً . وقوله عز وجل : ﴿ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ ﴾ معناه كشفنا الظلمة ، والأول أبلغ ؛ لأنك إذا قلت : محوت الشيء فقد بينت أنك لم تبق له أثراً ؛ وإذا قلت : كشفت الشيء مثل الستر وغيره لم تُبَيِّنْ أنك أذهبتَه حتى لم تبق له أثراً . وقوله سبحانه : ﴿ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ حقيقته مضيئة ، والاستعارة أبلغ ؛ لأنها تكشف عن وجه المنفعة ، وتظهر موقع النعمة في الإبصار .

وقوله تعالى : ﴿ وَاشْتَغَلَ الرَّأْسُ شَيْئًا ﴾ حقيقته كثر الشيب في الرأس وظهر ، والاستعارة أبلغ ؛ لفضل ضياء النار على ضياء الشيب ، فهو إخراج الظاهر إلى ما هو أظهر منه ، ولأنه لا يتلاقى انتشاره في الرأس ، كما لا يتلاقى اشتعال النار . وقوله تعالى : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ﴾ ، حقيقته بل نورد الحق على الباطل فيذهب . والقذف أبلغ من الإيراد ؛ لأن فيه بيان شدة الوقع وفي شدة الوقع بيان القهر ، وفي القهر هاهنا بيان إزالة الباطل على جهة الحجة ، لا على جهة الشك والارتياب ، والدمغ أشد من الإذهاب ، لأن في الدمغ من شدة التأثير وقوة النكابة ما ليس في الإذهاب . وقوله تعالى : ﴿ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ ﴾ وقوله عز اسمه : ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾ فالعقيم التي لا تحيى بولد ؛ والولد من أعظم النعم ، وأجسم الخيرات ؛ ولهذا قالت العرب : شوهاه ولود ، خير من حسناء عقيم .

فلما كان ذلك اليوم لم يأت بمنفعة حين جاء ، ولم يُبق خيراً حين مرُّمى عقيماً .
ويمكن أن يقال : إنما سمي عقيماً لأنه لم يبق أحداً من القوم ، كما أن العقيم لا يُخلف
نسلاً ، وسمي الريح ، عقيماً لأنها لم تأت بمطر ينتفع به ويبقى له أثر من نبات وغيره ؛ كما
أن العقيم من النساء لا تأتى بولد يُرجى .

وفضل الاستمارة على الحقيقة في هذا أن حال العقيم في هذا أظهر قبحاً من حال
الريح التي لا تأتى بمطر ؛ لأن العقيم كانت عند العرب أكره وأشنع من ريح لا تأتى بمطر ؛
لأن العادة في أكثر الرياح ألا تأتى بمطر ، وليست العادة في النساء أن يكون أكثرهن عقيماً .
وقوله تعالى : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ ﴾ ، وهذا الوصف إنما هو على ما
يتلوح ^(١) للعين لا على حقيقة المعنى ؛ لأن الليل والنهار استمان يقعان على هذا الجو عند
إظلامه لغروب الشمس وإضاءته لطلوعها ، وليس على الحقيقة شيئاً يُسْلَخُ أحدهما من
الآخر ، إلا أنهما في رأى العين كأنهما ذلك ، والساخ يكون في الشيء الملتحم ببعضه ببعض ،
فلما كانت هوى الصبح عند طلوعه كاللتحمة بأعجاز الليل أجرى عليها اسم الساخ ؛
فكان أفصح من قوله : يخرج ؛ لأن السالخ أدل على الالتحام المتوهم فيهما من الإخراج .
وقوله تعالى : ﴿ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا ﴾ ؛ من قولهم : أنشر الله الموتى فنشروا ، وحقيقته
أظهرنا به النبات ؛ إلا أن إحياء الميت أعجب ، فمعب عن إظهار النبات به فصار أحسن من
الحقيقة .

وقوله تعالى : ﴿ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ ، يعنى
الحرب ، فنبه على ماله تخاف الحرب ؛ وهو شوكة السلاح وهى حده ، فصار أحسن
من الحقيقة لإنبائه عن نفس المحذور . ألا ترى أن قولك لصاحبك : لأوردنك على
حدِّ السيف ، أشدَّ موقعاً من قولك له : لأحاربنك .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴾ ، أى كثير . والاستمارة
أبلغ ، لأن معنى العرض في مثل هذا الموضع التمام . قال كثير :

أنت ابن فرعى قرئش لو تقايسها في الجد صار إليك العرض والطول

(١) تلوح : بان ووضع .

أى صار إليك المجدُ بتمامه ؛ وقد يكون كثيراً غير تام .
 وقوله تعالى : ﴿ وَالصُّبْحَ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ ، حقيقته إذا انتشر ، وتنفس أبلغ لما فيه من بيان
 الرُّوح عن النفس عند إضاءة الصُّبح ؛ لأنَّ الليل كرباً وللصبح تفرّجاً . قال الطرمح :
 على أنَّ للعَيْنَيْنِ في الصُّبْحِ رَاحَةً بطرحِهما طرفيهما كلَّ مَطْرَحٍ
 والراحة التي يجدها الإنسان عند التنفس محسوسة .

وقوله تعالى : ﴿ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا ﴾ ، حقيقته أزعجوا ، والزَّلْزَلَةُ
 أبلغ ، لأنها أشد من الإزعاج ومن كل لفظة يعبر بها عنه أيضاً .
 وقوله تعالى : ﴿ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾ ، حقيقته صَبْرْنَا ، والاستعارة أبلغ ؛ لأنَّ
 الإفراغ يدل على العموم ، معناه أرزقنا صبراً يعمَّ جميعنا كما فراغك الماء على الشيء فيعمّه .
 وقوله سبحانه : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ ﴾ ، حقيقته حصلت ، إلا أنَّ للضرب تبيناً
 ليس للحصول ، وقالوا : ضرب على فلان البعث ، أى أوجب وأثبت عليه ، والشيء
 يثبت بالضرب ولا يثبت بالحصول ، والضرب أيضاً ينبيء عن الإذلال والنقص ، وفي
 ذلك الزجر وشدة النكير عن حالهم .

وقوله تعالى : ﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ ، حقيقته غفلوا عنه ، والاستعارة أبلغ ؛
 لأنَّ فيه إخراج مالا يُرى إلى ما يُرى ، ولأنَّ ما حصل وراء ظهر الإنسان فهو آخرى
 بالغفلة عنه مما حصل قدامه .

وقوله تعالى : ﴿ أَنْزَلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا ﴾ ،
 حقيقته ذات سرور ، والاستعارة أبلغ ؛ لأنَّ العادة جرت في الأعياد بتوفير السرور
 عند الصَّغير والكبير ، فتضمن من معنى السرور مالا تتضمنه الحقيقة .

وكذلك قوله عز اسمه : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا ﴾ . وقوله تعالى :
 ﴿ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ﴾ ، أخرج مالا يُرى من تنقُّصهم بآيات القرآن إلى الخوض الذي
 يُرى . وعبر عن فعل إبليس الذي لا يشاهد بالتدلي من العلوِّ إلى سُفل وهو مشاهد .
 ولما كانوا يتكلمون في آيات القرآن ، ويتنقصونها بغير بصيرة شبه ذلك بالخوض ؛
 لأنَّ الخائض بطأً على غير بصيرة .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ ، حقيقته خطأ ؛ لأنَّ الاعوجاج

مُشاهد والخطأ غير مشاهد . وكذلك قوله سبحانه : ﴿ أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ ، أى إلى مُمين ؛ والاستمارة أبلغ ؛ لأن الركن مشاهد ، والممين لا يُشاهد من حيث أنه ممين .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ ﴾ ، حقيقة لا تكونن ممسكاً ، والاستمارة أبلغ ؛ لأن الغل مشاهد والإمساك غير مشاهد ، فصور له قبح صورة الغلول ليستدل به على قبح الإمساك .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ الْأَذَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ﴾ ، حقيقة لربهم ، والاستمارة أبلغ ؛ لأن حسّ الذائق لإدراك ما يذوقه قوى ، ولذوق فضل على غيره من الحواس . ألا ترى أن الإنسان إذا رأى شيئاً ولم يعرفه شمّه فإن عرفه وإلا ذاقه ، لما يعلم أن للذوق فضلاً في تبين الأشياء .

وقوله تعالى : ﴿ فَضْرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ ، حقيقة منعناهم^(١) بأذانهم ، من غير صمم يبطل آلة السمع ، كالضرب على الكتاب يمنع من قراءته ولا يبطله ، والاستمارة أبلغ ؛ لإيجازه وإخراج ما لا يرى إلى ما يرى .

وقوله عز اسمه : ﴿ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرُّصُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ ﴾ ليس في جميع القرآن أبلغ ولا أفصح من هذا ، وحقيقة القرض هاهنا أن الشمس تمسهم وقتاً يسيراً ثم تغيب عنهم ، والاستمارة أبلغ ؛ لأن القرض أقل في اللفظ من كل ما يُستعمل بدله من الألفاظ ، وهو دال على سرعة الارتجاع ، والفائدة أن الشمس لو طاولتهم بحرّها لصهرتهم^(٢) ، وإنما كانت تمسهم قليلاً بقدر ما يصلح الهواء الذى هم فيه ؛ لأن الشمس إذا لم تقع في مكان أصلاً فسد .

فهذه جملة مما في كتاب الله عز وجل من الاستمارة ، ولا وجه لاستقصاء جميعه ؛ لأن الكتاب يخرج عن حده .

وأما ما جاء في كلام العرب منه ، فمثل قولهم : هذا رأس الأمر ووجهه ، وهذا الأمر في جنب غيره يسير ، ويقولون : هذا جناح الحرب وقلبها . وهؤلاء رؤوس

الاستمارة
في كلام
العرب

(١) في ط « معنى الإحساس » ، وصوابه في ب .

(٢) الصهر : هنا بمعنى الإذابة ، من قولهم : صهر الشحم ونحوه يصهره صهراً : أذابه .

القوم وجماهم وعيونهم . وفلان ظهر فلان ، ولسان قومه ونابهم وعَضُدُهم .
وهذا كلام له ظهر وبطن . وفي العرب الجاجم ، والقبائل ، والأنخاذ ، والبطون ،
وخرج علينا عُنُقُ^(١) من الناس . وله عندى يد بيضاء ، وهذه سُرَّةُ الوادى ، وبابل
عَيْنُ الأقاليم ، وهذا أَنْفُ الجَبَلِ ، وبَطْنُ الوادى ، ويسمون النبات نَوءًا . قال^(٢) :

* وجف أنواء السَّحاب المرتزق *

أى جفَّ البقل ، ويقولون للمطر : سماء . قال الشاعر^(٣) :

إذا سقطَ السماء بأرض قومٍ رعيناهُ وإن كانوا غضابا

ويقولون : ضحكت الأرض ، إذا أنبتت ؛ لأنها تُبْدِي عن حسن النبات
كما يفر الضاحك عن الثغر ، ويقال : ضحكت الطلعة . والنور يضاحك الشمس .
قال الأعشى^(٤) :

يضاحك الشمس منها كوكب شرقٍ مؤزرٍ بعميمِ النباتِ مُكْتهلٍ^(٥)

ويقولون : ضحك السحاب بالبرق ، وحنَّ بالرعد ، وبكى بالقطر . ويقولون :
لقيت من فلان عَرَقَ القربة ، أى شدة ومشقة . وأصل هذا أن حامل القربة يتعب
من نَقْلِها حتى يعرق . ويقولون أيضاً : لقيت منه عَرَقَ الجبين ، والعرب تقول :
بأرض فلان شجر قد صاح ؛ وذلك إذا أطال فتبين للناظر بطوله ، ودل على نفسه ؛
لأنَّ الصَّاح يذل على نفسه . ويقولون : هذا شجر واعد ، إذا أقبل بماء ونضرة ؛
كأنه يعد بالثمر ؛ قال سويد بن أبي كاهل^(٦) :

* لُعاعُ تهاداهُ الدكادك واعدُ^(٧) *

(١) العنق بالضم : الجماعة الكثيرة من الناس ، مذكر ، والجمع أعناق . (٢) أراجيز العرب
٢٧ ، والقبائل رؤية . وفيه : أنواء الريح . (٣) معاهد التنصيص : ١ - ٢٦١ ،
وهو لمعاوية بن مالك . (٤) المعلقات : ٢٧٦ . (٥) يضاحك الشمس : يدور معها .
والشرق : الريات . والعميم : التام . والمكتهل : الذى انتهى فى التام .

(٦) اللسان (لعم) ، يصف ثوراً وكلاباً ، وصدره : * رعى غير مذعور بهن ورافه *
(٧) اللعاع : نبات لين من أحرار البقول فيه ماء كثير لزج . والدكادك : واحده دكدك ،
والدكدك من الرمل : ما التبد بعضه على بعض بالأرض ولم يرتفع كثيراً .

ومثله قول الشاعر :

يزيد الريح صدر أبي براء ويرغبُ عن دماءِ بني عَقِيلِ
ومثله قوله تعالى : ﴿ جَدَّارًا يُرِيدُ أَنْ يُنْفِضَ ﴾ .
وأنشد الفراء :

إِنَّ دَهْرًا يَلْفَ شَمْلِي بِسَلْمَى لِرِزْمَانٍ يَهْمُ بِالْإِحْسَانِ

الاستعارة
في كلام
النبي
والصحابه
والأعراب

ومما في كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، والصحابة رضى الله عنهم ، ونثر الأعراب ،
وفصول الكتاب من الاستعارة قوله صلى الله عليه وسلم : « الخيلُ معقود بنواصيها
الخيرُ إلى يوم القيامة » .
وقال طُفَيْل :

وللخيل أياهمُ فمن يصطبرُ لها ويعرفُ لها أيامَها الخيرَ تُعْقِبُ

وقول النبي صلى الله عليه وسلم : « كَلَّمَا سَمِعَ هَيْمَةَ^(١) طَارَ إِلَيْهَا » . وقوله صلى
الله عليه وسلم : « أَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِ هَادِمِ اللِّذَاتِ » . وقال عليه الصلاة والسلام :
« الْبَلَاءُ مُوَكَّلٌ بِالنَّطْقِ » . ورأى عليًّا مع فاطمة رضى الله عنهما في بيت فردّ عليهما
الباب وقال : « جَدَعَ الْحَلَالُ أَنْفَ الْغَيْرَةِ » .

وقال علي رضى الله عنه : السفر ميزانُ القوم . وقوله : فأما وقد اتسع نطاقُ
الإسلام فسكل امرئُ وما يختار . وقوله لابن عباس رضى الله عنه : ارغب راغبهم ،
واحللْ عقدة الخوف عنهم . وقوله : العلم قُفْلٌ ومفتاحه المسألة . وقوله : الحلم والأناة
توأمين ، نتيجتهما علو الهمة . وقوله لبعض الخوارج : والله ما عرفته حتى ففرَّ
الباطلُ فمه ، فنجمت نجوم قرن الماعزة . وقال في بعض خطبه يصف الدنيا : إن امرأً
لم يكن منها في فرحة ، إلا أعقبته بعدها ترحة ؛ ولم يلق من سرائها بطناً ، إلا منحتة
من ضرائها ظهراً ؛ ولم تظله فيها غيابة رضاء ، إلا هبت عليه مِرْنة بلاء ، ولم يمِس منها
في جناح أمن ، إلا أصبح منها على قوادم خوف .

وقال أبو بكر رضى الله عنه : إن الملك إذا ملك زهده الله في ماله ، ورغبه فيما

(١) الهيمة : الصوت الذى يفزع منه ويخاف .

في بدى غيره ، وأشرب قلبه الإشفاق فهو يحسد على القليل ، ويسخط الكثير ،
جذّل الظاهر ، حزين الباطن . فإذا وجبت نفسه ، ونضب عمره ، وضحا ظله ،
حاسبه الله عز وجل فأشد حسابه ، وأقل عفوه .

وكتب خالد بن الوليد رضى الله عنه إلى مرازمة فارس : الحمد لله الذى فضّ
خَدَمَتَكُمْ^(١) ، وفرّق كلتكم .

وقالت عائشة رضى الله عنها : كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة^(٢) .
وقال الحجاج : دلوني على رجل سمين الأمانة ، أعجف الخيانة . وقال عبدالله بن وهب
الراسبي لأصحابه : لا خير في الرأي الفطير ، والكلام المضيف^(٣) ؛ فلما بايعوه ، قال : دعوا
الرأى يغب فإن غبوبة يكشف لكم عن محضه . وقيل لأعرابي : إنك لحسن الكدنة ؛^(٤)
قال : ذاك عنوان نعمة الله عندي . وقال أكرم بن صيفى : الحلم دِعمة العقل . وسئل
عن البلاغة فقال : دنوّ المأخذ ، وقرع الحجة ، وقليل من كثير . وقال خالد بن
صفوان لرجل : رحم الله أباك ، فإنه كان يُقرى المين جمالا ، والأذن بيانا . وقيل
لأعرابية : أين بلغت قدرك ، قالت : حين قام خطيبها . وقيل لأعرابية : كم أهلك ؟
قالت : أب وأم وثلاثة أولاد ، أنا سبيل عيشهم . وقيل لرؤبة : كيف تركت
ما وراك ؟ قال : التراب يابس ، والمال عابس . وقال المنصور لبعضهم : بلغنى أنك
بخيل ، فقال : ما أجد في حق ، ولا أذوب في باطل . وقال إبراهيم الموصلى : قلت
للعباس بن الحسن : إني لأحبك قال : رائد ذاك عندي . وقال بمضهم : الاستطالة
لسان الجهالة . وقال يحيى بن خالد : الشكر كفاء النعمة . وقال أعرابي : خرجت
في ليلة حِندس ، ألقت على الأرض أكارعها ، فحلت صورة الأبدان ؛ فما كنا نتعارف

(١) الخدمة : الحلقة المستديرة . (٢) الديمة : المطر الدائم في سكون ، شبهت عمله
صلى الله عليه وسلم في دوامه مع الاقتصاد بديممة المطر الدائم ، وأصل الحديث : وسثلت رضى الله
عنها عن عمل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبادته فقالت : كان عمله ديمة .
(٣) قوله المضيف : من العضب وذلك بمعنى القطع . (٤) رجل ذو كدنة : إذا كان غليظا سميئا .

إلا بالآذان . وقال أعرابي لآخر : يَسَار النفس خير من يَسَار المال ، ورب شعبان من النعم ، غَرَّان^(١) من الكرم . وغزت نَميراً حَنيفَةً فاتبعتهم نَمير ، فأتوا عليهم ، فقبل لرجل : كيف كان القوم ؟ فقال : اتبعوهم والله رفدا حَقَبُوا كل مُجَالِيَّة خَيْفَانَةٍ ، فما زالوا يَحْصِفُونَ آثار المطى بحوافر الخيل ؛ فلما لقوهم جملوا المُرَّان أُرْشِيَّة الموت ، فاستقوا بها أرواحهم^(٢) . وقال آخر : فلان أَمْلَس ، ليس فيه مستقر لخير ، ولا لشر . وقال أحمد بن يوسف وقد شَتَّمه^(٣) رجل بين يدي المأمون : رأيته يستملى ما يلقاني به من عينيك . وقيل لأعرابي : أى الطعام أطيب ؟ قال : الجوع أبصر . ومدح أعرابي رجلاً فقال : كان يَفْتَحُ من الرأى أبواباً منسدة ، وينسل من العار وجوها مسودة . ومدح أعرابي رجلاً فقال : كان والله إذا عرَضَتْ له زينة الدنيا هَجَّنَتْها زينة الحمد عنده ؛ وإن للصنائع لغارة على أمواله كغارة سُيوفه على أعدائه . ومدح أعرابي قوماً فقال : أولئك غرر نُضِيء من ظلم الأمور المشككة ، قد صفت آذان المجد إليهم . وقال أعرابي يمدح رجلاً : إنه ليعطى عطاء مَنْ يعلم أن الله مادته . ومدح أعرابي رجلاً ، فقال : لسانه أحلى من الشهد ، وقلبه سجن للحقد . ومدح أعرابي رجلاً فقال : إن أسأت إليه أحسن ، وكأنه المسىء ، وإن أكرمت إليه غفر ، وكأنه المجرم ، اشترى بالمعروف عِرْضه من الأذى ؛ فهو وإن كانت له الدنيا بأسرها فوهبها ، رأى بعد ذلك عليه حقوقاً ؛ لا يستعذب الخنا ، ولا يستحسن غير الوفا^(٤) .

وذم أعرابي رجلاً فقال : يقطع نهاره بالمنى ، ويتوسد ذراع الهمم إذا أمسى . وذم أعرابي رجلاً فقال : إن فلاناً ليَقْدِم على الذنوب إقدامَ رجل قدم فيها نذراً ، أو يرى أن في إتيانها عذراً . وقال أعرابي لرجل : لا تدنس شعرك بمرض فلان ؛

(١) الفرث : أيسر الجوع . (٢) الحقب ، بالتحريك : الحزام الذى يلى حقو البعير . وناقاة جمالية : وثيقة الخلق . والحيفانة : الفرس . حصفته : أقصيته . والمران : الرماح الصلبة . (٣) فى ط : « شمه » ، وصوابه من ب . (٤) العبارة مضطربة فى ط ، وصوابها من ب .

فإنه سمين المال ، مهزول المعروف ، قصير عمر المني ، طويل حيات الفقر . وسأل أعرابي فقيل له : عليك بالصيارف ، فقال : هناك قرارة اللؤم . وذكر أعرابي قوما فقال : أولئك قوم قد سُلِخَتْ أبقاؤهم بالهجاء ، ودبغت جلودهم باللؤم ؛ فلباسهم في الدنيا الملامة ، وزادهم في الآخرة الندامة . وذمّ أعرابي قوما فقال : هم أقل دنواً إلى أعدائهم ، وأكثر تجرّماً على أصدقائهم ، يصومون عن المعروف ويفطرون على الفحشاء . وذمّ أعرابي رجلاً فقال : ذاك رجل تعدو إليه مواكب الضلالة ، ويرجع من عنده بيدر الآثام ، معدم مما يحب ، مثر مما يكره .

وقال أعرابي : ما أشدّ جولة الهوى ! وفطام النفس عن الصِّبا ، ولقد تصدعت نفسى للماشقين ؛ لومُ العاذلين قرّطة في آذانهم ، ولوعات الحب نيران في أبدانهم . وقال أعرابي : ما رأيت دمة ترقق في عين ، وتجري على خد ، أحسن من عبرة أمطرتها عينها ، فأعشب لها قلبي . وقال أعرابي - وذكر قوما زهاداً - فازم قومٌ أدّبتهم الحكمة ، وأجكتهم التجارب ، ولم تفرهم السلامة المنطوية على الهلكة ، ورَحَلَ عنهم التسويف الذي قطع به الناسُ مسافة آجالهم ، فأحسنوا المقال ، وشفموه بالفعال ، تركوا النعيم ليتنعموا ؛ لهم عبرات متدافعة ؛ لا تراهم إلا في وجهه عند الله وجيهاً . ووصف أعرابي والياً فقال : كان إذا ولّى طابَق من جُفونه ، وأرسل العيون على عُيونه ، فهو شاهد معهم ، غائب عنهم ، فالحسن آمن ، والسيء خالف . ووصف أعرابي داراً فقال : هي والله معتصرة الدموع ، جرت بها الرياح أذيالها ، وحلت بها السحاب أثقالها . وذكر أعرابي رجلاً فقال : كان الفهم منه ذا أذنين ، والجواب منه ذا لسانين ؛ لم أر أحداً كان أرْتَقٍ لخلل الرأي منه ، كان والله بعيد مسافة الرأي ، يرى بطرفه حيث أشار الكرم ، يتحسّى مرارة الإخوان ، ويُسيغهم العذب . ووصف أعرابي قومه فقال : كانوا والله إذا اصطفوا تحت القَتَام سَفَرَت بينهم السهام ، بوقوف الحُجَام ، وإذا تصاخفوا بالسيوف فَفَرَّت المنايا أفواهاها ، فكهم من يوم عارمٍ قد أحسنوا أدبَهُ ،

وحرب عبوس قد ضاحكتها أسنتهم ، وخطب شين^(١) ، قد ذلّوا منا كبه ؛ إنما كانوا كالبحر الذي لا يُنْكَشْ غماره^(٢) ؛ ولا ينهت تيّاره . وقيل لأعرابي : يزعم فلان أنه كسالك ثوبا ، فقال : إن المعروف إذا أُمرَّ كُدِّرَ ، وإذا محض أُمرّ ؛ ومن ضاق قلبه اتسع لسانه .

وذكر أعرابي رجلا فقال : كلامه منقوض آثار القطا ؛ وهو مع ذارث عقال المودة ، مسودّ وجه الصداقة ؛ ولئن كان لبني الآدميين سباح إنه لمن سباح بني آدم . وقيل لأعرابي : لم لا تشرب النبيذ ؟ فقال : لا أشرب ما يشرب عقلي . وقال معاوية : العيال أرضة المال . وقال خالد بن صفوان : إياكم ومجانيق الضعفاء^(٣) . وقال : لاتضع معروفك عند فاجر ، ولا أحق ، ولا لثيم ، فإن الفاجر يرى ذلك ضعفا ، والأحق لا يعرف ما أوتي إليه فيشكره على مقدار عقله ، واللثيم سبخة لا ينبت شيئا ولا يثمر ؛ ولكن إذا رأيت الثرى فازرع المعروف تحصد الشكر ، وأنا الضامن . وأهدت امرأة من العجم إلى هوّى لها في يوم نوروز ورداً وكتبت إليه : هذا اليوم أحد^(٤) فتیان الدهر وشاب^(٥) أقسامه ، والقصف فيه عروس ، والورد في البرد كالدر في النّحر ؛ وقد بعثت إليك منه مهراً ليومك ، فزوّج السرور من النفس ، والطرب من القلب ، ولا تستقل براً ، فإننا لا نستكثر على قبوله شكراً .

وقال آخر في رجل : ماذا تُثير الخبرة من دقان كرمه . وقال أعرابي لخصمه : أما والله لئن همّ لَجَجْتُ إلى الباطل ، إنك عن الحق لَقَطُوف ، ولئن أبطأت عنه لتسرعن إليه ؛ فاعلم أنه إن لم يعدلك الحق عبدك الباطل ، والآخرة من ورائك . وقال آخر : الخط مركب البيان . وقال آخر : القلم لسان اليد . وسمعت بعض الأطباء يقول : الماء مطية الطعام . وقال الحسن بن وهب لكتابه : لا تُرق ماء معروف بالمن ؛ فإن اعتدالك بالعرف

(١) كذا في ب ، وفي ط « شتر » . (٢) لا ينكش غماره : لا ينزف ماؤه .

(٣) المجانيق : جمع ، واحده منجنيق يفتح الميم وكسرهما : القذاف التي ترمى بها الحجارة ،

(٤) في ب « واحد » . (٥) في ط « وشباب » ، وما أثبتناه عن ب .

يمقل لسان الشكر .

وأمثال هذا كثير في منشور الكلام وفيما أوردته كفاية إن شاء الله .
فأما الاستعارة من أشعار المتقدمين فنل قول امرئ القيس^(١) :

الاستعارة
في أشعار
المتقدمين

وليل كعوج البحر مُرْخٍ سُدُوْلَهْ على بأنواع الهموم كَيْبَتَلِي
فقلت له لما تَمْطَى بِصَلْبِهْ وأردف أعجازاً وناءً بكل كل
وقال زهير^(٢) :

صحا القلبُ عن ليلي وأقصر باطله وعُرِّي أفراسُ الصِّبَا ورواحله
وقول امرئ القيس^(٣) :

فبات عليه سرُّجُه ولجامه وبات بعيني قائماً غير مُرْسَلِ
أى كنت أراه وأحفظه ؛ وعلى هذا مجاز قوله عز وجل : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ .
وقال زهير^(٤) :

إذا سَدَّتْ به لَهَوَاتُ نَفَرِهْ يُشار إليه جانبُه سَقِيمٌ^(٥)
وقال النابغة^(٦) :

وصَدَّرَ أراحَ الليلُ عازِبَ همِهْ تضاعف فيه الحزنُ من كلِّ جَانِبِ^(٧)
وفي هذا البيت ماء وطلاوة ليس مثله في بيت زهير . وقال عنترة^(٨) :

جَادَتْ عليه كلُّ بِكْرٍ حُرَّةٍ فترَكَنَ كلَّ قَرَارَةٍ كالذَّرْهَمِ^(٩)
وقال مهلهل :

تلقى فوارسَ تغلبَ ابنةِ وائلٍ يستطعمونَ الموتَ كلُّ هُمَامٍ

(١) ديوانه : ٣٣ . (٢) ديوانه : ١٢٤ . (٣) ديوانه : ٤٠ .

(٤) ديوانه : ٢١٠ . (٥) اللهوات : جمع لهاة ، ويريد أفواه الثغور .

(٦) ديوانه : ٣ . (٧) أراح : رد . والعازب : البعيد . (٨) المعلقة : ١٨٠ .

(٩) البكر : السحابة في أول الربيع . والحرة : البيضاء . والقرارة : الموضع المظلم

من الأرض .

وقال زهير^(١) :

إذا لَقِحتُ حَرْبَ عَوَانٍ مُضِرَّةً ضَرُوسٌ تُهَرُّ النَّاسَ أَنْيَابُهَا عُصْلُ^(٢)

أخذه من قول أوس بن حجر^(٣) :

ولاني امرؤ أَعْدَدْتُ للحربِ بعدَ ما رأيتُ لها نَاباً من الشرِّ أَعْصَلَا

وقال المسيَّب بن علس^(٤) :

ولهم قد دعوا دعوةً سيَّئَهما ذنبٌ أهلب^(٥)

أراد جيشاً كشيفاً .

وقال الأسود بن يعفر :

فأدَّ حقوقَ قومك واجتنبهم ولا يَطْمَحُ^(٦) بك العز الفطير

أراد عزاً ليس بالمحْكَم كفطير المجين ، والفطير من الجلد : مالم يُدْبَغ .

وقال طُفَيْل الغنوى^(٧) :

وجعلتُ كورِي فوقَ ناجيةٍ يقاتُ^(٨) شحم سنامها الرَّحْلُ

وقال الحرث بن حنزة^(٩) :

حتى إذا التفع الطباءُ بأطرا ف الظَّلَالِ وَقِلْنِ فِي الكُنُسِ^(١٠)

الالتفاع : لبس اللِّفَاع وهو اللَّحَاف . ومثله قول الشَّامِخ^(١١) :

إذا الأرطى تَوَسَّسَ أَرْدِيهِ خُدُودُ جَوَازِيءٍ بِالرَّمْلِ عَيْنِ^(١٢)

(١) ديوانه : ١٠٣ . (٢) لقيت : اشتدت . عوان : قوتل فيها مرة بعد مرة ،

ضروس : سيئة . تهر الناس : تصيرهم يهرونها أى يكرهونها . وعصل : كالحلة .

(٣) اللسان (عصل) . (٤) اللسان (هلب) . (٥) أهلب ؛ قال في اللسان

بعد أن أورد البيت : « أى منقطع عنكم » . (٦) كذا في ١ ، وفي ط : « يطنح » .

(٧) اللسان (قوت) . (٨) قال ابن الأعرابي : « معناه يذهب شيئاً بعد شيء » .

(٩) شعراء النصرانية : ٤٢٠ . (١٠) قلن : قضين وقت القيلولة . والكفس :

جمع كناس ، وهو مأوى الطباء . (١١) ديوانه : ٩٤ . (١٢) الأرطى ؛ واحده أرطاة :

شجر ينبت بالرمل يشبهه بالغضا يطول قدر قامة وله نور مثل نور الخلاف ورائحته طيبة .

والجوازيء : الطباء . وعين : جمع عيناء وهى الواسعة العين ، وأراد بذلك بقر الوحش .

أبرده : ظلّ الغداة والعشي . توسدته : جعلته بمنزلة الوسادة .

وقال آخر :

ومهمه فيه السرابُ يسبحُ يداب فيه القومُ حتى يطلّحوا^(١)

ثم يبيتون كأن لم يبرحوا كأنما أمسوا بحيث أصبحوا

وقال عمرو بن كلثوم^(٢) :

ألا أبلغ النعمان عني رسالةً فجدك حولي ولؤمك قارح^(٣)

وقال الحطيئة^(٤) :

* ألا يالقلب عارم^(٥) النظرات *

وقال الجعدي :

* فإن يطفأ أصحابه يرسب *

وقال أبو ذؤيب^(٦) :

* وإذا المنية أنشبت أظفارها *

وقال أبو خراش الهذلي^(٧) :

أرد شجاع البطن لو تعلمينه وأوثر غيري من عيالك بالطعم^(٨)

وقال لبيد^(٩) :

فبيتك إذ رقص اللوامع بالضحى واجتاب أردية السراب إكامها^(١٠)

(١) الطلح : السلال والإعياء . (٢) شعراء النصرانية : ٢٠٢ .

(٣) حولي : أتى عليه حول ، والقارح من ذى الحافر بمنزلة البازل من البعير ولا يبزل البعير إلا إذا طعن في التاسعة . (٤) ديوانه : ٥٦ ، وبقيته :

* يقطع طول الليل بالزفرات *

(٥) في ط « عادم » صوابه من الديوان (٦) ديوان الهذليين : ١ - ٣ ، وبقيته :

* ألفت كل تيمة لا تنفع *

(٧) ديوان الهذليين : ٢ - ١٢٨ ، واللسان (شجع) يخاطب امرأته .

(٨) شجاع البطن : شدة الجوع . (٩) المعلقات : ١٥٩ . (١٠) رقص : اضطرب .

واللوامع : الأرضون التي تلمع بالسراب . واجتاب : لبس . والإكام : الجبال الصغار .

وقال أيضاً^(١) :

وغداة ریحٍ قدْ كَشَفَتْ وَقرَّةً إذْ أصبحتُ بيدَ الشَّمالِ زِمَامُهَا
وقال أوس بن مغراء :

يَشِيبُ عَلَى نُومِ الْفِعَالِ كَبِيرُهَا وَيُغْذَى بِشَدَى اللَّؤْمِ مِنْهَا وَلِيدُهَا
وقال الأخطل :

وأهجر هَجْرَانَا جِيلاً وَيَنْتَجَى لَنَا مِنْ لِيَالِنَا الْعَوَازِمِ أَوَّلُ
وقال آخر^(٢) :

قوم إذا الشرُّ أبْدَى نَاجِذَيه لَهُم طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتُ^(٣) وَوَحْدَانَا
وقال :

هَمْ سَاعِدُ الدَّهْرِ الَّذِي يُتَقَى بِهِ وَمَا خَيْرُ كَفٍّ لَا تَنْوَأُ بِسَاعِدِ
وقال آخر :

سَابِكِيكَ لِلدُّنْيَا وَلِلدِّينِ إِنِّي رَأَيْتُ يَدَ الْمَعْرُوفِ بِمَدِّكَ شَلَّتْ
وقال المقنن^(٤) :

أَسَدٌ بِهِ مَاقِدُ أَخْلُوا وَضِيعُوا ثَغُورَ حَقُوقِ مَا أَطَاقُوا لَهَا سَدًا
وقال آخر :

* وَذَابَ لِلشَّمْسِ لُعَابُ فَنَزَلُ *

أخذه من قول النابغة^(٥) :

* إِذَا الشَّمْسُ حَجَّتْ رِيْقَهَا بِالسَّكَلِ كُلِّ *

(١) الملتقات : ١٥٨ . (٢) ديوان الحماسة : ١ - ٣ ، وهو لقرط بن أنيف .

(٣) الزرافات : الجماعات . (٤) هو المقنن السكندى . ديوان الحماسة : ٢ - ٣٧ .

(٥) ديوانه : ٩٠ ، وصدره :

* يثرن الحصى حتى يباشرن برده *

وقال آخر^(١) :

جاء الشتاء واجتالَّ القبرُ وطلعتْ شمسٌ عليها مِغْفَرُ
جعل قطعة السحاب إلى جانب الشمس مغفراً لها ، واجتالَّ : انتفش^(٢) .
وقال الحُطَيْثَةُ :

وما خِلْتُ سَلَمِي قبلها ذاتَ رحلةٍ إذا قسورتي الليل جيت سراً بله
وقال أيضاً :

ولّوا وأعطونا الذي سئِلوا من بعد موتٍ ساقطٍ أزره
إنّا لنكسوم^(٣) وإن كرموا ضرباً يطير خلاله شرره
وقال أبو دَوَاد :

وقد اغتدى في بياض الصّباح وأعجازٍ لَيْلٍ مولى الذَّنْبِ
وقال الأفوه^(٤) :

عافوا الإناوةَ واستقتْ أسلافهم حتى ارتووا عللاً بأذنبه الردى^(٥)
وقال ابن منذر :

* بأرشية أطرافها في الكواكب *

وقال الأخطل :

حتى إذا اقتض ماء المزن عُذْرَتَهَا راح الزجاجُ وفي ألوانه صَهَبُ
وقال غيره^(٦) :

وجيشٍ يَظَلُّ البُلُقُ في حجراته ترى الأكم فيه سجداً للحوافر^(٧)

(١) اللسان (جتل) ونسبه لجندل بن المثنى . (٢) اجتالَّ : انتفشت قنزعته .

(٣) كذا في ١ ، وفي ط « لنشكرهم » . (٤) ديوانه : ٦

(٥) الإناوة : الرشوة . والأذنبه : جمع ذنوب ، وهي الدلو ، تذكر وتؤنث .

(٦) اللسان (سجد) .

(٧) حجراته : نواحيه . والأكم : جمع أكمة . وسجد : خضع .

وقال ذى الرُّمَّة :

سقاء الكرى كأس النعاسِ فرأسه لدين الكرى من آخر الليل ساجد
قوله : «سقاء الكرى» جيد . وقوله : «لدين الكرى» بعيد عندى .

وقال مضر بن ربيعة :

أذود سوام الطرف عنك وماله على أحدٍ إلا عليك طريق
وقال تابط شراً^(١) :

ويسبقُ وفدَ الرِّيح من حيثُ تَنَتَحى بمنخرقٍ من شدِّهِ المُتدارِكِ^(٢)
إذا حاصَ عينيه كرى النوم لم يزلْ له كالى من قلب شَيْحَانٍ فَأَتَكَ^(٣)
ويجعلُ عينيه ربيثةً قلبه إلى سَلَّةٍ من صارم الغربِ باتِكَ^(٤)
إذا هزَّه في عَظْمِ قرنٍ تهللتُ نواجذُ أفواه المنايا الضواحكِ
في كل بيت من هذه الأبيات استعارة بديعة ، وقد أخذ رؤية قوله : « ويسبق
وفد الرِّيح » فقال^(٥) :

* يسبقُ وفدَ الرِّيح^(٦) من حيثُ انخرقُ *

وقال الراعى :

يدعو أمير المؤمنين ودونه خَرَقُ^(٧) تجرُّ به الرياحُ ذُبولا
وقال أوس :

ليسَ الحديثُ يُنهي بَيْنَهُنَّ ولا سرُّهُ يُحدِّثُنَّه في الحى مَنشورُ

(١) ديوان الحماسة : ١ - ٩٢ . (٢) وفد الرِّيح : أولها . وينتحي : يقصد . والمنخرق :

السريع . والمتدارك : المتلاحق . (٣) حاص : خاط . والشيطان : الحازم .

(٤) الربيثة : الرقيب . والسلة : المرة ، من سل السيف . والباتك : الناطق .

(٥) أراجيز العرب : ٢٣ . (٦) في ب : « بكل وفد الرِّيح » .

(٧) الخرق : القلاة الواسعة .

الاستعارة
في كلام
المحدثين

ومما جاء في كلام المحدثين قول أبي تمام (١) :

ليالٍ نحن في غفلاتٍ عيش كأنَّ الدهرَ عنها في وئاقٍ (٢)

وأيام لنا ولهم ليدان عرينا من حواشيها الرقاق (٣)

وقال العباس بن الأحنف، أو الخليلع :

قد سحبَ الناسُ أذيالَ الظُّنون بنا وفرَّقَ الناسُ فينا قولهمُ فرقا

فكاذبٌ قدرمى بالظنِّ غيرَكمُ وصادقٌ ليس يدري أنه صدقا

وقال مُسلم (٤) :

شجبتُها بلعابِ المزنِ فاغترلتُ (٥) نسجَين من بين محلولٍ ومعمودٍ

وقوله (٦) :

* كأنه أجلٌ يسعى إلى أملٍ *

وقوله (٧) :

يكسو السيوفَ نفوسَ الناكثين به ويجعلُ الهامَ تيجانَ القنا الذُّبُلِ

وقوله (٨) :

إذا ما نسكحنا الحربَ بالبيضِ والقنا جعلنا المنايا عندَ ذاكَ طلاقها

وقوله (٩) :

والدهرُ آخذٌ ما أعطى مكدرٌ ما أصفى ومفسدٌ ما أهوى له بيدٍ

فلا يفرِّئك من دهرٍ عطيتهُ فليس يتركُ ما أعطى على أحدٍ

(١) ديوانه : ٢١٥ . (٢) وئاق : رباط . (٣) اللدان : اللينة .

(٤) الشعر والشعراء : ٨١٠ (٥) اغترلت : اختلطت .

(٦) الشعر والشعراء : ٨١٠ ، صدره :

* موف على مهج في يوم ذى رهبج *

(٧) الشعر والشعراء : ٨١١ (٨) الشعر والشعراء : ٨١٠

(٩) الشعر والشعراء : ٨١٠

وقوله (١) :

* ولم ينطق بأسرارها الحجل *

وقوله (٢) :

ولما تلاقينا قضى الليل نَحْبَهُ
وماء كمين الشمس لا تقبلُ القَدَى
من الضَّحَكِ الغَرُّ اللّوَانِي إِذَا التَّقْتُ
صدعنا به حَدَّ الشَّمُولِ وَقَدْ طَغَتْ
تُسَاقِطُ يَمْنَاهُ النَّدَى وَشِمَالُهُ الرِّ
حْبِي لَا يَطِيرُ الْجَهْلُ مِنْ عَذَابِهَا (٣)
بكفَّ أبا العباسِ يُسْتَمَطَّرُ الغنى
متى شئتَ رَفَعْتَ السُّتُورَ عَنِ الغنى
وقال أيضاً :

كأنها ولسانُ الماءِ يقلبها
دارتُ عليه فزادتُ في شِمَائِلِهَا
عَقِيقَةُ ضَحِكَتْ فِي عَارِضٍ بَرْدٍ
لَيْنِ الْقَضِيبِ وَلِحْظِ الشَّادِنِ الْغَرْدِ
وقال أيضاً (٥) :

فَأَقْسَمْتُ أَنْسَى الدَّاعِيَاتِ إِلَى الصَّبَا
فَفَطَّتْ بِأَيْدِيهَا ثَمَارَ نُحُورِهَا
وَقَدْ فَاجَأَتْهَا الْعَيْنُ وَالسَّرُّ وَقَعَ
كَأَيْدِي الْأَسَارَى ثَقَلَتْهَا الْجَوَامِعُ

(١) الشعر والشعراء : ٨١٢ ، وفيه بتمامه :

خفين على غيب الظنوف وغصت ال برين فلم ينطق بأسرارها حجل

(٢) المصدر نفسه . (٣) الضحك ، عنى بها السحب الراكدة . والسبل : المطر .

والهطل : المطر المتفرق العظيم القطر . (٤) عذبة كل شيء : طرفه ، يقول : إذا حلت هذه الحبي

غلابد أن يدرك أصحابها أوتارهم . (٥) الشعر والشعراء : ٨١٦ .

وقال أيضاً^(١) :

نَفَضْتُ بِكَ الْأَحْلَاسُ نَفْضَ إِقَامَةٍ واسترجمتُ نَزَاعَهَا الْأَمْصَارُ^(٢)
أَجَلٌ يَنَافِسُهُ الْجَبَامُ وَخُفْرَةٌ نَفَسَتْ عَلَيْهَا وَجْهَكَ الْأَحْفَارُ^(٣)
فَاذْهَبْ كَمَا ذَهَبَتْ غَوَادِي مُزْنَةٍ أُنْثَى عَلَيْهَا السَّهْلُ وَالْأَوْعَارُ
أخذ « نفست عليها وجهك الأحفار » بعضهم ، فقال :
لو علم القبر ما يُورَى تاه على كلِّ ما يَأْتِيهِ

وقال^(٤) :

وَيُخْطِئُ عُذْرِي وَجَهَ جُرْمِي عِنْدَهَا فَأَجْنِي إِلَيْهَا الذَّنْبَ مِنْ حَيْثُ لَا أُدْرِي
إِذَا أَذْنِبْتُ أَعْدَدْتُ عُذْرًا . لَذْنِهَا وَإِنْ سَخِطْتُ كَانَ اعْتَذَارِي مِنَ الْعَذْرِ
وقال :

يَذْكُرُ نِيكَ الْيَأْسُ فِي خَطَرَةِ الْمُئِي وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَذْكُرْكَ إِلَّا عَلَى ذِكْرِي
وقال^(٥) :

تَجْرِي الرِّيحُ بِهَا حَسْرَى مُوَلَّهَةً حِينَ تَلُوذُ بِأَطْرَافِ الْجَلَامِيدِ
وقال أبو الشَّيْص :

* خَلَعَ الصَّبَا عَنْ مَنْكِبِيهِ مَشِيبَ *

وقال أبو العتاهية^(٦) :

أَتَتْهُ الْخِلَافَةُ مِنْقَادَةً إِلَيْهِ تَجَرَّرَ أَذْيَالُهَا

وقال أبو نواس^(٧) :

فَاسْقِنِي الْبِكْرَ الَّتِي اخْتُمَرَتْ بِخِمَارِ الشَّيْبِ فِي الرَّحِمِ

(١) الشعر والشعراء : ٨١٧ . (٢) المجلس : كساء يوضع على ظهر البعير تحت الرجل .

(٣) الأحفار : جمع حفر ، بفتحتين ، وهو التراب المستخرج من الشيء المحفور .

(٤) الشعر والشعراء : ٨١٨ . (٥) مذهب الأغاني : ٨ - ١٢ .

(٦) عصر المأمون : ٢ - ٣٦٥ . (٧) ديوانه : ٣٢٤ .

ثُمَّ انصَأتَ الشَّبَابُ لَهَا بعد أن جازَتْ مَدَى الهَرَمِ
فَهِىَ لِلْيَوْمِ الَّذِي نَزَلَتْ وَهِيَ تَلُو الدَّهْرَ فِي الْقَدَمِ
ومنها قوله :

فَتَمَشَّتْ فِي مَفَاصِلِهِمْ كَتَمَشَّى الْبَرَّ فِي السَّقَمِ
صَنَعَتْ فِي الْبَيْتِ إِذْ مُرِجَتْ كَصَنِيعِ الصُّبْحِ فِي الظُّلَمِ
قوله : انصأت الشبَاب لها : كأنها صوّتت به ، فانصأت لها أى أجابها .
وقوله (١) :

أَعْطَيْتُكَ رِيحَانَهَا الْمُقَارُ وَحَانَ مِنْ لَيْلِكَ انْسِفَارُ
أى شربتها فتحول طيبها إليك .
وقوله :

لَنَا رِوَامِشٌ يُنْتَخَبْنَ لَنَا تَظَلَّ آذَانُنَا مَطَايَاها
الرامشة : ورقة آس لها رأسان .
وقال (٢) :

حَتَّى تَحْصِرَ بِنْتَ دَسْكَرَةَ قَدْ عَاجَمَتْهَا السَّنُونُ وَالْحَقَبُ (٣)
وقوله (٤) :

حَتَّى إِذَا مَا عَلَا بَاءُ الشَّبَابِ بِهَا وَأَفْعَمَتْ فِي تِمَامِ الْجِسْمِ وَالْقَمَبِ
وَجُمُشَتْ بِخَفَى اللَّحْظِ فَاَنْجَشَمَتْ وَجَرَّتِ الْوَعْدَ بَيْنَ الصِّدْقِ وَالْكَذْبِ
وقوله فى السحاب :

* وَجَرَّتْ عَلَى الرُّبَا ذَنْبًا *

وقال :

فَرَاخَ لَا عَطَلَتْهُ عَافِيَةٌ وَبَاتَ طَرْفِي مِنْ طَرَفِهِ جُنْبًا

(١) ديوانه : ٢٧٤ . (٢) ديوانه : ٢٤٢ .

(٣) الدسكرة : بناء كالقصر حوله بيوت للأعاجم يكون فيها الشراب والملاهي .

(٤) ديوانه : ٢٤٣ .

وقال (١) :

دَعِ الْأَبَانَ يَشْرِبُهَا رَجَالُ رَقِيقُ الْعِيشِ بَيْنَهُمْ غَرِيبُ

وقوله :

وَلَا عَجِيبُ إِنْ جَفَتْ دِمْنَةُ عَنْ مُسْتَهَامٍ نَوْمُهُ قَوْتُ

وقوله (٢) :

فَقَمْتُ وَاللَّيْلُ يَجْلُوهُ الصَّبَاحُ كَمَا جَلَا التَّبَسُّمُ عَنْ غُرِّ الثَّنِيَّاتِ

وقوله (٣) :

مَنْ قَهْوَةٍ جَاءَتْكَ قَبْلَ مِرَاجِهَا عَطَلًا فَالْبَسْهَا الْمِرَاجُ وَشَاكَ

وقوله منها :

شَكَّ الْبَزَالُ قُوَادَهَا فَكَأَنَّمَا أَهَدْتُ إِلَيْكَ بِرِيحِهَا التَّفَاحَا

صَفَرَاءُ تَفْتَرِسُ النُّفُوسَ فَلَا تَرَى مِنْهَا بَهَنٌ سِوَى السَّبَابِ جِرَاحَا

عَمِرَتْ يُكَاتِمُكَ الزَّمَانُ حَدِيثَهَا حَتَّى إِذَا بَلَغَ السَّامَةَ بِالْحَا

وقوله (٤) :

جَرِيتُ مَعَ الصَّبَا طَلَقَ الْجَمُوحَ وَهَانَ عَلَيَّ مَأْثُورُ الْقَبِيحِ

وَجَدْتُ أَلَذَّ عَارِيَةِ اللَّيْلِ الْقِرَانِ النَّعْمُ بِالْوَتَرِ الْفَصِيحِ

وقوله منها :

تَمَتَّعَ مِنْ شَبَابٍ لَيْسَ يَبْقَى وَصِلَ بُعْرَى الْقَبُوقِ غُرَى الصَّبُوحِ

وَحُذِنَا مِنْ مُشْعِمَةٍ كُمِيتِ (٥) تُنْزِلُ دِرَّةَ الرَّجْلِ الشَّجِيحِ

فَإِنِّي عَالِمٌ أَنْ سَوْفَ يَنْأَى مَسَافَةً بَيْنَ جُبَانِي وَرُوحِي

وقوله :

فَاسْتَنْطِقِ الْعُودَ قَدْ طَالَ الشُّكُوتُ بِهِ لَنْ يَنْطِقَ اللَّهُوْ حَتَّى يَنْطِقَ الْعُودُ

(١) ديوانه : ٢٤٤ . (٢) ديوانه : ٢٥٠ . (٣) ديوانه : ٢٥٦ .

(٤) ديوانه : ٢٥٧ . (٥) مشعمة : مختلطة : وكيت : حمراء .

وقوله (١) :

* صفراء تَغْنِقُ بين المَاءِ والزَّيْدِ (٢) *

وقوله :

* وقد لاحت الجوزاء وأنعمس النَّسْرُ *

وقوله :

* تَجْرُرُ أَذْيَالُ الْفُجُورِ وَلَا فُجْرُ *

وقوله (٣) :

لَا يَنْزِلُ اللَّيْلُ حَيْثُ حَلَّتْ فَدَهْرُ شَرَّابِهَا نَهَارُ

وقوله (٤) :

وَرَيَّانُ مِنْ مَاءِ الشَّبَابِ كَأَنَّمَا يُظْمَأُ مِنْ صُمِّ الْحَشَا وَيَجَاعُ

وقوله (٥) :

* وَتَنَحَّ عَنْ طَرَبٍ وَعَنْ قَصْفٍ *

وقوله :

عَيْنُ الْخَلِيفَةِ بِي مَوَكَّلَةٍ عَقَدَ الْحَذَارُ بِطَرْفِهَا طَرْفِي

صَحَّتْ عَلَانِيَتِي لَهُ وَأَرَى دِينَ الضَّمِيرِ لَهُ عَلَى حَرْفٍ

وقوله :

سَلَبُوا قِنَاعَ الطَّيْنِ عَنْ رَمَقٍ حَيَّ الْحَيَاةِ مُشَارِفِ الْحَتَفِ

فَتَنَفَسْتُ فِي الْبَيْتِ إِذْ مُرِجَتْ كَتَنَفَسِ الرِّيحَانِ فِي الْأَنْفِ

وقوله (٦) :

لَتَبِيجَةُ مُزْنَةٍ مِنْ عُودِ كَرَمٍ تَضِيءُ اللَّيْلَ مَضْرُوبِ الرُّوَاقِ

(١) ديوانه : ٢٦٧ ، وصدره : * دع ذا عدمتك واشربها معتقة *

(٢) تغنق، من قولهم: غنقت السحابة إذا خرجت من معظم الغيم ، تراها بيضاء لإشراق

الشمس عليها . ورواية الديوان : * صفراء تفرق بين الروح والجسد *

(٣) ديوانه : ٢٧٤ . (٤) ديوانه : ٣٠٢ .

(٥) ديوانه : ٣٠٣ ، وقوله : * أطلع الخليفة واعص ذا عزف * (٦) ديوانه : ٣٠٦ .

وقوله (١) :

حلبت لأصحابي بها درّة الصَّبَا بصفراء من ماء الكُروم شَمُولِ

وقوله (٢) :

* دَعَا هُمُّهُ مِنْ صَدْرِهِ بِرَحِيلِ *

وقوله (٣) :

* وَلَا تَوَفَى اللَّيْلُ جُنْحًا مِنَ الدُّجَى *

وقوله (٤) :

* وَقَامَ وَزَنَ الزَّمَانُ فَاعْتَدَلَا *

وقوله (٥) :

* فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُ الزَّمَانِ مُقْتَبِلَا *

وقوله (٦) :

* كَانَ الشَّبَابُ مَطِيَّةَ الْجَهْلِ *

وهو من قول النابغة (٧) :

* فَإِنْ مَطِيَّةَ الْجَهْلِ الشَّبَابُ *

وقوله (٨) :

* وَحَطَطْتُ عَنْ ظَهْرِ الصَّبَا رَحْلِي *

وقوله (٩) :

وَمَتَّصِلٌ بِأَسْبَابِ الْعَالِي لَهُ فِي كُلِّ مَكْرُمَةٍ حَمِيمٌ

(١) ديوانه : ٣١١ . (٢) صدره : * إِذَا مَا أُمْتُ دُونَ الْإِهَاءِ مِنَ الْفَتَى *

(٣) بقيته : * تَصَايْتُ وَاسْتَجَمَلْتُ غَيْرَ جَمِيلِ *

(٤) ديوانه : ٣١٣ ، وصدره : * أَمَا تَرَى الشَّمْسَ حَلَّتِ الْحَمَلَا *

(٥) صدره : * فَاشْرَبْ عَلَى جِدَّةِ الزَّمَانِ فَقَدْ *

(٦) ديوانه : ٣١١ ، وبعده : * وَحَسَنَ الضَّحَكَاتِ وَالْهَزَلِ *

(٧) ديوانه : ٧٥ ، وصدره : * فَإِنْ يَكْ عَامِرٌ قَدْ قَالَ جَهْلًا *

(٨) صدره : * فَالآنَ صَرْتُ إِلَى مُقَارَبَةٍ * (٩) ديوانه : ٣٢٦ .

رَفَعْتُ لَهُ الدَّاءَ «بَقْمٌ» فَخُذْهَا فَقَدْ أَخَذْتُ مَطَالِعَهَا النُّجُومُ
وقوله (١) :

أَلَا لَا تَرَى مِثْلِي أَمَرَى الْيَوْمَ فِي رَسْمٍ نَقَصْتُ بِهِ عَيْنِي وَيَلْفِظُهُ وَهْمِي
وقوله : «نقص به» ؛ أى تمتلئ بالدموع ، « ويلفظه وهى » أى ينكره .
وقوله :

وَكَاثِمًا يَتَلَو طَرَائِدَهَا نَجْمٌ تَوَانَرَ فِي قَفَا نَجْمٍ
وقوله (٢) :

شَمُولًا تَحْطِطُهُ الْمُنُونُ وَقَدْ أَتَتْ سَمُونٌ لَهَا فِي دَنِّهَا وَسُونُ
وقوله (٣) :

فَقَرَّبْتُ بِصِرْفِ عُقَارٍ نَشَأَتْ فِي حِجْرِ أُمِّ الزَّمَانِ
وقوله :

تَرَى الْعَيْنَ تَسْتَعْفِيكَ مِنْ لَمَاعِهَا وَتَحْسِرُ حَتَّى مَا تَقْلَّ جَفُونُهَا
وقوله (٤) :

فِي مَجْلَسِ ضَحِكِ السَّرُورِ بِهِ عَنْ نَاجِدِيهِ وَحَلَّتِ الْخَمْرُ

وقول أبى تمام (٥) :

وَحَسَنُ مُنْقَلَبٍ تَبْدُو عَوَاقِبُهُ جَاءَتْ بِشَاشَتِهِ فِي سُوءِ مُنْقَلَبٍ
وقوله (٦) :

* رَخِصَتْ لَهَا الْمَهْجَاتُ وَهِيَ غَوَالٍ *

وقوله (٧) :

وَتَنْظَرُ حَبَبَ الرِّكَابِ يَنْصُهَا (٨)

(١) ديوانه : ٣٢٤ ، وامترى : شك . (٢) ديوانه : ٣٣٨ . (٣) ديوانه : ٣٣٨ .

(٤) ديوانه : ١٠٢ . (٥) ديوانه : ٩ .

(٦) ديوانه : ٢٥٩ ، وصدرة : * غضب الخليفة للخلافة غضبة *

(٧) ديوانه : ٢٤٦ . (٨) ينصها : يستخرج أقصى ما عندها من الجرى .

وقوله^(١) :

تطلُّ الطلولُ الذمَعُ في كلِّ منزلٍ وتمثلُ بالصَّبَرِ الديارُ الموائِلُ^(٢)
دوارسٍ لم يَجْفُ الرِّيحُ ربوعَها ولا مَرَّ في أغفالها وهو غافلُ
فقد سحبتُ فيها السحابُ ذيولَها وقد أخمِلتُ بالنورِ فيها الخمائلُ
ليالَى أضلَّت العزاءَ وخزَلتُ بمقلِّك أرامُ الخدورِ العقائلُ^(٣)
وقوله^(٤) :

بسقيم الجفون غير سقيمٍ ومُريبِ الأَخطاظِ غير مريبِ
وقوله^(٥) :

غَلِيلى على خالدٍ خالدٌ وضيع هموى طويلُ الثَّواءِ
ألا أيَّها الموتُ فجمتَنا بماءِ الحياةِ وماءِ الحياءِ
أصبنا بكنزِ الغنى والإِما م أمسى مصاباً بكنزِ الفناءِ

وقوله :

ثوى فى الثرى من كان يحيا به الثرى ويَغمرُ صرفَ الدهرِ نائلُهُ الفَمرُ
وقوله^(٦) :

* سَمَدَتْ غُرْبَةُ النوى بِسُمادِ *

وقوله^(٧) :

إذا سيفُهُ أضحى على الهامِ حاكماً غدا العفوُ منه وهو فى السَّيفِ حاكِمُ
وقوله^(٨) :

لئن أصبحتَ ميسدانَ السَّوائِفى لقد أصبحتَ ميسدانَ الهُمومِ

(١) ديوانه : ٣٥٥ . (٢) تطل : تسكب . الموائل : الدوارس .
(٣) أضلَّت : أضعت . وخزَلت : قطعت . العقائل : المصونات . (٤) ديوانه : ٣٦ .
(٥) ديوانه : ٣٣٧ . (٦) ديوانه : ٧٥ ، وبقيته : * فى طوع الإتهام والإنجاد *
(٧) ديوانه : ٢٨٧ . (٨) ديوانه : ٢٨٧ .

أُظِنَّ الدَّمْعَ فِي خَدَي سَبِيقِ رَسُومًا مِنْ بَكَائٍ فِي الرُّسُومِ
وَلَيْلٍ بَتُّ أَكْلُوهُ كَأَنِّي سَلِيمٌ أَوْ سَهَدْتُ عَلَى سَلِيمِ
أَرَاغِي مِنْ كَوَاكِبِهِ هِجَانًا سَوَامًا لَا تَزِيغُ إِلَى الْمُسِيمِ^(١)
يَكَادُ نَدَاهُ يَتْرُكُهُ عَدِيمًا إِذَا هَظَلْتُ يَدَاهُ عَلَى عَدِيمِ
سَفِيهِ الرَّمَحِ جَاهِلُهُ إِذَا مَا بَدَأَ فَضْلُ السَّفِيهِ عَلَى الْحَلِيمِ

وقوله^(٢) :

عَهْدِي بِهِمْ تَسْتَنْيرُ الْأَرْضُ إِنْ نَزَلُوا فِيهَا وَتَجْتَمِعُ الدُّنْيَا إِذَا اجْتَمَعُوا
وَيُضْحِكُ الدَّهْرُ مِنْهُمْ عَنْ غَطَارِفَةٍ كَأَنَّ أَيَّامَهُمْ مِنْ أُنْسِهَا جُمِعَ
وقوله^(٣) :

وَضَلَّ بِكَ الْمِرْتَادُ مِنْ حَيْثُ يَهْتَدِي وَضُرْتُ بِكَ الْأَيَّامُ مِنْ حَيْثُ تَنْفَعُ
وقوله :

تَرُدُّ الظَّنُونُ بِهِ عَلَى تَصَدِيقِهَا وَتُحَكِّمُ الْأَمَالَ فِي الْأُمُومَالِ
وقوله^(٤) :

إِذَا أَحْسَنَ الْأَقْوَامُ أَنْ يَتَطَاوَلُوا بِلَا مِنَّةٍ أَحْسَنْتَ أَنْ تَتَطَوَّلَا
تَعَظَّمْتَ عَنْ ذَاكَ التَّعَظُّمِ مِنْهُمْ وَأَوْصَاكَ نُبْلُ الْقَدْرِ أَنْ تَتَنَبَّلَا
وقوله^(٥) :

فَاطْلُبْ هُدًى فِي التَّقَلُّقِ وَاسْتَتِرْ بِالْعَيْسِ مِنْ تَحْتِ الشَّهَادِ هَجُودَا
وقوله^(٦) :

أَيَّامُنَا مَصْقُولَةٌ أَطْرَافُهَا^(٧) بِكَ وَاللَّيَالِي كُلُّهَا أَسْحَارُ

(١) الهجان : الكرام . والسوام : الإبل الراعية . لا تزيغ : لا تحيل . المسيم : الراعي .
(٢) ديوانه : ٣٧٢ . (٣) ديوانه : ٣٧٢ . (٤) ديوانه : ٢٥٢ .
(٥) ديوانه : ٨٨ . (٦) ديوانه : ١٤٨ . (٧) في الديوان : « لإسرافها » .

وقال البحرى^(١) :

بيضاء يطيئك القضيْبُ قوامها ويريكَ عينيها الفزالُ الأخورُ

وقوله^(٢) :

فحاجبُ الشمسِ أحياناً يضاحِكُها وربُّ الغيثِ أحياناً يُياكِها

وقوله^(٣) :

* وللقضيبِ نصيبٌ من ثنِّيها *

وقوله^(٤) :

أصبابةً برسومِ رامةٍ بعدما عرفت معارفها الصبا والشمالُ

وقوله^(٥) :

صفتُ مثلَ ما تصفو الدُدامُ خلاله ورقتُ كما رَقَّ النسيمُ شمائله

وقوله^(٦) :

* نثرتُ وردَها عليه الحدود *

أخذه آخرُ فقال :

* وحياءُ نثر الوردَ على الخدِّ الأسيل *

وقوله^(٧) :

سحابٌ خطأني جوده وهو مُسْبِلٌ وبحرٌ عداّني فيضُه وهو مُفْعَمٌ

وقوله^(٨) :

أرجنَ علىَّ الليلَ وهو مُمَسِّكٌ وصَبَحْنَا بالصَّبْحِ وهو مُخْلَقٌ^(٩)

(١) ديوانه : ٢ - ٢١٢ . (٢) ديوانه : ٢ - ٣١٩ .

(٣) ديوانه : ٢ - ٣٢١ ، وقبله : * في حرة الورد شكل من تلبيها *

(٤) ديوانه : ٢ - ١٥٨ . (٥) ديوانه : ٢ - ١٦٣ .

(٦) ديوانه : ١ - ١٣٨ ، صدره : * قطرات من السحاب وروض *

(٧) ديوانه : ١ - ٢٢٦ . (٨) ديوانه : ٢ - ١٣٩ .

(٩) أرجن ، بالتخفيف أى أثرن عليه الليل وأغرينه عليه . وفي رواية الديوان :

أرجن علينا الليل وهو ممسك وصبحنا بالصبح وهو مخلق

وقوله (١) :

فِي مَقَامٍ تَخْتَرُ فِي ضَمْنِكِهِ الْيَمِينُ ضُ عَلَى الْبَيْضِ رُكْمًا وَسُجُودًا

وقوله (٢) :

جَارَى الْجِيَادَ فَطَارَ عَنْ أَوْهَامِهَا سَبَقًا وَكَادَ يَطِيرُ عَنْ أَوْهَامِهِ

وقوله (٣) :

قَطَّوْهُنَّ طَيَّنَ الْفَيَافِي وَاكْتَسَيْنَ الْوَجِيفَ (٤) حَتَّى عَرَيْنَا

وقوله (٥) :

فَأَضَلَّتْ خِلْمِي وَالتَفَتُ إِلَى الصَّبَا سَفَاهًا وَقَدْ جُرْتُ الشَّبَابَ مَرَّاحِلًا

وقوله :

* إِذَا مَرَّ أَيْعَاطِيَاهُ مَرَّتْ أَمَرْتُ *

وقوله (٦) :

* لَيْلُ بَيْتِ اللَّيْلِ فِيهِ غَرِيبَا *

وقول ابن الرومي :

وَمَا تَعْمَرُ بِهَا آفَةُ بَشَرِيَّةٍ مِنَ النَّوْمِ إِلَّا أَنَهَا تَتَخَرَّرُ (٧)

كَذَلِكَ أَنْفَاسُ الرِّيحِ بِسُحْرَةٍ تَطِيبُ وَأَنْفَاسُ الْأَنَامِ تَغَيَّرُ

وقوله :

يَا رَبِّ رَيْقِ بَاتَ بَدْرُ الدُّجَى يَمُجُّهُ بَيْنَ ثَنَابَاكَ

يُرْوَى وَلَا يَنْهَاكَ عَنْ شُرْبِهِ وَالْخَمْرُ يُرْوِيكَ وَيَنْهَاكَ

(١) ديوانه : ١ - ١٨٤ . (٢) ديوانه : ٢ - ٢٥١ . (٣) ديوانه : ٢ - ٢٨٣ .

(٤) الوجيف : ضرب من سير الخيل والإبل . (٥) ديوانه : ٢١٢ .

(٦) ديوانه : ١ - ٧٦ ، وصدره : * أنضى إلى إيدام جرد ودونها *

(٧) تتخَرَّرُ : الخسرة ضد الرقة ، كما يختر الثين .

وقول المتأني :

وأشمت مُشتاقٍ رَمَى في جُفُونِهِ غَرِيبَ الْكَرَى بَيْنَ الْفِجَاجِ السَّبَّاسِبِ^(١)
أَمَاتَ اللَّيَالِي شَوْقَهُ غَيْرَ زَفَرَةٍ ثَرَدَدُ مَا بَيْنَ الْحَشَى وَالتَّرَائِبِ
سَحَبَتْ لَهُ ذَيْلَ السُّرَى وَهُوَ لَا يَسُ دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى مَجَّ ضَوْءُ الْكَوَاكِبِ
وَمِنْ فَوْقِ أَكْوَارِ الْمَطَايَا لُبَانَةٌ أَحِلَّ لَهَا أَكْلُ الذُّرَى وَالغَوَارِبِ^(٢)
إِذَا أَدْرَعَ اللَّيْسَلُ انْجَلَى وَكَأَنَّهُ بَقِيَّةُ هِنْدِيٍّ حُسَامِ الْمَضَارِبِ
بِرَكْبٍ تَرَى كَثْرَ الْكَرَى فِي جُفُونِهِمْ وَعَهْدَ الْفَيَافِي فِي وَجُوهِ شَوَاجِبِ

وقول أبي العتاهية :

* أَمْرِي إِلَيْهِ الرَّدَى فِي حَلْبَةِ الْقَدَرِ *

ومن ردىء الاستعارة قول علقمة الفحل^(٣) :

وَكُلُّ قَوْمٍ وَإِنْ عَزُّوا وَإِنْ كَرُمُوا عَرِيفُهُمْ بِأَثَانِي الدَّهْرِ مَرْجُومٌ^(٤)
أَثَانِي الدَّهْرِ ، بَعِيدٌ جَدًّا .
وقول ذى الرُّمَّة^(٥) :

تَيْمَمَنَّ يَافُوخَ الدُّجَى فَصَدَعَتْهُ وَجَوْزُ الْفَلَاصِدِ السُّيُوفِ الْقَوَاطِعِ
وَقَالَ تَابَّطُ شَرًّا^(٦) :

نَحَزَ رِقَابَهُمْ حَتَّى نَزَعْنَا وَأَنْفُ الْمَوْتِ مَنَحَرَهُ رَثِيمٌ^(٧)

(١) السبب : المفازة أو الأرض المستوية البعيدة . (٢) الكور : الرجل ، أو بأداته ،
وجمه أكوار . الغارب : السكاهل ، أو ما بين السنام والعنق ، وجمعه غوارب .
(٣) ديوانه : ١٤ . (٤) البيت في ديوانه :

بل كل قوم وإن عزوا وإن كثروا عريفيهم بأثاني الشر مرجوم
والأثاني : جمع أثنية ، وهي الحجارة التي تنصب وتعمل القدر عليها . والرجم : القتل والغذف .

(٥) ديوانه ٦٦٨ ، وفيه « الصوادع » (٦) الموازنة : ١٧

(٧) الرثيم : القدي أدمته الحجارة

وقول الحطيئة^(١) :

سَقَوْا جَارَكَ الْعِيَانِ لَمَّا جَفَوْنَهُ وَقَلَّصَ عَنْ بَرْدِ الشَّرَابِ مَشَافِرُهُ^(٢)

وقول الآخر^(٣) :

فَمَا رَفَدَ الْوِلْدَانُ حَتَّى رَأَيْتُهُ عَلَى الْبَكْرِ يَمْزِيهِ بِسَاقِي وَحَافِرِ

وقول الآخر :

قَدْ أَفْنَى أَنَامِلَهُ أَزْمُهُ فَأَضْحَى يَعْصَى عَلَى الْوَضِيفِ^(٤)

وإذا أُريدَ بذلك الذَّمُّ والهجاء كان أقرب إلى الصواب .

وأما القبيحُ الذي لَا يُشَكُّ فِي قَبَاحَتِهِ ، فقولُ الآخر :

سَأَمْنَمَهَا أَوْ سَوْفَ أَجْعَلُ أَمْرَهَا إِلَى مَلَكٍ أَظْلَلَهُ لَمْ تُشَقِّقِ

وقول ذى الرُّمَّةِ^(٥) :

يُعَزُّ ضِعَافَ الْقَوْمِ عِزَّةُ نَفْسِهِ وَيَقْطَعُ أَنْفَ الْكِبْرِيَاءِ مِنَ الْكِبَرِ

وقول خويلد الهذلي أو غيره^(٦) :

تُخَاصِمُ قَوْمًا لَا تَلْقَى جَوَابَهُمْ وَقَدْ أَخَذَتْ مِنْ أَنْفِ لِحْيَتِكَ الْيَدُ

أى قبضت بيدك على مقدم لِحْيَتِكَ كما يفعلُ النَادِمُ أو المَهْمُومُ ، وَأَنْفُ كُلِّ

شَيْءٍ : مقدمه ، وَأَنُوفُ الْقَوْمِ : سَادَتُهُمْ ، وَالْأَنْفُ فِي هَذَا الْبَيْتِ هَجِينُ^(٧) الْمَوْقِعِ

كما ترى .

وقد وقع في غيره أَحْسَنَ مَوْقِعٍ ، وهو قولُ الشاعر^(٨) :

(١) ديوانه : ١٢ . (٢) العيمة : شهوة اللبن ، والعطش ، وعام يعيم فهو عيمان .

(٣) البيت لجنيها الأسدي كما في اللسان ، ومعنى يمزيه : يستخرج ماعنده من الجرى .

(٤) الأزم : شدة العض . والوظيف : مستدق الذراع والساق من الخيل والإبل ونحوها .

(٥) الموازنة : ١١٧ (٦) اللسان — مادة أنف ، ونسب فيه لأبى خراش ، ديوان

الهذليين ٢ : ١٦٧ ، ونسبه إلى معقل بن خويلد الهذلي ، والموازنة : ١١٧ .

(٧) هجين : المراد غير جيد . (٨) الموازنة : ١١٧ .

إذا شمَّ أنفَ الضيفِ الحقَّ بطنه مراسِ الأواسى وامتحان الكَرَائِمِ^(١)
ويقولون : أنفَ الریح ، وأنفَ النهار ، ورَعَيْنَا أنفَ الربیع ؛ أى أوله .
قال امرؤ القيس^(٢) :

قد غَدَا يَحْمِلُنِي فِي أَنْفِهِ لاحقُ الإِطْلَيْنِ مَحْبُوكُ مُمَرٍّ^(٣)
ورَوَى بعضُ الشيوخِ الثَّقَاتِ : فى أنفه - مضموم الألف ، قال : هو من قوله :
كأسُ أنف . وروضة أنف .

وقال أعرابى يَصِفُ البرقَ^(٤) :
إذا شِيمَ أنفُ الليلِ أَوْمَضَ وَسَطُهُ سَنَّا كَابْتَسَامِ العَامِرِيَّةِ شَاغِفُ
أراد أول الليل .

ومن بعيد الاستعارة ، قولُ أعرابى^(٥) :
ما زال مجنوناً على استِ الدهر ذا جسدٍ ينمى ، وعقلٍ يَجْرِى
أى ينقص .

وسئل مسلم بن الوليد عن قول أبي نُؤَاسٍ :
رُئِمُ الكَرَى بين الجفونِ مَحِيل عَفَى عليه بُكَاءٌ عَلَيْكَ طَوِيلُ
قال : إن كان قولُ أبي العذافر :

* باضِ الهوى فى فُؤَادِي وفرَّخِ التَّذْكَارِ *
حسناً ، كان هذا حسناً .

(١) فى الموازنة ١١٧ : قال أبو العباس عبد الله بن المعتز : وهذا البيت غر الطائى حتى أتى بما أتى ، وإنما أراد ذو الرمة بقوله : أنف الضيف كقولهم : أنف النهار أى أوله .

(٢) ديوانه : ١٤٣ ، والموازنة : ١١٧ . (٣) الإطلين ، مثنى إطل مثال لابل ، وذلك منقطع الأضلاع من الحجة . فى أنفه : أى فى أول جريه وشده ، أو فى أول النيث الذى ذكره .
والحبوك : الشديد المدمج الخلق ، وممر : شديد فتل اللحم . (٤) الموازنة : ١١٨ .

(٥) فى الموازنة : وقال آخر : أنشدناه الأخفش عن ثعلب يذم رجلاً :
ما زال مذموماً على است الدهر ذا جسد ينمى وعقل يجرى

ومن عجيب هذا الباب قول بعض شعراء عبد القيس (١) :
ولما رأيتُ الدهرَ وَغَرًّا سبيله وَأَبْدَى لَنَا ظَهْرًا أَجَبَّ مُسْلَمًا (٢)
وجبهة قرد كالشراك ضئيلة وصدر خديته وأنفًا مجدعا (٣)
ومعرفة حصاء غير مُفَاضةٍ عليه ولونًا ذا عُمَانَيْنِ (٤) أَنْزَعَا
وما أعرف متى رأى هذا للدهر جبهة كالشراك مع هذا الذي عدده ؛ فجاء بما
يُضْحِكُ التَّكْلِي .

وقال الكُمَيْت :

ولما رأيتُ الدهرَ يَقْلِبُ بَطْنَهُ على ظَهْرِهِ فِعْلَ الْمُمَمَكِ (٥) فِي الرَّمْلِ
كما ظَمَنْتُ عَنَا قُضَاعَةً ظَمْنَةً هِيَ الْجَدِّ مَادُومَ النَّحِيزَةِ بِالْهَزْلِ (٦)
ومن ذلك قولُ الأَخْطَل :

إكسير هذا الخلقِ يُلْقَى وَاحِدٌ منه على أَلْفٍ فيكرم خِيمَهُ (٧)
وقول أبي تمام :

* حَتَّى اتَّقَتْهُ بِكِيمِيَاءِ السُّودَدِ *

فلا ترى شيئاً أبَدَ من إكسير الخلق ، وكيمياء السودد .
وقد أكثر أبو تمام من هذا الجنس اغتراراً بما سبق منه في كلام القدماء مما تقدم
ذكره ، فأمر ف، فنمى عليه ذلك ، وعيب به ؛ وتلك عاقبة الإسراف . فمن ذلك قوله (٨) :
يَا دَهْرُ قَوْمٍ مِنْ أَخْدَاعِكَ فَقَدْ أَضْجَجْتَ هَذَا الْأَنَامَ مِنْ خُرْقِكَ
وقوله (٩) :

كَانُوا رِدَاءَ زَمَانِهِمْ فَتَصَدَّعُوا فَكَانُوا لَبَسَ الزَّمَانِ الصُّوفاً

(١) الموازنة : ١١٨ . (٢) مسلح : مشقق . (٣) هذا البيت لم يرد في ط ، وهو في الموازنة . (٤) الحصاء التي قل شعرها : المثنون : اللحية ، أو ما فضل منها ، أو ما ثبت على الذقن وتمتعه ، وشعيرات طوال تحت حنك البعير وجمعه عثاين . وفي الموازنة : عثاين أجما . (٥) الممك : تمك : تمرغ . (٦) النحيزة : الطبيعة . (٧) الحيم : السجى والطبيعة . (٨) ديوانه : ٢١٠ ، الوساطة : ٦٨ . (٩) ديوانه : ٢٠٦ ، الوساطة : ٦٩ ، الموشح : ٢٠٦ .

وقوله (١) :

نَزَحْتُ بِهِ رَكِيَّ الْعَيْنِ إِنَّ رَأَيْتُ الدَّمْعَ مِنْ خَيْرِ الْمَتَادِ (٢)

وقوله (٣) :

* وَلَيْنَ أَخَادِعِ الزَّمَنِ الْأَبَى *

وقوله (٤) :

فَضَرَبْتُ الشَّتَاءَ فِي أَخْذَعِيهِ ضَرْبَةً غَادَرَتْهُ عَوْدًا رَكُوبًا (٥)

وقوله (٦) :

تَرَوْحُ عَلَيْنَا كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خُطُوبٌ كَأَنَّ الدَّهْرَ مِنْهُمْ يُصْرَعُ

وقوله (٧) :

أَبَلَا لَا يَمُدُّ الدَّهْرُ كَفًّا بَسْنِيءَ إِلَى مَجْتَدِي نَصْرٍ فَتَقَطَعَ لِلزَّئِدِ

وقوله (٨) :

وَالدَّهْرُ الْأُمُّ مَنْ شَرِقَتْ بِلَؤْمِهِ إِلَّا إِذَا أَشْرِفْتَهُ بَكْرِيهِمْ

وقوله (٩) :

تَحِمَلْتُ مَالُو مُحِلِّ الدَّهْرِ شَطْرَهُ لِفَسْكَرٍ دَهْرًا أَيُّ عِبَائِهِ أَثْقَلُ

وقوله يصف قصيدة (١٠) :

تَحِلُّ بِقَاعِ الْجَدِّ حَتَّى كَأَنَّهَا عَلَى كُلِّ رَأْسٍ مِنْ يَدِ الْمَجْدِ مُغْفَرُ (١١)

لَهَا بَيْنَ أَبْوَابِ الْمُلُوكِ مَزَامِيرُ مِنَ الذِّكْرِ لَمْ تَنْفَخْ وَلَا هِيَ تَزْمُرُ

وقوله (١٢) :

بِهِ أَسْلَمَ الْمَعْرُوفُ بِالشَّامِ بَعْدَمَا ثَوَى مُنْذُ أَوْدَى خَالِدٌ وَهُوَ مُرْتَدٌّ

(١) ديوانه : ٧٨ . (٢) نزحت : أخذت ماءها . الركي : الآبار .

(٣) ديوانه : ٣٤٤ ، وصديره : * سأشكر فرجة الليث الرخى *

(٤) ديوانه : ٢٧ . (٥) الأخدعان : صرطان في موضع الخطامة . والعود : البعير المسن .

(٦) ديوانه : ٢٩٠ . (٧) ديوانه : ١١٥ ، والموازنة : ١١٢ ، وفي ط : يقطع من الزند .

(٨) ديوانه : ٣٠٨ . (٩) ديوانه : ٢٤٥ . (١٠) ديوانه : ١٦٠ .

(١١) المغفر : زرد من الدروع يلبس تحت القلنسوة . (١٢) ديوانه : ١٢٢ .

وقوله (١) :

* كَأَنَّ الْمَجْدَ قَدْ خَرَفَا *

وقوله (٢) :

إِلَى مَلِكٍ فِي أَيْكَةِ الْمَجْدِ لَمْ يَزَلْ عَلَى كَيْدِ الْمَعْرُوفِ مِنْ نَيْلِهِ بَرْدٌ

وقوله (٣) :

فِي غَفْلَةٍ أَوْقَدْتُ عَلَى كَيْدِ النَّارِ نَارًا أَخْنَتُ عَلَى كِبْدَةٍ

وقوله (٤) :

حَتَّى إِذَا اسْوَدَّ الزَّمَانُ تَوَضَّحُوا فِيهِ فَعُودِرَ وَهُوَ مِنْهُمْ أَتْلَقُ

وقوله (٥) :

وَكَمْ مَلَكَتْ مِنَّا عَلَى قُبْحٍ قَدْهَا صُرُوفُ النَّوَى مِنْ مُرْهَفٍ حَسَنِ الْقَدِّ

وقوله (٦) :

إِذَا الْغَيْثُ غَادَى نَسِجَهُ خِلَتْ أَنَّهُ مَضَتْ حَقِيقَةُ حَرَسٍ (٧) لَهُ وَهُوَ حَائِكٌ

وقوله (٨) يرثى غلاماً :

أَنْزَلْتَهُ الْأَيَّامَ عَنْ ظَهْرِهَا مِنْ بَعْدِ إِثْبَاتِ رِجْلِهِ فِي الرِّكَابِ

وقوله (٩) :

وَكَأَنَّ فَارِسَهُ يَصْرِفُ إِذْ غَدَا فِي مَتْنِهِ ابْنًا لِلصَّبَاحِ الْأَبْلَقِ

وقوله (١٠) :

لَمَّا تَخَضَّتِ الْأَمَانِيُّ الَّتِي احْتَبَلَبَتْ عَادَتْ مُهُومًا وَكَانَتْ قَبْلَهَا هِمَمًا

(١) ديوانه : ٢٠٤ ، والبيت بتمامه :

لو لم تفت من المجد منذ زمن بالجرود والبأس كأن المجد قد خرفا

(٢) ديوانه : ١٢١ . (٣) ديوانه : ٩٠ ، وفي الموازنة : في «علة» .

(٤) الموازنة : ١١٣ . (٥) ديوانه : ١١٤ . (٦) ديوانه : ٢٢٤ . (٧) الحرس : الدهر .

(٨) ديوانه : ٣٥٤ . (٩) ديوانه : ٢١٢ . (١٠) ديوانه : ٣٠٣ .

وقوله^(١) :

كُلُوا الصَّبْرَ مُرًّا واشربوه فإنكم أَثَرْتُمْ بِعَيْرِ الظُّلْمِ وَالظُّلْمُ بَارِكُ
وقد جَسَنِي أَبَوْتَامُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْإِكْثَارِ مِنْ هَذِهِ الِاسْتِعَارَاتِ ، وَأَطْلَقَ لِسَانِ عَائِبِهِ ،
وَأَكْدَلَهُ الْحِجَّةَ عَلَى نَفْسِهِ ؛ وَاخْتِيَارَاتُ النَّاسِ مُخْتَلِفَةٌ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ صُورِهِمْ
وَأَلْوَانِهِمْ .

وَمِنْ رَدَى الِاسْتِعَارَةَ أَيْضًا قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

* أَنَا نَافَةٌ وَلَيْسَ فِي رَكْبَتِي دِمَاقٌ *

وَأَنشَدَ أَبُو الْعَتَّابِ :

ضَرَامُ الْحَبِّ عَشَّشَ فِي فُؤَادِي وَحَضَنَ فَوْقَهُ طَيْرُ الْيَمَادِ
وَقَدْ نَبَذَ الْهَوَى فِي دَنْ قَلْبِي فَعَرَبَدَتِ الْمَعْمُومُ عَلَى فُؤَادِي
وَمِثْلُهُ كَثِيرٌ وَلَا وَجْهَ لَاسْتِعْمَالِهِ ؛ لِأَن قَلِيلَهُ دَانٌّ عَلَى كَثِيرِهِ ، وَجَمْلَتُهُ مَبِينَةٌ عَنْ
تَفْسِيرِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

الفصل الثاني من الباب التاسع

في المطابقة

قد أجمع الناس أن المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من أبيات القصيدة ؛ مثل الجمع بين البياض والسواد ، والليل والنهار ، والحر والبرد .

وخالفهم قدامة بن جعفر الكاتب ، فقال : المطابقة إيراد لفظتين متشابهتين في البناء والصيغة مختلفتين في المعنى ، كقول زياد الأعجم ^(١) :

وَنُبِثُهُمْ يَسْتَنْصِرُونَ بِكَاهِلٍ وَلَلَّوْمٍ فِيهِمْ كَاهِلٌ ^(٢) وَسَنَامٌ

وسمى الجنس الأول التكاثر . وأهل الصنعة يسمون النوع الذي سماه المطابقة التعطف . قال : وهو أن يذكر اللفظ ثم يكرره ، والمعنى مختلف ، وستراه في موضعه إن شاء الله .

والطباق في اللغة : الجمع بين الشيئين ؛ يقولون : طابَقَ فلان بين ثوبين ، ثم استعمل في غير ذلك ؛ فقليل : طابق البعير في سيره ، إذا وضع رجله موضع يده ، وهو راجع إلى الجمع بين الشيئين . قال الجعدي ^(٣) :

وخيل تطابق بالدارعين طباق الكلاب يطآن الهراسا ^(٤)

وفي القرآن : ﴿ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴾ ، أي بعضهن فوق بعض ؛ كأنه شبه بالطبق يجعل فوق الإناء ؛ قال امرؤ القيس ^(٥) :

* طَبِقُ الْأَرْضِ تَحَرَّى وَتَدَّرُ ^(٦) *

(١) إيجاز القرآن للباقلاني : ٧٩ ، وفي الإيجاز : « ونبأهم » .

(٢) الكاهل : مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق . (٣) اللسان (هرس) .

(٤) الهراس : شوك كأنه الحسك . (٥) ديوانه : ١٤٣ ، وصدره :

* ديمة هطلاء فيها وطف *

(٦) طبق الأرض : أي تم الأرض حتى تصير لها كالطبق . تحرى : تقصد . وتدر :

تصب الماء .

وكل قَفْرَةٍ من قَفَرِ الظهر والعُنُقِ طَبَقَ ، وذلك أن بعضها منصُود على بعض .
فما في كتاب الله عز وجل من الطَّبَاقِ قوله تعالى : ﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ
وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ يُخْرِجُكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ ، أى من الكفر إلى الإيمان .
وقوله عز وجل : ﴿ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ .
وقوله سبحانه : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَافَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ ،
وهذا على غاية التساوى والموازنة .

وقوله تعالى : ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ .
وقوله جلَّ شأنه : ﴿ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ
مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴾ .

وقوله عز اسمه : ﴿ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ .
وقوله سبحانه : ﴿ فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾ .
وقوله جل ذكره : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ، وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ .

وقد تنازع الناسُ هذا المعنى ؛ قال ابن مطير :

* تَضْحَكُ الْأَرْضُ مِنْ بُكَاءِ السَّمَاءِ *

وقال آخر :

* ضَحِكَ الْمَرْءُ بِهَا نُفْسٌ بَكَى *

وقال آخر :

فله ابتسَامٌ في لَوَامِعِ بَرْقِهِ وله بُكَاءٌ مِنْ وَدْقِهِ الْمُسْرَبِ
وقال آخر^(١) :

لَا تَعْجِبِي يَا سَلَمُ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ الشَّيْبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى

(١) هو دعبيل الخزاعي . معاهد التنصيص : ٢ - ١٨٤ .

فلم يقرب أحدٌ من لَفْظِ القرآنِ في اختصاره وصفائه ، ورَوْقِهِ وبهائه ، وطَلَاوَتِهِ ومائه ؛ وكذلك جميعُ ما في القرآن من الطَّبَاقِ .

ومما جاء في كلام النبي صلى الله عليه وسلم من الكلام المطابق قوله للأَنْصار : « إِنَّكُمْ لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الْفَزَعِ ، وَتَقْلُونَ عِنْدَ الطَّمَعِ » . وقوله عليه الصلاة والسلام : « خَيْرُ الْمَالِ عَيْنٌ سَاهِرَةٌ لَعَيْنٍ نَائِمَةٌ » ، يعنى عَيْنَ الْمَاءِ يَنَامُ صَاحِبُهَا وَهِيَ تَسْقِي أَرْضَهُ . وقوله عليه الصلاة والسلام : « إِنَّا كُمْ وَالْمِشَارَةُ فَإِنَّهَا تُنْمِتُ الْغُرَّةَ وَتُحْيِي الْعُرَّةَ » (١) .

ومن سائر الكلام قول الحسن : مارأيتُ يقيناً لاشكَّ فيه أشبهَ بشكٍّ لا يقينَ فيه من الموتِ . وقال أيضاً رضى الله عنه : إِنْ مَنْ خَوَّفَكَ حَتَّى تَبْلُغَ الْأَمْنَ خَيْرٌ مِمَّنْ يُؤْمِنُكَ حَتَّى تَلْقَى الْخَوْفَ . وقال أبو الدَّرْدَاءِ رضى الله عنه : معروفُ زماننا مُنْكَرُ زَمَانٍ قَدَفَاتٍ ، وَمُنْكَرُهُ مَعْرُوفُ زَمَانٍ لَمْ يَأْتِ . وقال بعضهم : لَيْتَ حِلْمُنَا عَنْكَ لَا يَدْعُو جَهْلَ غَيْرِنَا إِلَيْكَ . وقال عبد الملك : مَا جَدْتُ نَفْسِي عَلَى مَحْبُوبٍ ابْتَدَأَتْهُ بَعْجَازٌ ، وَلَا لَمْتُهَا عَلَى مَكْرُوهِ ابْتَدَأَتْهُ بِحَزَمٍ . وقالوا : الْغِنَى فِي الْغَرِبَةِ وَطَنٌ ، وَالْفَقْرُ فِي الْوَطَنِ غُرْبَةٌ . وقال أعرابي لرجل : إِنْ فَلَانَا وَإِنْ ضَحَكَ لَكَ ، فَإِنَّهُ يَضْحَكُ مِنْكَ . فَإِنْ لَمْ تَتَّخِذْهُ عَدُوًّا فِي عِلَانِيَتِكَ ، فَلَا تَجْعَلْهُ صَدِيقًا فِي سِرِّيَتِكَ . وقال على رضى الله عنه : أَعْظَمُ الذُّنُوبِ مَا صَغُرَ عِنْدَكَ . وَشَتَمَ رَجُلٌ الشَّعْبِيَّ ، فَقَالَ : إِنْ كُنْتُ كَاذِبًا فَغَفَرَ اللَّهُ لَكَ ، وَإِنْ كُنْتُ صَادِقًا فَغَفَرَ اللَّهُ لِي . وَأَوْصَى بِمَعْصِيَتِهِمْ غُلَامًا ، فَقَالَ : إِنْ الظَّنَّ إِذَا أَخْلَفَ فِيكَ أَخْلَفَ مِنْكَ . وَنَحْوُهُ قَوْلُ الْآخِرِ : لَا تَتَّكِلْ عَلَى عُدُوِّ مَنْى فَقَدْ اتَّكَلْتُ عَلَى كِفَايَةِ مِنْكَ . وقال النجاشي : أَمَا تَسْتَحْيُونَ مِنْ طَوْلِ مَا لَا تَسْتَحْيُونَ ! وَنَحْوُهُ قَوْلُ الْأَعْرَابِيِّ : فَلَانٌ يَسْتَحْيِي مِنْ أَنْ يَسْتَحْيِي . وقال : مَنْ خَافَ اللَّهَ أَخَافَ اللَّهُ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ ، وَمَنْ خَافَ النَّاسَ أَخَافَهُ اللَّهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .

(١) المِثَارَةُ : تفاعل من الشر . والغُرَّة : الحسن . والعُرَّة : في الأصل : الفذر ، واستعير للمثالب . وانظر نهاية ابن الأثير : ٣ - ٨٠ .

وقيل لأبي داود - وابنته تسوس دابته - في ذلك ، فقال : كما أكرمتها بهواني ،
معناه إن كانت تصونني عن سياسة دابتي وتبذل مني ، فها إنى أصونها وأبذل
دونها بالقيام في أمر معاشيها ، وإصلاح حالها ؛ فأخذ اللفظ بعضهم فقال في السلطان :
أُهينُ لهم نفسي لأكرمها بهم ولن تكرم النفس التي لا تهينها
وقال بعضهم لعليل : إن أعلك الله في جسمك ، فقد أصحك من ذنوبك .
وقال بعضهم : الكريم واسع المغفرة ؛ إذا ضاقت المغفرة .

وقال كثير بن هراسة يوماً لابنه : يا بني ، إن من الناس ناساً ينقصونك إذا زدتهم ،
وتهون عليهم إذا أكرمهم ؛ ليس لرضاهم موضع فتقصده ، ولا لسخطهم موضع
فتحذره ؛ فإذا عرفت أولئك بأعيانهم فأبدلهم وجه المودة ، وامتنعهم موضع الخاصة ؛
ليكون ما أبديت لهم من وجه المودة حاجزاً دون شرهم ، وما منعتهم من موضع
الخاصة قاطعاً بحرمتهم .

وقال خالد بن صفوان لرجل يصف له رجلاً : ليس له صديق في السر ، ولا عدو
في العلانية .

وقال آخر : في العمل ما هو ترك للعمل ، ومن ترك العمل ما هو أكثر العمل^(١) .
وقال آخر : إننا لا نكافي من عصي الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه .
وقال الحسن : كثرة النظر إلى الباطل تذهب بمعرفة الحق من القلب .

وقال سهل بن هرون : من طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى توفيه رزقه فيها ،
ومن طلب الدنيا طلبه الموت حتى يخرجها منها .

وكتب رجل إلى محمد بن عبد الله : إن من النعمة على المؤمن عليك ألا يخاف
الإفراط ، ولا يأمن التقصير ، ولا يحذر أن تلحقه نقیصة الكذب ، ولا ينتهي به
المدح إلى غاية إلا وجد في فضلك عوناً على تجاوزها .

(١) في ط « أكبر » ، وهذا عن أ .

وفي الحديث : « مَا قُلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مَّا كَثُرَ وَالْهَى » . وقال معاوية : ليس بين
أَنْ يَمْلِكَ الْمَلِكُ جَمِيعَ رَعِيَّتِهِ أَوْ يَمْلِكَهُ جَمِيعُهَا إِلَّا حَزَمٌ ، أَوْ تَوَانٍ .
وقال بعضهم : إِذَا شَرِبْتَ النَّبِيذَ فَاشْرَبْهُ مَعَ مَنْ يَفْتَضِحُ بِكَ ، وَلَا تَشْرَبْهُ مَعَ
مَنْ يَفْتَضِحُ بِهِ .

وقال بعضهم : سَوْدَاءُ وَلَوْ دُ خَيْرٌ مِنْ حَسَنَاءٍ عَقِيمٍ . وقال ابن السَّمَاكِ لِلرَّشِيدِ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ تَوَاضَعْ فِي شَرَفِكَ أَشْرَفُ مِنْ شَرَفِكَ .
وقال ابن المَعْتَرِ : طَلَّاقُ الدُّنْيَا مَهْرُ الْآخِرَةِ . وقالوا : غَضَبُ الْجَاهِلِ فِي قَوْلِهِ ،
وِغْضَبُ الْعَاقِلِ فِي فِعْلِهِ .

وشرب أحدهم بِحَضْرَةِ الْحَسَنِ بْنِ وَهْبٍ قَدَحًا وَعَبَسَ ، فَقَالَ لَهُ : وَاللَّهِ مَا أَنْصَفْتَهَا ،
تَضَحَّكَ فِي وَجْهِهِ ، وَتَعَبَسَ فِي وَجْهِهَا !! وقال طاهر بن الحسين لابنه : التَّبَذِيرُ
فِي الْمَالِ ذِمَّةٌ حَسَبِ التَّقْوَى فِيهِ ، فَاتَّقِ التَّبَذِيرَ ، وَإِيَّاكَ وَالتَّقْوَى . وقال أعرابي : أَتَيْتُ
بَغْدَادَ فَإِذَا ثِيَابُ أَخْرَارٍ عَلَى أَجْسَادِ عَبِيدَ ؛ إِقْبَالُ حَظِّهِمْ إِدْبَارُ حَظِّ الْكَرَمِ ؛ شَجَرَةٌ
فُرُوعُهُ عِنْدَ أَصُولِهِ ، شَغْلُهُمْ عَنِ الْمَعْرُوفِ رَغْبَتُهُمْ فِي الْمُنْكَرِ .

وقال أعرابي : اللَّهُ يَخْلِفُ مَا أَتْلَفَ النَّاسُ ، وَالذَّهْرُ مُتْلِفٌ مَا أَخْلَفَ اللَّهُ ؛
فَكُنْ مِنْ مَنِيَّةٍ عَلَّتُهَا طَلِبُ الْحَيَاةِ ، وَحَيَاةٍ سَبَّحَتْهَا التَّعَرُّضُ الْمَوْتِ ؛ وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِ
الشَّاعِرِ (١) :

تَأَخَّرْتُ اسْتَبَقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَ
وقال آخر : كَدَّرَ الْجَمَاعَةُ خَيْرٌ مِنْ صَفَوِ الْفِرْقَةِ . وقال بعضهم : وَكَانَ اعْتِدَادِي
بِذَلِكَ اعْتِدَادًا مَنْ لَا تَنْضَبُ عَنْهُ نِعْمَةٌ تَغْمُرُكَ ، وَلَا يَمُرُّ عَلَيْهِ عَيْشٌ يَحُلُّوْكَ .
وقال بعضهم : وَكَانَ سُرُورِي بِذَلِكَ سُرُورَ مَنْ لَا تَأْفُلُ عَنْهُ مَسْرَّةٌ طَلَمَتْ عَلَيْكَ ،
وَلَا تَظَلُّ عَلَيْهِ مَحَلَّةٌ أَنْارَتْ لَكَ .

(١) هو الحصين بن الحمام المري ، شعراء النصرانية : ٧٤١ .

وقال المنصور : لا تخرجوا من عزِّ الطاعة إلى ذلِّ المعصية . ووصف أعرابي غلاماً
قال : ساعٍ في الهرب ، قطوف^(١) في الحاجة .

وكتب سعيد بن حميد في كتاب فتح : ظناً كاذباً لله فيه حتم صادق ، وأملًا
خائناً لله فيه قضاء نافذ .

وقال الأفوه الأودي : سهماً تقرّ به العيون وإن كان قليلاً خيراً مما وجلت به
القلوب وإن كان كثيراً . ونحوه قول الشاعر :

* أَلَا كُلُّ مَا قَرَّتْ بِهِ الْعَيْنُ صَالِحٌ *

ومن الأشعار في الطباق قول زهير^(٢) :

لَيْتُ بَعَثَ يَصْطَادُ الرِّجَالَ إِذَا مَا اللَّيْثُ كَذَّبَ عَنْ أَقْرَانِهِ صَدَقًا^(٣)
وقول امرئ القيس^(٤) :

مَكَرَ مَفَرٍّ مُقْبِلٍ مُذْبِرٍ مَعَا كَجُلُودِ صَخْرٍ حَطَّ السَّيْلُ مِنْ عِلْدِ
وقول الطفيل الغنوي يصف فرساً :

بَسَاهِمِ الْوَجْهِ لَمْ تُقَطَّعْ أَبَاجِلُهُ يُصَانُ وَهُوَ لِيَوْمِ الرَّوْعِ مَبْدُولُ^(٥)
وقول الآخر^(٦) :

رَمَى الْجِدْنَانُ نِسْوَةَ آلِ حَرْبٍ بِمَقْدَارِ سَمْدَنْ^(٧) لَهُ سُمُودًا
فَرَدَّ شُعُورَهُنَّ السُّودَ بِيضًا وَرَدَّ وَجُوهَهُنَّ الْبَيْضَ سُودًا

وقال حسين بن مطير^(٨) :

وَمَبْتَلَةُ الْأُرْدَافِ زَانَتْ عُقُودَهَا بِأَحْسَنَ مِمَّا زَيْنَتْهَا عُقُودُهَا

(١) دابة قطوف : يضيق مشيها . (٢) ديوانه : ٥٤ .

(٣) عثر : موضع قبل تبالة من أرض اليمن . وكذب : لم يصدق في الحملة .

(٤) ديوانه : ٢٤ . (٥) ساهم الوجه : متغير الوجه . والأبجل : عرق ، وهو من الفرس

والبعير بمنزلة الأكل من الإنسان . (٦) اللسان — مادة (سمد) .

(٧) السمود هنا : الحزن . (٨) الحماسة : ٢ — ٦٥ ، مع اختلاف في الرواية .

بِصْفَرٍ تَرَاقِيهَا وَمُحَرٍّ أَكْفَهَا
وَقَالَ فِي وَصْفِ السَّحَابِ :

وَلَهُ بِلَا حُزْنٍ وَلَا بِمَسَرَّةٍ
ضَحْكٌ يُرَاوِحُ بَيْنَهُ وَبُكَاءُ
وَقَالَ آخِرُ (١) :

لَئِنْ سَاءَ نِي أَنْ نَلْتَمِسَ بِمَسَاءَةٍ
لَقَدْ سَرَّ نِي أَنِّي خَطَرْتُ بِمَالِكَ
وَقَالَ النَّابِغَةُ (٢) :

وإنْ هَبَطَا سَهْلًا أُنَارَا عَجَاجَةً
وإنْ عَلَوَا حَزَنًا تَشْطَلُ جَنَادِلُ (٣)
وَقَالَ مَسَافِعُ (٤) :

أَبْعَدَ بَنِي أُمِّي أَمْرٌ بِمُقْبِلٍ
مِنَ الْعَيْشِ أَوْ آتَى عَلَى إِثْرِ مُذِيرٍ
أَوَّلَاكَ بَنُو خَسِيرٍ وَشِرِّ كَلِيهِمَا
وَأَبْنَاءَ مَعْرُوفٍ أَلَمٌ وَمُنْكَرٍ
وَقَالَ أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ :

أَطْعَمْنَا رَبَّنَا وَعَصَاهُ قَوْمٌ
فَذُقْنَا طَعْمَ طَاعَتِنَا وَذَاقُوا
وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ (٥) :

لَعَنَ الْإِلَهُ بَنِي كَلْبٍ لِنَهُمْ
يَسْتَيْقِظُونَ إِلَى نَهْيٍ حَارِمٍ
وَلَعَنَ الْإِلَهُ بَنِي كَلْبٍ لِنَهُمْ
وَتَنَامُ أَعْيُنُهُمْ عَنِ الْأَوْتَارِ
وَقَالَ أَمْرُ الْقَيْسِ (٦) :

بِمَاءِ سَحَابٍ زَلَّ عَنْ ظَهْرِ صَخْرَةٍ
إِلَى بَطْنٍ أُخْرَى طَيِّبَ طَعْمُهُ خَصِرٌ (٧)

(١) ديوان الحماسة : ٢ - ١٠٥ ، بلا عزو . (٢) ديوانه : ٨١ .

(٣) أنارا : حركا . الحزن : ما غلظ من الأرض . تشطت : تكسرت . الجنادل : الحجارة .

(٤) هو مسافع بن حذيفة العبسي . ديوان الحماسة : ٢ - ٤١٠ مع اختلاف في الرواية .

(٥) نهاية الأرب : ٧ - ١٠١ . (٦) ديوانه : ١٣٧ .

(٧) الخصر : البارد ، وزاية البيت في ديوانه :

بماء سحاب زل عن متن ظهره إلى بطن أخرى طيب ماؤها خصر

وقال النابغة^(١) :

وَلَا يَحْسَبُونَ الْخَيْرَ لَا شَرًّا بَعْدَهُ وَلَا يَحْسَبُونَ الشَّرَّ ضَرْبَةً لَا زِبِرَ

وقال بهس بن عبد الحرث ، يصف الشيب :

حَتَّى كَأَنَّ قَدِيمَهُ وَحْدَيْتَهُ لَيْلٌ تَلْفَعُ مُذْبِرًا بِنَهَارِ

فطابق بين قديم وحديث ، وليل ونهار ؛ فأخذه الفرزدق ، فقال^(٢) :

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي الشَّبَابِ كَأَنَّهُ لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبِهِ نَهَارُ

طابق بين الشيب والشباب ، والليل والنهار ؛ وهذا أحسن من قول بهس سبكا ورصفاً ، وفيه نوع آخر من البديع ، وهو « يَصِيحُ بِجَانِبِهِ نَهَارُهُ » أخذه من قول الشماخ :

وَلَا قِيَّ بِصَحْرَاءِ الْإِهَالَةِ سَاطِئًا مِنْ الصَّبْحِ لَمَّا صَاحَ بِاللَّيْلِ نَفْرًا

وقال أبو دواد قبله :

تَصِيحُ الرُّدَيْنِيَّاتُ فِي حَجَبَاتِهِمْ صِيَاحُ الْمَوَالِي فِي الثَّقَافِ الْمُثَقَّبِ

وقال آخر :

تَصِيحُ الرُّدَيْنِيَّاتُ فِينَا وَفِيهِمْ صِيَاحُ بَنَاتِ الْمَاءِ أَصْبَحْنَ جُوعًا

وقال آخر في صفة قوس :

* فِي كَفِّهِ مُعْطِيَةٌ مُنَوَّعٌ^(٣) *

وقال آخر :

* مَرِحَتْ وَصَاحَ الْمَرْؤُ مِنْ أَخْفَافِهَا^(٤) *

وقال آخر في صفة ناقة :

* خَرَقَاهُ إِلَّا أَنَهَا صَنَاعُ^(٥) *

(١) ديوانه : ٩ . (٢) ديوانه : ٦٧ . (٣) القوس المعطية : التي عطف فلم تنكسر .

(٤) المرح : النشاط ، والمرو : الحجارة التي يقدح منها النار .

(٥) الخرقاء : التي لا تتعهد مواضع قوائمها . والصناع : الماهرة ، وأصله من وصف المرأة .

وقال آخر :

فجاء ومحمود القرى يستغزّه إليها وداعى الليل بالصُّبح يصفرُّ
ومما فيه ثلاث تطبيقات قول جرير^(١) :
وباسطُ خَيْرٍ فيكمُ يمينه وقابضُ شَرٍّ عنكمُ بشمالِها
فطابق بباسط وقابض ، وخير وشر ، ويمين وشمال ؛ ومثله قول الآخر^(٢) :
فلا الجودُ يُفنى المالَ والجَدُّ مُقْبِلٌ ولا البخلُ يُبقي المالَ والجَدُّ مُدْبِرٌ
ومثله قول الآخر :

فسرّى كإعلاني وتلك سجيّتي وظلمةٌ ليلى مثلُ ضوءِ نهارِبا
ومما فيه طباقان ، قول التلمس :
وإصلاحُ القليلِ يَزِيدُ فيه ولا يَبْقَى الكثيرُ على الفَسَادِ
وقال أوس بن حجر :

فتَحَدِّركم عَيسُ إلينا وعامِرٌ وترَفَعُنَا بَكْرٌ إليكم وتَغْلِبُ
إذا ما علوا قالوا أبونا وأمنا وليس لهم عَالِنٌ أمٌّ ولا أبٌ
وقول قيس بن الخطيم :

إذا أنت لم تَنفَعْ فَضُرَّ فَإِنَّمَا يُرَجَى الْفَقِي كَيْمَا يَضُرَّ وَيَنْفَعَا
وهذا تطبيق وتكميل ، ومثله قول عدى بن الرِّعَاء :
ليسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَحَ بِمَيْتٍ إِنَّمَا الْمَيْتُ مَيْتُ الْأَحْيَاءِ

فاستوفى المعنى في قوله : ليس من مات فاستراح بميت ، وكَمَل في قوله : إنما الميت
ميت الأحياء ؛ وقد طابق جماعة من المتقدمين بالشئ وخلافه على التقريب ؛ لا على
الحقيقة ، وذلك كقول الحُطَيْيئة^(٣) :

(١) نهاية الأرب : ٧ : ٩٩ . (٢) مذهب الأغاني : ١ - ٢٠٤ .

(٣) ديوانه : ١٠٩ .

وَأَخَذَتْ أَطْرَارَ^(١) السَّكَّامِ فَلَمْ تَدَعْ شَتْمًا يَضُرُّ وَلَا مَدِيحًا يَنْفَعُ
والهجاء ضد المدح ، فذكر الشتم على وجه التقريب ؛ وهكذا قول الآخر^(٢) :
يَجْزُونَ مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانًا
فجعل ضد الظلم المغفرة .

ومن المطابقة في أشتار المحدثين ، قول أبي تمام^(٣) :
أَصَمَّ بِكَ النَّاعِي وَإِنْ كَانَ اسْمًا وَأَصْبَحَ مَغْنَى الْجُودِ بَعْدَكَ بَلَقًا
وقالوا : هذا أَحْسَنُ ابتداء في مؤنية إسلامية ؛ وقال أبو تمام أيضًا^(٤) :
وَضَلَّ بِكَ الْمُرْتَادُ مِنْ حَيْثُ يَهْتَدِي وَضُرَّتْ بِكَ الْأَيَّامُ مِنْ حَيْثُ تَنْفَعُ
وَقَدْ كَانَ يُدْعَى لِابْنِ الصَّبْرِ حَازِمًا فَأَصْبَحَ يُدْعَى حَازِمًا حِينَ يَجْزَعُ
وقال سديف في النساء :

وَأَصَحَّ مَارَاتِ الْعِيُونِ جَوَارِحًا وَلَهْنُ أَمْرَضُ مَا رَأَيْتَ عُيُونًا
وقال عمارة بن عقيل :

وَأَرَى الْوَحْشَ فِي عَيْنِي إِذَا مَا كَانَ يَوْمًا عَنَانُهُ بِشَمَالِي
وقال أبو تمام^(٥) :

فِيمَ الشَّمَاةِ إِعْلَانًا بِأَسَدٍ وَغَى أَفْنَاهُمُ الصَّبْرُ إِذَا بَقَاكُمْ الْجَزَعُ
جاء بتطبيقتين في مضراع .
وقال البحتري^(٦) :

إِنْ إِيَّامِهِ مِنَ الْبَيْضِ بَيْضٌ مَا رَأَيْتَ الْمَفَارِقَ السُّودَ سُودًا
وقال النمرى :

وَمَنَازِلُ لَكَ بِالْحِمَى وَبِهَا الْخَلِيطُ نَزُولُ

(١) أطرار السكلام : نواحيه . (٢) هو قريظ بن أنيف أحد بني الغنبر ، ديوان
الحماسة : ١ - ٤ . (٣) ديوانه : ١ - ٣٧٤ . (٤) ديوانه : ١ - ٣٧٢ - ٣٧٣ .
(٥) ديوانه : ١ - ٢٧٢ . (٦) ديوانه : ١ - ١٨٢ .

أَيَّامَهُنَّ قَصِيرَةٌ وَسُرُورَهُنَّ طَوِيلٌ^(١)
وَسُمُودُهُنَّ طَوَالِعٌ وَنُحُومُهُنَّ أَقُولُ
وَالْمَالِكِيَّةُ وَالشَّبَا بَ وَقِينَةُ وَسَمُولُ

وقال آخر :

بِرَازِدِينَ يَأْمُوا عَنِ الْمَكْرَمِ تَ فَأَيَّظَهُمْ قَدَرٌ لَمْ يَنْمُ
فِيَا قَبْحَهُمْ فِي الذِّي خَوَّلُوا وَيَا حَسَنَهُمْ فِي زَوَالِ النَّعْمِ

وقال آخر :

أَفَاطِمَ قَدْ زُوِّجَتْ مِنْ غَيْرِ خَبْرَةٍ فَتَى مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ لَيْسَ بِطَائِلِ
فَإِنْ قُلْتُ مِنْ آلِ النَّبِيِّ فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ خُرَّ الْأَصْلِ عَبْدُ الشَّمَائِلِ
وَنَحْوُهُ فِي مَعْنَى ، لَا فِي التَّطْبِيقِ ، قَوْلُ عَلِيِّ بْنِ الْجَهْمِ فِي بَعْضِ بَنِي هَاشِمٍ :
* إِنْ تَكُنْ مِنْهُمْ بِلَاشِكِ فَلِلْمُودِ قَتَارُ *
ومثله :

* فَا خَبْتُ مِنْ فِضَّةٍ بِمَجِيبِ *

ومثله :

لَيْمَ أَنَاهُ اللَّوْثُ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ عِنْدِ أُمِّ وَلَا أَبِ
وقول أبي تمام^(٢) :

نَثَرْتُ فَرِيدَ مَدَامَعٍ لَمْ تُنْظَمْ وَالْدَمْعُ يُحْمَلُ بَعْضَ ثَقُلِ^(٣) الْمَغْرَمِ
وَصَلْتُ نَجِيمًا بِالْدَمُوعِ نَحْدَهَا فِي مِثْلِ حَاشِيَةِ الرِّدَاءِ الْمَعْلَمِ
أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ أَبِي الشَّيْصِ :

وَصَلْتُ دَمًا بِالْدَمْعِ حَتَّى كَأَنَّمَا يُذَابُ بِعَيْنِي لَوْأُوْهُ وَعَمِيقُ
وقول أبي تمام^(٤) :

* جَفُوفُ الْبَلْبِ أَسْرَعَتْ فِي الْعُصْنِ الرَّطْبِ *

(١) المختار من شعر بشار : ٣٣١ . (٢) ديوانه : ٣١٢ .

(٣) في الديوان : « بعض شجو » . (٤) ديوانه : ٣٥٦ ، وبقية :

* وَخَطَبُ الرَّدَى وَالْمَوْتُ أَبْرَحَتْ مِنْ خُطْبِ *

وقوله :

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت ويبتلى الله بمعض القوم بالنعم
وقول الآخر :

عَجَلَ الفراقُ بما كَرِهْتُ وطالما كانَ الفراقُ بما كَرِهْتُ عَجَولا
وأرى التى هَامَ الفؤادُ بذكرها أصبحتُ منها فارغا مشغولا
وقال بكر بن النطّاح :

وكانَ إظلامَ الدروع عليهمُ ليلٌ وإشراقُ الوجوه نهارُ
وقول أبي تمام (١) :

أصبحتُ فى روضة الشَّبابِ هَشِيما وغدت ربحُهُ البليل سوما
شملة فى المِفارِقِ استودعتنى فى صميمِ الفؤادِ كَلَّامِيا (٢)
غُرَّةٌ مرة (٣) ألا إنما كد ت أغر أيام كُنتَ بهيما
دِقَّةٌ فى الحياة تُدعى جلالا مثل ما تُسمى اللديغ سليما
وقول آخر :

نُفِستُ منها قُبلة لما رويت بها عطشتُ

وقلت :

إذا مشر فى المجد كانوا هَوادِيا فقيسُوا به فى المجد عادوا تَواليا
رأيتُ جِمالَ الدَّهْرِ فىكَ مجددا فكن باقيا حتى تَرى الدَّهْرَ قَانِيا

وقلت :

قل لمن أدنيه جَهْدِي وهو يقصيني جَهْدِي
ولمن ترضاه مَوْ لاك ولا يرضاك عِبْدِي
أُمْلِجْ بملِجِ الشَّ كل أن يُخْلِفَ وعدِي

(١) ديوانه : ٢٩١ . (٢) هذان البيتان لم يذكرهما فى ط .

(٣) فى الديوان : « بهمة » .

أَمْ جَمِيلٌ بِجَمِيلِ الْ وَجْهٌ أَنْ يَنْقُضَ عَهْدَهُ
مَا الَّذِي صَدَّكَ عَنِّي لَيْتَ مَا صَدَّكَ صَدَّةٌ

وقلت :

* فلماذا أبيعُهِ وِبنفسى أشتريهِ *

وقلت :

فِي كُلِّ خَلْقٍ خُلَّةٌ مَذْمُومَةٌ وَوَرَاءَ كُلِّ مُحِبِّ مَكْرُوهٌ
وَمِنْ عِيُوبِ التَّطْبِيقِ قَوْلُ الْأَخْطَلِ :
قُلْتُ الْقَامُ وَنَاعَبُ قَالَ النَّوَى فَمَصِيتُ قَوْلِي وَالْمَطَاعُ غُرَابُ

وهذا من غث الكلام وبارده ، وقال :

كَمْ جَحْفَلٍ طَارَتْ قَدَائِمِي خَيْلُهُ خَلَقْتُهُ يَوْمَ الْوَعَى مَنُتَوَفَا
أَعْلَمْتُ نَابِكَ وَهُوَ رَأْسُ أَنَّهُ سَيَكُونُ بِمَدَّكَ حَافِرًا وَوِظِيفًا^(١)
وَقَالَ آخِرُ فِي الْقَاسِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ :
مَنْ كَانَ يَمَلِّمْ كَيْفَ رِقَّةٌ طَبْعِهِ هُوَ مَقْسَمٌ أَنَّ الْمَهْوَاءَ تُخَيِّنُ
وَقَالَ أَبُو تَمَامٍ^(٢) :

فِيَا بُنَاجَ الْفَوَّادِ وَكَانَ رَضْفًا^(٣) وَيَاشِبَعِي بِمَقْدَمِهِ^(٤) وَرِييَ
وَقَالَ^(٥) :

وَإِذَا الصَّنْعُ كَانَ وَحْشًا فَلْيَيْتَ بَرَّغَمُ الزَّيْمَانِ صَنْعًا رِييَاً
وَقَالَ^(٦) :

قَدْ لَانَ أَكْثَرُ مَا تَرِيدُ وَبَعْضُهُ خَشِنٌ وَإِنِّي بِالنَّجَاحِ لَوَاقِقُ

(١) الوظيف : مستدق الذراع والساق من الخيل ومن الإبل وغيرها .

(٢) ديوانه : ٣٤٥ . (٣) ثلج الفؤاد : برده واطمئنانه . والرضف في الأصل :

الحجارة المحيطة . (٤) في الديوان : « إِذَا نَحْضَى » . (٥) ديوانه : ٢٩ .

(٦) ديوانه : ٢٢٣ .

وقوله (١) :

لَعَمْرِي لَقَدْ حَرَّرْتُ يَوْمَ لَقِيْتُهُ لَوْ أَنَّ الْقَضَاءَ وَحْدَهُ لَمْ يُبْرِدِ

وقوله (٢) :

وإن خفرت أموال قوم أكَفَّهُمْ من النيل والجذوى فكفاه مقطع

وقوله (٣) :

يَوْمَ أَفَاضَ جَوَى أَغَاضَ تَعَزَّيًّا خَاضَ الْهَوَى بِمَجْرَى حِجَاهِ الْمُزِيدِ
 فجعل «الحجى» فى هذا البيت «مُزبدا»، ولا أعرف عاقلا يقول: إن العقل يُزبد؛
 وليس المزبد هاهنا نعتا للبحرين؛ لأنه قال «بمجرى حياه المزبد»؛ فلو جعل «المزبد»
 نعتا للبحرين لقال المزبدن، وخوض الهوى بحر التعزى أيضا من أبد الاستمارة .
 ونحو منه قوله أيضا (٤) :

يا يوم شرَّدَ يوم هوى لهوه بصبايتى وأذلَّ عِزَّ تَجَلُّدِي

وقوله (٥) :

غرض الظلام أو اعترته وخشة فاستأنست روعاته (٦) بسهادى
 بل ذكرة (٧) طرقت فلما لم أبت بانت تفكر فى ضروب رقادى
 أغرت هموى فاستلبن فصولها نوى ونمن على فضول وسادى
 وهذه الأبيات مع قبس التطبيق الذى فى أولها، وهجنة الاستمارة لايعرف معناها
 على حقيقته .

(١) ديوانه : ١٠١ . (٢) ديوانه : ١٩١ . (٣) ديوانه : ١١١ .
 (٤) ديوانه : ١١١ . (٥) ديوانه : ١٣٣ . (٦) فى الديوان : « لوعاته » .
 (٧) فى الديوان : « زفرة » .

الفصل الثالث

في ذكر التجنيس

التجنيس أن يُوردَ المتكلم كلمتين تُجنَّس كلُّ واحدةٍ منهما صاحِبَتها في تأليف حروفها على حَسَب ما أَلَف الأصمعي كتاب الأجناس . فنه ما تكون الكلمة تجانس الأخرى لفظا واشتقاق معنى ، كقول الشاعر :

يوماً خَلِجْتُ على الخَلِيجِ نفوسَهُمْ عَصْبًا . وَأَنْتِ لِمِثْلِهَا مُسْتَأْمٌ
خَلِجْتُ : أى جذبت ، والخَلِيج : بحر صغير يجذب الماء من بحر كبير ؛ فهاتان اللفظتان متفقتان في الصيغة واشتقاق المعنى والبناء^(١) ، ومنه ما يجانسه في تأليف الحروف دون المعنى ، كقول الشاعر^(٢) :

* فَأَرْفُقُ بِهِ إِنْ لَوْمَ الْعَاشِقِ اللَّوْمُ *

وشرط بعض الأدباء من هذا الشرط في التجنيس وخالفه في الأمثلة فقال :
وَمَنْ جَنَسَ تَجْنِيسِينَ فِي بَيْتٍ زَهِيرٍ ، فِي قَوْلِهِ^(٣) :

بِعِزَّةِ أُمُورٍ مُطِيعٍ وَأَمْرِ مُطَاعٍ فَلَا يُلْفَى لِحُزْمِهِمْ مِثْلُ
وليس الأُمُورُ والأَمْرُ والمُطِيعُ والمُطَاعُ من التجنيس ، لأن الاختلاف بين هذه الكلمات لأجل أن بعضها فاعل ، وبعضها مفعول به ؛ وأصلها إنما هو الأمر والطاعة .
وكتاب الأجناس الذي جعلوه لهذا الباب مثالا إنما يصف على هذه السبيل ، ويكون المطيع مع المستطيع ، والأمر مع الأمير تجنيسا . وجعل أيضاً من التجنيس قول الآخر :

ذُو الْجَهْلِ مَنَا جَاهِلٌ دُونَ ضَيْفِهِ وَذُو الْجَهْلِ مَنَا عَنْ أَذَاهُ حَلِيمٌ

(١) في ١ : « في الصنعة والبناء واشتقاق المعنى » . (٢) مسلم بن الوليد ، هامش ط ، وصدره :

* يَا صَاحِبَ إِذَاكَ الصَّبِّ مَهْمُومٌ *

(٣) ديوانه : ١٠٨ ، يصف قوماً بالحزم .

ليس بتجنيس ، وكذلك قول خدّاش بن زهير :

ولسكن عايش ما عاش حتى إذا ما كادَهُ الأيامُ كيدا
وقال الشَّنْفَرى (١) :

وإني لَحُلُوٌّ إن أريد حَلاوتي ومُرٌّ إذا النفس العزُوفُ أَمَرَتْ (٢)
وقال المُجَيَّر السَّلولى (٣) :

يَسْرُكُ مظلوما ويُرْضِيكَ ظالما وكلّ الذى حملته فهو حَامِلُهُ
وقول الآخر :

وساعٍ مَعَ السلطانِ يَسْمَى عليهم ومَحْتَرَسٌ مِنْ مِثْلِهِ وهو حَارِسُ
وقول تَابِطُ شَرَأ (٤) :

يَرَى الْوَحْشَةَ الْأُنْسَ الْأُنْسَ وَيَهْتَدَى بِحَيْثُ اهْتَدَتْ أُمُّ النُّجُومِ الشَّوَابِكُ (٥)
وقول الآخر :

صُبَّتْ عَلَيْهِ وَلَمْ تَنْصَبْ مِنْ كَثْبٍ إن الشقاء على الأشقين مَصْبُوبُ

ليس فى هذه الألفاظ تجنيس ؛ وإنما اختلفت هذه الكلم للتصريف .

فمن التجنيس فى القرآن قول الله تعالى : ﴿ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ ﴾ .

وقوله عز وجل : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَالتَّفَتَّى السَّاقُ بِالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَجَهَتْ وَجْهَى لِلَّذِى فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ .

وقوله عز وجل : ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾ ، الرّوح : الراحة ،

والريحان : الرزق .

(١) مهذب الأغاني : ١ - ٥٧ . (٢) رواية المذهب : « استمرت » .

(٣) الآمالى : ١ - ٢٧٥ . (٤) ديوان الحماسة : ١ - ٢٣ .

(٥) أم النجوم : الشمس . والشوابك : النجوم .

وقوله سبحانه : ﴿ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ .
 وقوله تعالى : ﴿ أَزِفَتِ الْآزِفَةُ ﴾ ، الآزفة : اسم ليوم القيامة .
 فهذا كقول امرئ القيس :

* لَقَدْ طَمَحَ الطَّمَّاحُ ^(١) *

وليس هذا كقولهم : « أمر الأمر » . هذا ليس بتجنيس .
 وفي كلام النبي صلى الله عليه وسلم : « عُصَيَّةٌ عصت الله ورسوله ، وغفار غفر الله لها ، وأسلم سالمها الله » ^(٢) . وقوله صلى الله عليه وسلم : « الظلم ظلمات يوم القيامة » .
 أخذه أبو تمام ، فقال ^(٣) :

جَلَا ظِلْمَاتِ الظُّلْمِ عَنْ وَجْهِ أُمِيَّةٍ أَضَاءَ لَهَا مِنْ كَوْكَبِ الْعَدْلِ آفَلُهُ
 وقيل له صلى الله عليه وسلم : مَنْ الْمُسْلِمُ؟ فقال : « مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ » .
 وقال معاوية لابن عباس رضي الله عنهما : مَا بَالُكُمْ يَا بَنِي هَاشِمٍ تُصَابُونَ فِي
 أَبْصَارِكُمْ؟ فقال : كَمَا تُصَابُونَ فِي بَصَائِرِكُمْ يَا بَنِي أُمِيَّةٍ ! . وقال صدقة بن عامر - وقد
 مات له بنون سبعة فرآهم قد سُجُّوا : اللَّهُمَّ إِنِّي مُسْلِمٌ مُسْلِمٌ . وقال رجل من قُرَيْشٍ
 لخالد بن صفوان : مَا اسْمُكَ؟ قال : خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ بْنِ الْأَهَمِّ ، فقال الرجل : إِنَّ
 اسْمَكَ لَكَاذِبٌ ، مَا خُلِدَ أَحَدٌ ، وَإِنْ أَبَاكَ لَصَفْوَانٌ وَهُوَ حَجَرٌ ، وَإِنْ جَدَّكَ لَأَهَمُّ
 وَإِنْ الصَّحِيحُ خَيْرٌ مِنَ الْأَهَمِّ . قال خالد : مِنْ أَيِّ قُرَيْشٍ أَنْتَ؟ قال : مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ ،
 قال : فَشُكُّكَ يَشْتُمُّ تَمِيمًا فِي عِزِّهَا وَحَسَبِهَا ، وَقَدْ هَشَمْتَكَ هَاشِمٌ ، وَأَمَّتْكَ أُمِيَّةٌ ،
 وَجَمَحَتْ بِكَ مُجَمِّحٌ ، وَخَزَمَتْكَ خَزُومٌ ، وَأَقْصَتْكَ قُصَى ، فَجَمَلَتْكَ عَبْدَ دَارِهَا
 وَمَوْضِعَ شَنَاوَرِهَا ، تَفْتَحُ لَهُمُ الْأَبْوَابَ إِذَا دَخَلُوا ، وَتُنْقَلِقُهَا إِذَا خَرَجُوا .
 وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا يَكُونُ ذُو الْوَجْهَيْنِ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً » .

(١) من قوله في ديوانه ١٤٢ :

لقد طمح الطماح من بعد أرضه ليلبسي من دائه ما تلبسا

(٢) عصيه وغفار وأسلم : قبائل (٣) ديوانه : ٢٣١ .

وكتب بعض الكتاب : العذر مع التّعذر واجب . وقيل لبعضهم : ما بقي من نكاحك؟ قال : ما يقطع حُجَّتَها ولا يُبلغ حاجَتَها . وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : هاجروا ولا تهجّروا ، أى لا تشبهوا بالمهاجرين من غير إضلاس . وكتب بعض الكتاب : قد رخصت الضرورة فى الإلحاح ، وأرجو أن تحسن النظر ، كما أحسنت الانتظار .

وأخبرنا أبو أحمد ، قال : حكى لى محمد بن يحيى عن عبد الله بن المعتز ، قال : قدّم فى بعض المجالس إلى صديق لنا بنحورا ، فقال له صاحب المجلس : تبخّر ، فإنه ندّ^(١) ، فلما استعمله لم يستطبه ، فقال : هذا ندّ عن الندّ .

ومثله ما حكى لنا أبو أحمد عن الصّولى أن إبراهيم بن المهدي زار صديقا له استدعى زيارته ، فوجده سكران ، فكتب فى رقعة جعلها عند رأسه :
* رحنا إليك وقد راحَتْ بك الراح *

وروى بعضهم أن عبد الله بن إدريس سئل عن النبذ ، فقال : جَلَّ أمره عن المسئلة ، أجمع أهل الحرّمين على تحريمه . وذم أعرابى رجلا فقال : إذا سأل ألحف ، وإذا سئل سوّف ، يحسّد على الفضل ، ويزهّد فى الإفضال .

وكتب العتّابى إلى مالك بن طوق : أما بعد فاكتسب أدبا ، تُخفى نسبها ، واعلم أن قريبك من قرّب منك خيره ، وأن ابن عمّك من عمّك بفعله ، وأن أحبّ الناس إليك أجداهم بالمنفعة عليك . وقال آخر : اللهمّ تفتح اللهمّ^(٢) .

وأخبرنا أبو القاسم عبد الوهاب بن إبراهيم الكاغدى ، قال : أخبرنا أبو بكر العُقدى ، قال : أخبرنا أبو جعفر الخراز ، قال : دخل فيروز حصين على الحجاج — وعنده النضبان بن القُبَعْرَى — فقال له الحجاج : زعم النضبان أن قومه خيرٌ من قومك ، فقال : أ كذاك يا غضبان ؟ ، قال : نعم ، فقال فيروز : أصالح الله الأمير !

(١) الندّ : من أنواع الطيب (٢) اللهمّ ، بالضم : جمع لهوة ، وهى العطية . واللهما ، بالفتح : جمع لهاء ، وهى اللحمة المشرفة على الخلق .

اعتبر قوى وقومه بأسمائهم ، هذا غضبان ، غضب الله عليه ، والقَبْمَثَرَى اسم قبيل
من بني ثعلبة شر السباع ، ابن بكر شر الإبل ، ابن وائل له الوَيْل ؛ وأنا فيروز
فيروز به ، حُصَيْن حَصْن وحرز ، والمَثْبَر ربح طيبة ، من بني عمرو ، عمارة وخير ،
من تميم تَمَّ ، فقوى^(١) خير من قومه وأنا خير منه .

وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر عن أبي حاتم عن الأصمعي ، قال سمعت الحنظلي
يتحدثون أن جريرا ، قال : لولا ما شغلني من هذه الكلاب^(٢) لشدت تشبيها تحن
منه المعجوز إلى شبابه .

ومن أشعار المتقدمين في التجنيس قول امرئ القيس^(٣) :

لقد طمَحَ الطَّمَحَ من بُعدِ أرضه ليُلْبِسَنِي من دائه ما تلبَسَا^(٤)
وأخذه الكميْت فقال^(٥) :

ونحن طَمَحْنَا لامرئ القيس بَمَدِّ ما رجا الملك بالطَّمَحِ نَكْبًا على نَكْبِ
وقال الفرزدق - وذكر واديا^(٦) :

خُفَّافٌ أَخَفَّ اللهُ عَنْهُ سَحَابَهُ وَأَوْسَعُهُ مِنْ كُلِّ سَافٍ وَحَاصِبٍ
وقال زهير^(٧) :

كَأَنَّ عَيْنِي وَقَدْ سَالَ السَّلِيلُ بِهِمْ وَجيرة^(٨) ما همُ لو أنَّهمُ أمم^(٩)
وقال الفرزدق^(١٠) :

قَدْ سَالَ فِي أَسْلَاتِنَا أَوْعَضَهُ عَضْبٌ بِضَرْبَتِهِ الْمُلُوكُ تُقْتَلُ

(١) في الأصول وأماقوى . (٢) يعني بهم الأخطل ، والفرزدق ، والبعيث ؛ من كان يهاجهم .

(٣) ديوانه : ١٤٢ . (٤) طمح : نظر إليه من بعد . والطمح : رجل من بني أسد

بعثه قيصر إلى امرئ القيس بحملة مسمومة فلبسها ، وتقرح جسمه ثم مات .

(٥) اللسان (طمح) . (٦) قد الشعر : ٩٧ . (٧) ديوانه : ١٤٨ .

(٨) في الديوان : « وعبرة » . (٩) السليل : واد . والأمم : انقصد بين القريب والبعيد .

(١٠) اللسان (أسل) ، وروايته فيه :

قد مات في أسلاتنا أو عَضَهُ عَضْبٌ بِرُوقِهِ الْقُلُوبُ تُقْتَلُ
والأسلات : الرماح .

وقال النابغة^(١) :

* وأقطع الخرقَ بالخرقاء لاهية^(٢) *

وقال غيره^(٣) :

على صرّماء فيها أصرّماها وخربتُ الفلاةَ بها مليل^(٤)

وقال قيس بن عاصم^(٥) :

ونحن حَفَزْنَا الحوفَزانَ بطمنّة سقته نجيعا من دم الجوف أشكلا^(٦)

وقال^(٧) :

وقاظ أسيرا هانيء وكأنا مفارق مفروق تغشينَ عندما

وقال أمية بن أبي الصلت :

فما أعتبتُ في النائبات مُعتَب ولكنّها طاشتُ وَصَلَتْ حُلُومها

وقال أوس بن حجر :

قد قلتُ للركب لولا أنهم عَجَلوا عُوجوا على فخيوا الحى أوسيرا

وفيها :

عرّ عرائر أبكارَ نشانَ معا خُشنُ الخلائقِ عَمّا يتقى زورُ

وفيها :

لكن يفرّجَ فالحلصاء أثبت بها فحنبلٍ فعلى سراء مَسْرور^(٨)

(١) نقد الشعر ٩٨ ، ونسبه إلى مسكين الدارمي .

(٢) الخرق : الفلاة الواسعة . والخرقاء : الناقة ، وبقيته :

* إذا الكواكب كانت في الدجى برجا *

(٣) اللسان (ملل) ، ونسبه إلى المرار . (٤) الصرّماء : المفازة التي لا ماء فيها ،

والأصربان : الذئب والغراب ، سميا بذلك لا نصرامهما عن الناس . والخربت : دليل الصيحاء .

والمليل : التي أحرقت الشمس . (٥) اللسان (شكل) . (٦) الحفز : الطعن بالرمح .

والحوفزان : اسم الحارث بن شريك الشيباني ، لقب بذلك لأن بسطام بن قيس طعنه فأعجله .

والأشك : الأحمر . (٧) نقد الشعر : ٩٧ ، وروايته فيه : « وفاض أسيراها به وكأنا » .

(٨) فرّج : موضع في بلاد طى . والحلصاء : ماء في البادية . والحنبل : موضع في بني تميم .

والسراء : اسم هضبة .

وفيهما :

حتى أشب لهن الثور من كَثَبِ فارسَ لوَهْنٍ لَمْ يَدْرُوا بِمَا يَثِيرُوا
وقال الكميث (١) :

فقل لجُذام قد جَدَمْتُمْ وسيلةً إلينا كمختار الرداف على الرَّحْلِ
وقال طرفة (٢) :

بحسام سيفك أو لسانك والـ كَلِمُ الأصيل كأرغب الكَلِمِ
وقال القُحيف :

* بخيل من فوارسها اختيال *

وقال النعمان بن بشير لماوية (٣) :

ألم تبتدركم يوم بدر سيوفنا وَلَيْلُكَ عَمَّا نَابَ قومَكَ نائم
وقال العباسي (٤) :

أبلغ لديك بني سعدٍ مُغْلَقَةً أَنَّ الذي ينهها قد مات أَوْ دَنَفَا
وَذَا كُمْ أَنَّ ذَلَّ الجَارِ حَالَفَكُمُ وَأَنَّ آنَفَكُم لَا يعرف الأَنَفَا
وقال جُلَيْج بن سويد :

* أقبلن من مصر يبارين البرا *

وقال ذو الرُّمَّة (٥) :

كَأَنَّ البُرَى والمَاج عيجت متونه على عُشْرِ نَهْيٍ به السيل أبطحُ
وقال حيان بن ربيعة الطائي :

لقد علم القبائل أَنَّ قومي لهم حدَّ إذا لبس الحديدُ

(١) نقد الشعر : ٩٨ . (٢) ديوانه : ٦١ . (٣) نقد الشعر : ٩٨ .

(٤) نقد الشعر : ٩٨ . (٥) ديوانه : ٨١ .

(٦) نقد الشعر : ٩٧ .

وقال القطامي :

فلما رَدَّها في السُّوْلِ شالت بِذِيَالٍ يكون لها لِفَاعا

وقال جرير^(١) :

وما زال معقولا عِقَالٌ عن الندى وما زال محبوسا عن الخير حابس^(٢)

وقال امرؤ القيس^(٣) :

بلاد عريضة وأرض أريضة مدافع غيث في فضاء عريض

وقال آخر :

* وطيب ثمارٍ في رياض أريضة *

وقال مُحمَّد الأرقط :

* مرتبِجِز في عارض عريض *

ومن أشعار المحدثين قول الشاعر^(٤) :

وسميته يحيي ليحيى ولم يكنْ إلى رد أمر الله فيه سبيلٌ

تيممت فيه الفأل حين رزقته ولم أدر أن الفأل فيه يفيلٌ

وقال البحتري^(٥) :

نسيمُ الروض في ربحٍ شمال وصوبُ المزن في رَاحِ شمول

وهذا من أحسن ما في هذا الباب ، وقال أبو تمام^(٦) :

سعدتْ غُرْبَةُ النوى بسُعادٍ ففى طوع الإتهام والإنجادِ

وهذا من الابتداءات المليحة ، وقال فيها :

عَاتِقٌ مُعْتَقٌ من اللّومِ إلّا من مُعَاناةٍ مفرمٍ أوْ نَجَادٍ^(٧)

(١) ديوانه : ٣٢٦ . (٢) ديوانه : ٩٩ . (٣) ديوانه : ١٠٨ . (٤) معاهد

التنصيص : ٢٠٨-٣ ، ونسبهما إلى محمد بن عبادة بن كناسة الأسدي ، ورواية البيت الثاني هناك :

ففاءلت لو يفنى التفاؤل باسمه وما خلت فألا قبل ذاك يفيل

(٥) ديوانه : ١٦٠-٢ . (٦) ديوانه : ٧٥ . (٧) العاتق : بين المنكب والعنق .

والنجاد : خائل السيف .

مَلَيْتِكَ الْأَحْسَابَ أَى حَيَاةٍ وَحَيَاةٍ أَرْزَمَةٍ وَحَيَاةٍ وَادٍ
لو تَرَاخَتْ يَدَاكَ عَنْهَا فُؤَادًا^(١) أَكَلَتْهَا الْأَيَّامُ أَكَلَ الْجَرَادِ
كَادَتْ الْمَكْرَمَاتُ تَنْهَدُ لَوْلَا أَنَهَا أُنِدَّتْ بِحَيٍّ يُبَادِ
وقال البحتري^(٢) :

رَاحَتْ لِأَرْبُوعِ الرِّيحِ مَرِيضَةً وَأَصَابَ مَغْنَاكَ النِّهَامُ الصَّيْبُ
وقال مسلم بن الوليد :
لَعِبْتُ بِهَا حَتَّى مَحَتْ آثَارَهَا رِيحَانِ رَائِحَتَانِ بَاكِرَتَانِ
وقال آخر :

لَا تُصْغِرِ اللَّوْمُ إِنْ اللَّوْمُ تَضْلِيلُ وَاشْرَبْ فِي الشَّرْبِ لِلْأَحْزَانِ تَحْلِيلُ
فَقَدْ مَضَى الْقَيْظُ وَاحْتَنَنْتُ رَوَاحِلُهُ وَطَابَتِ الرِّيحُ لَمَّا آلَ أَيْلُولُ
لَمْ يَبْقَ فِي الْأَرْضِ نَبْتٌ يَشْتَكِي مَرَهَا إِلَّا وَنَاطَرُهُ بِالطَّلِّ مَكْحُولُ
وقال الزبيدي للأصمعي :

وَمَا أَنْتَ هَلْ أَنْتَ إِلَّا أَمْرٌ إِذَا صَحَّ أَصْلُكَ مِنْ بَاهِلَةٍ
وَلِلْبَاهِلَى عَلَى خُبْرِهِ كِتَابٌ لَا يَكُلُهُ إِلَّا كَلَهُ
وقال آخر :

قَدْ بَلَغْتَ الْأَشَدَّ لَا شَدَّكَ إِلَّا وَجَاوَزْتَهُ وَأَنْتَ مَلِيمٌ^(٣)
وقال مسلم :

يُورِي بِزَنْدِكَ أَوْ يُسْمِعِي بِمَجْدِكَ أَوْ يُفَرِّي بِمَجْدِكَ كُلُّ غَيْرٍ مَحْدُودِ
وقال :

وَلَيْسَ يَبَالِي حِينَ يَحْتَكُ جَرُّهَا صَدُودُ صُدَاءٍ وَاجْتِنَابُ بَنِي جَنْبِ

(١) الفوائد في الأصل : ما بين الحليتين . (٢) ديوانه : ١ - ٦٢ .

(٣) في ١ « وَأَنْتَ مَرِيْب » . (٤) صَدَاءُ وَجَنْبٍ : قَيْلَتَانِ . (٥) صَدَاءُ وَجَنْبٍ : قَيْلَتَانِ .

وقال البحترى^(١) :

لولا على بن مرّ لاستمرّ بنا
برّد الحشا وهجير الروح محتفل
ألوى إذا شابك الأعداء كرههم
جافى المضاجع ما ينفك في لجب
خلف من العيش فيه الصّاب والصّبر
ومسرّ^(٢) وشهاب الحرب يستعر
حتى يروح وفي أظفاره الظفر
يكاد يُقمر من لآلئه القمر
وقال^(٣) :

حيا الأرض ألفت فوقه الأرض ثقلمها
ستبكيه عين لا ترى الخير بعده
وهول الأعدى فوقه التراب هائل
إذا فاض منها هامل عاد هامل
وقال الطائي :

ورمى بثغرة الثّغور فسدها
وأنشدني العتيبي :

دنس القميص غليظه من غير لحتته سداه
وشعاره من شعره فكأنه من مسك^(٤) شاه
وجنس أبو تمام أربع تجنيسات في بيت واحد، ولعله لم يسبق إليه وهو قوله^(٥) :
بحوافرٍ حُفَرٍ وصلبٍ وصلبٍ وأشاعرٍ شعرٍ وخلقٍ أخلق^(٦)
وقوله أيضاً :

لسلمى سلامان وعمرة عامر
وهندبنى هند وسعدى بنى سعدى
ومما جنس فيه تجنيسين ، قوله^(٧) :
ففصلن منه كلّ مجمع مفصل
وفعلن فاقرة بكل فقار^(٨)

(١) ديوانه : ٢ - ٤٣ . (٢) المسعر : الشجاع . (٣) ديوانه : ١٩٤ .

(٤) المسك : الجلد . (٥) ديوانه : ٢١١ . (٦) حفر : مستديرة . صلب :

شديدة . الأشاعر : ماحول الحافر . شعر : كثيرة الشعر . أخلق : أملس .

(٧) ديوانه : ١٥٣ . (٨) الفاقرة : الداهية . والفقار : خرزات الظهر .

ومن التجنيس ضرب آخر ، وهو أن تأتي بكلمتين متجانستى الحروف ؛ إلا أن في حروفها تقدماً وتأخيراً ، كقول أبي تمام ^(١) :

بيضُ الصفايح لا سودُ الصحائف في متونهنَّ جِلاله الشَّكُّ والرَّيبُ
وقلت في حية :

منقوشة تحكى صدور صحائف إِبَّانَ يبدو من صدور صفايح
وقيل لابنة الخُسِّ : كيف زَينَتْ مع عقلك ؟ فقالت : طول السواد ، وقربُ الوساد .
ومن التجنيس نوع آخر يخالف ما تقدم بزيادة حرف أو نقصانه ، وهو مثل
قول الله عز وجل : ﴿ وَهُمْ يَهْوُونَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ كَمَرَضِ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ . وقوله جل ذكره : ﴿ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ، وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴾ .
وقوله سبحانه : ﴿ ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ،
وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾ .

وكتب عبد الحميد : الناس أخيافُ مُختلفون ، وأطوار مُتباينون ؛ منهم علق
مَضِنَّةٌ لا يُباع ، ومنهم غُلٌّ مظنة لا يُبتاع .

ورفع رجل هاشمي يسمى عبد الصمد صوته في مجلس المأمون عند مناظرة ،
فقال المأمون :

لا ترفعنَّ صوتك يا عبد الصمد إن الصواب في الأسد لا الأشدَّ
وكتب كافي الكفاة رحمه الله : فانت أدام الله عزَّكَ ، وأن طويت عنا خبرك ،
وجعلت وطنك وطرك ، فأبناؤك تأتينا ، كما وثى بالمسك رِيَّاه ، ودلَّ على الصبح
مُحياه .

وقال عليّ رضي الله عنه : كل شيء يعز حين ينزر ، والعلم يعز حين يغزر .

وقال بعضهم : عليك بالصبر ، فإنه سبب النصر ، ولا تخض القمر ، حتى تعرف
المؤر . وقال آخر : راش سهامه بالعقوق ، ولوى ماله عن الحقوق .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « الخيلُ معقودٌ في نواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة » .
ودعا علي بن عبد العزيز المافروخي صاعد بن مخلد في يوم مطير ، فتخلف عنه واعتذر
إليه . فكتب إليه علي : ما شقّ طريق هدى إلى صديق . وإنما جُمِلت الماطر ،
اليوم الماطر . فركب إليه . ومن المنظوم قول الأعشى (١) :

رب حَيٍّ أَشْقَاهُ آخِرَ الدَّهْرِ رَوْحِيَّ أَشْقَاهُمْ بِسِجَالِ
وقوله (٢) :

* يَلْبُونِ الْمِعْزَابَةَ الْمِعْزَالَ (٣) *

وقول أوس بن حَجَر (٤) :

أَقُولُ فَأَمَّا الْمُنْكَرَاتِ فَأَتَقَى وَأَمَّا الشَّدَا عَنِّي الْمَمَّ فَأَشْدِبُ (٥)
وقال امرؤ القيس (٦) :

* بِسَامٍ سَاهِمٍ الْوَجْهَ حُسَّانَ *

وقال ابن مقبل :

يَمْشِينَ هَيْلَ (٧) النَّقَا مَالَتْ جَوَانِبُهُ يَنْهَالُ حِينًا وَيَنْهَاهُ الثَّرَى حِينًا

(١) ديوانه ١١ ، والجمهرة : ٩٦ ، والرواية هناك :

رب حَيٍّ سَقَيْتَهُمْ صَرَعَ الْمَوْتَ وَحَيٍّ سَقَيْتَهُمْ بِسِجَالِ
والسجال : الدلاء .

(٢) اللسان (عزل) ، وصدره : * تَخْرُجُ الشَّيْخُ عَنْ بَنِيهِ وَتَلْوِي * .

(٣) المعزال : الراعي المنفرد . (٤) اللسان (شذ) .

(٥) الشذا : الأذى . وَأَشْدَبُ : أَدْفَعُ . (٦) ديوانه : ١٢٨ ، والسامى : الفرس

المشرف المرتفع . والساهم : قليل لحم الوجه . وحسان : حسن ؛ والبيت بتمامه :

وخرق كجوف العير قعر مضلة قطعت بسام ساهم الوجه حسان

(٧) الهيل من الرمل : الذى لا يثبت مكانه .

وقال زهير^(١) :

هُم يَضِرُّونَ حَبِيكَ الْبَيْضَ إِذْ لَحِقُوا لَا يَنْكِحُونَ إِذَا مَا اسْتَلَحِمُوا وَحَمُوا^(٢)
وقال :

* في متناه متناه كوكبه *

وقال الحطيئة^(٣) :

وإن كانت النِّماء فيهم جَزَوا بها وإن أنعموا لا كَدَّرَوها ولا كَدَّوا
وقال آخر :

* مطاعينُ في الهَيَّجَا مطاعيمُ في القِرى *

وقال أبو ذؤيب^(٤) :

إِذَا مَا الْخَلَاجِيمُ الْمَلَجِيمُ نَسَكَلُوا وطال عليهم سَحْيُهَا وَسُعَارُهَا^(٥)
وقال آخر :

* على الهامِ منها قَيْضُ بَيْضِ مُفْلَقٍ^(٦) *

وقال :

كَفَّاهُ مَخْلَفَةٌ وَمَتْلَفَةٌ وَعِطَاؤُهُ مَتَخْرَقُ جَزَلٍ

ومن شعر المحدثين قول البحترى^(٧) :

من كل ساجى الطرف أَعْيِدَ أَجِيدٍ ومهفِيفِ الْكَشْحَيْنِ أَحْوَى أَخَوَرٍ
وقوله^(٨) :

فَقِفْ مُسْعِدًا فَيَهِنُ إِنْ كُنْتَ عَاذِرًا وَسِرٌّ مُبْعَدًا عَنْهُمْ إِنْ كُنْتَ عَاذِلًا

وقوله^(٩) :

سِفَانُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَسِيفُهُ وَسَيْبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَنَائِلُهُ

(١) ديوانه : ١٥٩ . (٢) حبيك البيض : طرائقه . استلحموا : أدرکوا . حموا :

غضبوا . (٣) ديوانه : ٢٠ . (٤) ديوان الهذليين : ١ - ٣٢ .

(٥) الخلاخيم والملاجيم : الطوال . ونكلاوا : جبنوا . وسعارها : حرها .

(٦) القَيْضُ : قشرة البيض العليا اليابسة . (٧) ديوانه : ١ - ٢١٣ .

(٨) ديوانه : ٢ - ٣١٢ . (٩) ديوانه : ٢ - ١٦٢ .

وقوله ^(١) :

هل لما فات من تلافٍ تلافٍ . أو لشاكٍ من الصَّبابَةِ شافٍ .

وقول أبي تمام ^(٢) :

يَمْدُونُ مِنْ أَيْدٍ عَوَاصٍ عَوَاصٍ . تَصُولُ بِأَسْيَافٍ قَوَاضٍ قَوَاضٍ ^(٣)
إِذَا الْخَلِيلُ جَابَتْ قَسْطَلُ الْحَرْبِ صَدَّعُوا . صَدُورَ الْعَوَالِي فِي صَدُورِ الْكَتَائِبِ ^(٤)

وقوله ^(٥) :

ولم أر كالمعروف تدعى حقوقه . مغارم في الأقوام وهي مغانم
وقول الآخر :

لله ما صنعت بنا . تلك المهاجر في المعاجر
أَمْضَى وَأَنْفَذُ فِي الْقُلُوبِ . ب من الخناجر في الخناجر

وقلت :

عذيري من دهر موارٍ موارٍ . له حسنات كلهن ذنوبُ

وقلت :

آفة السر من جفوع . ن دوام دوامع
كيف يخفى مع الدمو . ع الهوامي الهوامع

وقلت أيضاً :

خليفة شهم كلما سمحت تحت . معالم جذب لم يطق محوها المطرُ
ومما عيب من التجنيس قول أبي تمام ^(٦) :

أَهْيَسُ أَلَيْسُ لَجَاءٌ إِلَى هِمَمٍ . تَغْرِقُ الْأَسَدَ فِي آذِيهَا اللَّيْسُ ^(٧)

ومما عيب من التجنيس الأول قول أبي تمام ^(٨) :

خَانُ الصُّفَا أَخْ خَانُ الزَّمَانِ أَخَا . عَنْهُ فَلَمْ تَتَخَوْنَ جِسْمَهُ الْكَمْدُ

(١) ديوانه : ١ - ١٠٨ . (٢) ديوانه : ٤٢ . (٣) عواصم : موانع . قواض :

قاضيات . قاضيات : قواطع . (٤) جابت : قطعت . القسطل : الغبار . صدعوا : شققوا .

العوالي : الرماح . (٥) ديوانه : ٢٨٦ . (٦) ديوانه : ١٧٢ .

(٧) الأهميس والأليس : الشجاع . والآذنى : الموج . (٨) ديوانه : ٣٦٦ .

وقوله (١) :

قَرَّتْ بِقُرْآنَ عَيْنِ الدِّينِ وَانْشَرَّتْ بِالْأَشْرَيْنِ عَيُونَ الشَّرِّكَ فَاصْطَلَمَا (٢)
فهذا مع غشائة لفظه وسوء التجنيس فيه يشتمل على عيب آخر ، وهو أن اشتار
العين لا يوجب الاصطلام ، وقوله (٣) :
إِنْ مَنْ عَقَّ وَالِدِيهِ لَمَلَعُوا نِ وَمَنْ عَقَّ مَنْزِلًا بِالْعَقِيقِ
وقوله (٤) :

* خَشِنَتْ عَلَيْهِ أُخْتُ بَنِي خُشَيْنِ *

وهذا في غاية المهجاة والشناعة .

وقد جاء في أشعار المتقدمين من هذا الجنس نبذ يسير منه قول امرئ القيس (٥) :
وَسَنَّ كَسَنِيْقٍ سَنَاءً وَسُنْمًا ذَعُرْتُ بِمَدْلَاجِ الْمَجِيرِ نَهْوَضِ (٦)
ولم يعرف الأصمعي وأبو عمرو معنى هذا البيت ، وقال الأعشى (٧) :
وَقَدْ غَدَوْتُ إِلَى الْحَانُوتِ يَتْبُعُنِي شَاوٍ مِثْلُ شَوْلٍ شَلْشَلٍ شَوْلُ
تبعه مسلم بن الوليد ، فقال (٨) :
سُلْتُ وَسَلْتُ ثُمَّ سُلَّ سَلِيلُهَا فَأَنَّى سَلِيلُ سَلِيلِهَا مَسْلُولَا
وقال أبو الغمر يصف السحاب :

نَسِجَتِ الْجَنُوبُ وَهِيَ صَنَاعُ فَتَرَقَّى كَأَنَّهُ حَبَشِيٌّ
وقرى كل قرية كان يقروها هَا قَرَى لَا يَجِفُّ مِنْهُ قَرِيٌّ

وهذا مستهجن لا يجوز لتأخر أن يجعله حجة في إثبات مثله ؛ لأن هذا وأمثاله
شاذ معيب ، والعيب من كل أحد معيب ، وإنما الاقتداء في الصواب لا في الخطأ .

(١) ديوانه : ٢٠٣ . (٢) قران : محل . انشرت : انشئت . اصطلم : قطع من أصله .

(٣) ديوانه : ٢٢٥ . (٤) ديوانه : ٣٢٦ ، وبقيته : * وأبجج فيك قول العاذلين *

(٥) ديوانه : ١١٣ ، ومعاني الشعر الكبير : ٧٧٢ . (٦) سن : نور . وسليق : جبل .

سنا : ارتفاع . سنا : بقرة . مدلاج : من دلج : أى مشى . (٧) اللعنات : ٢٨٩ .

(٨) نهاية الأرب : ٧ - ٩٨ .

وقد قال بعض المتأخرين ماهو أقبح من جميع ما مر في قوله وليس من التجنيس^(١) :
ولا الضعف حتى يتَّبَعَ الضَّعْفُ ضِعْفَهُ ولا ضِعْفَ ضِعْفِ الضَّعْفِ بل مثله ألفُ
وقوله^(٢) :

فقلقلْتُ بالهمِّ الَّذِي قلقلَ الحشا قلقلَ عيس كَأَنَّ قلقلُ
وقيل لأبي القمقام: ألا تخرج إلى الغزاة بالمصيصة؟ فقال: أمصني الله إذا بظر أُمي !
ومن التجنيس المعيب قولُ بعض المحدثين ، أنشده ابن المتر :
أكابد منكم أليم الألم وقد أنحلَّ الجسمَ بعد الجسمِ
وقول الآخر :

كم رأسٍ رأسٍ بكى من غير مقلته دماً وتَحَسَّبُهُ بالقاع مُبْتَسِماً
وقول إبراهيم أبو الفرج البندنجي في عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر :
هي الجاذِرُ إلَّا أنَّها حُور كأنها صور لكنَّها صور
نور الحِجَالِ ولكن من مَمايها إذا طلبت هواها أنَّها نُورُ
غيداء لو بُلَّ طرفُ الباليِّ بها لارتدَّ وهو بغير السَّحَرِ مسحورُ
إن الرواحَ جَلَّ رَوْحَ العِراقِ لنا أصلاً وقد فَصَلَتْ من مَكَّة العيرُ
تشكو العقوقَ وقد عَقَّ العقيقُ لها وأرض عُرْوَة من بطحان فالنيرُ
يَحْتَنُّها كلُّ زَوَلٍ دأبه دَابُ من طول شوق وهَجِيراه تَهْجِيرُ
مُقَوَّرة الآلِ من خَوْضِ الفلاة إذا ما اعتمَّ بالآلِ في أرجائها القورُ
هذا البيت قريب من قول أبي تمام^(٣) :

أحطت بالحزم^(٤) حَيْرُومًا أخاهم كَشَّافَ طَخِيَاءَ لا ضِيْقًا ولا حرجا
وقال الخزومي^(٥) في طاهر بن الحسين :

ولو رأى هَرِمٌ معشار نائِله لقليل في هَرِمٍ قد جُنَّ أو هَرِمَا

(١) هو المتنبي ، والبيت في ديوانه : ٢ - ٢٩٠ . (٢) ديوانه : ٣ - ١٧٦ .

(٣) ديوانه : ٦٩ . (٤) الحيزوم: ضلع الفؤاد . (٥) كذا في ط ، وفي «المهزى» .

الفصل الرابع

في المقابلة

المقابلة في
المعنى

المقابلة : إيراد الكلام، ثم مقابله بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة .
فأما ما كان منها في المعنى فهو مقابلة الفعل بالفعل ؛ مثاله قول الله تعالى : ﴿ فَتِلْكَ
يُيُوسُفُكُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ﴾ ؛ فخواء ييوسفهم وخرابها بالمذاب مقابلة لظلمهم .
ونحو قوله تعالى : ﴿ وَمَكْرُؤًا مَكَرًّا وَمَكْرُؤًا مَكَرًّا ﴾ ؛ فالكر من الله تعالى
المذاب ، جعله الله عز وجل مقابلة لكرهم بأنبيائه وأهل طاعته .
وقوله سبحانه : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ .
ومن ذلك قول تأبط شرا^(١) :

أهزُّ به في ندوة الحى عطفه كما هزَّ عطفى بالهيجان الأوارك^(٢)
وقول الآخر :

وَمَنْ لَوْ أَرَاهُ صَادِيًّا لَسَقَيْتُهُ وَمَنْ لَوْ رَأَى صَادِيًّا لَسَقَانِي
وَمَنْ لَوْ أَرَاهُ عَانِيًّا لَفَدَيْتُهُ وَمَنْ لَوْ رَأَى عَانِيًّا لَفَدَانِي
فهذا مقابلة باللفظ والمعنى .

المقابلة
بالألفاظ

وأما ما كان منها بالألفاظ ، فمثل قول عدى بن الرقاع^(٣) :

ولقد نثيتُ يد الفتاةِ وسادةً لي جاعلا إحدى يديَّ وسادها
وقال عمرو بن كلثوم^(٤) :

ورثناهُنَّ عن آبائِ صدقٍ ونُورِهُنَّ إِذَا مُتَّنا بَيْنَنَا

(١) ديوان الحماسة : ١ - ٢٢ . (٢) ندوة الحى : مجتمعه . وعطفه : جانبه .
والأوارك : التي ترعى شجر الأراك . (٣) الطرائف الأدبية : ٨٩ . (٤) المغنات : ٤ - ٢٣ .
(٢٢ - الصناعتين)

ومن النثر قول بعضهم : فإنَّ أهلَ الرأى والنصح لا يسافونهم ذو الأفن والغش ،
وليس من جمع إلى الكفاية الأمانة ، كن أضاف إلى العجز الحيانة . فجعل بإزاء
الرأى الأفن وبإزاء الأمانة الحيانة ؛ فهذا على وجه المخالفة .

وقيل للرشيد : إن عبد الملك بن صالح يُعدّ كلامه ، فأنكر ذلك الرشيد ، وقال :
إذا دخل فقولوا له : وُلِدَ لأمير المؤمنين في هذه الليلة ابن ومات له ابن ، ففعلوا . فقال :
سرك الله يا أمير المؤمنين فيما ساءك ، ولا ساءك فيما سرك ، وجعلها واحدة بواحدة ،
ثواب الشاكر ، وأجر الصابر ؛ فمرفوا أن بلاغته طبع .

وكتب جعفر بن محمد بن الأشعث إلى يحيى بن خالد يستعفيه من عمل : سُكْرِي
لك على ما أريد الخروج منه شكر من نال الدخول فيه .

وكتب بعضُ الكتاب إلى رجل : فلو أن الأقدار إذ رمت بك في المراتب إلى
أعلاها بلغت بك من أفعال السودد منهاها لوازت مساميك مراقبك ، وعادت
النعمة عليك النعمة فيك ، ولسكنك قابلت رفيع المراتب بوضيع الشيم ؛ فماد علوك
بالاتفاق إلى حال دونك بالاستحقاق ، وصار جناحك في الانهياض^(١) إلى مثل ما عليه
قدرك في الانخفاض ؛ ولا عجب أن القدر أذنب فيك فأناب ، وغلط بك فعاد إلى
الصواب ؛ فأكثر هذه الألفاظ مقابلة . وقال الجعدي^(٢) :

فَتَيَّ كَانَ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوهُ الْأَعَادِيَا
وقال آخر^(٣) :

وَإِذَا حَدِيثُ سَاءَ نِي لَمْ أَكْتُبْ وَإِذَا حَدِيثُ سَرْنِي لَمْ أُشِيرْ^(٤)
وهذا في غاية التقابل .

ومن مقابلة الماعى بعضها لبعض ، وهو من النوع الذى تقدم في أول الفصل قول الآخر :
وَذِي أَخُوَةٍ قَطَّعَتْ أَقْرَانَ بَيْنَهُمْ كَمَا تَرْكُونِي وَاحِدًا لَا أَخْلِيَا

(١) انهياض الجناح : انكساره . (٢) نهاية الأرب : ٢-١٠٢ . (٣) قد الشعر : ٧٩ .
(٤) الأشر : المرح والبطر .

وقول الآخر^(١) :

أسرناهم وأنعمنا عليهم وأسقينا دماءهم الترابا
فاصبروا لبأس عند حرب ولا أدوا لحسن يد ثوابا
فجعل بإزاء الحرب أن لم يصبروا ، وإزاء النعمة أن لم يشيخوا ؛ فقابل على وجه المخالفة .
وقال آخر^(٢) :

جزى الله عنا ذات بعل تصدقت على عزب حتى يكون له أهل
فإننا سنجزئها بمثل فعالها إذا ما تزوجنا وليس لها بعل
فجعل حاجته وهو عزب بحاجتها وهي عزب ، ووصاله إياها في حال عزبتها ،
كوصالها إياه في حال عزبته ؛ فقابل من جهة الموافقة .
ومن سوء المقابلة قول امرئ القيس^(٣) :

فلو أنها نفس تموت سووية ولكنها نفس تساقط^(٤) أنفسا
ليس « سووية » بموافق « لتساقط » ولا مخالف له ، ولهذا غيره أهل المعرفة
فجملوه « جيمة » ؛ لأنه بمقابلة « تساقط » أليق .

فساد المقابلة أن تذكر معنى تقتضى الحال ذكرها بموافقة أو مخالفة ، فيؤتى
بما لا يوافق ولا يخالف ، مثل أن يقال : فلان شديد البأس ، نقي الشعر ، أو جواد
الكف ، أبيض الثوب . أو تقول : ما صاحبت خيرا ، ولا فاسقا ، وما جاءنى أحمر ،
ولا أسمر . ووجه الكلام أن تقول : ما جاءنى أحمر ولا أسود ، وما صاحبت خيرا
ولا شريرا ، وفلان شديد البأس ، عظيم النكاية ، وجواد الكف ، كثير العرف .
وما يجرى مع ذلك ؛ لأن السمرة لا تخالف السواد غاية المخالفة ، ونقاء الشعر لا يخالف
شدة البأس ولا يوافق ، فاعلم ذلك وقس عليه .

(١) نقد الشعر : ٨٠ ، ونسبها إلى الطرمح . (٢) نقد الشعر : ٨٠ .

(٣) ديوانه : ١٤٢ . (٤) أى يموت بموتها خلق كثير .

ومما يقرب من هذا قول أبي عدى القرشى^(١) :
يا بن خير الأخيار من عبد شمس أنت زين الورى وغيث الجنود
فوضع « زين الورى » مع « غيث الجنود » فى غاية السماجة .
وقريب منه قول الآخر^(٢) :

* خَوْدُ نكامل فيها الدلُّ والشنبُ *

ومثله قول أبى تمام^(٣) :

وزيرُ حق ووالى شُرطة ورحى ديوان مُلك وشيعى ومحتسبُ
ومن مختار المقابلة - وكان ينبغى تقديمه فلم يتفق - ما كتب الحسن بن وهب :
لا ترض لى ييسير البرّ ، فإنى لم أرض لك ييسير الشكر ، ودع عَنّى مؤونة التقاضى
كما وضعت عنك مؤونة الإلحاح ، وأحضر من ذكرى فى قلبك ما هو أ كفى من
قمودى بصدرك ؛ فإنى أحق من فعلت به ، كما أنك أحق من فمَلَّه بى ، وحقق الظن ؛
فليس وراءك مذهب ، ولا عنك مقصّر .

(١) نهاية الأرب : ٧ - ١٠٢ . (٢) نهاية الأرب : ٧ : ١٠٢ .

(٣) ديوانه : ٤٨ .

الفصل الخامس

في صحة التقسيم

التقسيم الصحيح : أن تقسم الكلام قسمة مستوية تحتوي على جميع أنواعه ،
ولا يخرج منها جنس من أجناسه ؛ فمن ذلك قول الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ
الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ ، وهذا أحسن تقسيم ؛ لأنَّ الناس عند رؤية البرق بين خائف
وطامع ، ليس فيهم ثالث .

ومن القسمة الصحيحة قول أعرابي لبعضهم : النعم ثلاث ؛ نعمة في حال كونها ،
ونعمة ترجى مستقبله ، ونعمة تأتي غير محتسبة ؛ فأبقى الله عليك ما أنت فيه ، وحقق
ظنك فيما ترتجيه ، وتفضل عليك بما لم تحتسبه ، فليس في أقسام النعم التي يقع الارتفاع
بها قسم رابع سوى هذه الأقسام .

ووقف أعرابي على مجلس الحسن ، فقال : رَحِمَ اللهُ عَبْدًا أعطى من سَمَةِ ، أو آسَى
من كَفَاف ، أو آثر من قِلَّة . فقال الحسن : مَاتَكَ لِأَحَدٍ عَذْرَاءُ ؛ فأنصرف الأعرابي
ببخير كثير .

وقول إبراهيم بن العباس : وقسم الله تعالى عدوه أقساما ثلاثة ؛ روحاً معجَّلة إلى
عذاب الله ، وجثة منصوبة لأولياء الله ، ورأساً منقولاً إلى دار خلافة الله . ليس لهذه
الأقسام رابع أيضاً ؛ فهي في نهاية الصحة .

ومن المنظوم قول نُصَيْب^(١) :

فقال فريق القوم . لا ، وفريقهم نعم ، وفريق لا يمنُ الله ماندى

(١) نقد الشعر : ٧٨ ، واللسان (يمن) وروايته فيه :

فقال فريق القوم لما نشدتهم نعم وفريق لئيم الله ماندى

فليس في أقسام الإجابة عن المطلوب إذا سئل عنه غير هذه الأقسام .
قال الشماخ^(١) :

متى ما تقع أرساغه مطمئنة على حجرٍ يرفض أو يتدحرج^(٢)
والوطء الشديد إذا صادف الموطوء رخواً أرفض منه ، أو صلباً تدحرج عنه .
وقول الآخر^(٣) :

يا أسم صبراً على ما كان من حدثٍ إنَّ الحوادث ملقَى ومُنْتَظَرُ
وليس في الحوادث إلا ما لقي أو انتظر لقيه .
وقول الآخر^(٤) :

* والعيشُ شحٌّ وإشفاقٌ وتأميلٌ *

وكان عمر رضى الله عنه يتمجب من صحة هذه القسمة . وقول زهير^(٥) :
فإنَّ الحقَّ مقطَّعةٌ ثلاثٌ يمين أو نِفَارٌ أو جَلَاءٌ^(٦)
فذلكمُ مقاطعُ كلِّ حقٍّ ثلاثٌ كلَّهنَّ لكمُ شِفَاءُ
وكان يعجب أيضاً بهذا البيت ويقول : لو أدركت زهيراً لولَّيتُهُ القضاء لعرفته .
ومن عيوب القسمة قول بعض العرب :

من عيوب
القسمة

سقاء سقيتين الله سقياً طهوراً والغمام يرى الغماما
فقال : « سقيتين » ثم قال : « سقياً طهوراً » ، ولم يذكر الأخرى ، وقيل : أراد في
الدنيا وفي الآخرة ، وهذا مردود ؛ لأن الكلام لا يدل عليه . وقول عبيد الله بن سليم^(٧) :
فهبطت غيثاً ما يُفزعُ وحشُهُ من بين مسربِ ناوى وكنوس

فقسم قسمة رديئة ؛ لأنه جعل الوحش بين سمين وداخل في كناسه . وكان ينبغي
أن يقول : من بين سمين وهزيل ، أو بين كناس وظاهر ؛ ويجوز أن يكون السمين

-
- (١) ديوانه : ١٥ . (٢) مطمئنة : ساكنة . يرفض : يتفرق . والبيت يصف فيه
صلابة سنايك الحمار . (٣) قد الشعر : ٧٩ ، ونسبه إلى أبي زيد الطائي .
(٤) هو عبدة الطيب ، المفضليات : ١٤١ ، صدره : * والمرء ساع لأمر ليس يدركه *
(٥) ديوانه : ٧٥ . (٦) النفار : المنافرة . والجلاء : أن يتكشف الأمر .
(٧) قوله : ناوى ، أى سمين . يقال : نوى إذا سمن . قاله في النقد ، وسمى قائله عبد الله بن
سليم الغامدى ، ورواه سرباً بدل غيثاً وسرب بدل مسرب .

كانساً وراثماً والسكانس سميناً وهزيلاً ، وما أعرف لهذا شبهاً إلا قول كيسان حين
سأل فقال : علقمة بن عبدة ، جاهلي أو من بني تميم ؟

ومثله ما كتب بعضهم : فن بين جريح مضرج بدمائه ، وهارب يلتفت إلى ورائه ؛
فالجريح قد يكون هارباً ، والهارب قد يكون جريحاً ؛ ولو قال : « فن قتيل » لصح المعنى .
ومثله قول قيس بن الخطيم :

وسلّوا ضريح الكاهنين ومالكاً كم فيهما من دارع ونجيب
ليس النجيب من الدارع في شيء .
وقريب منه قول الأخطل :

إذا التقت الأبطالُ أبصرت لونه مضيقاً وأعناقُ الكماة خضوعُ
كان ينبغي أن يقول : وألوان الكماة كاسفة ، و« مضيقاً » مع « خضوع » رديء جداً .
ومن القسمة الرديئة قول جرير^(١) :

صارت حنيفة أثلاثاً فقلّتهم من العبيد وثلث من موالينا
فأنشده ورجلٌ من حنيفة حاضر ، فقيل له : من أي قسم أنت . فقال : من الثلث
الملغى ذكره .

ومن هذا الجنس ما ذكره قدامة أن ابن ميادة كتب إلى عامل من عماله هرب
من صارفه : إنك لا تخلو في هربك من صارفك أن تكون قدّمت إليه إساءة خفته
معيها ، أو خشيت في عمالك خيانة رهبت بكشفه إياك عنها ؛ فإن كنت أسأت
* فأول راضٍ سنةً من يسيرها^(٢) *

وإن كنت خفت خيانة فلا بد من مُطالبتك بها .
فكتب العامل تحت هذا التوقيع : في الأقسام ما لم يدخل فيما ذكرته ، وهو أني
خفتُ ظلمه إياي بالبعد عنك ، وتكثيره على الباطل عندك ؛ فوجدت الهرب إلى حيث
يمكنني فيه دفع ما يتخرّصه أنفي للظنة عني ، وبعدي عنّي لا يؤمن ظلمه أولى بالاحتياط لنفسى .

(١) نقد الشعر : ١١٨ . (٢) نقد الشعر : ٩٠

ومن القسمة الرديئة أيضاً قول ابن القرية: الفاس ثلاثة؛ عاقل ، وأحمق ، وفاجر ،
فالفاجر يجوز أن يكون أحمق ، ويجوز أن يكون عاقلاً ، والعاقل يجوز أن يكون
فاجراً ، وكذلك الأحمق .

وإذا دخل أحد القسمين في الآخر فسدت القسمة ، كقول أمية بن أبي الصلت^(١) :
لله نعمتنا تبارك ربُّنا ربُّ الأنام ورب من يتأبد^(٢)
داخل في الأنام من يتأبد .
وكذلك قول الآخر^(١) :

أبادرُ إهلاكَ مستهلك لالى وإن عبث العابثُ

فعبث العابث داخل في إهلاك المستهلك .
وكذلك قول الآخر^(١) :

فا برحت تؤمى إليك بطرفها وتومض أحياناً إذا طرفها غفل
فتومى وتومض واحد .

وقول جميل :

لو كان في قلبي كقدر قلامةٍ حبّ وصلتك أو أتنك رسائلي
فإتيان الرسائل داخل في الوصل .

ومن ذلك أيضاً ما كتب بعضهم : ففكرت مرة في عزّ لك ، ومرة في صرفك وتقليد
غيرك .

وفي فصل آخر كتب هذا الرجل إلى عامل : فتسار تسرق الأموال وتختزلها ،
وتارة تقتطعها وتحتجبها . فمعنى الجزأين واحد .

(١) نقد الشعر : ١١٧ . (٢) يتأبد : يتوحش .

الفصل السادس

في صحة التفسير

وهو أن يورد معاني فيحتاج إلى شرح أحوالها ، فإذا شرحت تأتي في الشرح التفسير بتلك المعاني من غير عدول عنها أو زيادة تزد فيها ، كقول الله تعالى : ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ ، فجعل السكون لليل ، وابتغاء الفضل للنهار ؛ فهو في غاية الحسن ، ونهاية التمام .

ومن النثر ما كتب بعضهم : إن الله عز وجل نعماء لو تعاون خلقه على شكر واحدة منها لأفنوا أعمارهم قبل قضاء الحق فيها ، ولي ذنوب لو فرقت بين خلقه جميعا لكان كل واحد منهم عظيم الثقل منها ؛ ولكنه يستر بكرمه ، ويعود بفضلته ، ويؤخر العقوبة انتظاراً للمراجعة من عبده ، ولا يخلو المطيع والمعاصي من إحسانه وبره . فذكر جملتين ؛ وهانئ الله تعالى وذنوب عبده ، ثم فسر كل واحدة منهما مرتين تفسيراً صحيحاً . قوله : « يستر بكرمه » راجع إلى الذنوب ، وقوله : « يعود بفضلته » راجع إلى النعم ، فاستوفى . ثم قال : « ويؤخر العقوبة » فهذا أيضاً راجع إلى الذنوب ، وقوله : « ولا يخلو المطيع والمعاصي من إحسانه وبره » راجع إلى النعم ، فهو تفسير صحيح في تفسير صحيح .

ومن ذلك قول بعض أهل الزمان وقد كتب إليه بعض الأشراف كتاباً وسأله أن يصلح ما يجد فيه من سقم ؛ فكتب إليه : فأما ما رسمه من سد ثلمه ، وجبر كثره ، ولم شتمه ؛ فأى ثلم يوجد في أديم السماء ؛ وأى كسر يُلنى في حاجب ذكاء ؛ وأى شعث يرى في الزهرة الزهراء ! ففسر الثلاثة ، ولم يغادر منها واحداً . ومثاله من المنظوم قول الفرزدق (١) :

(١) نقد الشعر : ٨١ ، نهاية الأرب : ٧ - ١٢٩ .

لقد جئت قوماً لو لجأت إليهم طريد دمٍ أو حاملاً ثقل مغرم
لألفيت فيهم مُطعياً أو مُطاعنا وراءك شزراً بالوشيح المقوم
ففسر قوله : « حاملاً ثقل مغرم » ، بقوله : « تلقى فيهم من يعطيك » وقوله :
« طريد دم » بقوله : « تلقى فيهم من يطعن دونك » .
وقال ابن مطير في السحاب^(١) :

وَلَهُ بِلَا حُزْنٍ وَلَا بِمَسَرَّةٍ ضَحِكٌ يَرَاوِحُ بَيْنَهُ وَبُكَاءُ

وقول المتنم :

لَا تَضْجُرُنَّ وَلَا يَدْخُلُكَ مَعْجَزَةٌ فَالْنَّجِجُ يَهْلِكُ بَيْنَ الْمَعْجَزِ وَالضَّجَرِ
وضرب منه قول صالح بن جناح اللخمي^(٢) :

لَئِنْ كُنْتُ مَحْتَاجاً إِلَى الْحِلْمِ لَأَنْتَى إِلَى الْجَهْلِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ أَخَوْجُ
وَلِي فَرَسٌ لِلْحِلْمِ بِالْحِلْمِ مَلْجَمٌ وَلِي فَرَسٌ لِلْجَهْلِ بِالْجَهْلِ مُسْرَجُ
فَن رَامَ تَقْوِي فَاِنِّي مَقُومٌ وَمَنْ رَامَ تَعْوِي فَاِنِّي مُعَوَّجُ
وقول سهل بن هرون^(٣) :

فَوَاحَسَرْنَا حَتَّى مَتَى الْقَلْبُ مَوْجَعٌ بِفَقْدِ حَبِيبٍ أَوْ تَعَذُّرِ إِفْضَالٍ
فِرَاقُ حَبِيبٍ مِثْلُهُ يُورِثُ الْأَمَى وَخَلَّةُ حَرٍ لَا يَقُومُ لَهَا^(٤) مَالِي
وقال آخر :

شَبَّهُ الْغَيْثِ فِيهِ وَاللَيْثُ وَالْبَدْرُ فَسَمَحٌ وَمَحْرَبٌ^(٥) وَجَمِيلٌ

وقلت :

كَيْفَ أَسْلُوْا وَأَنْتَ حَقِيقٌ^(٦) وَغُصْنٌ وَغَزَالٌ لِحَظًّا وَرِدْفًا وَقَدَا

وقال آخر :

فَالْتَقْتُ قَنَا دُونَهُ الشَّمْسُ وَاتَّقْتُ بِأَحْسَنِ مَوْصُولِينَ كَفَّ وَمِعْصَمٌ

(١) نقد الشعر : ٨١ . (٢) نقد الشعر : ٨١ .

(٣) نقد الشعر : ٨٢ ، وفيه : « سهل بن مروان » وأنشدنا . (٤) في النقد : « بها » .

(٥) محرب : شجاع . (٦) الحقف : الرمل المستدير .

من فساد
التفسير

ومن عيوب هذا الباب ما أنشده قدامة^(١) :

فبأيها الخيران في ظلمة الدجي ومن خاف أن يلقاه بغي من العدا

تعال إليه تلق من نور وجهه ضياء ومن كفيه بحراً من الندى

وكان يجب أن يأتي بإزاء بغي العدا بالنصرة أو بالمصنعة أو بالورر أو ما يجانس ذلك مما يحتتمى به الإنسان ، كما وضع بإزاء الظلمة الضياء . فأما إذا وضع بإزاء ما يتخوف من بغي العدا بحراً من الندى فليس ذلك تفسيراً لذلك .

ومن فساد التفسير ما كتب بعضهم : مَنْ كان لأمير المؤمنين كما أنت له من الذب عن ثغوره والمسارة إلى ما يهيب به إليه من صغير أمره وكبيره كان جديراً بنصح أمير المؤمنين في أعماله ، والاجتهاد في تميم أمواله ؛ فليس الذي قدم من الحال التي عليها هذا العامل من الذب عن الثغور والمسارة في الخطوب ماسبيله أن يفسر بالنصح في الأعمال وتتمير الأموال . ولعله لو أضاف إلى ذكر الذب عن الثغور ذكر الحيطة في الأمور لكان بهذا المضاف يجوز أن يفسر بالنصح في الأعمال والتمير للأموال .

الفَصْلُ السَّائِعُ

في الإشارة

الإشارة

الإشارة أن يكون اللفظ القليل مُشاراً به إلى معان كثيرة ، بإيماء إليها ولحمة تدل عليها ؛ وذلك كقوله تعالى : ﴿ إِذْ يَفْشَى السُّدْرَةَ مَا يَفْشَى ﴾ . وقول الناس : لو رأيت علياً بين الصفين ؛ فيه حذف وإشارة إلى معان كثيرة .

وأخبرنا أبو أحمد ، قال أخبرنا أبو بكر الصولي ، قال أخبرنا الحَزَنُ بْنُ بِلَّالٍ ، قال : لما وَلَّى المهتدي بالله وزارته سليمان بن وهب قام إليه رجل من ذى حُرْمته ، فقال : أعز الله الوزيراً خادمك المُوَمِّلُ لدولتك ، السعيد بأيامك ، المنطوى القلب على مودتك ، المبسوط اللسان بمدحك ، المرتهن الشكر بنعمتك ، وإنما أنا كما قال القيسي : مازلتُ أمتطى النهارَ إليك ، وأستدلّ بفضلك عليك ؛ حتى إذا أَجَنَّى الليل ، فقبض البصر ، ومحالاً أثر ، قام بدنى ، وسافر أُملى ، والاجتهاد عُذْر ، وإذا بلغتك فقط . فقال سليمان : لا بأس عليك فإني عارف بوسيلتك ، محتاج إلى كفايتك ، ولست أؤخر عن يومى هذا توليتك بما يحسنُ عليك أثره ، ويطيبُ لك خيره إن شاء الله . فقوله : « وإذا بلغتك فقط » إشارة إلى معان كثيرة يطول شرحها .

وكتب آخر إلى آخر : أتميزنى وأنا أنا ! والله لأزرن عليك الفضاء ، ولأبفضنك لذيدَ الحياة ، ولأحبِّبَنَّ إليك كريةَ المات ، ما أظنك تَرَبَّعَ على ظلمك ، وتَقَيَّسَ شِبْرَكَ بِفِئْرِكَ ؛ حتى تذوقَ وبالَ أمرِكَ ، فتمتدح حين لا تقبل المذرة ، وتستقيل حين لا تقال العثرة . فقوله : « وأنا أنا » إشارة إلى معان كثيرة ، وتهديد شديد ، وإيعاد كثير . ومن المنظوم قول امرئ القيس ^(١) :

فإن تهلكَ شنوءة أو تبدَّلَ فسيرى إنَّ في غسان خلا ^(٢)

(١) قد الشعر : ٩٠ ، ونهاية الأرب : ٧ - ١٤٠ .

(٢) في ط : « حالا » ، وصوابه من ١ ، والنقد والنهاية .

بِعَزِّهِمْ عَزِزْتُ وَإِنْ يَذَلُّوا فَذَلُّهُمْ أَنَا لَكَ مَا أَنَا لَا
فَقُولُوهُ : « إِنْ فِي غَسَانٍ خَالَا » و « أَنَا لَكَ مَا أَنَا لَا » إشارة إلى معان كثيرة .
وَضَرَبَ مِنْهُ قَوْلُهُ (١) :

عَلَى سَابِجٍ يُعْطِيكَ قَبْلَ سَوْأَلِهِ أَفَانِينَ جَرَى غَيْرَ كَرٍّ وَلَا وَاَنِ
فَقُولُوهُ : « أَفَانِينَ جَرَى » مشار به إلى معان لو عدت لكثرت ؛ وضم إلى ذلك
جميع أوصاف الجودة في قوله : « يعطيك قبل سؤاله » .
وَأَنشَدْنَا أَبُو أَحْمَدَ لِبَعْضِهِمْ :

لَمْ آتِ مُطَلَّبًا إِلَّا لِمَطْلَبٍ وَهَمَّةٌ بَلَفَتْ بِي أَفْضَلَ الرُّتَبِ
أَعْمَلْتُ عَيْنِي إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ عَلَى مَا كَانَ مِنْ دَابِّ فِيهَا وَمِنْ نَصَبِ
حَتَّى إِذَا مَا انْقَضَى حَجِّي ثَنَيْتُ لَهَا فَضْلَ الزَّمَامِ فَأَمَّتْ سَيِّدَ الْعَرَبِ
هَذَا رَجَائِي وَهَذِي مَعْرُضَةٌ وَأَنْتَ أَنْتَ وَقَدْ نَادَيْتُ مِنْ كَثْبِ
فَقُولُوهُ : « أَنْتَ أَنْتَ » مشار به إلى نعمت من المدح كثيرة .
وَمِنْ هَذَا قَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ (٢) :

* أَنْتَ الْخَصِيبُ وَهَذِهِ مَعْرُضَةٌ *

الفصل الثامن

في الأرداف والتوابع

الأرداف
والتوابع

الأرداف والتوابع: أن يُريد المتكلم الدلالة على معنى فيترك اللفظ الدالّ عليه ،
الخاص به ، ويأتي بلفظ هو رَدْفُه وتابع له ، فيجمله عبارة عن المعنى الذي أراده ،
وذلك مثل قول الله تعالى : ﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ ﴾ ، وقُصور الطرف في الأصل
موضوعة للمغاف على جهة التوابع والأرداف ؛ وذلك أن المرأة إذا عَفَّتْ قصرت طرفها
على زوجها ، فكان قُصور الطرف رَدْفًا للمغاف ، والمغاف رَدْفٌ وتابع لقصور الطرف .
وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ ، وذلك أن الناس يتكافؤون
عن الحرب من أجل القصاص فيحيون فكان حياتهم ردف للقصاص الذي يتكافؤون
عن القتل من أجله ؛ ونحوه قول الشاعر :

* وفي العتاب حياة بين أقوام *

ومن ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن الفرع ، فقال :
« حق ، وإن تركه حتى يكون ابن مخاض أو ابن لبون خير من أن تكفى إناءك ،
وتولّه ناقتك ؛ وتدعه يَلْصَقَ لِحْمَهُ بَوْبَرَهُ » ^(١) .

الفرع : أول شيء تنتجّه الناقة ، وكانوا يَذْبَحُونَهُ لله عز وجل . فقال : هو حق ،
إلا أنه ينبغي أن يترك حتى يكون ابن مخاض أو ابن لبون فيصير للحمة طعم ، وقال
« هو خير من أن تكفى إناءك » فهذه من الإرداف أراد أنك إذا ذبحتها حين تضعه
أمّه بقيت الأم بلا ولد ترضعه فانقطع لبنها ؛ فردف ذلك أن يخلو إناؤك من اللبن ،
فكانت قد كفأته . ومثله قول امرئ القيس ^(٢) :

(١) الحديث في نهاية ابن الأثير ، وروايته هناك : « أنه سئل عن الفرع فقال : حق ، وإن
تركه حتى يكون ابن مخاض أو ابن لبون خير من أن تذبحه يلصق لحمه بوبره . »

(٢) ديوانه : ١٦٠

وأفلتهنَّ عِلْبَاءَ جَرِيضًا وَلَوْ أَدْرَكَنَّهُ صَفِرُ الْوَطَابِ^(١)
أى لو أدرَكْنَه - يعنى الخيل - قتلنه ، واستَقْنَّ إبلَه فصَفِرَتْ وطابُه ؛ ومن ذلك
قَوْلُ الْأَعْمَشِيِّ :

رُبَّ رِفْدٍ هَرَقْنَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَأَسْرَى مِنْ مَعْشَرٍ أَقْيَالٍ
الرَّفْدُ : الْقَدْحُ الْعَظِيمُ الضَّخْمُ ، يَقُولُ : اسْتَقَمَتِ الْإِبِلُ نَحْلًا الرَّفْدُ ، فَكَانَكَ
قَدْ هَرَقْتَهُ .

ومن الأرداف قول المرأة لمن سألته : أشكو إليك قلةَ الجُرْذَانِ ، وذلك أن قلةَ
جُرْذَانَ الْبَيْتِ ردْفٌ لعدم خيره ؛ ويقولون : فلانٌ عَظِيمُ الرَّمَادِ ، يريدون أنه كثير
الإطعام للأضياف ؛ لأن كثرة الإطعام يردف كثرة الطبخ ؛ ومن المنظوم قول
التَّغْلَبِيِّ^(٢) :

وَكُلُّ أَنْاسٍ قَارَبُوا قَيْدَهُمْ وَنَحْنُ خَلْمُنَا قَيْدَهُ فَهُوَ سَارِبٌ
أراد أن يذكر عزَّ قومه ، فذكر تسريحَ الْفَحْلِ فِي الْمَرْعى ، والتوسيع له فيه ؛
لأن هذه الحال تابعة للعِزَّةِ رادفة للمِنَّعة ، وذلك أن الأعداء لمزهم لا يقدمون عليهم
فيحتاجون إلى تقييد خَلْمِهِمْ ، مخافة أن يُسَاقَ فيتبعه السَّرحُ ؛ ومن ذلك قول الآخر :
ومهما فيَّ من عيبٍ فَإِنِّي جَبَّانُ الْكَلْبِ مَهْزُولُ الْفَصِيلِ
يعنى أن كلبه يضرب إذا بُسِحَ على الأضياف ، فيردف ذلك جبينه عن نبههم ؛
وأن اللبَنَ الذى يسمن به الفصيل يحمل للأضياف فيردف ذلك هزال الفصيل .
وقول الآخر :

وَكُلُّ أَنْاسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ يَدَهُمْ دُوبِيَّةٌ تَصْفَرُ مِنْهَا الْأَنَامِلُ
يعنى الموت ، فعبر عنه بصفرار الْأَنَامِلِ ، لأنها تصفر من الميت ، فكان اصفرارُها
ردف ؛ وقول امرئ القيس^(٣) :

(١) عِلْبَاءُ : قَاتِلُ وَالِدِ امْرِئِ الْقَيْسِ ، وَهُوَ عَلِيَاءُ بْنُ حَارِثِ الْكَاهِلِ ، وَالْجَرِيضُ : الَّذِي
يَكَادُ يَقْضَى . (٢) هُوَ الْأَخْنَسُ بْنُ شِهَابٍ ، وَالْبَيْتُ فِي اللِّسَانِ (سَرَب) . (٣) دَوَانُهُ : ٣٢ .

وَتُضْجِي فَتَيْتِ الْمِسْكَ فَوْقَ فَرَاشِهَا نَوْمُ الضَّحَا لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفْضُلِ
أَرَادَ أَنَّهَا مَكْفِيَّةٌ ؛ وَنُثُومَةُ الضَّحَا وَتَرَكَ الْإِتِّطَاقَ لِلْخِدْمَةِ يَرُدُّفَانِ الْكِفَايَةَ ؛ فَعَبَّرَ
بِهِمَا عَنْهَا وَأَرَادَ أَنَّهَا مِنْ أَهْلِ التَّرَفِّهِ وَالنِّعْمَةِ فَتَسْتَعْمَلُ الْمِسْكَ الْكَثِيرَ فَيَنْتَثِرُ فِي فَرَاشِهَا ،
وَهَذِهِ الْحَالُ تُرَدِّفُ التَّرَفَّ وَالنِّعْمَةَ ؛ وَقَوْلُ عَمْرِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ ^(١) :

بَعِيدَةُ مَهْوَى الْقُرْطِ أَمَا لِنُؤْفَلِ أَبُوهَا وَأَمَا عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمِ
فَأَرَادَ أَنْ يَصِفَ طَوْلَ عُنُقِهَا فَاتَى بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ مِنْ طَوْلِ مَهْوَى الْقُرْطِ ، وَبَعْدُ
مَهْوَى الْقُرْطِ يَرُدُّفُ لَطُولَ الْعُنُقِ . وَقَوْلُ الْخُنَسَاءِ ^(٢) :

وَمُخَرَّقٍ عَنْهُ الْقَمِيصُ تَخَالَهُ بَيْنَ الْبُيُوتِ مِنَ الْحَيَاءِ سَقِيماً
أَرَادَتْ وَصْفَهُ بِالْجُودِ فَجَعَلَتْهُ مُخَرَّقَ الْقَمِيصِ ، لِأَنَّ الْعُقَاةَ يَجْذِبُونَهُ ؛ فَتَمَزِيقُ
قَمِيصِهِ رَدِّفُ لُجُودِهِ . وَقَوْلُ الشَّاعِرِ ^(٣) :

طَوِيلُ نَجَادِ السِّيفِ لَا مِتْصَانِلَ وَلَا رَهْلٍ لَبَّائُهُ وَبَادِلُهُ ^(٤)
أَرَادَ وَصْفَهُ بِطَوْلِ الْقَامَةِ ، فَذَكَرَ طَوْلَ نَجَادِهِ ، لِأَنَّ طَوْلَهُ يَرُدُّفُ لَطُولَ الْقَامَةِ .
وَقَدْ أَدْخَلَ بَعْضُ مَنْ صَنَّفَ فِي هَذَا أَمْثَلُهُ بَابَ الْأُرْدَافِ فِي بَابِ الْمَاهِلَةِ ، وَأَمْثَلُهُ بَابِ
الْمَاهِلَةِ فِي بَابِ الْأُرْدَافِ ، فَأَفْسَدَ الْبَابَيْنِ جَمِيعاً ، فَلَخِصَتْ ذَلِكَ وَمِيزَتَهُ وَجَعَلَتْ كُلًّا
فِي مَوْضِعِهِ ، وَفِيهِ دِقَّةٌ وَإِسْكَالٌ .

(١) ديوانه : ٤٣ (٢) البيت في ديوان الحماسة ٢ : ٢٧٧ ، ضمن سبعة أبيات
منسوبة لليلي الأخيلية . (٣) اللسان (بدل) ، وروايته فيه :
فَتَى قَدْ قَدْ السِّيفِ لَا مِتْأَزَفِ وَلَا رَهْلٍ لَبَّائُهُ وَبَادِلُهُ
(٤) في ط : «أبادله» ، وهذه رواية ١ ، والبآدل : جم بأدلة ، وهى ما بين العنق والترقوة .

الفصل التاسع

في المائلة .

المائلة : أن يريد المتكلم العبارة عن معنى ، فيأتي بلفظة تكون موضوعاً لمعنى آخر ، إلا أنه ينبغي إذا أوردته عن المعنى الذي أراده ، كقولهم : « فلان نقى الثوب » ، يريدون به أنه لا عيب فيه . وليس موضوع نقاء الثوب البراء من العيوب ، وإنما استعمل فيه تمثيلاً . وقول امرئ القيس ^(١) :

ثيابُ بني عوف طهاري نقيّةٌ وأوجههم عند المشاهد غُرَّانُ ^(٢)
وكذلك قولهم : « فلان طاهر الجيب » ، يريدون أنه ليس بخائن ولا غادر .
وقولهم : فلان طيب الحُجْرة ، أى عفيف . قال النابغة ^(٣) :
رفاقُ النعال طيّبٌ حُجْرَتِهِمْ يُحَيِّوْنَ بِالرِّيحَانِ يَوْمَ السَّبَاسِبِ ^(٤)
وقال الأصمعي : إذا قالت العرب : الثوب والإزار ؛ فإنهم يريدون البدن ، وأنشد ^(٥) :
ألا أبلغ أبا حفص رَسَولا فِدَى لكَ مِنْ أَخِي ثِقَةٍ إِزَارِي
وقالوا في قول لبي ^(٦) :

رَمَوْهَا بِأَثْوَابٍ خِفَافٍ فَلَا تَرَى لَهَا شَبْهًا إِلَّا النِّعَامَ الْمُنْفَرَا
أى رموها بأجسامهم وهى خفاف عليها . ووضع الثوب موضعاً آخر في قول
الشاعر :

فَتَلَكْ ثِيَابُ إِبْرَاهِيمَ فِينَا بَوَاقٍ مَا دُنِسْنَ وَلَا بَلِينَا

(١) ديوانه : ١١٥ . (٢) غران : جمع أغر ، وهو الأبيض .

(٣) ديوانه : ٩ . (٤) يوم السباسب : يوم عبد عند النصارى .

(٥) اللسان — مادة أزر (٦) اللسان — مادة (ثوب) ، والضمير للركاب .

ويقولون : فلان أوسع بنى أبيه ثوبا ، أى أكثرهم معروفاً ، وفلان غمر الرداء ،
إذا كان كثير المعروف ؛ قال كثير :

غَمَرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا عَلِقَتْ لَضَحْكَتِهِ رِقَابُ الْمَالِ
وكذلك قولهم : فلان رَحِبَ الذراع ، وفلان دَنَسَ الثوب ؛ إذا كان غادراً فاجراً ،
قال الشاعر :

ولسكنى أنفى عن الذمّ والذى وبمضهم للذم في ثوبٍ به دَسْمُ
ويقولون : دم فلان في ثوب فلان ، أى هو صاحبه . قال أبو ذؤيب^(١) :
تَبَرَّأَ مِنْ دَمِ الْقَتِيلِ وَبَزَّهِ وَقَدْ عَلِقَتْ دَمَ الْقَتِيلِ إِزَارُهَا
هُذَيْلُ تَوْنُثِ الْإِزَارِ ، أى علقت دم القاتل هي ، ورواه أبو عمرو الشيباني وبزّه ،
بالرفع ، أى وبزه إزارها وقد علقت دمه ؛ ويقولون للفرس : إنه لطرب الغنان ؛
وللبعير : قد سفّه جدّيله ، والجَدِيلُ : الزمام . وقال ذو الرمة^(٢) :
وَأَشْقَرُ مُوَشَّى الْقَمِيصِ نَصَبَتْهُ عَلَى خُضَرٍ مَقْلَاتٍ سَفِيهِه جَدِيلُهَا^(٣)
وفي القرآن : ﴿ كَالَّذِي نَفَقَظْتَ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا ﴾ ، فثُلَّ العمل ثم
إحباطه بالنقض بعد القتل .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ . فَتَرِلَ قَدَمٌ بَعْدَ
ثُبُوتِهَا ﴾ .

وقوله عز وجل : ﴿ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعِجَةً وَلِيَ نَعِجَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ .
وقوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾
فثُلَّ البخيل الممتنع من البذل بالمغلول ، لمنى يجمعهما ، وهو أن البخيل لا يمدُّ يده
بالمعطية فشَبَّهَ بالمغلول . ويقولون : عَرَكْتُ هذه الكلمة بجنبى ، إذا أغضيت عنها ،

(١) ديوان الهذليين . (٢) اللسان (سفّه) ، يصف سيفاً .

(٣) قال في اللسان : سفيه جديلاً ، بمعنى خفيف زمامها ، يريد أن جديلاً يضطرب لاضطراب
رأسها .

وفلان قد طَوَى كَشْحَهُ عن فلان ، إذا ترك مَوَدَّته وصحبته . ويقولون : كَبَا زَنْدُ العدوِّ ، وصَلَفَ زَنْدُهُ ، وأَفْلَ نَجْمُهُ ، وزَهَبَتْ رِيحُهُ ، وأُطْفِئَتْ جِمرَتُهُ ، وأَخْلَفَ نَوْءُهُ ، وأَخْلَقَتْ جِدَّتُهُ ، وانكسرتْ شَوْكَتُهُ ، وكَلَّ حَدُّهُ ، وانقطعَ بَطَانُهُ ، وتضعضع رُكْنُهُ ، وضعفَ عقده ، وذلتَ عَضُدُهُ ، وفُتَّ في عَضُدِهِ ، ورق جانبُهُ ، ولانتَ عريكتُهُ ، يقال ذلك فيه إذا وَلَّى أمره؛ تمثيلاً وتشبيهاً.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِيَّاكُمْ وَخَضِرَاءَ الدِّمَنِ » ، أراد المرأةَ الحسناءَ في مَنْبَتِ السَّوءِ ، فأتى بغير اللفظ الموضوع لها تمثيلاً . وقال بعضهم : كنا في رُفْقَةٍ فضللنا الطريق ، فاسترشدنا عجوزاً فقالت : استبطن الوادى ، وكن سَيْلاً حتى تبلغ . وكتب أحمد بن يوسف إلى عبد الله بن طاهر عن المأمون بعزله عن ديار مصر ، وتسليم العمل إلى إسحاق بن إبراهيم : أما بعد ! فإن أمير المؤمنين قد رأى تَوَلِيَّ إسحاق بن إبراهيم ما تتولاه من أعمال المعاونة بديار مصر ، وإنما هو عمُّكَ نقل منك إليك . فسلمه من يدك إلى يدك والسلام . واغتاب رجل رجلاً عند سلم بن قتبية ، فقال له سلم : اسكت ، فوالله لقد تَلَمَّظْتَ مُضْغَةً طالما لَفَظَهَا الكرام .

ومن المنظوم قول طرفة :

أَيُّيْنِي ، أَيْ يَمْنَى يَدَيْكَ جَمَلَتْنِي فَأَفْرَحَ أُمُّ صَيَّرَتْنِي فِي شِمَالِكَ
أَيُّ أَيْبِنِي مَنَزَلَتْنِي عِنْدَكَ أَوْضِيعَةٌ هِيَ أُمُّ رَقِيمَةٍ ؛ فَذَكَرَ الْيَمِينَ وَجَمَلَهَا بَدَلًا مِنَ
الرَّقِيمَةِ ، وَالشِّمَالِ وَجَمَلَهَا عَوَضًا مِنَ الضَّمَّةِ . وَأَخَذَهُ الرَّمَّاحُ بْنُ مَيَّادَةَ ، فَقَالَ (١) :
أَلَمْ تَكُنْ فِي يُمْنَى يَدَيْكَ جَمَلَتْنِي فَلَا تَجْمَلُنِي بِمَدَّهَا فِي شِمَالِكَ
وَلَوْ أَنَّي أَذْنَبْتُ مَا كُنْتُ هَالِكًا عَلَى خِصْلَةٍ مِنْ صَالِحَاتِ خِصَالِكَ
وَقَالَ آخَرُ (٢) :

تَرَكْتُ الرِّكَابَ لِأَرْبَابِهَا وَأَكْرَهْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ الصَّعَقِ

جعلت يدي وشاحاً له وبعض الفوارس لا تمتنق

فقوله : جعلت يدي وشاحاً تمثيل . وقول زهير^(١) :

ومن يَعْصِ أطرافَ الزَّجَاجِ فإنه يُطِيعُ العوَالِي رُكْبَتُ كُلِّ لَهْذَمٍ^(٢)

أراد أن يقول : مَنْ أَمَرَ الصِّلحَ رَضِيَ بِالْحَرْبِ ، فَعَدَلَ عَنْ لَفْظِهِ ، وَأَتَى بِالْتَّمِيلِ ؛
فَجَعَلَ الزَّجْجَ لِلصِّلحِ ؛ لِأَنَّهُ مُسْتَقْبَلٌ^(٣) فِي الصِّلحِ ، وَالسَّنَانُ لِلْحَرْبِ لِأَنَّ الْحَرْبَ بِهِ يَكُونُ ؛

وهذا مثل قولهم : مَنْ عَصَى الصَّوْتِ أَطَاعَ السَّيْفَ ، وَمِنْهُ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ^(٤) :

وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ إِلَّا لَتَضْرِبَنِي بِسَهْمِيكَ فِي أَغْشَارِ^(٥) قَلْبٍ مُقْتَلٍ

فَقَالَ : بِسَهْمِيكَ ، وَأَرَادَ الْمَيِّنِينَ . وَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ^(٦) :

كَانُوا أَمَامَ الْمُؤْمِنِينَ دَرِيَّةً وَالشَّمْسُ يَوْمُئِذٍ عَلَيْهِمْ أَشْمُسُ

أراد تَلَأُ الْبَيْضِ فِي الشَّمْسِ ، فَكَأَنَّ عَلَى كُلِّ رَأْسٍ شَمْسًا ، وَقَالَ قَدَامَةُ : مَنْ

أَمْثَلَهُ هَذَا الْبَابُ قَوْلُ الشَّاعِرِ^(٧) :

أَوْرَدَتْهُمْ وَصُدُورُ الْعَيْسِ مُسْنَفَةٌ^(٨) وَالصُّبْحُ بِالْكُوكَبِ الدَّرِيّ مَنْحُورٌ

وَقَالَ : قَدْ أَشَارَ إِلَى الْفَجْرِ إِشَارَةً إِلَى طَرِيقِهِ بِغَيْرِ لَفْظِهِ . وَلَيْسَ فِي هَذَا الْبَيْتِ

إِشَارَةٌ إِلَى الْفَجْرِ ، بَلْ قَدْ صَرَّحَ بِذِكْرِ الصُّبْحِ ، وَقَالَ : هُوَ مَنْحُورٌ بِالْكُوكَبِ الدَّرِيّ ،

أَيُّ صَارَ فِي نَحْرِهِ ، وَوَضَعَ هَذَا الْبَيْتَ فِي بَابِ الْإِسْتِعَارَةِ أَوَّلَى مِنْهُ فِي بَابِ الْمَثَلَةِ .

ومما عيب من هذا الباب قول أبي تمام :

أَنْتَ دَلَوُ وَذُو السَّمَاحِ أَبُو مُوسَى قَلِيبٌ وَأَنْتَ دَلَوُ الْقَلِيبِ

أَيُّهَا الدَّلَوُ لَا عَدَمُكَ دَلَوُ مِنْ جِيَادِ الدَّلَاءِ صُلْبُ الصَّلِيبِ

مما عيب
في المائلة

(١) ديوانه : ٣١ . (٢) اللهزم : الماضي .

(٣) في ط : مقبل ، وفي اللسان : كانوا يستقبلون أعداءهم إذا أرادوا الصِّلحَ بأزجة الرماح .

(٤) ديوانه : ٢٦ . (٥) الأعشار : الكسور . (٦) تقد الشعر : ٩٦ .

(٧) تقد الشعر : ٩٦ ، ونسبه إلى عبد الرحمن بن علي بن علقمة .

(٨) السناف للبعير بمنزلة اللب للدابة ، ويقال أسنفه ، أي شده بالسناف .

الفصل العاشر

في الفلو

الفلو تجاوز حد المعنى والارتفاع فيه إلى غاية لا يكاد يبلغها ؛ كقول الله تعالى : الفلو

﴿ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾ . وقال تأبط شرا^(١) :

ويوم كيوم العيكتين^(٢) وعطفية عطففت وقد مسّ القلوب الحناجر

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَرْوُلَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ ، بمعنى لتكاد

ترؤول منه . ويقال إنها في مصحف ابن مسعود مثبتة ؛ وقد جاءت في القرآن مثبتة

وغير مثبتة . قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ .

وقال الشاعر^(٣) :

يتقارضون إذا التفتوا في موطنٍ نظراً يُزيلُ مواطئ الأقدام^(٤)

وكاد إنما هي للمقاربة ، وهي أيضاً مع إثباتها توسع ؛ لأن القلوب لا تقارب

البلوغ إلى الحناجر وأصحابها أحياء .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجُلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ ، وهذا

إنما هو على البعيد ؛ ومعناه لا يدخل الجبل في سمّ الخياط ولا يدخل هؤلاء الجنة .

ومثله قول الشاعر^(٥) :

إذا زال عنكم أسود العين^(٦) كُنتُم كراماً وأنتم ما أقام الأئم

وقول الآخر^(٧) :

فرجى الخير وانتظري إياي إذا ما القارط العنزي آبا

(١) مذهب الأغاني : ١ - ٢٢٤ .

(٢) العيكتان : اسم موضع ، وأورد ياقوت ، اللسان - مادة عيك ، لتأبط شرا قوله :

ليلة صاحوا وأغروا بن سراعهم بالعيكتين لدى معبدى ابن براق

(٣) اللسان (قرض) . (٤) أراد نظر بعضهم إلى بعض بالمداوة والبغضاء .

(٥) اللسان (لأم) . (٦) أسود العين : جبل (٧) اللسان (قرط) ، وهو بشر بن أبي خازم .

وقال النابغة^(١) :

فإنك سوف تحلم أو تنأهى إذا ما شبت أو شاب الغرابُ

مثال الغلو
من النثر

ومثال الغلو من النثر قول امرأة من المعجم كانت لا تظهر إذا طلعت الشمس فقل لها في ذلك ، فقالت : أخاف أن تكسفى . وقال أعرابي : لنا ثمرة فطساء جرداء ؛ تضعُ الثمرة في فيك ، فتجد حلاوتها في كعبك . وقيل لأعرابي : ما خضر^(٢) فرسك ؟ قال : يُخضر ما وجد أرضا . ووصف أعرابي فرسه ، فقال : إن الوايل ليصيب عجزه ؛ فلا يبلغ إلى معرفته حتى أبلغ حاجتي . وذم أعرابي رجلا ، فقال : يكاد يمدى لؤمهُ من تسمّى باسمه .

وكتب بعضهم يصف رجلا ، فقال : أما بعد ، فإنك قد كتبت تسأل عن فلان ، كأنك قد هممت بالقدوم عليه ، أو حدثت نفسك بالفود إليه ، فلا تفعل ، فإن حسن الظن به لا يقع إلا بخذلان الله تعالى ، وإن الطمع فيما عنده لا يخطر على القلب إلا بسوء التوكل على الله تعالى ، والرجاء لما في يديه لا ينبغي إلا بعد اليأس من رحمة الله تعالى ؛ لا يرى إلا أن الاقتار الذي نهى الله عنه هو التبذير الذي يُعاقب عليه ، والاقتصاد الذي أمر به هو الإسراف الذي يفضبُ منه ، وأن الصنعة مرفوعة ، والصلة موضوعة ، والهمة مكروهة ، والثقة منسوخة ، والتوسع ضلالة ، والجود فسوق ، والسخاء من همزات الشياطين ، وأن مواساة الرجل أخاه من الذنوب الموبقة ، وإفضاله عليه إحدى الكبائر المرهقة ، وأن الله تعالى لا يغفر أن يؤثر المرء على نفسه ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن آثر على نفسه فقد ضل ضلالا بعيدا ، وخسر خسرانا مبينا ؛ كأنه لم يسمع بالمعروف إلا في الجاهلية الذين قطع الله دابرهم ، ومحا معالمهم ، ونهى المسلمين عن اتباع آثارهم ، وحظر عليهم أن يختاروا مثل اختيارهم ، يظن أن الرجفة لم تأخذ أهل مدين إلا لسخاء كان فيهم ، ولم تهلك عادا بالريح العقيم

إلا لتوسّع كان فيهم ، فهو يخشى العقاب على الإنفاق ، ويرجو الثواب على الإمساك ،
ويعذر نفسه في العقوق ، ويلوى ماله عن الحقوق ؛ خيفة أن ينزل به قوارع العالمين .
ويأمرها بالبخل خشية أن يصيبه ما أصاب القرون الأولين ، فأقم - رحمك الله -
على مكانك ، واصطبر على عُسرّتك ، عسى الله أن يبدّلنا وإياك خيراً منه زكاةً
وأقرب رُحماً .

وقالت سَكِينَةُ بنت الحسين رضى الله عنهما وقد أثقلت ابنتها بالدر : ما ألبسُها
إياه إلا لتفضّحه ؛ ونحوه قول الشاعر :

جارية أطيبُ من طيبها والطَّيبُ فيه المسك والعنبر
ووجهها أحسن من حلّيتها والحلى فيه الدرُّ والجوهر

وقال ابن مطير^(١) :

مُخَصَّرَةُ الأوساطِ زانتُ عقودَها بأحسنَ مما زينَها عقودُها
وقيل لأعرابي : فلان يدعى الفضل على فلان ، فقال : والله لئن كان أطولَ من
مسيره ما بلغ فضله ، ولو وَقَعَ في ضَحَضاح معروفه غَرِق . وقال أعرابي : الناس
يأكلون أماناتهم لَقَمًا ، وفلان يحسوها حَسَوًا ، ولو نازعت فيه الخنازير لَقَضَى به لها
لقرب شبهه منها ، وما ميراثه عن آدم إلا أنه سمي آدميا . وذكر أعرابي رجلا ،
فقال : كيف يدرك بثاره وفي صدره حشو مِرْفَقة من البلغم ، وهو المرء لو دَقَّ بوجهه
الحجارة لرضّتها ، ولو خلا بالسكبة أسرقها .

وأخبرنا أبو أحمد ، قال : أخبرنا الصولي ، قال : حدثنا الحسن بن الحسين الأزدي
قال : حدثنا ابن أبي السرى ، عن رزين المروزي ، قال : لقيت أبا الحرث جيزاً^(٢)
ومعه غلام لحمد بن يحيى البرمكي متعلق به ، فقلت له : ما لهذا متعلق بك ؟ فقال :
لأنى دخلت أمس على مولاه وبين يديه خِوان من نصف خشخاشة ، فتنفست فطار

(١) ديوان الحماسة : ٢ - ٦٥ . (٢) في « حماسة » .

الخِوان في أننى فهذا يستمدى على ، فقلت له : أما تستحى مما تقول ؟ فقال : الطلاق له لازم لو أن عصفوراً تَقَرَّ حَبَّةً من طعام بَيَدَرَه ما رضى حتى يؤتى بالمصفور مشوياً بين رغيفين ، والرغيفان من عند المصفور ! قلت : قبحك الله ! ما أعظم تمدّيك ! فقال : على المشى إلى بيت الله الحرام إن لم يكن صعود السماء على سلم من زبد حتى يأخذ بنات نعش أيسر عليه من أن يطعمك رغيفاً في اليوم .

من المنظوم ومن المنظوم قول امرئ القيس^(١) :

من القاصرات الطرف لو دَبَّ مُحُولٌ من الذَّرِّ فوق الإنبِ منها لأثراً^(٢)
وقول الأعشى^(٣) :

فَتَى لو ينادى الشمس أَلقت قِنَاعَهَا أو القمرَ السارى لأتقى المَقَالِدَا
ينادى : أى يجالس ؛ وقول أبى الطمّحان^(٤) :

أضاءتْ لهم أحسابهم ووجوههم دُجَى الليل حتى نَظَّمَ الجَزَعُ ثاقبه
ومثله^(٥) :

وجوهٌ لو أن المدلّجينَ اعتَشَوْا بها صَدَعْنَ الدجى حتى ترى الليلَ ينجلى
وقول الآخر :

من البيض الوجوه بنى سنان لو أنك تستضيء بهم أضاءوا
وقول النابغة الجعدي^(٦) :

بلغنا السماءَ مَجْدُنَا وسفَاؤُنَا وإنا نَرجو فوق ذلك مَظْهَرَا
وقول النمر^(٧) :

تَظَلَّ تحفَرُ عنه إنْ ضَرَبَتْ به بَعْدَ الذراعين والساقين والهادى

(١) ديوانه : ١٠٣ . (٢) القاصرات الطرف : النساء اللاتى قصرن أعينهن عن الرجال .
والحول : الذى أتى عليه حول . والإنب : قميص غير مخطط . (٣) اللسان (ندى) .
(٤) عيون الأخبار : ٤ - ٢٤ ، ونسبه إلى لقيط ، وهو فى الكامل : ١ - ١٦٨
لأبى الطمّحان . (٥) عيون الأخبار : ٤ - ٢٥ ، واللسان (عشا) ونسبه إلى مزاحم العقيلي .
(٦) مذهب الأغاني : ٢ - ٧٥ . (٧) مذهب الأغاني : ٢ - ١٠٤ ، وروايته :

وقول الطرمّاح (٣):

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطأ
ولو أن برغوثاً على ظهر قملة
ولو أن أم العنكبوت بنت لها
ولو جمعت يوماً تميم جموعها
ولو أن يربوعاً يزقق مسكه
يزقق : أى يحمل منه زقاقا .

وقال الآخر :

وتبكي السموات إذا ما دعا
لما اشتهى يوماً لحوم القطأ
ومثله في الإفراط قول الخنعمي :

يُدلى يديه إلى القلب فيسقى
في سرجه بدل الرشاء المحصد (٢)

وكما أفرطوا في صفة الطول كذلك أفرطوا في صفة القصر ؛ قال بعضهم :
فأقسم لو خرت من استك بيضة
وما انكسرت من قرب بمضك من بعض
وقال آخر في صفة كثير عزة وكان قصيرا :

قصيرُ القميص فاحش عند بيته
يمضُ القراد باسته وهو قائم
وقال بعض الحديثين :

وقصير لا تعملُ الش
شمسُ ظللاً لقامتِه
يعثرُ الناس في الطريق
قُ به من دماسته

وقال أبو عثمان الناجم :

ألا يا بيدقَ الشطر :
جـ في القيمة والقامة

(١) ديوانه ١٣٣ مع اختلاف في الرواية وترتيب الأبيات، والشعر والشعراء ٥٦٨

(٢) في ١ : « المكرب » . والمحصد من الجبل : ما كان يحكم القتل .

وقال أبو نواس يصف قدرا :

ينصّ بجيزوم الجراة صدرها وينضج ما فيها بمود خِلال
وتغلي بذكر النار من غير حرّها وتنزلها عفواً بغير جمال
هي القدر قدّر الشيخ بكر بن وائل ربيع اليتامى عام كل هزال

وقال آخر في خلاف ذلك :

بقدر كأن الليل شحمة قمرها ترى الفيل فيها طافياً لم يقطع
ومن الإفراط قول المؤمل :

من رأى مثل حيتي تشبه البدر إذ بدا
تدخل اليوم ثم تدخل أرادها غدا

ومثله قول الآخر :

أنت في البيت وعيرُ ينك في الدار يطوفُ

ومثله :

لقد مرّ عبد الله في السوق راكباً له حاجة من أنفه ومُطرقُ
وعنت له في جانب السوق مَخْطَةٌ توهمت أن السوق منها سيفرق
فأقذِرُ به أنفاً وأقذر بربه على وجهه منه كَنيفٌ معلقُ
ومثله في الإفراط قول آخر في إمام بطيء القراءة :

إن قرأ « العاديات » في رَجَبٍ لم تفن آياتها إلى رَجَبٍ
بل هو لا يستطيع في سنةٍ بختم « تبت يدا أبي لهب »
وقال ابن مقبل :

يُقلِّل من ضنم اللجام لهاثة تَقْلُقُ عودِ الرُخ في الجمعة الصِّفْرِ
وقال إبراهيم بن العباس^(١) :

يا أخا لم أر في الدهر خلاً مثله أسرع هجرٍ ووصلاً

كنت لي في صدر يوى صديقا فعلى عهدك أمسيت أم لا
وقال ابن الرومي :

يا ثقيلاً على القلوب خفيفاً في الموازين دون وزن النقيير
طرّاً خفيفاً أو قعّ مقيتاً فطو رأ كسفاةً وتارةً كثير^(١)
وقبول النفوس إياك عندي آية فيك للطيف الخبير
إن قوماً أصبحت تنفق فيهم لعلّى غاية من التسخير

ومن الناس من يكره الإفراط الشديد ويميله ؛ وإذا تحرز المبالغ واستظهر فأورد
شرطاً، أو جاء - بكاد - وما يجري مجراها يسلم من العيب ؛ وذلك مثل قول الأول^(٢) :
لو كنت من شيء سوى بشر كنت المنور ليلة البدن
وقول العرجي :

لو كان حياً قبلهنّ ظمائناً حيا الحطيم وجوهنّ وزمزم
وقول الأسدى :

فلو قاتل الموت امرؤ من حميمه لقاتلت جهدى سكرة الموت عن معن
فنى لا يقول الموت من وقعة به لك ابنك خذه ليس من حاجتي دعنى
وقول الآخر :

لو كان يخفى على الرحمن خافيةً من خلقه خفيت عنه بنو أسد
قوم أقام بدار الدال أولهم كما أقامت عليه جذمة الودد
وقول البحترى^(٣) :

ولو أن مشتاقا تكلف غير ما^(٤) في وسمه لسمى إليك المنبر

ومن عيوب هذا الباب أن يخرج فيه إلى المحال ، ويشوبه بسوء الاستعارة ، من عيوب
العلو وقبيح العبارة ؛ كقول أبي نواس في الخمر :

(١) ثير : جبل . (٢) صفحة ٢٨٦ . (٣) ديوانه : ٢١٢ .

(٤) رواية الديوان : « فوق ما » .

توهّمها في كاسها فكأنما توهّت شيئاً ليس يُدرك بالعقل
وصفراء أبقى الدهر مكنون رُوحها وقد مات من مخبورها جوهر الكل
فما يرتقي التكيف منها إلى مدى تحدّ به إلّا ومن قبله قبل
فجعلها لا تدرك بالعقل وجعلها لأول لها ، وقوله : « جوهر الكل » و« التكيف »
في غاية التكلف ، ونهاية التعسف . ومثل هذا من الكلام مردود ، لا يشتغل
بالاحتجاج عنه له ، والتحسين لأمره ، وهو بترك التداول أولى ؛ إلا على وجه التعجب
منه ومن قائله . ومن الغلو الغث قول المتنبي ^(١) :
فتّى ألف جزء رأيه في زمانه أقلّ جزىء بعضه الرأي أجمع
وقوله ^(٢) :

تتقاصرُ الأفهامُ عن إدراكه مثلُ الذي الأفلاك فيه والدّنا
سئل عما فيه الأفلاك والدّنا ، فقال : علم الله ؛ ونيته لا تدل عليه ؛ فأفرط
وعمّي ، وجمع دنيا على قول أهل الأدوار والتناسخ .

الفصل الحادي عشر

في المبالغة

المبالغة أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته ، وأبعد نهاياته ، ولا تقتصر في المبالغة عنه المبالغة على أدنى منازل وأقرب مراتبه ؛ ومثاله من القرآن قول الله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ﴾ . ولو قال : تذهل كل امرأة عن ولدها لكان بيانا حسنا وبلاغة كاملة ؛ وإنما خص المربية للمبالغة ، لأن المربية أشفق على ولدها لمعرفتها بحاجته إليها ، وأشغف به لقربه منها ولزومها له ، لا يفارقها ليلا ولا نهارا ، وعلى حسب القرب تكون المحبة والإلف ؛ ولهذا قال امرؤ القيس ^(١) :

فَمِثْلُكَ حُبْلَى قَدْ طَرَقَتْ وَمَرْضِعُ فَالْهِتْهَا عَنْ ذِي تَمَائِمٍ مُجَوِّلٍ
لما أراد المبالغة في وصف محبة المرأة له ، قال : إني ألهيته عن ولدها الذي تُرضعه لمعرفته بشغفها به ، وشغفها عليه في حال إرضاعها إياه .

وقوله تعالى : ﴿ كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ يُحْسِبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً ﴾ ، لو قال يحسبه الرائى لكان جيدا ؛ ولكن لما أراد المبالغة ذكر الظمآن ؛ لأن حاجته إلى الماء أشد ، وهو على الماء أحرص ؛ وقد ذكرناه قبل . ومثل ذلك قول دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ ^(٢) :

مَتَى مَا تَدْعُ قَوْمَكَ أَدْعُ قَوْمِي وَحَوْلِي مِنْ بَنِي جُشَمٍ فِثَامٍ ^(٣)
فوارس بهمة حُشْدٍ إِذَا مَا بَدَا حَضَرَ الْحَيَّةَ وَالْحَذَامُ ^(٤)

فالمبالغة الشديدة في قوله : « الحية » . ومن المبالغة نوع آخر ، وهو أن يذكر المتكلم حالا لو وقف عليها أجزأته في غرضه منها ، فيجاوز ذلك حتى يزيد في المعنى

(١) ديوانه : ٢٤ . (٢) نقد الشعر : ٨٤ . (٣) الفثام : الجماعة من الناس .

(٤) البهمة : الشجاع .

زيادة تؤكده ، ويلحق به لاحقة تؤيده . كقول عمير بن الأهمم التغلبي ^(١) :

ونكرم جارنا ما دام فينا ونُتبعه الكرامة حيث مالا

فإكرامهم الجار ما دام فيهم مكرمة ، وإتباعهم إياه الكرامة حيث مال من
المبالغة . وقول الحكم الخضري ^(٢) :

وأقبح من قرْدٍ وأبخل بالقرى من الكلب أمسى وهو غرثانُ أعجفُ
فالكلب بخيل على ما ظفر به ، وهو أشد بخلا إذا كان جائئاً أعجف . ومن
ها هنا أخذ حماد عجرد قوله في بشار ^(٣) :

ويا أقبح من قرْدٍ إذا ما عمى القرْدُ

وقول رواس بن تميم ^(٤) :

وإنّا لنعطى النّصف ممّا وإنّا لناخذ من كل أبلّخ ^(٥) ظالم

المبالغة في قوله : « أبلّخ » .

وقول أوس بن غلفاء الهجيمي ^(٦) :

وهم تركوك أسلح من حبارى رأت صقراً ، وأفرّد من نعام

فقوله : « رأت صقراً » من المبالغة .

وكتبتُ في فصل إلى بعض أهل الأدب : قرّبك أحبُّ إلىّ من الحياة في ظل
اليسر والسعة ، ومن طول البقاء في كنف الخفض والدّعة ، ومن إقبال الحبيب مع
إدبار الرقيب ، ومن شمول الخصب بعد عُموم الجذب ، وأقرّ لعيني من الظفر بالبغية
بعد إشرافي على الخمية ، وأمرّ لنفسى من الأمن بعد الخوف ، والإنصاف بعد الحيف .
وأسأل الله أن يطيل بقاءك ، ويديم نعماك ، ويرزقني عدّلك ووفاءك ، ويكفيني
نبوك وجفاءك .

(١) نقد الشعر : ٨٤ . (٢) نقد الشعر : ٨٤ . (٣) مذهب الأغاني : ٨ - ٢٥٩ .

(٤) نقد الشعر : ٨٤ . (٥) الأبلخ : الجري على ما أتى من الفجور .

(٦) نقد الشعر : ٨٥ .

ققولى : « الحياة فى ظل اليسر والسعة » . و« البقاء فى كنف الخفض والدعة » .
وقولى : « إقبال الجيب مع إدار الرقيب » وقولى : « الخصب بعد عموم الجذب » ،
وما بعده إلى آخر الفصول مبالغات .

من عيوب
المبالغة

ومن عيوب هذا الباب قول بعض المتأخرين^(١) :
فلا غيضت بحارك يا جحوماً على علل الغرائب والدخال^(٢)
أراد أن يقول : إنك كثير الجود على كثرة سؤالك فلا نقصت ؛ فعبر عنه بهذه
العبارة الغثة ، والجحوم : البئر الكثيرة الماء ؛ وقوله^(٣) :
ليس قولى فى شمس فعليك كالشمس ولكن فى الشمس كالإشراق
على أن حقيقة معنى هذا البيت لا يوقف عليها .
ومن ردى المبالغة قول أبى تمام^(٤) :

ما زال يهنئى بالمكارم والأعلا حتى ظننا أنه محموم
أراد أن يبالغ فى ذكر المدوح باللّهج بذكر الجود ، فقال : « ما زال يهنئى »
نجا بلفظ مذموم ، والجيد فى معناه قول الآخر :

ما كان يعطى مثلها فى مثله إلا كريم الخيم أو مجنون
قسم قسمين : ممدوحا ومذموما ، ليخرج المدوح من المذموم إلى المدوح المحمود .
ومن جيد المبالغة قول عمرو بن حاتم :

خليل أمسى حب خرقاء قاتلى ففى الحب مئى وقدة وصدوغ
ولو جاورتنا العام خرقاء لم نبل على جدبنا ألا يصوب ربيع
قوله : « على جدبنا » مبالغة جيدة .

(١) المتنبي ، ديوانه : ٣ - ٢٠ . (٢) الملل : الشرب الثانى . الفرائب : جمع غريبة ؛
وهى التى ترد الحوض ، وليست لأهل الحوض . والدخال أن يدخل بعير قد شرب بين بعيرين لم يشربا .
(٣) المتنبي ، ديوانه : ٢ - ٣٧١ . (٤) ديوانه : ٣٠٠ .

الفصل الثاني عشر

في الكتابة والتعريض

وهو أن يكفى عن الشيء ويعرض به ولا يصرح ، على حسب ما عملوا باللحن الكناية
والتورية عن الشيء . كما فعل العذري إذ بعث إلى قومه بصرّة شوك وصرّة رمل والتعريض
وحنظلة ، يريد : جاءكم بنو حنظلة في عدد كثير ككثرة الرمل والشوك .
وفي كتاب الله تعالى عز وجل : ﴿ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَا مَسَمُ

النِّسَاءِ ﴾ ، فالغائط كناية عن الحاجة ، وملامسة النساء كناية عن الجماع .
وقوله تعالى : ﴿ وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ ﴾ كناية عن النساء .
ومن مليح ما جاء في هذا الباب قول أبي العيضاء ، وقيل له : ما تقول في ابني وهب؟
قال : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾
سليمان أفضل ، قيل : وكيف ؟ قال : ﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَنْ

يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ .
ومن التعريض الجيد ما كتب به عمرو بن مسعدة إلى المأمون : أما بعد ، فقد من التعريض
استشفع بي فلان إلى أمير المؤمنين ، ليتطوّل عليه في إلحاقه بنظرائه من المرتزقين الجيد
فيما يرتزقون ، فأعلمته أنّ أمير المؤمنين لم يجعلني في مراتب المستشفع بهم ،
وفي ابتدائه بذلك تمدّي طاعته والسلام . فوقع في كتابه : قد عرفنا تصرّيحك له ،
وتعريضك بنفسك ، وأجبناك إليهما ، وأوقفناك عليهما .

ومن المنظوم قول بشار :

وإذا ما التقى ابن نهيك وبكر زاد في ذا شبر وفي ذاك شبر
أراد أنهما يتبادلان ، وقال آخر في ابن حجام :
أبوك أب مازال للناس مؤجما لأعناقهم نقرأ كما يقر الصقر

إذا عوّج الكتاب يوماً سطورهم فليس بمعوج له أبداً سطرُ
وقال بعض المتقدمين :

وقد جعل الوسمي يثبت بيننا وبين بني دودان نبأً وشوْحطاً
النَّبْع والشَّوْحط ، كأنه كَتَبَ بهما عن القسي والسهم ؛ ومثله قول الآخر :
وفي البقل ما لم يدفع الله شرّه شياطين ينزُّو بمضُنَّ على بعض
وقول رؤبة :

يا بنَ هِشامِ أهْلَكَ النَّاسَ اللَّيْنُ فكَلَّهْمُ يمدو بقوس وقرنُ
وهذه كُنَايَاتُ عن القتال والوقائع بينهم أيام الربيع ، وهو وقت الغزو عندهم .
وكتب كافي الكفاة : إن فلانا طرق بيته وهو الخيف ؛ لا خَوْفَ على من دخله ،
ولا يد على مَنْ نَزَلَه ، فصادف فِتْيَانًا يُعَاطُون كَرِيْمَتَهُ الكَوْس تارة ، والفؤوس
مرة ، فن ذى مِعْوَل يَهْدِم ، ومن ذى مِعْوَلٍ ^(١) يَثْلُم . فبائع الرقيق يكتب من بينهم
بالغليظ ، فوثبت العفيفة خفيفة ذَفِيفَةً ^(٢) ، تحكُمُهَا في أخادعه ، وتثق بيسراها وقع
أصابعه ، والحاضرون يحرضونها على القتال ، ويدعونها إلى النزال ، والشيخ يناديهم :
تَجْمَعُمُ من كل أوبٍ وبلدة على واحد لازلتمُ قرنَ واحد
ثم علم أن الحرب خُدْعَةٌ ، ولكل امرئ فرصة ، فتلَقَّاهَا بالأنثى طلاقاً بَتًّا
وفراقاً بَتًّا . وأخذ ينشد :

إني أبىُّ أبىُّ ذو محافظةٍ وابنِ أبىِّ أبىِّ من أبيين ^(٣)
ولكن بعد ماذا ، بعد ما ضَمُّوا الحصر ، وأموا الحصر ، وأدمنوا العصر ،
وافتتحوا القصر .

(١) المغول : سوط في جوفه سيف . (٢) الذفيفة : السريعة الخفيفة .

(٣) البيت لذى الإصبع العدواني ، المفضليات : ١ - ١٦١ .

وكان ما كان مما لست أذكرُهُ فظنَّ شرًّا ولا تسأل عن الخبر
فأكثر هذا الكلام كنايات .

ومما عيب من هذا الباب ما أخبرنا به أبو أحمد ، قال : قال أبو الحسن بن طباطبا
الأصبهاني يصف غلاماً : مما عيب من
الكناية

منَّم الجسم يحكي الماء رقتُهُ وقلبه قسوة يحكي أبا أوس
أى قلبه حجر ، أراد والد أوس بن حجر ، فأبعد التناول . فكتب إليه أبو مسلم
قال : وأنشدنيها أبو مسلم ، ولم ينسبها إلى نفسه :

أبا حسنٍ حاولت إيرادَ قافيةٍ مصليّة المعنى فجاءتْك واهية
وقلت أبا أوس تريد كنايةً عن الحجر القاسي فأوردت داهية
فإن جاز هذا فاكسرن غير صاغر فى بابي القرم الهمام معاوية
وإلا أقنا بيننا لك جدّه فتصبح ممنونا بصفين ثانية

أراد : فاكسرن فى بصخر ، وإلا أقنا بيننا لك حرباً وهو جد معاوية ؛ وقال
أبو نواس فى جلد عميرة :

إذا أنت أنكحت الكريمة كفهاً فانكح حسينا راحةً بنت ساعدٍ
وقل بالرفا ما نلت من وصل حرّة لها راحةً حُفَّتْ بخميس ولائدٍ
ومن شنيع الكناية ، قول بعض المتأخرين ^(١) :

إنى على شغفى بما فى خمرها ^(٢) لأعفُ عما فى سراويلاتها
وسمعت بعض الشيوخ يقول : الفُجُورُ أحسنُ من عفافٍ يُمبرَّ عنه بهذا اللفظ .
قال : وقريب من ذلك قول الآخر :

وما نلتُ منها محرماً غير أننى إذا هى بالْتُ بُلتُ حيثُ تبُولُ

(١) هو المتنبي ، ديوانه : ١ - ٢٢٦ .

(٢) الخمر : جمع خمر ، وهو ما تختمر به المرأة .

الفصل الثالث عشر

في المكس

المكس: أن تمكس الكلام فتجعل في الجزء الأخير منه ما جعلته في الجزء الأول، وبعضهم يسميه التبديل ؛ وهو مثل قول الله عز وجل : ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ ﴾ .

وكقول القائل : اشكر لمن أنعم عليك ، وأنعم على من شكرك . وقول الآخر : اللهم أغنني بالفقر إليك ، ولا تُفقرني بالاستغناء عنك . وقول بعض النساء لولدها : رزقك الله حظاً يخدمك به ذوو المقول ، ولا رزقك عقلاً يخدم به ذوى الحفظ . وقال بعضهم لرجل كان يتمهده : أسأل الله الذي رحنى بك ، أن يرحنك بي . وقال بعض القدماء : ما أقل منفعة المعرفة مع غلبة الشهوة ! وما أكثر قلة المعرفة مع ملك النفس ! وقال بعضهم : كن من احتيالك على عدوك ، أخوف من احتيال عدوك عليك . وقال آخر : ليس معي من فضيلة العلم إلا أني أعلم أني لا أعلم . وفي معناه قول الشاعر :

جَهِلْتُ ولم تعلم بأنك جاهلٌ فننلى بأن تدرى بأنك لاتدرى

وعزى رجل أخاه على ولد ، فقال : عوّضك الله منه ما عوّضه منك - يعني الجنة . وقال بعضهم : إني أكره للرجل أن يكون مقدار لسانه فاضلاً عن : مقدار علمه ، كما أكره أن يكون مقدار علمه فاضلاً عن مقدار لسانه . وقال عمر بن الخطاب رضوان الله عنه : إذا أنا لم أعلم ما لم أر فلا علمت ما رأيت . وقيل للحسن بن سهل - وكان يكثر المطاء : ليس في المترف خير ، فقال : ليس في الخير مترف .

فمكس اللفظ واستوفى المعنى .

وقال بعضهم : كان الناسُ وَرَقًا لا شَوْكَ فيه ، فصاروا شَوْكًا لا وَرَق فيه .

ومثاله من المنظوم قول عدى بن الرقاع^(١) :

مثاله من
المنظوم

ولقد ثنيتُ يَدَ الفتاةِ وَسَادَةً لى جاعلا إحدى يَدَيَّ وَسَادَهَا

وقال بعض المحدثين :

لسانى كتوم لأمراركم ودمعى نَمُوم لسرى مُذِيعُ

فلولا دموعى كتمتُ الهوى ولولا الهوى لم تكن لى دموعُ

وقال آخر :

تلك الثنايا من عقدها نُظِمَتْ أو نُظِمَ العَقْد من ثناياها

والمكس أيضاً من وجه آخر ؛ وهو أن يذكر المعنى ثم يعكسه إيراد خلاف ؛

كقول صاحب : * وتسمى شمس المالى وهو كسوفها *

الفصل الرابع عشر

في التذييل

وللتذييل في الكلام موقع جليل ، ومكان شريف خطير ؛ لأن المعنى يزداد به انشراحا والمقصد اتضاحا . وقال بعض البلغاء : للبلاغة ثلاثة مواضع ؛ الإشارة ، والتذييل ، والمساواة . وقد شرحنا الإشارة والمساواة فيما تقدم ؛ فأما التذييل فهو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى بعينه ، حتى يظهر لمن لم يفهمه ، ويتأكد عند من فهمه ، وهو ضد الإشارة والتعريض ؛ وينبغي أن يستعمل في المواطن الجامعة ، والمواقف الحافلة ؛ لأن تلك المواطن تجمع البطئ الفهم ، والبعيد الذهن ، والثاقب القريحة ، والجيد الخاطر ، فإذا تكررت الألفاظ على المعنى الواحد توكد عند الذهن اللقن ، وصح للكيل البليد .

ومثاله من القرآن قول الله عز وجل : ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَافِرَ ﴾ ؛ ومعناه وهل يجازى بمثل هذا الجزاء إلا الكفور . وقوله تعالى : (وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴾ . و ﴿ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ جميعا تذييل .

ومثاله من النثر قول بعضهم : قبول السعاية شر من السعاية ؛ لأن السعاية إخبار ودلالة ، والقبول إنفاذ وإجازة ، وهل الدال الخبر ، مثل المجيز المنفذ ، فإذا كان كذلك فالحزم أن يمقت الساعي على سعيته إن كان صادقا للؤمه في هتك المورة ، وإضاعة الحرمة ، وأن يجمع له إلى المقت المقبوبة إن كان كاذبا ، لجمعه على إضاعة الحرمة ، وهتك المورة ومبارزة الرحمن بقول الزور واختلاق البهتان . فقوله : « وهل الدال الخبر مثل المجيز المنفذ » تذييل ما تقدم من الكلام .

موقع
التذييل في
الكلام

التذييل

مثاله من
القرآن

من النثر

وكتب رجل إلى أخ له : أما بعد ، فقد أصبح لنا من فضل الله تعالى ما لا تحصى ،
ولسنا نستحي من كثرة ما نعصيه ، وقد أعيانا شكره ، وأعجزنا حمده ، فما ندري
ما نشكر : أجيل ما نشر ، أم قبيح ما ستر ، أم عظيم ما أبلى ، أم كثير ما عفا ،
فاستزد الله من حسن بلائه بشكره على جميع آلائه . فقوله : « فما ندري ما نشكر »
تذييل لقوله « قد أعيانا شكره » .

وكتب سليمان بن وهب لبعضهم : بَكَفَى حُسْنُ مُحْضَرِكَ ، فَغَيْرُ بَدِيعٍ مِنْ فَضْلِكَ ،
وَلَا غَرِيبٍ عِنْدِي مِنْ بَرِّكَ ؛ بَلْ قَلِيلٌ أَتَّصِلُ بِكَ كَثِيرٍ ، وَصَغِيرٌ لِحَقِّ بِكْبِيرٍ ؛ حَتَّى اجْتَمَعَ
فِي قَلْبٍ قَدْ وَطَّنَ لِمَوْتِكَ ، وَعَنْقٍ قَدْ ذُلَّتْ لَطَاعَتُكَ ، وَنَفْسٍ قَدْ طَبِعَتْ عَلَى مَرَضَاتِكَ ؛
وَلَيْسَ أَكْثَرُ سَوْئِهَا ، وَأَعْظَمُ إِرْبَاهَا ، إِلَّا طَوْلُ مَدَنِكَ ، وَبَقَاءُ نِعْمَتِكَ ، قَوْلُهُ : « فَغَيْرُ
بَدِيعٍ مِنْ فَضْلِكَ وَلَا غَرِيبٍ عِنْدِي مِنْ بَرِّكَ » تَذْيِيلٌ لِقَوْلِهِ : « بَلْ قَلِيلٌ أَتَّصِلُ بِكَ كَثِيرٍ ،
وَصَغِيرٌ لِحَقِّ بِكْبِيرٍ » فَأَكْدَ مَا تَقْدِمُ .

من المنظوم ومن المنظوم قول الخطيئة (١) :

قَوْمٌ هُمُ الْأَنْفُ وَالْأَذْنَابُ غَسِيرُهُمْ وَمَنْ يَقِيسُ (٢) بِأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنْبَا
فَاسْتَوْفَى الْمَعْنَى فِي النِّصْفِ الْأَوَّلِ ، وَذَيَّلَ بِالنِّصْفِ الثَّانِي .
وقول الآخر :

فَدَعُوا نَزَالَ فَكَفَنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ وَعَلَامَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أُنْزَلِ
وقول طرفة (٣) :

لَعَمْرُكَ إِنْ الْمَوْتُ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى لَسَاكِلُ طَوْلِ الْمُرْخَى وَثَنِيَّاهُ بِالْيَدِ (٤)
فَالنِّصْفُ الْآخِرُ تَشْبِيهُهُ وَتَذْيِيلُ .
وقول أبي نواس :

عَرَمَ الزَّمَانُ عَلَى الَّذِينَ عَهْدَتَهُمْ بِكَ قَاطِنِينَ وَلِلزَّمَنِ عُرَامٌ (٥)
قَوْلُهُ : « وَلِلزَّمَانِ عُرَامٌ » تَذْيِيلُ .

(١) ديوانه : ٧ . (٢) في الديوان : « ومن يسوى » . (٣) المعلقات : ٨٦ .

(٤) الطول : الجبل . وثنياء : مائتي منه . (٥) العرام : الشدة والأذى .

الفصل الخامس عشر

في الترميع

وهو أن يكون حشو البيت مسجوعا ، وأصله من قولهم : رصّعت العقْد ، إذا فصلته . ومثاله قول امرئ القيس ^(١) :

سَلِيمُ الشَّظَى عَيْلُ الشَّوَى شَنِجُ النَّسَا لَهُ حَجَبَاتٌ مُشْرِفَاتٌ عَلَى الْغَالِ ^(٢)
وقوله ^(٣) :

وَأَوْتَادُهُ مَازِيَّةٌ وَعِمَادُهُ رُدَيْنِيَّةٌ فِيهَا أَسَنَةٌ قَعَضِبِ ^(٤)
وقوله ^(٥) :

فَتَوَرَّ الْقِيَامُ قَطِيعُ السَّكَلَا مِ تَفَتَّرَ عَنْ ذِي غُرُوبٍ خَصِرِ
وضرب منه قوله ^(٦) :

مُخَشَّ مَجِشٍ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعَا كَتَيْسُ ظَبَاءِ الْحَلْبِ الْعِدْوَانِ ^(٧)
وضرب منه ، قوله ^(٨) في صفة الكلب :

أَلَمَّ الضَّرُّوسُ حَبِيَّ الضَّلُوعِ تَبَوَّعَ طَلُوبُ نَشِيطُ أَشْرِ ^(٩)
فقوله : «الضَّرُّوسُ مع الضَّلُوعِ» ، سجع ؛ وإن لم يكن القاطع على حرف واحد ؛ وقد أحكمتنا هذا في السجع والازدواج .

(١) ديوانه : ٦٤ . (٢) الشظى : عظم لازق بالذراع . والشوى : اليدان والرجلان . والنسا : عرق في الفخذ . والحجبات : رءوس عظام اليدين . والغال : اللحم الذي على الورك .

(٣) ديوانه : ٨٧ . (٤) المازية : الدروع البيض . وقعضب : رجل كان يصنع الرماح .

(٥) ديوانه : ٨ . (٦) ديوانه : ١٢٣ . (٧) رواية الديوان :

مكر مفر مقبل مدبر معا كتييس ظباء الحلب العدوان

الحلب : بقلة تأكلها الوحش فتضمهر عليها بطونها . العدوان : المسرع .

(٨) ديوانه : ١١ . (٩) الألس : الذي التصقت أسنانه بهضمها ببعض . حبي الضلوع (بالباء) : منتفخ .

- وقال زهير^(١) :
- كَبْدَاءَ مَقْبَلَةً عَجْزَاءَ مُدْبِرَةً قوداءَ فيها إذا استعرضتها خَضَعَ^(٢)
- وقال أوس^(٣) :
- جُشًّا حَنَاجِرَهَا غُلْمًا مَشَا فِرُّهَا تَسَنَّنَ أولادها في قِرْقَرٍ ضاحي^(٤)
- وقال طرفة^(٥) :
- بطيء عن الجُلَى سَرِيعٍ إلى النَحَا ذَلُولٍ بِأَجْمَاعِ الرجالِ مُلَهَّدٍ^(٦)
- وقال النمر^(٧) :
- من صَوْبٍ سَاريةٍ غَلَّتْ بِغَادِيَةٍ تنهلُ حتى يكاد الصبح ينجاب
- وقال ثابت شرآ^(٨) :
- بَلْ مَنْ لَعْدَالَةٍ خَذَالَةٍ أَشْبِ حَرَّقَتْ بِاللَّوْمِ جِلْدِي أَيْ تَحْرَاقِ^(٩)
- وقال أيضاً^(١٠) :
- حَمَالُ أُلُويَةٍ شَهادِ أُنْدِيَةٍ هَبَّاطُ أَوْدِيَةٍ جَوَّالِ آفَاقِ
- وقال النمر^(١١) :
- طَوِيلُ الدَّرَاعِ قَصِيرُ الكُرَاعِ يَواشِكُ بِالسَّيْبِ الأَغْبَرِ
- وقال الأَفْوَهِ الأَوْدِي^(١٢) :
- سُودٌ غَدَائِرها بُلُجٌ مَحَاجِرُهَا كَأَنَّ أَطْرَافَهَا لَمَّا اجْتَلَى الطَّنْفِ^(١٣)

(١) ديوانه : ٢٣٧ . (٢) كبداء : ضخمة الوسط .

قوداء : طويلة العنق . استعرضتها : نظرت عرضها . الخضع : تطامن في العنق .

(٣) نقد الشعر : ٢٥ . (٤) الجش : جمع أجش، وهو الغليظ الصوت . والعلم : جمع أعلم

وهو المشقوق الشفة العليا . (٥) المعلقات : ٩٦ . (٦) الجلى : الأمر العظيم : أجماع :

جمع جمع ، وهو ظهر الكف . الملهد : المضروب . (٧) نقد الشعر : ٢٦ .

(٨) المفضليات : ٢٨ . (٩) العذالة : الكثير اللوم . والخذالة : الذى يكثر خذلان

صاحبه . والأشب : المعارض . (١٠) المفضليات : ٢٧ . (١١) نقد الشعر : ٢٩ .

(١٢) الطرائف الأدبية : ٢٠ . (١٣) الطنف : السيور .

وقال المجير^(١) :

* حُمَّ الذرى مرسلّة منها العرى *

وقال سليك^(٢) :

* إذا أمهلت خبت وإن أحرزت مشت *

وقال بشامة بن الغدير^(٣) :

هوان الحياة وخزى المات وكلاً أراه طعاماً وبيلاً

وقال الراعى^(٤) :

سود معاصمها خضر معاقها قد مسّها من عقيد القار تنصيل^(٥)
وقالت ليلي الأخيلية^(٦) :

وقد كان مرهوب السنان وبين الألسان ومجدّام السرى غير فاتر

وقال ذو الرمة :

كحلّاء فى برج صفراء فى نّمع^(٧) كأنها فضة قد مسها ذهب

وقال عامر بن الطفيل :

إنى وإن كنت ابن فارس عامر وفى السرّ منها والصرىّ المهذب
فما سودتنى عامر عن ورائة أبى الله أن أسمو بأمّ ولا أب
ولكننى أحمى حماها وأتقى أذاها وأرى من رماها بمقنب

المقنب : جماعة الخيل .

ومثل هذا إذا اتفق فى موضع من القصيدة أو موضعين كان حسناً ، فإذا كثر كثرته وتوالى دلّ على التكلف ؛ وقد ارتكب قوم من القدماء الموالاة بين أبيات كثيرة

(١) نقد الشعر : ٢٧ . (٢) نقد الشعر : ٢٧ . (٣) نقد الشعر : ٢٧ .

(٤) نقد الشعر : ٢٧ . (٥) المعاقم : فقر فى مؤخر الصلب ،

وملتنى أطراف العظام . (٦) نقد الشعر : ٢٧ .

(٧) البرج : نبيل العين وهو سعتها . والنمع : حسن اللون وخلوص بياضه .

من هذا الجنس فظهر فيها أثر التكلف ، وبان عليها سمة التعسف ، وسلم بعضها ولم يسلم بمض ؛ فن ذلك ما روى أنه للخنساء :

حَايَ الْحَقِيقَةَ مَحْمُودُ الْخَلِيقَةِ مَهْ دَى الطَّرِيقَةِ نَفَاعٌ وَضَرَارُ

هذا البيت جيد ؛ ثم قالت :

فَعَمَّالُ سَامِيَةٍ وَرَّادُ طَامِيَةٍ لِلْمَجْدِ نَامِيَةٍ تَعْنِيهِ أَسْفَارُ

هذا البيت ردى لتبرىء بعض ألفاظه من بعض ؛ ثم قالت :

جَوَابُ قَاصِيَةٍ جَزَّازِ نَاصِيَةٍ عَقَّادُ أَلْوِيَةِ لِلْخَيْلِ جَرَّارُ

آخر هذا البيت لا يجرى مع ما قبله ، وإذا قُسِّمَتْه بأوله وجدته فاتراً بارداً ؛ ثم قالت :

خُلُوٌّ حَلَاوَتِهِ فَصْلٌ مَقَالَتِهِ فَاشٍ حَمَالَتِهِ لِلْعَظَمِ جَبَّارُ

وهذا مثل ما قبله ؛ وقول أبي صخر الهذلي (١) :

وَتِلْكَ هَيْكَلَةُ خَوْدٍ مَبْتَلَةٍ (٢) صَفْرَاءُ رَعْبَلَةٍ فِي مَنْصَبِ سَيِّمِ

هذا البيت صالح ؛ وبعده :

عَذْبٌ مَقْبَلُهَا حَزْنٌ مُخْلَخِلُهَا كَالدَّغِصِ (٣) أَسْفَلُهَا مَخْصُورَةُ الْقَدَمِ

كأن قوله : « مَخْصُورَةُ الْقَدَمِ » ناب عن موضعه غير واقع في موقعه ؛ وبعده :

سُودُ ذَوَائِبِهَا بَيِضُ تَرَائِبِهَا مُحَضُّ ضَرَائِبِهَا صَيِفَتْ عَلَى الْكَرَمِ

وهذا البيت أيضاً قلق القافية ؛ وبعده :

سَمَحٌ خَلَاتُهَا دُرْمٌ مَرِاقُهَا يُرَوِّى مُعَانِقُهَا مِنْ بَارِدِ شَيْبِمِ

هذا البيت ردى لبعده ما بين الخلائق ، والمرافق ، وما بين الدُّرْمِ ،

والسمع ؛ ولولا أن السجع اضطره لما قال : سَمَحٌ وليس لعظم مِرْفَقُهَا حَجْمٌ (٤) . وهذا

مثل قول القائل لو قال : خُلِقَ فُلَانٌ حَسَنٌ وَشَعْرُهُ جَعْدٌ (٥) . ليس هذا من تأليف

(١) قد الشعر ٢٨ . (٢) الخود : الشابة . والمبتلة : الحسنه الخلق . (٣) المخلخل :

موضع المخلخال . والدغص : مجتمع الرمل . (٤) هذا تفسير للدُّرْمِ . (٥) الجعد من الشعر : القصير .

البلغاء ونظم الفصحاء. وقول أبي المثل^(١) :

آبى الهضيمة ناء بالعزيمة مت لاف الكريمة جلدٌ غير تُنيان^(٢)
حامى الحقيقة نسأل الوديقة مع تاق الوسيقة لا نكس ولاوان^(٣)

البيت الثاني أجود من الأول ؛ وقوله :

رباء مرقبة مناع مغلية وهاب سلهبة قطاع أقران^(٤)
وهذا البيت أيضاً صالح ؛ وبعده :
هباط أودية سمال ألوية شهاد أندية سرحان فتیان^(٥)

قوله : سرحان فتیان ناب قلق ؛ وبعده :

يعطيك مالا تكاد النفس ترسله من التلاد وهوب غير منان
الثارك القرن مصفراً أنامله كأن في ريطتيه نضح إرقان^(٦)
هذا البيت جيدٌ وقد سـ من سائر العيوب إذ لم يتكلف فيه السجع ولم يتوخ
الموازنة .

من جيد
الترصيع

ومن جيد الباب قول ابن الرومي :

حوراء في وطف قنواء في ذلف لفاء في هيف عجزاء في قبب^(٧)

من معيبه

ومن معيب هذا الباب أيضاً قول بعض المتأخرين^(٨) :

عجب الوشاة من اللحاة وقولهم دغ ما نراك ضعفت عن إخفائه
هذا ردى لتعمية معناه .

(١) تقد الشعر : ٢٩ ، وفي ط قبل هذين البيتين نقلا عن نسخة كبر بلى هذا البيت :

لو كان للدهر مال كان متلده لكان للدهر صخر مال فتیان

(٢) الثنيان : الذى يجىء ثانياً فى السوود . (٣) نسال : أى ينسل فى الوديقة ، وهى

شدة الحر . والمتاق : الذى يطرد الطريدة . الوسيقة : القطعة من الإبل .

(٤) رباء : من ربا فوق الشئ إذا علاه . والرقبة : المرتفع من الأرض . والسلبة : الجسيم

من الخيل . (٥) السرحان : الأسد بلغة هذيل ، والبيت فى اللسان (سرح) .

(٦) الريغة : الملاة . والإرقان : الحناء والزعفران ، وهذا البيت لم يذكر فى ١ .

(٧) الوطف : كثرة شعر الحاجبين . والقنا : ارتفاع الأنف . والذلف : صفر الأنف

واستواء الرقة . والفاء : الضخمة الفخذين . والقبب : دقة الحصر . (٨) المتنبي ، ديوانه : ١-٥ .

الفصل السادس عشر

في الإيغال

الإيغال

وهو أن يستوفي معنى الكلام قبل البلوغ إلى مقطعه ؛ ثم يأتي بالمقطع فيزيد معنى آخر يزيد به وضوحا وشرحا وتوكيدا وحسنا ، وأصل الكلمة من قولهم : أوغل في الأمر إذا أبعده الذهاب فيه .

وأخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا الصولي عن البرد عن التوزي ، قال : قلت للأصمعي : مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ ؟ فقال : مَنْ يَأْتِي بِالْمَعْنَى الْخَسِيسِ فَيَجْعَلُهُ بَلْفَظُهُ كَبِيرًا ، أَوِ الْكَبِيرِ فَيَجْعَلُهُ بَلْفَظُهُ خَسِيسًا ، أَوْ يَنْقُضِي كَلَامَهُ قَبْلَ الْقَافِيَةِ ، فَإِذَا احتاج إليها أفاد بها معنى . قال : قلت : نحو مَنْ ؟ قال : قول ذِي الرُّمَّةِ حيث يقول ^(١) :

قَفِ الْعَيْسَ فِي أَطْلَالِ مِئَةِ فَاسَّالٍ رُسُومًا كَأَخْلَاقِ الرِّدَاءِ الْمَسْلُوسِ
فتم كلامه « بالرداء » قبل المسلسل ، ثم قال « المسلسل » ؛ فزاد شيئاً بالمسلسل .
ثم قال :

أظن الذي يُجْدِي عَلَيْكَ سؤَالَهَا دُمُوعًا كَتَبْتِيزِ الْجُبَانِ الْفَصِّلِ
فتم كلامه ، بالجمان ، ثم قال : الفصل ، فزاد شيئاً . قلت : ونحو مَنْ ؟ قال : الأعشى حيث يقول ^(٢) :

كَنَاطِحٍ صَخْرَةٍ يَوْمًا لِيَفْلِقَهَا فَلَمْ يَضِرْهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعِلُ
فتم كلامه « بِيَضِرْهَا » ، فلما احتاج إلى القافية قال : وأوهى قرنه الوعل ؛ فزاد معنى . قلت : وكيف صار الوعل مفضلاً على كل ما ينطح ؟ قال : لأنه ينحط من قلة الجبل على قرنيه فلا يضيره .

وكتب بعض الكتاب : نبؤ الطرف من الوزير دليل على تغير الحال عنده ،

(١) نهاية الأرب : ٧ - ١٣٨ ، ديوانه ٧٢ . (٢) العمدة : ٢ - ٥٢ ، المعلقات : ٢٨٤ .

ولا صَبَر على الجفاء مَنَّ عود الله منه اليَّ ، وقد استدلت بإزالة الوزير إياي عن المحل الذي كان مجلنيته بتطوُّله على ماسوَّت له ظنا بنفسي ، وما أخاف عتبا لأنني لم أجن ذنبا ، فإن رأى الوزيرُ أن يقومني لنفسي ، ويدلني على ما يراود مني فعل . تم كلامه عند قوله له « يقومني » ثم جاء بالقطع وهو قوله : « لنفسي » فزاد معنى .

وممَّ زاد توكيدا امرؤ القيس حيث يقول ^(١) :

كَأَنَّ عَيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ خِيَابِنَا وَأَرْحُلُنَا الْجَزَعُ الَّذِي لَمْ يَثْقُبْ
قوله : « لم يثقب » يزيد التشبيه توكيدا ؛ لأن عيون الوحش غير مثقبة .
وزهير حيث يقول ^(٢) :

كَأَنَّ فُتَاتَ الْعَيْنِ ^(٣) فِي كُلِّ مَزَلٍ نَزَلَنَ بِهِ حَبُّ الْفَنَّا لَمْ يُحَطِّمْ
الفنا إذا كسر ايض . والفنا : شجر الثعلب ^(٤) . ومن الزيادة قول امرئ القيس ^(٥) :
إِذَا مَا جَرَى شَاوِينَ وَابْتَلَّ عِطْفَهُ يَقُولُ هَزِيرُ الرِّيحِ مَرَّتْ بِأَثَابٍ ^(٦)
فالتشبيه قد تم عند قوله « هزير الريح » وزاد بقوله « مرت بأثاب » : لأنه أخبر به عن شدة خفيف الفرس ، وللريح في أغصان الأثاب خفيف شديد . والأثاب : شجر .
وقول أبي نواس :

ذَاكَ الْوَزِيرَ الَّذِي طَالَتْ عِلَاوَتُهُ كَأَنَّهُ نَاطِرٌ فِي السَّيْفِ بِالطُّولِ
فقوله « بالطول » أنفى للشبهة .
وقول راشد الكاتب :

كَأَنَّهُ وَيدُ الْحَسَنَاءِ تَغْمِزُهُ سِيرُ الْإِدَاوَةِ لَمَّا مَسَّهُ الْبَلَلُ
فقوله : « لما مسه البلل » تأكيد ، ويدخل أكثر هذا الباب في التتميم ؛ وإنما يسمى إينالا إذا وقع في الفواصل والمقاطع .

(١) ديوانه : ٨٨ . (٢) ديوانه : ١٢ . (٣) العين : الصوف .

(٤) هو شجر ثمره حب أحمر . (٥) ديوانه : ٨٣ .

(٦) الشاؤ : الطلق . وعطفه : ناحيته . وهزير الريح صوتها .

الفصل السابع عشر

في التوشيح

التوشيح سمي هذا النوع التوشيح ، وهذه التسمية غير لازمة بهذا المعنى ، ولو سمي تبينا لكان أقرب ، وهو أن يكون مبتدأ الكلام يُنبئ عن مَقْطَعِهِ ؛ وأوله يخبر بآخره ، وصدره يشهد بِمَجْزِهِ ، حتى لو سمعت شعراً ، أو عرفت رواية ؛ ثم سمعت صدر بيت منه وَقَفْتَ على عَجْزِهِ قبل بلوغ السماع إليه ؛ وخير الشعر ما تسابق صدورهِ وأعجازه ، ومعانيهِ وألفاظهِ ؛ فتراهِ سَلِساً في النظام ، جاريّاً على اللسان ، لا يتنافى ولا يتنافر ؛ كأنه سبيكة مُفَرَّغَةٌ ، أو وثنى متين ، أو عقد منظم من جوهر مُتَشَاكِل ، متمكن القوافي غير قلقلة ، وثابتة غير مرجحة ، ألفاظه متطابقة ، وقوافيه متوافقة ، ومعانيه متعادلة ، كل شيء منه موضوع في موضعه ، وواقع في موقعه ؛ فإذا نقض بناؤه ، وحُلَّ نظامه ، وجعل نثراً ؛ لم يذهب حسنه ، ولم تبطل جودته في معناه ولفظه ؛ فيصلح نقضه لبناء مستأنف ، وجوهره لنظام مستقبل .

أمثلة من القرآن فما في كتاب الله عز وجل من هذا النوع قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ ؛ فإذا وقفت على قوله تعالى : « فيما » ، عرف فيه السامع أن بعده « يختلفون » ، لما تقدم من الدلالة عليه .

وهكذا قوله تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُ أَمْرٌ مَكْرَإٌ إِنْ رُسُلُنَا يَكْتُوبُونَ مَا تَمَكُرُونَ ﴾ ذا وقف على « يكتبون » ، عرف أن بعده « مايمكرون » ، لما تقدم من ذكر المكر . وضرب منه آخر ، وهو أن يَعْرِفَ السامع مَقْطَعَ الكلام ، وإن لم يجد ذكره فيما تقدم ؛ وهو كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ ، فإذا وقف على قوله : « لننظر » مع ما تقدم من قوله تعالى : « جعلناكم خلائف في الأرض » ، علم أن بعده : « تعملون » ، لأن المعنى يقتضيه .

ومن الضرب الأول قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ .

وهكذا قوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ الْمُنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْمُنْكَبُوتِ ﴾ ؛ إذا وقف على «أوهن البيوت» ، يعرف أن بعده «بيت المنكبوت» .

أمثلة له من
الشعر

ولكن أمثلة ذلك قول الراعي (١) :

وإن وُزِنَ الْحَصَى فَوِزَنَتْ قَوْمِي وَجَدْتُ حَصَى ضَرِيبتِهِمْ رَزِينًا

إذا سمع الإنسان أول هذا البيت وقد تقدمت عنده قافية القصيدة استخراج لفظ قافيته ؛ لأنه عرف أن قوله « وزن الحصى » سيأتي بعده « رزين » لملتين : إحداها أن قافية القصيدة توحيه ؛ والأخرى أن نظام البيت يقتضيه ؛ لأن الذى يُفاخر برجاحة الحصى ينبغي أن يصفه بالرزانة .

وقول نصيب :

وقد أيقنتُ أن سَتَبِينَ ليلي وَتُحَجَّبُ عَنْكَ لَوْ نَفَعَ الْيَقِينُ

وأنشد أبو أحمد قول مُضَرَّس بن رَبِيعٍ :

تَمْنَيْتُ أَنْ أَلْقَى سَلِيمًا وَمَا لَكَ عَلَى سَاعَةٍ تُنْسِي الْحَلِيمَ الْأَمَانِيَا

ومن عجيب هذا الباب قول البحترى (٢) :

فَلَيْسَ الَّذِي حَلَمْتَهُ بِمَحَلٍّ وَلَيْسَ الَّذِي حَرَمْتَهُ بِحَرَامٍ

وذلك أن مَنْ سَمِعَ النصف الأول عرف الأخير بكلامه ؛ ونحوه قول الآخر :

فَأَمَّا الَّذِي يُحْصِيهِمْ فَكَثْرٌ وَأَمَّا الَّذِي يُطْرِيهِمْ فَفَقْلٌ

وقول الآخر :

هِيَ الدَّرَّ مَنْشُورًا إِذَا مَا تَسْكَمَتْ وَكَالدَّرَّ مَنْظُومًا إِذَا لَمْ تَسْكَمْ

وقول الآخر :

ضُمَانُفٍ يَقْتُلْنَ الرِّجَالَ بِلَادِمٍ وَيَا عَجَبًا لِلْقَاتِلَاتِ الضَّمَانُفِ

وقول الآخر :

وقد لان أيام الحمى ثم لم يكند
من العيش شيء بعد ذاك يلين
يقولون ما أهلك والمال عامر
عليك وضاحي الجلد منك كنين
فقلت لهم : لا تعذلوني وانظروا
إلى النازع المقصور كيف يكون
إذا قلت : « ضاحي الجلد منك » ، فليس شيء سوى « الكنين » ؛ وكذلك
إذا قلت : « إلى النازع المقصور كيف » ، فليس شيء سوى « يكون » .
ومما عيب من هذا الضرب قول أبي تمام ^(١) :
صارت المكرمات بزلاً وكانت
أدخلت بينهما بنات مخاض ^(٢)
وقول بعض المتأخرين ^(٣) :
فقلقت بالهم الذي قلقل الحشا
قلقل عيسى كلهن قلقل
وإنما أخذه من قول أبي تمام ^(٤) فأفسده :
طلبتك من نسل الجدیل وشدقم
كوم عقائل من عقائل كوم ^(٥)

(١) ديوانه : ١٨٨ . (٢) البزل : الإبل الداخلة في السنة الرابعة . بنات المخاض :
الداخلة في الثانية . (٣) هو المتنبي ، ديوانه : ٣ - ١٧٦ . (٤) ديوانه : ٣٠٦ .
(٥) جدیل وشدقم : خلان كانا للنعمان بن المنذر تنسب إليهما الجدليات والشدقيات من
الإبل . والكوم الأولى : القطعة من الإبل ، والثانية : جمع أكوم ، وهي في الأصل العظم
في كل شيء ثم غلب على السنام والبعير ، فقيل سنام أكوم وبعير أكوم أى عظيم .

الفَصْلُ الثَّامِنُ عَشَرُ

في رد الأعجاز على الصدور

فأول ما ينبغي أن تعلمه أنك إذا قدمت ألفاظاً تقتضى جواباً فالمرضى أن تأتي بتلك الألفاظ بالجواب ، ولا تنتقل عنها إلى غيرها مما هو في معناها ، كقول الله تعالى : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ . وكتب بعض الكتاب في خلاف ذلك : مَنْ اقترف ذنباً عامداً ، أو اكتسب جرماً قاصداً لزمه ما جناه ، وحق به ما توخاه . والأحسن أن يقول : لزمه ما اقترف ، وحق به ما اكتسب . وهذا يدل على أن لِرَدِّ الأعجاز على الصدور موقعا جليلا من البلاغة ، وله في المنظوم خاصة محلا خطيرا .

وهو ينقسم أقساما ؛ منها ما يوافق آخر كلمة في البيت آخر كلمة في النصف الأول ؛ أقسامه مثل قول الأول :

تلقى إذا ما الأمر كان عرمرماً في جيش رأى لا يفلى عرمرم
وقال عنبرة (١) :

فأجبتها إنَّ المنية منهل لا بد أن أسقى بذاك المنهل
وقال جرير (٢) :

زعم الفرزدق أن سيقتلُ مربعا أبشِرْ بطولِ سلامةِ يا مربحُ
وقال الخيل :

وينفس فيما أورتكني أوارثي ويرغب عما أورتته أوائله

(١) ديوانه : ١٠٠ . (٢) ديوانه : ٣٤٨ .

ومنها ما يوافق أول كلمة منها آخر كلمة في النصف الأخير ، كقول الشاعر^(١) :
سريع إلى ابن العم يلطم وجهه وليس إلى داعي الوغى^(٢) بسريع
وقول ابن الأسلت :

أسمى على جلّ بني مالك كلّ امرئ في شأنه ساع
ومنه ما يكون في حشو الكلام في فاصلته ، كقول الله تعالى : ﴿ انْظُرْ كَيْفَ
فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ . وقوله
تعالى : (قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ
وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى) . وكقول امرئ القيس^(٣) :

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شيء سواه بخزان
وقول الآخر :

كذلك خيمهم ولكل قوم إذا مستهم الضراء خيم
وقول زهير^(٤) :

ولأنت تفرى ما خلقت^(٥) وبه . ضُ القوم يخلق ثم لا يفرى
وقال جرير^(٦) :

سقى الرمل جونٌ مُسهلٌ ربابه وماذاك إلا حُبٌّ من حلٍّ بالرمْلِ^(٧)
أخذه من قول النمرى :

لعمرك ما أسقى البلاد لحبها ولكننا أسقيك حارِ بن تَوَلَب
وقول ابن مقبل :

يا حَرَّ مَنْ يعتذر من أن يلمَّ به رَبِّبِ المنونِ فإني لست أعتذرُ

(١) هو الأقبشير ، معاهد التنصيص : ٣ - ٢٤٢ . (٢) في المعاهد : « الندى » .

(٣) ديوانه : ١٢٥ . (٤) ديوانه : ٩٤ . (٥) الخالق : الذي يقدر ويهيئ للقطع .

(٦) ديوانه : ٤٦٠ . (٧) الجون : السحاب الأسود . والرباب : ما كان دون السحاب .

وقول الحطيئة (١) :

إذا نزل الشتاء بدار قوم
تجنب جارايتهم الشتاء
وقول الآخر :

رأت نضوا أسفار أميمة واقفا
على نضوا أسفار فجئن جنوبها
وقول عمرو بن معديكرب (٢) :

إذا لم تستطع شيئا فدعه
وجاوزه إلى ما تستطيع
وقول الآخر :

أصد بأيدي العيس عن قصد دارها
وقلبي إليها بالمودة قاصد
ومن الضرب الأول قول زهير (٣) :

الستر دون الفاحشات ولا
يلقاك دون الخير من ستر
وقول الحطيئة (٤) :

تدرون إن شدة العصاب عليكم
ونأى إذا شدة العصاب فلا ندر
وقول أبي تمام (٥) :

أسأله ما بأله حاكم البلى
عليه وإلا فتركوني أسأله
وقوله :

تجشتم حمل الفاححات وقلما
أقيمت صدور المجد إلا تجشما
وقول الآخر :

مفيد إن ترره وأنت مفيد
تكن من فضل نعمته مفيدا
وقول الآخر (٦) :

واستبدت مرة واحدة
إنما الما جز من لا يستبد

(١) ديوانه : ٢٧ . (٢) ديوانه : ١ - ٦٢ . (٣) ديوانه : ٩٥ .
(٤) ديوانه : ٥٠ . (٥) ديوانه : ٢٣٠ . (٦) نهاية الأرب : ٣ : ١٠٩ .

ومنها ما يقع في حشو النصفين ؛ كقول النمر :
يَوَدُّ الْفَتَى طُولَ السَّلَامَةِ وَالْفَتَى فَكَيْفَ تَرَى طُولَ السَّلَامَةِ تَفْعَلُ
وقلت :

أَلَا لَا يَذِمُّ الدَّهْرَ مَنْ كَانَ عَاجِزًا وَلَا يَعْدِلُ الْأَقْدَارَ مَنْ كَانَ وَاثِيًا
فَمَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ الْمَالَى نَفْسُهُ فَفَقِيرٌ جَدِيرٌ أَنْ يَنَالَ الْمَعَالِيَا
وَقَفْتُ عَلَى يَحْيَى رَجَائِي وَإِنَّمَا وَقَفْتُ عَلَى صَوْبِ الرِّبْعِ رَجَائِيَا
إِذَا مَا اللَّيَالِي أُدْرِكْتُ مَا سَعَتْ لَهُ تَمَطَّيْتُ جَدَوَاهُ فَفَتَّ اللَّيَالِيَا

ومما عيب من هذا الباب قول ذى نواس البَجَلِي :
يُنَيِّمُنِي بَرْقُ الْمُبَاسِمِ بِالضَّحَى وَلَا بَارِقُ إِلَّا الْكَرِيمُ يُنَيِّمُهُ

وقال منصور بن الفرَج :

زُرْنَاكَ شَوْقًا وَلَوْ أَنَّ النُّوَى نَشَرْتُ بُسْطَ النُّوَى بَيْنَنَا بُمْدًا لَزُرْنَاكَ
وهذا أيضاً داخل في سوء الاستعارة ، وقوله أيضاً :
إِذَا احْتَجَبَ الْغَيْثُ احْتَبَى فِي نَدِيَّةٍ فَيَضْرِبُ أَغْيَاثًا لَهُ أَنْ تَحْجَبَا
وهذا البيت على غاية المشائة .

الفصل التاسع عشر

في التتميم والتكميل

وهو أن توفي المعنى حظه من الجودة ، وتمطيه نصيبه من الصحة ؛ ثم لا تنادر التتميم
معنى يكون فيه تمامه إلا تورده ، أو لفظاً يكون فيه توكيده إلا تذكره ؛ كقول والتكميل
الله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْشَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ ، فبقوله تعالى : « وهو مؤمن » تمّ المعنى .
ونحو قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ ، فبقوله تعالى :
« استقاموا » تمّ المعنى أيضاً ؛ وقد دخل تحته جميع الطاعات ، فهو من جوامع الكلم .
ونحو قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ ﴾ .
ومن النثر قول أعرابية لرجل : كَبَتَ اللَّهُ كُلَّ عَدُوِّكَ إِلَّا نَفْسَكَ . فبقولها :
« نفسك » تمّ الدعاء ؛ لأن نفس الإنسان تجري مجرى المدولة ، يعني إنها تورطه
وتدعوه إلى ما يُؤْبَقه .
ومثله قول الآخر : احرس أخاك إلا من نفسه . وقريب منه قول الآخر : مَنْ لَكَ
بَأَخِيكَ كَلَه .

ومن المنظوم قول عمرو بن براق :

فلا تأمنن الدهر خُراً ظلمته فما ليل مظلوم كريم بنايم

فقوله : « كريم » تتميم ؛ لأن اللّثيم يفضى على المار ، وينام على الثار ، ولا يكون
منه دون المظالم تكبر . وقول عمرو بن الأيهم :

بها نلنا الغرائب من سوانا وأحرزنا الغرائب أن تُنالا

فالذي أكل جودة المعنى قوله : « وأحرزنا الغرائب أن تُنالا » .

وقول الآخر^(١) :

رجال إذا لم يقبل الحق منهم ويُعطوه عادوا بالسيوف القواضب

وقول طرفة^(١) :

فسق ديارك غير مفسدها صوب الربيع وديعة تهمل
فقوله : « غير مفسدها » إتمام المعنى ، وتحرز من الوقوع فيما وقع فيه ذو الرمة
في قوله^(٢) :

ألا ياسلمى يادار مى على البلى ولازال مُنهلاً بجَرَءائك القطرُ
فهذا بالدعاء عليها أشبه منه بالدعاء لها ؛ لأن القطر إذا انهل فيها دائماً فسدت ؛
ومن العجب أن ذا الرمة كان يستحسن قول الأعرابية - وقد سألهما عن الغيث ،
فقلت : « غيثاً ماشئنا » ، وهو يقول خلاف ما يستحسن .

ومن التتميم قول الراعى :

لاخيرَ في طول الإقامة لامرئٍ إلا إذا مالم يجيد متحولاً
ونحوه قول الآخر :
إذا كنت في دار يهينك أهلها ولم تك مكبولاً بها فتحوّل
وقول الآخر :

ومقام العزيز في بلد الذلّ إذا أمكن الرحيل محالٌ
فقوله : « إذا أمكن الرحيل » تتميم ؛ وقول النمر :
لقد أصبح البيضُ الفوانى كأنما يرينَ إذا ما كنتُ فيهنّ أجرباً
وكنت إذا لافيتهنّ ببلدة يقرن على النكراء أهلاً ومرحباً
فقوله : « على النكراء » تتميم ؛ ولو كانت بينه وبينهن معرفة لم ينكر له منهن
أهل ومرحب .

وقول الآخر :

وهل علمت بيتنا إلا وآله شربة من غيره وأكله
فقوله : « من غيره » تتميم ؛ لأن لكل بيت شربة وأكلة من أهله .

وقول الشماخ^(١) :

مَجَالِيَّةٌ لَوْ يَجْعَلُ السَّيْفُ عَرَضَهَا عَلَى حَدِّهِ لَاسْتَكْبَرَتْ أَنْ تَضُورًا^(٢)

فَقَوْلُهُ : « عَلَى حَدِّهِ » تَتِمُّ عَجِيبٌ .

وَيَدْخُلُ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُ الْآخَرِ :

وَقَلَّ مَنْ جَدَّ فِي أَمْرِ يَطَالِبِهِ فَاسْتَصْحَبَ الصَّبْرَ إِلَّا فَازَ بِالظْفِرِ

وقول الخنساء^(٣) :

وَإِنْ صَخْرًا لَتَأْتِمُ الْهَدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ

فَقَوْلُهَا : « فِي رَأْسِهِ نَارٌ » تَتِمُّ عَجِيبٌ ؛ قَالُوا : لَمْ يَسْتَوْفِ أَحَدٌ هَذَا الْمَعْنَى

اسْتِيفَاءً هَا ، وَهُوَ مَاخُذٌ مِنْ قَوْلِ الْأَعَشَى^(٤) :

وَتُدْفَنُ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ وَإِنْ يَسَى يَكُنْ مَا أَسَاءَ النَّارَ فِي رَأْسِ كَبْكَبَا^(٥)

إِلَّا أَنَّهَا أَخْرَجَتْهُ فِي مَعْرِضِ أَحْسَنَ مِنْ مَعْرِضِ الْأَعَشَى ، فَشَهْرٌ وَاسْتِيفَاضَ ،

وَحَمَلَ مَعَهَا بَيْتَ الْأَعَشَى وَرَذَلَ ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى صِحَّةِ مَا قُلْنَا مِنْ أَنَّ مَدَارَ الْبَلَاغَةِ

عَلَى تَحْسِينِ اللَّفْظِ ، وَتَجْمِيلِ الصُّورَةِ . وَقَوْلُ الْآخَرِ :

أَلَا لَيْتَ النَّهَارَ يَمُودُ لَيْلًا فَإِنَّ الصَّبِيحَ يَأْتِي بِالْهَمُومِ

حَوَائِجَ لَا نَطِيقُ لَهَا قَضَاءً وَلَا رَدًّا ، وَرَوَعَاتِ الْغَرِيمِ

فَقَوْلُهُ : « وَلَا رَدًّا » تَتِمُّ .

(١) ديوانه : ٢٨ . (٢) مجالية : تشبه الجمل في خلقتها ، وشدتها . والتضور : التضعف .

(٣) العمدة : ٢ : ٥٥ . (٤) اللسان (كيب) . (٥) كبكبا : اسم جبل بمكة .

الفَصِيلُ الْعَشِيرُونَ

في الالتفات

الالتفات على ضريين ؛ فواحد أن يفرغ المتكلم من المعنى ، فإذا ظننت أنه يريد أن يجاوزه يلتفت إليه فيذكره بغير ما تقدم ذكره به . أخبرنا أبو أحمد ، قال : أخبرني محمد بن يحيى الصولى ، قال قال الأصمى : أنعرف التفاتات جرير ؟ قلت : لا ، فما هي ؟ قال ^(١) :

أَنْتَسَى إِذْ تَوَدَّعْنَا سَلِيمَى بَعُودَ بَشَامَةٍ سُمِّيَ الْبَشَامُ ^(٢)
أَلَا تَرَاهُ مَقْبِلًا عَلَى شَعْرِهِ . ثُمَّ التَفْتُ إِلَى الْبَشَامِ فِدَعَا لَهُ . وَقَوْلُهُ ^(٣) :
طَرَبَ الْحَمَامِ بَذَى الْأَرْكَ فَشَاقَنِى لَازَلَتْ فِي عَمَلٍ وَأَيْكَ نَاصِرِ
فَالْتَفْتُ إِلَى الْحَمَامِ فِدَعَا لَهُ .
ومنه قول الآخر :

لَقَدْ قَتَلْتُ بَنَى بَكْرٍ بِرَبِّهِمْ حَتَّى بَكَيْتُ وَمَا يَبْكِي لَهُمْ أَحَدُ
فَقَوْلُهُ : « وَمَا يَبْكِي لَهُمْ أَحَدُ » التفات ؛ وقول حسان ^(٤) :
إِنَّ الَّتِي نَاوَلْتَنِى نَرَدَدْتُهَا قَتَلْتَ قَتَلْتَ فَهَاتَهَا لَمْ تَقْتُلْ
فَقَوْلُهُ : « قَتَلْتَ » التفات .

والضرب الآخر أن يكون الشاعر آخذاً فى معنى وكأنه يعترضه شك أو ظن أن راداً يردّ قوله ، أو سائلاً يسأله عن سببه ، فيعود راجعاً إلى ما قدمه ؛ فإما أن يؤكد ، أو يذكر سببه ، أو يزيل الشك عنه ؛ ومثاله قول المعطل الهذلى : ^(٥)
تَبِينُ صَلَاةُ الْحَرْبِ مَنَّا وَمِنْهُمْ إِذَا مَا التَّقِينَا وَالْمَسَالِمُ بَادِنُ ^(٦)

(١) ديوانه : ٥١٢ . (٢) البشام : شجر ذو ساق وأفنان وورق ولا ثمر له .
(٣) ديوانه : ٣٠٤ . (٤) ديوانه : ٨٠ . (٥) ديوان الهذليين : ٣ - ٤٧ .
(٦) تبين : تستبين . صلاة الحرب : الذين يصلونها .

قوله: « والمسلم بادن » رجوع من المعنى الذى قدمه ؛ حتى بين أن علامة صلاة الحرب من غيرهم أن المسلم بادن ، والمحارب ضامر .

وقول عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :
وأَجْمِلْ إِذَا مَا كُنْتَ لَا بُدَّ مَا نَا وَقَدْ يَمْنَعُ الشَّيْءُ الْفَتَى وَهُوَ مُجْمِلٌ
وقول طرفة (١) :

وتصد عنك مَخِيلَةَ الرجل الش نَوفٌ مَوْضِحَةٌ عَنِ الْعَظَمِ (٢)
بِحَسَامِ سَيْفِكَ أَوْ لِسَانِكَ وَالْأَصِيلُ كَأَرْغَبِ الْكَلَمِ (٣)
فكأنه ظن معترضا ، يقول له : كيف يكون مجرى اللسان والسيف واحداً ؟ فقال :
« والكلم الأصيل كأرغب الكلم » ؛ وإنما أخذه من امرى القيس :
* وَجُرْحُ اللِّسَانِ كَجَرَحِ الْيَدِ *
وأخذه آخر فقال :

* وَالْقَوْلُ يَنْفُذُ مَا لَا تَنْفُذُ الْإِبْر *
ومن الالتفات قول جدير بن ربعمان :
مَعَاذِلُ فِي الْهَيْجَاءِ لَيْسُوا بَزَادَةٍ مَجَازِيْعُ عِنْدَ الْبَأْسِ وَالْحَرْ يُصْبِرُ
قوله : « والحر يصبر » التفات .
وقول الرماح بن ميادة :
فَلَا صَرْمُهُ يَبْدُو فِي الْيَأْسِ رَاحَةً وَلَا وُدَّهُ يَصْفُو لَنَا فَنُكَارِمُهُ
كأنه يقول : « وفي اليأس راحة » ، والتفت إلى المعنى لتقديره أن معارضاً يقول
له : وما تصنع بصرمه ؟ فيقول : لأنه يُودَى إلى اليأس ، وفي اليأس راحة .

(١) ديوانه : ٦١ . (٢) الشنوف : الذى يرفع رأسه ، وفي ظ : المشروف . موضحة :
شجة تبدى عن العظم . (٣) كأرغب الكلم : كأشد الجراح وأكثرها اتساعا .

الفصل الحادى والعشرون

فى الاعتراض

الاعتراض ، وهو اعتراض كلام فى كلام لم يتم ، ثم يرجع إليه فيتمه ؛ كقول
الناطقة الجعدى^(١) :

ألا زعمت بنو سعد بأنى — ألا كذبوا كبير السن فأنى
وقول كثير^(٢) :

لو أن الباخلين وأنت منهم راؤك تعلموا منك المطلا
وقول الآخر^(٣) :

فظلت يسوم دغ أخاك بمثله على مشرع يروى ولما يصرّد^(٤)
وقول الآخر :

إن الثمانين وبلغتها قد أحوجت سئمتى إلى ترجان

وكتب آخر : فإنك — والله يدفع عنك — علق مَضِنَّة ، يَنْفَس وَيُتَنَافَس به ،
فيسكون خَلْفًا مما سواه ، ولا يكون فى غيره منه ؛ فإن رأيت أن تسمع العذر وتقبله ؛
فلو لم تكن شواهد واضحة ، وأنواره لأتحة ، لكان فى الحق أن تهب ذنبى للجرعى ،
وإذلالى لإشفاقى ، ولا تجمع على لوعة لك ، وروعة منك — فعلت . فقوله : « فإنك
والله يدفع عنك » اعتراض مليسح .

وقول البحترى^(٥) :

ولقد علمت وللشباب جهالة أن الصبا بعد الشباب تصابى

وقلت :

أأسحب أذبال الوفاء ولم يكن وحاشاك من فعل الدنية وإفيا

(١) العمدة : ٢ — ٤٢ . (٢) العمدة : ٢ — ٤٢ . (٣) العمدة : ٢ — ٤٢ .

(٤) التصريد : التقليل . (٥) ديوانه : ٢ — ١٦ .

الفصل الثاني والعشرون

في الرجوع

الرجوع ، وهو أن يذكر شيئاً ثم يرجع عنه ؛ كقول القائل : ليس معك من الرجوع
المقل شيء ، بل^(١) بمقدار ما يوجب الحجة عليك . وقال آخر : قليل العلم كثير ،
بل ليس من العلم قليل ؛ وكقول الشاعر :

أليس قليلاً نظرة إن نظرتها إليك وكلاً ليس منك قليل
أخذه ابن هرمة ، فقال :

ليت حظي كلحظة العين منها وكثير منها القليل المهما^(٢)
وقال غيره :

إن ما قل منك يكثر عندي وكثير ممن تحب القليل
وقال دريد بن الصمة :

غير الفوارس معروف بشكته كاف إذا لم يكن في كره به كاف
وقد قتلت به عبساً وإخوسها حتى شفت وهل قلبي به شافي
وقول آخر :

نبئت فاضح قومه يفتابني عند الأمير وهل على أمير
وقول آخر^(٣) :

وما بي انتصار إن غدا الدهر ظالمى على ، بللى إن كان من عندك النصر
وقال آخر :

إذا شئت أن تلقى القناعة فاستخر جنداً بن عمرو إن أجاب جنداً
ومن مذموم هذا الباب قول أبي تمام :

رضيت وهل أرضى إذا كان مسخطي من الأمر ما فيه رضا من له الأمر

(١) كذا في ط ، وفي ا : « بل » . (٢) كذا في ط ، وفي ا : « وقليل منها الكثير المهما » .

(٣) خزائن الأدب لابن حجة ٣٦٧ ، ونسبه إلى أبي البيداء .

الفَصِيلُ الثَّالِثُ وَالْعِشْرُونَ

في تجاهل العارف ، ومزج الشك باليقين

بجاهل
العارف

تجاهل العارف ومزج الشك باليقين : هو إخراج ما يعرف صحته مُخَرَّج ما يُشَكُّ فيه ليزيد بذلك تأكيده ؛ ومثاله من المنشور ما كتبه إلى بعض أهل الأدب : سمعت بورود كتابك ، فاستفزني الفرح قبل رؤيته ، وهزَّ عِطْفِي المرحُ أمام مشاهدته ؛ فما أدري أسمعُ بورود كتاب ، أم ظفرتُ برُجوع شَبَاب ، ولم أدري ما رأيت : أخط مسطور ؟ أم روض ممطور وكلام منشور ؟ أم وثني منشور ؟ ولم أدري ما أبصرت في أثنائه : أبيات شعر ، أم عُقود در ؟ ولم أدري ما حملته : أغيث حلَّ بوادي ظمآن ، أم غوث سيق إلى ألهمان .

ونوع منه ما كتب به كافي الكفاة :

كتبتُ إليك والأحشاء تهفو وقلبي ما يَقِرُّ له قَرَار
عن سلامة ؛ إن كان في عدم السالمين مَنْ اتَّصل سهادُه ، وطار رُقادُه ، ففؤاده
يَجِفُّ ، ودمه يَكِفُّ ؛ ونهاره لِلْفَكْرِ ، وليله لِلسَّهْرِ .

ومن المنظوم قول بعض العرب^(١) :

بالله يا ظبيات القاعِ قَانِ لَنَا ليلَى منكنَّ أم لَيْلٍ من البَشَرِ

وقول آخر :

أَنْتِ ديارُ الحَيِّ أَيْتُهَا الرُّبَا إل	أَنِيقَةُ أم دار المَهْمَى والنَّعَامِ
وَمِرْبُ طِبَاءِ الوَحْشِ هَذَا الَّذِي	أرى برُبِّكَ أم سِرْبِ الطُّبَّاءِ النِّوَاعِمِ
وَأَدْمَعْنَا اللَّاتِي عَفَاكَ انْسِجَامُهَا	وَأَبْلَاكِ أم صَوْبُ النِّهَامِ السَّوَاجِمِ
وَأَيَّامُنَا فِيكَ اللُّوَاتِي تَصَرَّعَتْ	مع الوصل أم أضغاث أحلام نائِمِ

(١) معاهد التنصيص ٣ : ١٦٧ ، للعرجي أو المجنون أو ذى الرمة أو الحسين الغزى .

وقال ذو الرمة^(١) :

أيا ظبية الوغساء بين جلالٍ وبين النقا أنتِ أم أمّ سالم^(٢)
وقال بعض المتأخرين^(٣) :

* أربك أم ماء الغمامة أم خر * *

وقلت :

أعرّة إسميل أم سُنّة البدرِ وفيض ندى كَفَيْهِ أم باكر القطرِ
وقلت أيضاً :

أغرّ ما أرى أم أفجوان وقد ما بدّا أم خيزران
وطرف ما تقلّب أم حُسام ولفظ ما تساقط أم مجان
وشوق ما أكابد أم حريق وليل ما ألقى أم زمان

وقال ابن المعتز^(٤) :

كم ليلة عانقت فيها بدّرها حتى الصباح موسداً كَفَيْهِ
وسكرت لا أدري أين نخر الهوى أم كأسه أم فيه أم عَيْنِيهِ
وقال أعرابي :

أيا شبنه ليلى ما لليلي مريضة وأنت صحّيح إن ذا لمجال
أقول لظبي مرّ بي وهو رانع أنت أخو ليلى ؟ فقال : يقال !

(١) معجم البلدان ٣ : ١١٩ ، معاهد التنصيص ٣ : ١٦٧ . (٢) الوغساء : الراية

من الرمل ، وجلال : جبل من جبال الدهناء : والنقا : القطعة المحدودة من الرمل .

(٣) هو المتنبّي ، ديوانه ٢ : ١٢٣ ، وبقية :

* بنى بزود وهو في كبدي جر *

(٤) ديوان المعاني ١ : ٢٣٧

الفصل الرابع والعشرون

في الاستطراد

الاستطراد وهو أن يأخذ المتكلم في معنى ، فبينما يمر فيه يأخذ في معنى آخر ؛ وقد جعل الأول سبباً إليه ؛ كقول الله عز وجل : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ ﴾ ، فبينما يدل الله سبحانه على نفسه بإنزال الغيث واهتزاز الأرض بعد خضوعها قال : ﴿ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ ﴾ فأخبر عن قدرته على إعادة الموتى بعد إفنائها وإحيائها بعد إرجائها ، وقد جعل ما تقدم من ذكر الغيث والنبات دليلاً عليه ، ولم يكن في تقدير السامع لأول الكلام ، إلا أنه يريد الدلالة على نفسه بذكر المطر ، دون الدلالة على الإعادة ، فاستوفى المعنيين جميعاً .

مثاله من
المنظوم

ومثاله من المنظوم قول حسان ^(١) :

إن كنت كاذبة الذي حدثتني فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الأحبة أن يقاتل عنهم ^(٢) ونجا برأس طمرة ولجام ^(٣)

وذلك أن الحارث بن هشام فرّ يوم بدر عن أخيه أبي جهل ، وقال يعتذر ^(٤) :

الله يعلم ما تركت قتالهم حتى علوا فرمى بأشقر مزبد
وعلمت أني إن أقاتل واحداً أقتل ولا يضرر ^(٥) عدوي مشهدي
وشمت ربح الموت من تلقائهم في مأزق والخيل لم تتبدد
فصدت عنهم والأحبة فيهم طمعاً لهم بمقاب يوم مرصد ^(٦)

وهذا أول من اعتذر من هزيمة رويت عن العرب .

(١) ديوانه ٩٥ وسيرة ابن هشام ٣ : ٣٨٣ ، إعجاز القرآن للباقلاني ٩٣

(٢) في الديوان : « دونهم » . (٣) الطمر ، بتشديد الراء : الفرس الجواد ، وقيل :

المستفز للوثب ، والأثنى طمرة . (٤) سيرة ابن هشام ٣ : ٣٨٥ . (٥) في السيرة :

« ينسكى » . (٦) في السيرة : « مفسد » .

ومن الاستطراد قول السموءل^(١) :

وإنا أناسٌ لا نَرَى القَتْلَ سَبَةً إذا ما رأته عامرٌ وسلولٌ
فقوله : « إذا ما رأته عامر وسلول » استطراد .

وقال الآخر :

إذا ما اتقى اللهَ الفتى وأطاعه فليس به بأسٌ وإن كان من عُسْكَلٍ
وقول زهير^(٢) :

إن البَيْخِيلَ مَلُومٌ حيث كان ول سَكَنَ الجَوَادَ على عِلَانِهِ^(٣) هَرِيمٍ
ومن ظريف الاستطراد قول مُسْلَمٍ :

أَجْدَكَ ما تَدْرِين أن رَبَّ لَيْلَةٍ كَأَنَّ دَجَاهَا من قَرُونِكَ يُنْشَرُ
لَهَوْتُ بِهَا حَتَّى تَجَلَّتْ بِفُرَّةٍ كَغُرَّةٍ يَمْحِي حِينَ يُدْكَرُ جَعْفَرُ
وقال أبو تمام^(٤) :

وسابحْ هَظْلَ التَّمْدَاءِ هَتَانِ على الجراءِ أَمِينٍ غَيْرِ خَوَانِ
أُظْمِىَ الفُصُوصُ ولم تَظْمَأْ^(٥) عَرَائِكُهُ فَخَلَّ عَيْنِيكَ فى ظَمَانِ رِيَانِ
فَلَوْ تَرَاهُ مُشِيحاً وَالْحَصَى زَيْمٌ^(٦) تَحْتَ السَّنَائِكَ من مَثْنَى وَوَحْدَانِ
أَيَقُنْتَ - إن لم تَثَبَّتْ - أن حَافِرَهُ من صَخْرٍ تَدْمُرُ أَوْ من وَجْهِ عُمَانِ
فبينما يصف قوائم الفرس خرج إلى هجاء عثمان ؛ وهو من قول الأعرابي :

لَوْ صَكَ بَوِجَهُ الحِجَارَةَ لَرْضَاهَا ، وَلَوْ خَلَا بالكُمْبَةِ لَسَرَقَهَا .

ومثله قول ابن المعتز :

لو كُنْتَ من شَيْءٍ خِلافَكَ لم تَكُنْ لتَكُونُ إِلَّا مُشْجَبًا فى مُشْجَبِ
يَا لَيْتَ لِي من جِلْدٍ وَجْهَكَ رُقْمَةً فَأَقْدَ مِنْهَا حَافِرًا لِلْأَشْهَبِ

(١) ديوان الحماسة ١ : ٢٨ ، الباقلائي ٩٢ . (٢) ديوانه ١٥٢

(٣) على علانته : على يسره وعسره . (٤) إيجاز القرآن للباقلاني : ٩٣ .

(٥) فى الإيجاز : « قوائمه » . (٦) فى الإيجاز : « فلق » .

وقول البحترى فى الفرس (١) :

ما إن يماف قَدْى ولو أوردته
وقال مسلم :

وأحببت من حبها الباخلية
إذا سِيلَ عُرْفًا كسا وجهه
يَغَارُ على المالِ فَعَلَ الجوادِ
وقال بشار (٢) :

خليلٌ من كعبٍ أعيننا أخاكا
فلا تبخلا بخل ابن قرعة إنه
إذا جثته فى الخلق أغلق بابَه
وقوله (٣) :

فما ذرّ قرن الشمس حتى كأننا
وقريب منه قول البحترى :

إذا عطفته الريح قلت التفانة
لَمَأْوَةٌ فى جادِها المتعصفر

وهذا الباب يقرب من باب حسن الخروج ، وقد استقصيناه فى آخر الكتاب .
ومن الاستطراد ما قلته :

انظر إلى قطر السماء ووبلها
وشُمُول ما نشرته من معروفها
بل ما يروغك من وفور عطاءها
انظر بنى زيد فإن محلهم
ودنوّ نائلها وبُعد محلها
فانبت فى حزن البلاد وسهلها
وعُلُو موضعها ولذّة ظلها
من قورقها وعطاؤهم من قبلها

ومن الاستطراد ضرب آخر ، وهو أن يحىء بكلام يظن أنه يبدأ فيه بزهد
وهو يريد غير ذلك ؛ كقول الشاعر :

يا من تشاغل بالطلل
واصيل غبوقك بالصَبو
أقصر فقد قرب الأجل
ح وعدّ عن وصف الملل

(١) إعجاز القرآن للباقلانى : ٩٣ . (٢) إعجاز القرآن : ٩٢ . (٣) إعجاز القرآن : ٩٣ .

الفصل الخامس والعشرون

في جمع المؤنث والمختلف

وهو أن يجمع في كلام قصير أشياء كثيرة مختلفة أو متفقة ؛ كقول الله تعالى :
﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ ﴾ .
وقوله عز اسمه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى
عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾ .

ومثاله من النثر ما كتب به الشيخ أبو أحمد : فلو عاش حتى يرى ما مُنِّينَا به من
وَعْدٍ خَيْرٍ ، نَقِيرٍ ، نَذَلٍ ، رَذَلٍ ، غَثٍّ ، رَثٍّ ، لَثِيمٍ ، زَنِيمٍ ، أَشَحٍّ مِنْ كَلْبٍ ، وَأَذَلٍّ
مِنْ قَعْدٍ ، وَأَجْهَلٍ مِنْ بَغْلٍ ، سَرِيعٍ إِلَى الشَّرِّ ، بَطِيءٍ عَنِ الْخَيْرِ ، مَغْلُولٍ عَنِ الْحَمْدِ ،
مَكْتُوفٍ عَنِ الْبَذَلِ ، جَوَادٍ بِشْتَمِ الْأَعْرَاضِ ، سَخِيٍّ بِضَرْبِ الْأَبْشَارِ ، لَجُوجٍ ، حَقُودٍ ،
خَرْقٍ ، نَزِقٍ ، عَسِرٍ ، نَكِدٍ ، شَكِسٍ ، مَرِسٍ ، دَعِيٍّ ، زَنِيمٍ ؛ يَعْتَرِى إِلَى أَنْبَاطِ
سُقَّاطٍ ، أَهْلٍ لُؤْمِ أَعْرَاقٍ ، وَرَقَةِ أَخْلَاقٍ ، وَيَنْتَمِي إِلَى أَخْبَثِ الْبَقَاعِ تَرَابًا ، وَأَمْرًا
شَرَابًا ، وَأَكْمَدَهَا ثِيَابًا ؛ فَهُوَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِي خَبِثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ﴾ .
ثم كما قال الشاعر :

نَبَطِي أَبَاؤُهُ لَمْ يَلِدْهُ ذُو صَلَاحٍ وَلَمْ يَلِدْ ذَا صَلَاحٍ
مَعْتَرٍ أَشْبَهُوا الْقُرُودَ وَلَكِنْ خَالَفُوهَا فِي خِفَّةِ الْأَرْوَاحِ
وَمِنَ الْمَنْظُومِ قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ (١) :
سَمَاحَةٌ ذَا وَبَرٍّ ذَا وَوَفَاءٍ ذَا وَنَائِلٌ ذَا إِذَا صَحَا وَإِذَا سَكِرَ

مثاله من
المنظوم

(١) ديوانه : ١٢٨ .

وقوله^(١) - وقد جمع فيه جميع أوصاف الدمع من كثرته وقلته :
 فدمعها سَكَبٌ وَسَحٌّ وديعة ورشٌ وتوكافٌ ونهملان^(٢)
 وما جمع من أنواع الكروه في بيت كما جمع ابن أحر^(٣) :
 نقائذ برسامٍ وُحْمَى وَحَصْبَةٍ وجوعٍ وطاعونٍ وفقيرٍ ومفرم^(٤)
 وقال سويد بن خدّاق^(٥) :
 أبى القلب أن يأتى السديرَ وأهله وإن قيل عيش بالسدير^(٦) غزير
 بها البقّ والحمى وأسدٌ خَفِيّةٌ وعمرو بن هند يعتدى ويجور^(٧)
 وقال أبو دؤاد^(٨) :

حديد القلب والناظ	ر والمُرقوب والكُف
عريض الصدر والجَبه	ة والصَّهْوَة والجَنْب
جواد الشَّدِّ والتَّقَرُّد	ب والإحضار والعقب

وقال دريد :

سَلِيمُ الشَّطَى عَبلُ الشَّوَى شَنِجُ النَّسَا طُوَالُ الْقَرَا نَهْدٌ أَسِيلُ الْمُقْلَدِ^(٩)
 وقال ابن مطير^(١٠) :

بسودٍ نواصيا وُحْزٌ أَكْفَهَا وصُفْرٌ تراقيا وبيض خدودها
 وقال أوس بن حجر :

يشيعها في كل هَضْبٍ ورملة قوائم عوج مجمرات مقاذف

(١) ديوانه : ١٢٤ . (٢) قال أبو بكر البليوسي : « عطف الفعل على المصدر لقوة شبه الفعل بالمصدر » . (٣) الشعر والشعراء : ٣١٨ . (٤) النقائذ : جمع تقيذة ، وأصلها في الخيل ما أُنْقَذَتْ من العدو . (٥) الشعر والشعراء : ٣٤٧ . (٦) السدير : موضع بالحيرة . (٧) الخفية : غيضة ملتفة ، يتخذ الأسد عرينه فيها . (٨) أمالي القالي : ٢ - ٢٥٠ ، واللاكي : ٧٨٩ ، مع اختلاف في الرواية وعدد الأبيات . (٩) الشطى : جمع شظية ، ومى عظم الساق . والشوى : الأطراف . والبل : الضخم . وشنج النساء : متقبضه . والنسا : عرق في الفخذ . والقرا : وسط الظهر . (١٠) ديوان الحماسة : ٢ - ٦٥ .

تَوَاقُمِ الْأَفِّ تَوَالٍ لَوَاحِقٍ سَوَاهٍ لَوَاهٍ مُزِيدَاتٍ خَوَافٍ
مُزِيدَاتٍ : خَفَافٍ . خَوَافٍ : تَهْوَى بِأَيْدِيهَا إِلَى ضَبِّمُهَا .

من أشعار
المحدثين

وَمِنْ أَشْعَارِ الْمُحَدِّثِينَ قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ ^(١) :

غَدَا الشَّيْبُ مَخْطَاً بَغُودَى خَطَّةً سَبِيلُ الرَّدَى مِنْهَا إِلَى النَّفْسِ مَهْيَعُ
هُوَ الزَّوْرُ يُجَفِّى وَالْمَعَاثِرُ يَجْتَوِي وَذُو الْإِلْفِ يُقَلِّى وَالْجَدِيدُ يُرَقِّعُ
وَقَوْلُهُ ^(٢) :

كَالْفَصْنِ فِي الْقَدِّ وَالْفَزَالَةِ فِي الْإِلْفِ بِهِجَّةٍ وَابْنُ الْفَزَالِ فِي غَيْدَةٍ
وَقَوْلُهُ ^(٣) :

رَبِّ خَفِضْ تَحْتَ السَّرَى وَغَنَاءَ مِنْ عَنَاءٍ وَنَضْرَةٍ مِنْ شَحُوبٍ
وَقَوْلُ ابْنِ الْمَعْتَرِ :

وَاللَّهُ مَا أَدْرَى بِكُنْهِ صِفَاتِهِ مَلِكُ الْقُلُوبِ فَأَوْبَقَتْ فِي أَمْرِهِ
أَبُوجْهِهِ أَمْ شَعْرُهُ أَمْ ثَغْرُهُ أَمْ نَخْرُهُ أَمْ رِذْفُهُ أَمْ خِصْرُهُ
وَقَوْلُ أَبِي تَمَامٍ ^(٤) :

فِي مَطْلَبٍ أَوْ مَهْرَبٍ أَوْ رَغْبَةٍ أَوْ رَهْبَةٍ أَوْ مَوَكِّبٍ أَوْ فَيْلَقٍ
وَقَوْلُ الْبَحْتَرِيِّ :

بِحَلٍّ وَعَقْدٍ وَحَزْمٍ وَفَصَلٍ وَنُبْلٍ وَبَذْلٍ وَبَأْسٍ وَجُودٍ
وَقُلْتُ :

حَلِيفُ عِلَاءٍ وَمَجْدُ وَفَخَيْرٍ وَبَأْسُ وَجُودٍ وَخَيْرٍ وَخَيْرٍ
وَقَالَ أَبُو تَمَامٍ ^(٥) :

يَرَوْعُكَ أَنْ تَلْقَاهُ فِي صَدْرٍ فَيَلْقَى وَفِي نَحْرِ أَعْدَاءٍ وَفِي قَلْبِ مَوَكِّبٍ

(١) ديوانه : ١٩٠ . (٢) ديوانه : ٩١ . (٣) ديوانه : ٣٦ .

(٤) ديوانه : ٢١٢ . (٥) ديوانه : ٢٤ ، والرواية فيه :

يَهْوِي أَنْ تَلْقَاهُ صَدْرًا لِحْفَلٍ وَنَحْرًا لِأَعْدَاءٍ وَقَلْبًا لِمَوَكِّبٍ

وقلت :

وما هو إلا الزن يصفو ظلّاهُ ويعلو مبواه ويكرُ هاطله

وقلت :

أنتَ الربيعُ الغضُّ رِقَّ نسيمُه واخضر روضتُه وطاب غمامُه

وقلت :

فَتَى لم نَزَنه بالقوافي وإنّا حَطَطْنَا إليه كي يزين القوافيا
من الغرّ لاحوا أشمسا ومضوا طُبّي وصالُوا أسوداً واستهلّوا سواريا

وقلت :

يسبيك منه مفلج ومضرج ومقوم ومموج ومهفف

الفصل السادس والعشرون

في السلب والإيجاب

وهو أن تبنى الكلام على نفي الشيء من جهة ، وإثباته من جهة أخرى ، أو الأمر به في جهة ، والنهي عنه في جهة وما يجري مجرى ذلك ؛ كقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ .
وقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي ﴾ .
وقوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ مُخَلَّوْا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ .

ومثاله من النثر قول رجل ليزيد بن المهلب : قد عظم قدرك من أن يستعان بك ، أو يستعان عليك ؛ ولست تفعل شيئاً من المعروف ، إلا وأنت أكبر منه ، وهو أصغر منك ، وليس المعجب من أن تفعل ، وإنما المعجب من ألا تفعل . وقول الشعبي للحجاج : لا تعجب من الخطيء كيف أخطأ ، واعجب من المصيب كيف أصاب .
وأخبرنا أبو أحمد ، قال : حدثنا ابن الأنباري ، قال : حدثنا أبي عن بعض أصحابه عن العتيبي ، قال : قيل لبعض العلماء : إن صاحبنا مات وترك عشرة آلاف ، فقال : أما العشرة آلاف فلا تترك صاحبكم .

وقال بعض الأوائل : ليس معنى من فضيلة العلم إلا أني أعلم أني لا أعلم .
ومن المنظوم قول امرئ القيس ^(١) :
هضم الحشاً لا يملأ الكف خضرها ويملاً منها كل حجل ودملج ^(٢)
وقال السموءل ^(٣) :

ونُكِرَ إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول

(١) الصحيح أنه للشماخ ، ديوانه : ٦ . (٢) الحجل : الخنخال . والدملج ، العضد من الخيل .
(٣) ديوان الحماسة : ١ - ٣١ .

وقال :

لا يمجبان بقول الناس عن عُرضٍ ويُمجبان بما قالوا وما سما
وقال آخر :

خفيف الحاذ نَسَّالَ الفياض وعبد للصحابة غير عبدٍ

وقال الأعشى :

صرمتُ ولم أصرمكم وكصارمٍ أخٌ قد طوى كشحاً وآبٍ ليدُها
وقال آخر :

* حتى نجا من خوفه وما نجا *

ومن شعر المحدثين قول البحتري^(١) :

فابقَ عمر الزمان حتى نؤدى شكر إحسانك الذى لا يؤدى
وقال أبو تمام^(٢) :

إلى سالم الأخلاق من كل عائبٍ وليس له مال على الجود سالم
وقال آخر^(٣) :

أبلغ أخانا تولى الله صحبته أنى وإن كنتُ لا ألقاهُ ألقاهُ
الله يعلمُ أنى لستُ أذكره وكيف يذكره من ليس ينساهُ
وقال آخر :

هى الدرُّ منشوراً إذا ما تكلمت وكالدرِّ منظوماً إذا لم تكلم
تعبّدُ أحرار القلوب بدلاها وتعلأ عين الناظر المتوسم
وقال آخر :

ثق بجميل الصبر منى على الدهر ولا تثق بالصبر منى على الغدر
ولستُ بنظّارٍ إلى جانب الغنى إذا كانتِ المليء فى جانب الفقر

(١) ديوانه : ١ - ١٢٨ . (٢) ديوانه : ٢٨٦ .

(٣) عيون الأخبار : ٣ - ١٧ ، من أبيات ثلاثة ، نسبها إلى على بن الجهم .

وقال أبو تمام (١) :

خليلي من بمد الجوى والأسى قفا ولا تَقَفَا فيضَ الدموع السواجم
وقلت :

أفي هذه الأيام زدت ولم تَزِدْ سناء تَعَالَى فيه قدرك عن قدرى
وقلت :

أخو عزائم لا تقنى عجائبها والدَّهر ما بينها تقنى عجائبه
تقضى مآربه من كل فائدة لكن من المجد ما تُقضى مآربه

الفصل السابع والعشرون

في الاستثناء

الاستثناء على ضربين ؛ فالضرب الأول هو أن تأتي معنى تريد توكيده والزيادة فيه فتستثنى بغيره ؛ فتكون الزيادة التي قصدتها ، والتوكيد الذي توحيته في استثنائك ؛ كما أخبرنا أبو أحمد ، قال : أخبرني أبو عمر الزاهد ، قال : قال أبو العباس : قال ابن سلام ، لجندل بن جابر الفزاري^(١) :

فَتَيَّ كَمَلْتُ أَخْلَاقَهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَمَا يُبْقَى مِنَ الْمَالِ بَاقِيَا
فَتَيَّ كَانَ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنَّ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا
فقال هذا استثناء ، فتبين هذا الاستثناء لهم ؛ كما قال النابغة^(٢) :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سَيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ
ومثله قول أبي تمام^(٣) :

تَنْصَلَّ رَبُّهَا مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ إِلَيْكَ سِوَى النَّصِيحَةِ فِي الْوَدَادِ
وقلت :

وَلَا عَيْبَ فِيهِ غَيْرَ أَنَّ ذَوِي النَّدَى خِسَاسٌ إِذَا قِيسُوا بِهِ وَلِثَامٌ
والضرب الآخر استقصاء المعنى والتحرز من دخول النقصان فيه ، مثل قول طرفة^(٤) :

فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا صَوَّبَ الرِّبِيعَ وَدِيمَةً نَهْمَى
وقول الآخر :

فَلَا تَبْعِدُنْ إِلَّا مِنَ السَّوْءِ إِنِّي إِلَيْكَ وَإِنْ شَطَّتْ بِكَ الدَّارُ نَازِعٌ

(١) الشعر للنابغة الجعدي ، لمجاز القرآن للباقلاني : ٩٤ . (٢) ديوانه : ٦ .

(٣) ديوانه : ٨١ . (٤) ديوانه : ٦٢ .

وقال الربيع بن ضبع :

فَنَيْتُ وَلَا يَفْنَى صَنِيمِي وَمَنْطِقِي وَكُلَّ امْرِئٍ إِلَّا أَحَادِيثَهُ فَإِنْ
وَقَالَ أَعْرَابِي يَصِفُ قَوْسًا :

* خَرَقَاءُ إِلَّا أَنَّهَا صِنَاعُ *

وقال آخر في الخيل :

مِنْهَا الدَّجُوجِيٌّ وَمِنْهَا الْأَرْمَكُ^(١) كَاللَّيْلِ إِلَّا أَنَّهَا تَحْرَكُ

(١) الدجوجي : الشديد السواد ، الأرمك : اللون الذي يخالط غبرته سواد .

الفصل الثامن والعشرون

في المذهب الكلبي

جعله عبد الله بن المعتز الباب الخامس من البديع^(١) ، وقال : ما أعلم أني وجدت شيئاً منه في القرآن . وهو ينسب إلى التكلف ، فنسبه إلى التكلف وجعله من البديع . ومن أمثلة هذا الباب قول أعرابي لرجل : إني لم أضرب وجهي عن الطلب إليك قصر نفسك عن ردي^(٢) ، فضمني من كرمك ، بحيث وضعت نفسي من رجائك . وقول أبي الدرداء : أخوف ما أخاف أن يقال لي : عملت فما عملت ؟ وقول طاهر ابن الحسين للمأمون : يا أمير المؤمنين ؛ يحفظ على من قلبك ، مالا أستعين على حفظه إلا بك . وقال بعض الأوائل : لولا أن قولي لأعلم [تثبت]^(٣) لأنني أعلم لقلت : لا أعلم . وقال آخر : لولا العمل لم يطلب العلم ، ولولا العلم لم يكن عمل ؛ ولأن أدع الحق جهلاً به أحب إلي أن أدعه زهداً فيه .

مثاله من
النثر

وأنشد عبد الله قول الفرزدق^(٤) :

لكل امرئ نفسان : نفس كريمة وأخرى يماصها الهوى فيطيمها
ونفسك من نفسك تشفع للندى إذا قل من أحرارهن شفيها
وأنشد لإبراهيم بن المهدي يمتذر للمأمون^(٥) :

البرّ بي منك وطأ المذر عندك لي فما فعلت فلم تمسك ولم تلم
وقام علمك بي فاحتج عندك لي مقام شاهد عدل غير منهم
وأنشد^(٦) :

إنّ هذا يرى - ولا رأى له أحق - إني أعده إنسانا
ذاك بالظنّ عنده وهو عندي كالذي لم يكن وإن كان كانا

ومثله :

أما يحسن من يحسن أن يفضب أن يرضى
أما يرضى بأن صرت على الأرض له أرضاً

(١) كتاب البديع : ١٠١ (٢) هكذا بالأصول (٣) زيادة من (٤) العمدة : ٢ - ٧٥ ، البديع لابن المعتز : ١٠١ . (٥) البديع : ١٠٢ ، العمدة : ٢ - ٧٦ . (٦) هو أبو نواس ، البديع : ١٠٢ .

الفصل التاسع والعشرون

في التشطير

وهو أن يتوازن المصراعان والجزآن ، وتتبادل أقسامهما مع قيام كل واحد منهما التشطير بنفسه ، واستغنائه عن صاحبه .

فمثاله من النثر قول بعضهم : مَنْ عَتَبَ عَلَى الزَّمان طَالَتْ مَعْتَبَتُهُ ، وَمَنْ رَضِيَ عَنِ الزَّمان مَثَلَهُ مِنَ النثر طَابَتْ مَعِيشَتُهُ . وقول الآخر : الجود خير من البخل ، والمنع خير من الطل . وقول الآخر : رأس المداراة ترك المهاراة ، فالجزآن من هذه الفصول متوازنان الألفاظ والأبنية . وقد أوردت من هذا النوع في باب الازدواج ما فيه كفاية .

وأما مثاله من المنظوم ، فسكقول أوس بن حجر :
فتحدركم عَبَسٌ إلينا وعامرٌ وترفعنا بكرٌ إليكم وتغلبُ
وقول ذى الرمة :

أستحدثَ الركبَ عن أشياءهم خَبْرًا أم راجعَ القلبَ من أطرابه طَرَبُ
وقول الآخر :

فأما الذى يحصيه فكثُر وأما الذى يُطربهم فقلُّ
وقول الآخر :

فكأنها فيه نهار ساطعٌ . وكأنه ليل عليها مظلمٌ
ومن شعر المحدثين قول البحترى ^(١) :

شوقى إليك تفيض منه الأدمعُ وجوى إليك تضيق عنه الأضلعُ
وقول أبى تمام ^(٢) :

بمعصِدٍ من حسنه ومصوبٍ ومجمَعٍ من نعمته ومفرَّقٍ

(١) ديوانه : ٢ - ٧٥ . (٢) ديوانه : ٢١٢ .

وقوله (١) :

تُصَدِّعُ شِمْلَ الْقَلْبِ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ وَتُشْعِبُهُ بِالْبَثِّ مِنْ كُلِّ مَشْعَبٍ (٢)
بِمُخْتَبِلِ سَاجٍ مِنَ الطَّرْفِ أَوْ كَحَلٍّ وَمُقْتَبِلِ صَافٍ مِنَ الثَّمَرِ أَشْنَبِ
وقوله (٣) :

أَحَاوَتِ إِرْشَادِي فَمَقْلَى مَرِشِدِي أَوْ اسْتَمَتِ (٤) تَأْدِيبِي فَدَهْرِي مُؤَدِّي
وقول البحتری (٥) :

فَقَفْتُ مَسْعُوداً فِيمَنْ إِنْ كُنْتُ عَازِراً وَسِرّاً مَبْعُوداً عَنْهُمْ إِنْ كُنْتُ عَازِلاً
وقال (٦) :

وَمَذْهَبٌ حَبِئَ لَمْ أَجِدْ عَنْهُ مَذْهَباً وَشَاغِلٌ بَثٌّ لَمْ أَجِدْ عَنْهُ شَاغِلاً
وقال (٧) :

طَلِيعَتُهُمْ إِنْ وَجَّهَهُ الْجَيْشُ غَازِياً وَسَاقَتُهُمْ إِنْ وَجَّهَهُ الْجَيْشُ قَافِلاً
وقال (٨) :

إِذَا اسْوَدَّ فِيهِ الشُّكُّ كَانَ كَوَاكِباً وَإِنْ سَارَ فِيهِ الْخَطْبُ كَانَ حَبَائِلَ
لَاذْكَرْتَهُ بِالرَّمَحِ مَا كَانَ نَاسِياً وَعَلَّمْتُهُ بِالسَّيْفِ مَا كَانَ جَاهِلاً
فَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ سَاكِئاً كُنْتُ نَاطِقاً وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ قَائِلاً كُنْتُ فَاعِلاً
وقال (٩) :

فَلْأَجْرِينَ الدَّمْعِ إِنْ لَمْ تَجْرِه وَلِأَعْرِفَنَّ الْوَجْدَ إِنْ لَمْ تَعْرِفِ
وقال في جيش (١٠) :

يَسُودُ مِنْهُ الْأَفَقُ إِنْ لَمْ يَنْسُدْ وَتَمُوتُ مِنْهُ الشَّمْسُ إِنْ لَمْ تَكْشِفِ
وقلت :

وَعَلَى الرَّبِّي حُلَلٌ وَشَاهَنَ الْحَيَا فَمَسَّهَمٌ وَمَعْصَبٌ وَمُفَوِّفٌ
وَالْبَرْقُ يَلْمَعُ مِثْلَ سَيْفٍ يُبْتَضَى وَالسَّيْلُ يَجْرِي مِثْلَ أَفْعَى تَرْحَفُ
وَالْقَطَرُ يَهْمِي وَهُوَ أَيْضُ نَاصِعٌ وَيَصِيرُ سَيْلاً وَهُوَ أَغْبَرُ أَكْلَفُ

(١) ديوانه : ٢٣ . (٢) تصدع : تفرق . تشعبه : تشتهه . البث : نشر السر المشعب : الطريق . (٣) ديوانه : ٢٤ . (٤) استمت : أردت . (٥) ديوانه : ٢ - ٢١٢ . (٦) ديوانه : ٢ - ٢١٢ . (٧) ديوانه : ٢ - ٢١٣ . (٨) ديوانه : ٢ - ٢١٢ . (٩) ديوانه : ٢ - ١٢٠ . (١٠) ديوانه : ٢ : ١٢١ .

الفصل الثلاثون

في المجاورة

المجاورة : تردد لفظتين في البيت ، ووقوع كل واحدة منهما يجنب الأخرى أو قريباً منها ، من غير أن تكون إحداها لغواً لا يحتاج إليها ؛ وذلك كقول علقمة :
ومطعم الغنم يوم الغنم مُطْعِمُهُ أَنَّى توجَّسه والمحروم محرومُ
فقوله : « الغنم يوم الغنم » مجاورة ، و « المحروم محروم » مثله .
وقول الآخر :

* وتندق منها في الصدور صدورها *

وقول أوس بن حجر^(١) :

كأنها ذو وُشومٍ بين مَأْفَقَةٍ والقُطْقُطَانَةُ والبرُعمُ^(٢) مدعورُ^(٣)
وقول أبي تمام^(٤) :

إنا أتيناكم نصورُ مآرباً يستصغر الحدث العظيم عظيمها^(٥)
وقوله^(٦) :

رددعوا الزمان وهم كهولٌ جِلَّةٌ وسطوا على أحداثه أحداثنا^(٧)
وقول الآخر :

* أنضاء شوق على أنضاء أسفار *

وقول الآخر :

* إنما يغفر العظيم العظيم *

(١) ديوانه : ١٤ . (٢) الوشوم : اللامات ، ومأفقة والقُطْقُطَانَةُ والبرعم : أسماء

مواضع . (٣) معجم ما استعجم للبكري : ٢٤١ . (٤) ديوانه : ٣١٠ .

(٥) انصور : نجيتي ، وفي ط : انصون . (٦) ديوانه : ٦٥ . (٧) أحداث : صفار .

وقول أبي تمام^(١) :

وما ضيق أقطار البلاد أضافني إليك ولكن مذهبي فيك مذهبي
وقول أبي الشيبص :

* فأتوك أنقاضا على أنقاض *

وقول أبي النجم :

* تُدْني من الجدول مثل الجدول *

وقول رؤبة^(٢) :

* تَرْمِي الجلاميد بجلمودٍ مِدَقٍ^(٣) *

وقول الآخر :

قم فاسقني من كُروم الرند وردَ ضحاً ماء العناقيد في ظل العناقيد^(٤)

وقول آخر ، وقد بحث إلى جارية يقال لها راح راح :

قل لمن تملك القلوب وإن كان قد ملك
قد شربناك فاشربي وبعمنا إليك بك

ومن هذا النوع قول الشاعر :

فلوني والمدام ولونُ ثوبي قَرِيبٌ من قَرِيبٍ من قَرِيبٍ من قَرِيبٍ
وقلت :

كأن الكأس في يده وفيه عقيقٌ في عقيقٍ في عقيقٍ
وقلت أيضاً :

دَعُونَا ضَرَّةَ البدرِ المنير فوافتنا على خَضِرٍ نضير
مطرزة الشوارب بالقوالى مضمخة السوالف بالعبير
تري ما شئت من قَدِّ رشيق وما أحببت من رِدْفٍ وتير

(١) ديوانه : ٢٥ . (٢) أراجيز العرب ٣٠ ، اللسان (ق) .

(٣) مدق ، يدق الأشياء . وانظر اللسان . (٤) الرند : الآس ، وقيل هو العود الذي يتبخر به .

الأمسها وقد لبست حريراً
فأحسبها حريراً في حرير
فأنس ثم لهُو ثم زهر
سرور في سرور في سرور
وقلت أيضاً :

ودار الكاس في يد ذى دلال
رشيقي القدِّ يُعرف بالرشيق
ومنه أيضاً قول أبي تمام (١) :

دأب عيني البكاء والحزن دأبى
فأتركيني وُقيت مابى لما بى
وقوله أيضاً (٢) :

كأن المهد عن عفر (٣) لدينا
وإن كان التلاقى عن تلاقى
وقوله (٤) :

طلبت أنفس الكُماة فشقت
من وراء الجيوب منها الجيوب (٥)
وقوله (٦) :

أيام للأيام فيك غَضارة
والدهر فيّ وفيك غير ملوم
وقال ابن الرومى :

مشارك الحظ لا محصله
مشارك المال لا ممتعه
محصّل المجد غير مشتركه
ممتّع العرض غير منتهكه
وقول مسلم :

أنتك المطايا تهتدى بِمِطِيَّة

عليها فتى كالنَّصل بؤنسه النصل

(١) ديوانه : ٣٥٥ . (٢) ديوانه : ٢١٥ . (٣) عفر : زمن .
(٤) ديوانه : ٢٨ . (٥) الكُماة : الذين كوا أنفسهم بالسلاح ، أى نستروها .
والجيوب : جمع جيب ، وهو ما يفتح على النحر من القميص . (٦) ديوانه : ٣٠٥ .

الفصل الحادى والثلاثون

فى الاستشهاد والاحتجاج

وهذا الجنس كثير فى كلام القدماء والمحدثين ، وهو أحسن ما يتعاطى من أجناس
صنعة الشعر ، وبجراه مجرى التذيل لتوليد المعنى ، وهو أن تأتى بمعنى ثم تؤكد به معنى
آخر يجرى مجرى الاستشهاد على الأول ، والحجة على صحتة .

مثال من
النثر
فقاله من النثر ما كتب به كافى الكفاة فى فصل له : فلا تَقَسْ آخرَ أمرِكَ بأوله ،
ولا تجمع من صدره وعجزه ، ولا تحمل خوافى صنْعِكَ على قَوادِمه ، فالإناء يملؤه
القطر فيفتم ، والصغير يقترن بالصغير فيعظم ، والداء يلم ثم يصطلم ، والجرح يتباين
ثم ينفثق ، والسيف يمس ثم يقطع ، والسهم يرد ثم ينفذ .

من الشعر
ومن الاستشهاد قول الآخر :

إنما يَعْشَقُ النساءِ من الآءِ وام من كان عاشقاً للمعالى
وكذلك الزَّماح أول ما يك سر منهن فى الحروب الموالى
وقال أبو تمام (١) :

هم من قوا عنه سبائب حلمه وإذا أبو الأشبال أخرج عافاً
وقال أيضاً (٢) :

عتقت وسيلته وأية قيمة للمشرقى العصب (٣) ما لم يعتق
وقال أيضاً (٤) :

ياخذ الزائر قسرا ولو كفا دعام ربيع خصب
غير إن الراى السدد يحتا ط مع العلم أنه سيصيب

(١) ديوانه : ٦٤ . (٢) ديوانه : ٢١٤ . (٣) العصب : القاطع .

(٤) ديوانه : ٥٨ .

وقال أيضاً^(١) :

فأضمر قواصيم إليك فإنه
والسهم بالريش اللوام ولن ترى
لا يزخر الوادي بغير شعاب^(٢)
بيتاً بلا عُمْدٍ ولا أطناب^(٣)

وقال ابن الرومي :

وطائف باسِته على طبق
مما ملأ كل سِفلة سَفَلَتْ
قلت له لم هو لك في سفل الذ
أفرقة وافقتك طاعتها
قال وجدت الكموب من قصب الس
واست الفتى سِفلة فغائتها
ينبغي لها حربة يشق لها
ولا يرى عِلْمِيَّةً يُعاملها
نمّاس وشرّ الأمور سافلها
أم عُصبة فضلت غرامها
سكر يختارها أسافلها
ووكرها سِفلة يشاكلها

وقول بشار^(٤) :

فلا تجمل الشورى عليك غضاضة
وقول الفرزدق^(٥) :

وما كاد لولا ظلمهم يتصرّم
وقد يملأ القطر الإناء فيفعم
تصرّم منى ود بكر بن وائل
قوارص تاتيني ويحتقرونها
وقال أبو تمام^(٦) :

غدا الشيبُ مخطّأ بفودي خطّة
هو الزورُ يُجفَى والمعاشر يجتوى
طريق الردى منها إلى النفس مهيّج^(٧)
وذو الإلف يُقلَى والجديد يرقع^(٨)

(١) ديوانه : ٢١ . (٢) القواصي : البعيدون . زخر : ارتفع ماؤه . الشعاب : الطرق في الجبل . (٣) اللوام : الجيد اللثام . الأطناب : حبال يشدها سراقق البيت . (٤) ديوانه : ٨٤ . (٥) الخوافي : مادون الريشات العشر من مقدم الجناح . (٦) ديوانه : ١٢٠ . (٧) ديوانه : ١٩٠ . (٨) القود : جانب الرأس . الخطلة : الطريقة . المهيّج : الطريق الواضح . (٩) الزور : الزائر .

له منظرٌ في العين أبيضُ ناصعٌ ولكنه في القلب أسودُ أسفعُ
ونحن نرجيه على السخط والرضا وأنف الفتي من وجهه وهو أجدعُ
وقال (١) :

لى حرمة والت على سجالكمُ والماء رِزقُ حِجَامِهِ للأول (٢)
وقال آخر :

أعلق بآخر من كلفت بحبه لا خير في حب الحبيب الأول
أنشك في أن النبي محمداً خير البرية وهو آخرُ مرسل
وقال أبو تمام ، في خلاف ذلك (٣) :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول
كم منزل في الأرض يألفه الفتى وحنينه أبداً لأول منزل
وقال ديك الجن في المني الأول :

اشرب على وجه الحبيب المقبل وعلى الفم التبيسم المتقبل
شرباً يذكر كل حب آخر غصّ وينسى كل حب أول
نقل فؤادك حيث شئت فلن ترى كهوى جديد أو كوصل مقبل
ما إن أحنّ إلى خراب مقفري درست معاله كأن لم يؤهل
مقري لنزلى الذي استحدثته أما الذي ولي فليس بمنزلى
وقال الملوى الأصهباني :

دع حب أول من كلفت بحبه ما الحب إلا للحبيب الآخر
ما قد تولى لا ارتجاع لطيبه هل غائب اللذات مثل الحاضر
إن المشيب وقد وفي بمقامه أوفى لدى من الشباب الغادر
دنياك يومك دون أمسك فاعتبر ما السالف المفقود مثل الغابر

(١) ديوانه : ٢٣٨ . (٢) السجال : الدلاء المملوءة . الجمام : معظم الماء .

(٣) ديوانه : ٤٥٧ .

وقال آخر ، في خلاف القولين :

قلبي رهينٌ بالهوى المقبل
أنا مبتلى بيليين من الهوى
فيهما حياتي كالطعام المشتبه
اقسم الفؤاد حرمةً ولذّةً
إنى لأحفظ عهد أول منزل
أبدأ وآلف طيب آخر منزل

وقال آخر في خلاف الجميع :

الحب للمحبوب ساعة حبه
ما الحب فيه لآخر ولأول

وقلت :

كان لي ركنٌ شديد
زَعَزَعَتْهُ نُوبُ الدّه
وقعت فيه الزلازل
رُوكِرَاتُ النوازل
ما بقاء الحجر الصّد
يد على وَقَعِ الماوِل

وتدخل أكثر هذه الأمثلة في التشبيه أيضاً .

الفصل الثانى والثلاثون

فى التعطف

التعطف والتعطف أن تذكر اللفظ ثم تكرره ، والمعنى مختلف ، قالوا : وأول من ابتدأه امرؤ القيس ، فى قوله :

إلا إننى بالٍ على جملٍ بالٍ يسوق بنا بالٍ ويتبعنا بالٍ

أول من وليس هذا من التعطف على الأصل الذى أصَّلوه ؛ وذلك أن الألفاظ المكررة
ابتدأه فى هذا البيت على معنى واحد يجمعها إلى فلا اختلاف بينها ، وإنما صار كل واحد
مثاله منها صفة لشيء ، فاختلفت لهذه الجهة لا من جهة اختلافها فى معانيها ؛ وكذلك قول
الآخر (١) :

* عَوْدٌ عَلَى عَوْدٍ عَلَى عَوْدٍ خَلَقَ (٢) *

وإنما التعطف على أصلهم ، كقول الشاعر (٣) :

كَادَتْ تَسَاقِطُنِي وَالرَّحْلَ إِذْ نَطَقَتْ حَمَامَةٌ فَدَعَتْ سَاقًا عَلَى سَاقٍ

أى دعت حمامة ، وهو ذكر القهارى ويسمى الساق عندهم - على ساق شجرة ؛
وقول الأنوف (٤) :

وَأَقْطَعَ الْهُوْجَلِ مَسْتَأْنَسًا بِهِوْجَلٍ عَيْرَانَةٌ عُنْتَرِيْسَ (٥)

فالهُوْجَلِ الأول : الأرض البعيدة الأطراف ، والهَوْجَلِ الثانى : الناقة العظيمة الخلق .

ومما يدخل فى التعطف ما أنشدنا أبو أحمد ، قال : أنشدنا أبو عبد الله المفجع ،
قال : أنشدنا أبو العباس ثعلب (٦) :

(١) اللسان (عود) . (٢) العود الأول رجل مسن ، والثانى جمل مسن ، والثالث طريق .

(٣) ديوانه : ٧٠ . (٤) ديوانه : ١٦ . (٥) العيرانة : الناجية من الإبل .

والعنتريس : الناقة الصلبة . (٦) القصيدة فى اللسان (خول) ، مع اختلاف فى الرواية وعدداً للآيات .

أَتَعْرِفُ أَطْلَالَ شَجَوْنِكَ بِالْخَالِ وَعِيشَ لَيْالٍ كَانَ فِي الزَّمَنِ الْخَالِ^(١)
الْخَالُ : موضع . والْخَالِي ، من الْخَلْوَةِ^(٢) .

لِيَالِي رِيْمَانُ الشَّبَابِ مُسَلِّطٌ عَلَى بَعْصِيَانِ الْإِمَارَةِ وَالْخَالِ
يَعْنِي أَنَّهُ يَعْصِي أَمْرَ مَنْ يَلِي أَمْرَهُ وَأَمْرَ مَنْ يَنْصَحُهُ لِيَصْلَحَ حَالُهُ ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ :
فَلَانُ خَالَ مَالٍ ، إِذَا كَانَ يَقُومُ بِهِ وَيُصْلَحُهُ .

وَإِذَا أَنَا خَذَنْ لِلْعَوِيِّ أَخِي الصَّبَا وَلِلْمَرْحِ الذَّيَالِ وَاللَّهُوِ وَالْخَالِ^(٣)
الْخَالُ هَاهُنَا : مِنَ الْخَيْلَاءِ وَهُوَ الْكِبَرُ .

إِذَا سَكَنْتَ رَبْعًا رَمَعْتُ رِبَاعَهَا كَمَا رَثِمَ الْمِثْيَاءُ ذُو الرِّثْيَةِ الْخَالِي^(٤)
الْخَالِي : الَّذِي لَا أَهْلَ لَهُ .

وَيَقْتَادُنِي ظَبِي رَخِيمٌ دَلَالَهُ كَمَا اقْتَادَ مَهْرًا حِينَ يَأْلِفُهُ الْخَالِي
الْخَالِي : الَّذِي يَقْطَعُ الْخَلَا وَهُوَ النَّبَاتُ الرُّطْبُ .

لِيَسَالِي سَلَمَى تَسْتَبِيكَ بَدَلَهَا وَبِالْمَنْظَرِ الْفَتَانِ وَالْجَمِيدِ وَالْخَالِ
الْخَالِي : الَّذِي يُرَثِمُ عَلَى الْخَدِّ شَبِيهَ الشَّامَةِ .

وَقَدْ عَلِمْتُ أَنِّي وَإِنْ مِلْتُ لِلصَّبَا إِذَا الْقَوْمُ كَمَوْا آسَتْ بِالرَّعِيشِ الْخَالِي
الْخَالِي : الَّذِي لَا أَصْحَابَ مَعَهُ يَمَاوَنُونَهُ^(٥) .

وَلَا أُرْتَدِي إِلَّا الْمُرُوءَةَ حُلَّةً إِذَا ضَنَّ بَعْضُ الْقَوْمِ بِالْمَعْصَبِ وَالْخَالِ
الْخَالُ : ضَرْبٌ مِنَ الْبُرُودِ .

وَإِنْ أَنَا أَبْصَرْتُ الْمُحُولَ بَيْلِدَةً تَنْكَبْتُهَا وَاشْتَمْتُ خَالًا إِلَى خَالٍ
الْخَالُ : السَّحَابَةُ الْخَيْلَةُ لِلْمَطَرِ .

(١) فِي اللِّسَانِ : « وَعِيشَ زَمَانٌ كَانَ فِي الْعَصْرِ الْخَالِي » . (٢) فِي اللِّسَانِ : « الْمَاضِي » .

(٣) الَّذِي فِي اللِّسَانِ : « وَلِلْفَزْلِ الْمَرْحُ ذِي الْهَمِّ وَالْخَالِ » . الْمَرْحُ : الْكَثِيرُ الْمَرَّاحِ وَالنَّشَاطِ ،

وَالذَّيَالُ : الطَّوِيلُ الذَّيْلُ . (٤) الرِّثْمُ ، مِنْ رَمَعْتُ النَّاقَةَ وَلَدَهَا إِذَا عَطَفْتُ عَلَيْهِ ، وَلَزِمْتُهُ .

وَالْمِثْيَاءُ : الْأَرْضُ اللَّيْنَةُ . وَالرِّثْيَةُ : الْحَقُّ وَالْفَتُورُ وَالضَّعْفُ .

(٥) فِي اللِّسَانِ : « الْمَنْخَرِبُ : الضَّعِيفُ » .

فخالف^(١) بخلق كلِّ حرٍّ مذهب وإلا فصارمه وخال إذا خال^(٢)
 المخالاة: قطع الحلف، يقال: أخلّ من فلان، وتخلّ منه، أى فارقة؛ وقال النابغة:
 * قالت بتو عامر خالوا بنى أسد *

فإني حليف للسماحة والندي إذا احتلفت عبس وذبيان بالخال
 الخال: موضع.
 ومثله:

يا طيب نعمة أيام لنا سلفت وحسن لذة أيام الصبا عودى
 أيام أسحب ذيل في بطالتها إذا ترنم صوت الناي والعود
 وقهوة من سلاف الخمر صافية كالمسك والعنبر الهندي والعود
 تسلى عقلك في لين وفي لطف إذا جرت منك مجرى الماء في العود
 ومن هذا النوع، قول أبي تمام^(٣):

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب
 ولم أجد منه شيئاً في القرآن إلا قوله تعالى: ﴿وَبَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ
 الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ . والله أعلم .

(١) كذا في ١، وفي ط « فخلق » . (٢) في اللسان: « وإلا تحالفني فخال لإذن خال » .
 (٣) ديوانه: ٧ .

الفصل الثالث والثلاثون

في المضاعفة

وهو أن يتضمن الكلام معنيين : معنى مصرّح به ، ومعنى كالشار إليه ؛ وذلك المضاعفة مثل قول الله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ ﴾ فالله تعالى المصرّح به في هذا الكلام أنه لا يقدر أن يهدي من عمى عن الآيات ، وصم عن الكلام البينات ؛ بمعنى أنه صرف قلبه عنها فلم ينتفع بسماعها ورؤيتها ؛ والمعنى المشار إليه أنه فضل السمع على البصر ، لأنه جعل مع الصمم فقدان العقل ، ومع العمى فقدان النظر فقط .

ومن ثمر الكتاب ما كتّب به الحسن بن وهب : كتابي إليك ، وشطر قلبي ^{مثالها من} ^{النثر} عنده ، والشطر الآخر غير خلو من تذكرك ، والثناء على عهدك ، فأعطاك الله بركة وجهك ، وزاد في علوّ قدرك ، والنعمة عنده وعندنا فيك .

فقوله : « بركة وجهك » فيه معنيان : أحدهما أنه دعا له بالبركة ؛ والآخر أنه جعل وجهه ذا بركة عظيمة ، ولعظمها عدل إليها في الداء عن غيرها من بركات المطر وغيره ؛ ومثله قول أبي العيّن : سألتك حاجة فرددت بأقبح من وجهك ؛ فتضمن هذا اللفظ قبح وجهه وقبح رده .

ومن المنظوم قول الأخطل : ^{مثالها من} ^{المنظوم}

قومٌ إذا استنبح الأضياف كلهم قالوا لأهمهم بُولى على النار
فأخبر عن إطفاء النار ، فدل به على بُخلهم ، وأشار إلى مهانتهم ، ومهانة أهمهم عندهم .

وقول أبي تمام ^(١) :

يُخْرِجُ مِنْ جِسْمِكَ السَّقَامَ كَمَا أُخْرِجَ ذُمُّ الْفَعَالِ مِنْ عُنُقِكَ

(١) ديوانه : ٢١١ .

يَسْحُ سَحًّا^(١) عَلَيْكَ حَتَّى يَرَى خَلْقَكَ فِيهَا أَصَحَّ مِنْ خُلُقِكَ
فَدَعَا لَهُ بِالصَّحَّةِ وَأَخْبَرَ بِصَحَّةِ خَلْقِهِ ، فَهَمَا مَعْنِيَانِ فِي كَلَامٍ وَاحِدٍ .
وَقَالَ جَعْفَرُ :

دَعَوْتُ فَأَقْبَلْتُ رَكْضًا إِلَيْكَ وَخَالَفْتُ مَنْ كُنْتُ فِي دَعْوَتِهِ
وَأَسْرَعْتُ نَحْوَكَ لَمَّا أَمَرْتُ كَأَنِّي نَوَالِكُ فِي سُرْعَتِهِ
وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ :

بِنَفْسٍ أَبْتُ إِلَّا ثَبَاتَ عُقُودِهَا لِمَنْ عَاقَدْتَهُ وَانْحِلَالَ حَقُودِهَا
أَلَّا تَلَكُمِ النَّفْسَ الَّتِي تَمَّ فَضْلُهَا فَمَا نَسْتَزِيدُ اللَّهَ غَيْرَ خُلُودِهَا .
فَذَكَرَ تَمَامَ فَضْلِهَا وَأَرَادَ خُلُودَهَا ؛ وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْآخِرِ^(٢) :
نَهَبْتُ مِنَ الْأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتُهُ لَهَنَّتْ الدُّنْيَا بِأَنَّكَ خَالِدُ
وَكُتِبَ بِمَضْمَنِهِمْ : فَإِنْ رَأَيْتَ صَلَاتِي بِكِتَابِكَ الْعَادِلَ عِنْدِي رُؤْيَا كُلِّ حَبِيبٍ سِوَاكَ
وَتَضْمِينَهُ مِنْ حَوَائِجِكَ مَا أَسْرَ بِقَضَائِهِ فَعَمِلْتُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . فَقَوْلُهُ : «سِوَاكَ» مُضَاعَفَةٌ .
وَمِنْ هَذَا الْبَابِ نَوْعٌ آخَرٌ ، وَهُوَ أَنْ تَوْرَدَ الْأَسْمَاءُ الْوَاحِدَةُ عَلَى وَجْهَيْنِ وَتَضْمَنَهُ
مَعْنِيَيْنِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَعْنًى ، كَقَوْلِهِ بِمَضْمَنِهِمْ :
أَفْدَى الَّذِي زَارَنِي وَالسَّيْفُ يَخْفَرُهُ وَلَحَظَ عَيْنِيهِ أَمْضَى مِنْ مَضَارِبِهِ
فَمَا خَلَمْتُ نَجَادِي فِي الْمَنَاقِ لَهُ حَتَّى لَبَسْتُ نَجَادًا مِنْ ذَوَائِبِهِ
فَجَعَلَ فِي السَّيْفِ مَعْنِيَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَنْ يَخْفَرَهُ ، وَالْآخَرُ أَنْ لَحَظَهُ أَمْضَى مِنْ مَضَارِبِهِ .
وَضَرَبَ مِنْهَا وَضَرَبَ مِنْهُ آخِرُ قَوْلِ ابْنِ الرُّومِيِّ :
بِجَهْلٍ كَجَهْلِ السَّيْفِ وَالسَّيْفُ مُنْتَهَى وَحَلَمَ كَحَلَمِ السَّيْفِ وَالسَّيْفُ مُعَمَّدُ
وَضَرَبَ مِنْهُ قَوْلُ مُسْلِمٍ :

وَخَالَ نَحَالِ الْبَدْرِ فِي وَجْهِهِ مِثْلُهُ لَقِينَا الْمُنَى فِيهِ فَحَاجَزَنَا الْبَدْلُ

(١) يسح : يسيل . (٢) أبو الطيب المتنبي ، ديوانه : ١ - ٢٧٧ .

الفصل الرابع والثلاثون

في التطريز

وهو أن يقع في أبيات متوالية من القصيدة كلمات متساوية في الوزن ، فيكون التطريز فيها كالطرّاز في الثوب ، وهذا النوع قليل في الشعر .

أحسن ما جاء
منه

وأحسن ما جاء فيه قول أحمد بن أبي طاهر :

إذا أبو قاسم جادت لنا يده لم يُحمّد الأجودان : البحرُ والمطر
وإن أضاءت لنا أنوارُ غرّته تضاءل الأنوران : الشمس والقمرُ
وإن مضى رأيه أو حدّ عزّمته تأخر الماضيان : السيفُ والقدر
من لم يكن حذرًا من حدّ صوّالته لم يدّر ما المزعجان : الخوفُ والحذر

فالتطريز في قوله : « الأجودان » ، و « الأنوران » ، و « الماضيان » ،

و « المزعجان » .

ونحوه قول أبي تمام ^(١) :

أعوام وصلّ كاد يُنسى طولها ذكر النوى فكانها أيام
ثم انبرت أيام هجر أردفت نجوی أمي فكانها أعوام
ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكانهم وكانها أحلام

وقلت في مرثية :

أصبحت أوجه القبور وضاء وغدت ظلمة القبور ضياء
يوم أضجى طريدةً للمنايا ففقدنا به الغنى والغناء
يوم ظلّ الثرى يضم الثريّا فعدمنا منه السنّ والسناء

يوم فاتُ به بواذرُ شؤمٍ فرزينا به الثرى والثراء
يوم ألقى الردى عليه جرانا فخرمنا منه الجدا والجداء
يوم ألوتُ به هَنَات الليلالى فلبسنا به البلى والبلاء
ومن ذلك قول زياد الأعجم :
ومتى يؤامرُ نفسه مستلجياً^(١) فى أن يجود لذى الرجاء يقلُّ جد
أو أن يعود له بنفحة نائلٍ يمد الكرامة والحياء يقلُّ عد
أو فى الزيادة بعد جزل عطية للمستزيد من العفاة يقلُّ زد

الفصل الخامس والثلاثون

في التلطف

وهو أن تتلطف للمعنى الحسن حتى تهجّته ، والمعنى المهجين حتى تحسنه ؛ وقد ذكرت طرفاً منه في أوّل السكتاب ، إلا أنى لم أسمّه هناك بهذا الاسم في شهر به ويكون باباً برأسه ، كما خوانه من أبواب الصنعة .

فمن ذلك أن يحيى بن خالد البرمكى قال لعبد الملك بن صالح : أنت حقود ؟ فقال : مثاله من النثر إن كان الحَقْدُ عندك بقاء الخير والشر فإنهما عنسدى لباقيان . فقال يحيى : ما رأيت أحداً احتجّ للحقد حتى حسّنه غيرك . وقد مر هذا الفصل في أوّل الكتاب .
ورأى الحسن على رجل طيلسان صوف ، فقال له : أيعجبك طيلسانك هذا ؟ قال : نعم ، قال : إنه كان على شاة قبلك ، فهجّته من وجه قريب .

وأخبرنا أبو أحمد ، قال : أخبرنا الصولى ، قال : حدثنا محمد بن القاسم أبو العيناء ، قال : لما دخلتُ على المتوكل دعوتُ له ، وكلمته فاستحسن كلامي ؛ وقال لى : يا محمد ؛ بَلَّغْنِي أَنَّ فِيكَ شِراً ، قلت : يا أمير المؤمنين ، إن يكن الشرُّ ذكرَ الحسن بإحسانه ، والسيء بإساءته ، فقد زَكَّى اللهُ عز وجل وذم ؟ فقال فى التريكة : ﴿ زِمَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ؛ وقال فى الذم : ﴿ هَمَّازٍ مَشَاءٌ بِنَمِيمٍ مَنَّاغٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أُثِمٍ ، عُتِلَّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ ﴾ ، فذمه الله تعالى حتى قذفه ؛ وقد قال الشاعر :

إذا أنا بالمعروف لم أثن دائماً ولم أشتم الجبس اللثيم المنمما
فقيمَ عرفتُ الخير والشرَّ باسمه وشقَّ لى اللهُ المسمعَ والفمّا

وفى الخبر بعض طول :

وكان عبد الله بن أمية وسَمَ دوابّه « عُدَّة » ، فلما جازَها الحجاج جعل إلى جانبه « للفرار » . وقيل لمباداة : إن السودان أسخن ، فقال : نعم ، للعيون . وقال رجل

لرجل كان يراه فيفضه : ما اسمك ؟ فقال : سعد ، قال : على الأعداء . وسمعت والدى رحمه الله يقول : لمن الله الصبر فإن مضرتة عاجلة ، ومنفعته آجلة ، يتمجّل به ألم القلب ، بأمثال المنفعة في العاقبة ؛ ولعلها تفوتك أمارض يعرض ، فكنت قد تعجلت النعم من غير أن يصل إليك نفع ؛ وما سمعت هذا المعنى من غيره ، فنظمته بعد ذلك ، فقلت :

الصَّبْرُ عَمَّنْ تَحِبُّهُ صَبْرٌ وَنَفْعٌ مَنْ لَامَ فِي الْهَوَى ضَرَرُ
مَنْ كَانَ دُونَ الْمَرَامِ مُصْطَبْرًا فَلَسْتُ دُونَ الْمَرَامِ أَصْطَبِرُ
مَنْعَةُ الصَّبْرِ غَيْرُ عَاجِلَةٍ وَرَبِّمَا حَالُ دُونِهَا الْغَيْرُ
فَقُمْ بِنَا نَلْتَمِسْ مَا رَبَّنَا أَقَامَ أَوْ لَمْ يَقُمْ بِنَا الْقَدَرُ
إِنَّ لَنَا أَنْفُسًا تَسُودُنَا أَعَانَهُنَّ الزَّمَانُ أَوْ يَذَرُ
وَابْعِغْ مِنَ الْعَيْشِ مَا تَسَرُّ بِهِ إِنْ عَذَلَ النَّاسُ فِيهِ أَوْ عَذَرُوا

ومن المنظوم قول الخطيئة في قوم كانوا يلقبون بأنف الناقة فيأنفون ، فقال فيهم^(١) :
قَوْمٌ هُمُ الْأَنْفُ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمْ وَمَنْ يُسَوِّى بِأَنْفِ النَّاقَةِ الدُّنْيَا
فكَانُوا بَعْدَ ذَلِكَ يَتَبَجَّحُونَ بِهَذَا الْبَيْتِ .

مثاله من
المنظوم

ومدح ابن الرومي البخل وعذر البخيل ، فقال :
لَا تَكْلَمْ الْمَرْءَ عَلَى بُخْلِهِ وَلُئِمَّهُ يَاصَاحُ^(٢) عَلَى بَذْلِهِ
لَا عَجَبَ بِالْبُخْلِ مِنْ ذِي حِجِّي يُكْرَمُ مَا يَكْرَمُ مِنْ أَجْلِهِ
وعذر أبو العتاهية البخيل في منعه منه ، بقوله^(٣) :

جُزِيَ الْبُخْلُ عَلَى صَالِحَةٍ عَنِّي بِخَفْتِهِ عَلَى ظَهْرِي
أَعْلَى فَأَكْرَمَ عَنْ نَدَاهِ يَدِي^(٤) فَعَلَّتْ وَنَزَّهَ قَدْرُهُ قَدْرِي
وَرَزَقْتُ مِنْ جَدْوَاهُ عَارِفَةً أَلَا يَضِيقَ بِشُكْرِهِ صَدْرِي

(١) ديوانه : ٦ . (٢) في « يا أخ » (٣) ديوان الحماسة : ٢٤٦ ، أسرار البلاغة : ١٤

(٤) في ديوان الحماسة : « عن يديه يدي » .

وظفرتُ منه بخيرٍ مكرمةً مِنْ بَخِيلِهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي
ما فاتني خيرُ امرئٍ وضعت عَنِّي يَدَاهُ مَوْوَنَةً الشُّكْرِ
وقال ابن الرومي ، يعذر إنسانا في المنع :

أجمت حَسْرَى أَيْدِيكَ الَّتِي ثَقُلَتْ عَلَى الْكَوَاهِلِ حَتَّى أَدَّهَا ذَاكَ
وما ملكتَ العَطَايَا فَاسْتَرَحْتَ إِلَى إِغْبَابِهِمْ بَلْ هُمْ مَلَوْا عَطَايَاكَ
وما نَهَتْهُمْ عَنِ الرِّعَى وَخَامَتْهُ لَكِنَّهُ أَسْبَقَ الرَّاعِينَ مَرَعَاكَ
تَدَبَّرَ النَّاسُ مَا دَبَّرْتَهُ فَإِذَا عَلَيْهِمْ لَا عَلَى الْأَمْوَالِ بُقْيَاكَ
أَمْسَكَتَ سَيِّئِكَ إِضْرَاءَ لِرَغْبَتِهِمْ وَمَا بَخَلْتَ وَلَا أَمْسَكَتَ إِمْسَاكَ
وكان شَمُّ الْوَرْدِ يَضْرُهُ ، فَكَانَ يَذَمُّهُ وَيَمْدَحُ النَّرْجِسَ ، وَاحْتَالَ فِي تَشْبِيهِهِ ،
حَتَّى هَجَّنَ فِيهِ أَمْرَهُ وَطَمَسَ حَسَنَهُ وَهُوَ قَوْلُهُ :

وَقَائِلُ لَمْ هَجَّوْتَ الْوَرْدَ مَعْتَمِدًا فَقُلْتَ مَنْ بَغَضَهُ عِنْدِي وَمَنْ عَبَّاهُ
كَأَنَّهُ سُرْمٌ بَغْلٍ حِينَ يُخْرِجُهُ عِنْدَ الرِّيَاثِ وَبَاقِي الرُّوثِ فِي وَسِطِهِ
ومثله قول يزيد المهلبى :

أَلَا مَبْلَغٌ عَنِّي الْأَمِيرَ مُحَمَّدًا مَقَالًا لَهُ فَضْلٌ عَلَى الْقَوْلِ بَارِعُ
لَنَا حَاجَةٌ إِنْ أُمَكَّنْتِكَ قَضِيَّتَهَا وَإِنْ هِيَ لَمْ تَمَكِّنْ فَعَذْرُكَ وَاسِعُ
وقال ابن الرومي أيضا :

وَإِنِّي لَذُو حَلْفٍ كَاذِبٍ وَإِذَا مَا اضْطَرَّرْتُ وَفِي الْأَمْرِ ضَيْقُ
وَمَا فِي الْيَمِينِ عَلَى مَدْفَعٍ يُدَافِعُ بِاللَّهِ مَا لَا يُطِيقُ

وقد فرغنا من شرح أبواب البديع ، وتبيين وجوهها وإيضاح طرقها ؛ والزيادة التي زدنا فيها ستة فصول ، وأبرزناها في قوالها من الألفاظ من غير إخلال ولا إهذار. وإذا أردت أن تعرف فضلها على ما عمل في معناها قبلها ، فمثل بينها وبينه فإنك تقضي لها عليه ، ولا تنصرف بالاستحسان عنها إليه ، إن شاء الله .

وقد عرض لي بعد نظم هذه الأنواع ، نوع آخر لم يذكره أحد وسميته المشتق ، المشتق

وجهاء وهو على وجهين ؛ فوجه منهما أن يشتق اللفظ من اللفظ ، والآخر أن يشتق المعنى من اللفظ ، فاشتقاق اللفظ من اللفظ ، هو مثل قول الشاعر في رجل يقال له ينخاب :
* وكيف ينجح مَنْ نصف اسمه خابا * .

وقلت ، في البانياس^(١) :

في البانياس إذا أوطئت ساحتها خوف وحيِّف وإقلال وإفلاس
وكيف يطعم في أمن وفي دعة من حل في بلد نصف اسمه ياس
واشتقاق المعنى من اللفظ ، مثل قول أبي العتاهية :

خُلِقَتْ إحيية موسى باسمه وبهارون إذا ما قُلبا
وقال ابن دريد^(٢) :

لو أوحى النحو إلى نفطويه ما كان هذا النحو يقرأ عليه^(٣)
أجرقه الله بنصف اسمه وصير الباقي صُراخاً عكّيه

(١) في ١ : « الباسيان » . (٢) ديوانه ١١١ . (٣) رواية الديوان :

لو أنزل الوحي على نفطويه لكان ذاك الوحي مسخفا عليه

البَابُ الْعَاشِرُ

في ذكر مبادئ الكلام ومقاطعه والقول في حسن الخروج والفصل
والوصل وما يجري مجرى ذلك

الفَصْلُ الْأَوَّلُ

في ذكر المبادئ

قال بعض الكتّاب : أحسنوا معاشر الكتّاب الابتداءات فإنهن دلائل البيان.
وقالوا: ينبغي للشاعر أن يحترز في أشعاره ، ومُفْتَتَح أقواله ؛ مما يُتَطَيَّر منه ، ويُسْتَعْجَلُ
من الكلام والمخاطبة والبكاء ووصف إقفار الديار وتشتيت الآلاف ونعي الشباب
وذمّ الزمان ؛ لاسيما في القصائد التي تتضمن المدائح والتهاني . ويستعمل ذلك في المراثي ،
ووصف الخطوب الحادثة ؛ فإن الكلام إذا كان مؤسسا على هذا المثال تطير منه سامعه ،
وإن كان يعلم أن الشاعر إنما يخاطب نفسه دون المدوح ، مثل ابتداء ذي الرمة (١) :
أُمثلة ما بال عينك منها الماء ينسكبُ كأنه من كلّي مفرّية سرب (٢)
وقد أنكر الفضل بن يحيى البرمكي على أبي نواس ابتداءه (٣) :
أزيع البلى إن الخشوع لبادي عليك وإني لم أخنك ودادي
قال فلما انتهى إلى قوله :

سلامٌ على الدنيا إذا ما فقدتمُ بني برّمكٍ من راحلين وغاد
وسمه استحكّم تطيره ، وقيل : إنه لم يمض أسبوع حتى نكبوا.

ومثله ما أخبرنا به أبو أحمد ، قال : حدثنا الصولي ، قال : حدثنا محمد بن العباس

(١) الجمهرة : ٣٦٠ (٢) السكّلي : جمع كلبية ، والمفرية : المخزوزة ، والسرب : الجارى .

(٣) ديوانه ٧٣

اليزيدى ، قال : حدثني عمي عن أخيه أبي محمد ، قال : لما فرغ من بناء قصره بالميدان الذى كان للعباسية ، جلس فيه وجمع الناس من أهله وأصحابه ، وأمر أن يلبس الناس كلهم الديباج ، وجعل سريرَه فى الإيوان المنقوش بالفسافسا الذى كان فى صدره صورة العنقاء ، فجلس على سرير مرصع بأنواع الجواهر ، وجعل على رأسه التاج الذى فيه الدرة اليتيمة ، وفى الإيوان أسرة آبنوس عن يمينه وعن يساره ، من عند السرير الذى عليه المعتصم إلى باب الإيوان ؛ فكلمها دَخَلَ رجل رتبته هو بنفسه فى الموضع الذى يراه ، فما رأى الناس أحسنَ من ذلك اليوم ، فاستأذنه إسحاق بن إبراهيم فى النشيد فأذن له ؛ فأنشده شعراً ما سمع الناس أحسنَ منه فى صفته وصفة المجلس ؛ إلا أن أوله تشبيب بالديار القديمة ، وبقية آثارها فكان أول بيت منها :

يا دارُ غَيْرِكَ البَلَى فحالكِ ياليت شعرى ما الذى أبلاكِ

فتطير المعتصم منها ، وتغامز الناس ، وعجبوا كيف ذهب على إسحاق مع فهمه وعلمه وطول خدمته للملوك ؛ قال : فآقنا يومنا هذا ، وانصرفنا ، فآعاد منا اثنان إلى ذلك المجلس ، وخرج المعتصم إلى سُرٍّ مَنْ رأى ، وخرب القصر .

وأنشد البحتري أبا سميذ قصيدة أولها^(١) :

لك الويلُ من ليلٍ تطاول آخرُهُ ووشك نوى حَيٍّ تَزَمَ أباعرهُ
فقال أبو سميذ: بل الويل والحرب لك ا فغيره وجعله «له الويل» وهو ردىء أيضاً.
وأنشد أبو حكيمة أبا دلف :

* ألا ذهب الأير الذى كنت تعرف *

فقال أبو دلف : أمك تعرف ذلك .

وأنشد أبو مقاتل الداعى :

لا تَقُلْ بُشْرَى ولكن بُشْرِيان غُرّة الداعى ويوم المهرجان
فأوجه الداعى ضرباً ، ثم قال : هلا قلت : «إن تَقُلْ بُشْرَى فعندى بشريان» .

فإن أراد أن يذكر داراً فليذكرها كما ذكرها الخريبي :
 ألا يادارُ دام^(١) لك الجبورُ وساعدك الغضارةُ والسرور
 وكما قال أشجع :

أحسن
 الابتداءات
 الجاهلية

قَصُرَ عليه تحيةٌ وسَلَامٌ نَشَرْتُ عليه جَالَهَا الأيَامُ
 وقالوا : أحسن ابتداءات الجاهلية قول النابغة^(٢) :

كلبني لهمَّ يا أميمةً ناصبٍ وليلٍ أقاسيه بطيء الكواكب
 وأحسن مرثية جاهلية ابتداء قول أوس بن حجر^(٣) :

أيتها النفسُ أَجْمَلِي جَزَعًا إِنَّ الذي تَحْذَرِينَ قد وقعا
 قالوا : وأحسن مرثية إسلامية ابتداء قول أبي تمام^(٤) :

أصم بك الناعى وإن كان أسمعاً وأصبح مغنى الجودِ بَعْدَكَ بَلَقَمًا
 وقول الآخر :

أنعى فتى الجودِ إلى الجودِ ما مثل مَنْ أنعى بوجود

أنعى فتى مصَّ الثرى بعمده بقية الماء من العود

وقد بكى امرؤ القيس واستبكى ، ووقف واستوقف ، وذكر الحبيب والمنزل

فى نصف بيت ، وهو قوله^(٥) :

* قَفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِى حَبِيبٍ وَمَنْزِل *
 فهو من أجود الابتداءات .

ومن أحكم ابتداءات العرب قول السموءل^(٦) :

إذا المرء لم يَدْنَسْ مِنَ اللُّؤْمِ عَرْضُهُ فَكُلُّ رِداءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلٌ

وإن هو لم يَحْمِلْ عَلَى النفسِ ضِيمَهَا فَلَيْسَ إِلَى حَسَنِ الثَّنَاءِ سَبِيلٌ

(١) فى ط : د دار ، وهذه رواية (٢) ديوانه : ٢ .

(٣) شعراء النصرانية : ٤٩٢ . (٤) ديوانه : ٣٧٤ . (٥) مطلع المعلقة .

(٦) ديوان الحماسة : ١ - ٢٨ .

وقال بعضهم : أحكم ابتداءاتهم قول لبيد^(١) :

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطل وكلُّ نعيمٍ لا محالة زائل
وبعضهم يجعل ابتداء هذه القصيدة^(٢) :

ألا تسألان المرء ماذا يحاول أنحب فيقضى أم ضلال وباطل
ومن جياذ ابتداءات أهل الجاهلية قول أوس بن حجر :
* ولقد أيت بليقة كلبالي *

ومنها قول النابغة^(٣) :

دعاك الهوى واستجهلتك المنازل وكيف تصابي المرء والشيب شامل
ونحوه قول أمية^(٤) :

يا نفس مالك بعد الله من وافي وما على حدثان الدهر من راق
وقالوا : وكان عبد الحميد الكاتب لا يبتدئ « بلولا » ولا « إن رأيت » .
وقد جعل الناس قول أبي تمام^(٥) :

يا بعد غاية دمع العين إن بعدوا هي الصبابة طول الدهر والسهد
من جياذ الابتداءات ، وقوله^(٥) :

سمعت غربة النوى بسعاد ففى طوع الإتهام والإنجاد
وسئل بعضهم عن أحذق الشعراء ، فقال : من يتفقد الابتداء والمقطع .
ولما نظر أبو العميث في قصيدة أبي تمام^(٦) :

أهن عوادى يوسف وصواحيه فزماً قدماً أدرك الثار طالبة
استرذل ابتداءها وأسقط القصيدة كلها ، حتى صار إليه أبو تمام ، ووقفه على
موضع الإحسان منها ، فراجع عبد الله بن طاهر ، فأجازه .

من غير
الجاهلية

(١) ديوانه : ٨٠ . (٢) الخزانة : ١ - ٣٤٠ . (٣) ديوانه : ٤٣ .

(٤) ديوانه : ٩٦ . (٥) ديوانه : ٧٥ . (٦) ديوانه : ٤٣ .

ولأبى تمام ابتداءات كثيرة تجرى هذا الجرى ، منها قوله ^(١) :

قَدْكَ أَتَّبْتُ أُرِيْتُ فِي الْغُلَاةِ كَمْ تَعْدُلُونَ وَأَنْتُمْ سَجَرَاتِي ^(٢)

وقوله :

صَدَقْتُ لِهَيْيَا قَلْبِكَ الْمُسْتَهْتَرِ فَبَقِيتْ نَهَبَ صَبَابَةٍ وَتَذَكَّرِي ^(٣)

ومن
الابتداءات
البديعة

ومن الابتداءات البديعة قول مسلم :

أَجْرَرْتُ ذَيْلَ خَلِيعٍ فِي الْهَوَى غَزَلٍ وَشَمَّرْتُ رَهْمَ الْمُذَالِ فِي عَذَلِي

وقال أبو العتاهية :

* نَفَاسٌ فِي الدُّنْيَا وَنَحْنُ نَعْمِيهَا *

والابتداء أول ما يقع في السمع من كلامك ، والمقطع آخر ما يبقى في النفس من قولك ، فينبغي أن يكونا جميعاً موفقين .

ابتداءات
المتنبي

وقد استحسنت لبعض التأخرين ابتداءه ^(٤) :

أَرَيْكَ أَمْ مَاءُ الْغَمَامَةِ أَمْ تَحَرُّ بِفِيَّ بَرُودٌ وَهُوَ فِي كَبْدِي جَرُّ

وله بعد ذلك ابتداءات المصائب ، وفراق الحبايب ، منها قوله ^(٥) :

كَفَى أَرَانِي وَيْكَ لَوْمَكِ الْوَمَا هَمُّ أَقَامَ عَلَى فَوَادِي أَنْجَا ^(٦)

وقوله ^(٧) :

أَبَا عَبْدِ الْإِلَهِ مُعَاذُ إِنِّي خَفْتُ عَنْكَ فِي الْهَيْجَا مَقَامِي

وقوله ^(٨) :

هَذِي بَرَزْتُ لَنَا فَمَجَّتْ رَسِيْسَا ثُمَّ انْصَرَفَتْ وَمَا شَفِيَتْ نَسِيْسَا ^(٩)

وقوله ^(١٠) :

جَلَلًا كَمَا بِي فَلَيْكَ التَّسْبِيحُ أَغْذَاهُ ذَا الرَّشَاءِ الْأَغْنِ الشَّيْخُ

(١) ديوانه : ٢ . (٢) قدك : حسبك . وانتب : استحي . والسجاء : الأصدقاء .

(٣) اللهميا ، تصغير اللهو . (٤) أبو الطيب المتنبي : ٢ - ١٢٣ .

(٥) ديوانه : ٤ - ٢٧ . (٦) أنجيم : ألق . (٧) ٤ - ٤٤ .

(٨) ٢ - ١٩٣ . (٩) هذي : منادي ، يريد : ياهذه . والرسييس : بداية الحب .

والنسييس : بقية الروح الذي به الحياة . (١٠) ١ - ٢٤٣ .

وقوله (١) :

أُحَادٌ أَمْ سِدَاسٌ فِي أُحَادٍ لِيَيْلَتُنَا الْمَنُوطَةُ بِالتَّنَادِي (٢)

وقوله (٣) :

لَجَنِّيَّةٌ أَمْ غَادَةٌ رُفِعَ السَّجْفُ لَوْحَشِيَّةٍ لَا مَا لَوْحَشِيَّةٍ شَنْفٌ (٤)

وقوله (٥) :

بِقَائِي شَاءَ لَيْسَ هُمْ أَرْتَحَالًا وَحَسَنَ الصَّبْرِ زُمُوًّا لَا الْجَلَالَا

وقوله (٦) :

فِي الْخَدِّ إِنْ عَزَمَ الْخَلِيطُ رَحِيلًا مَطَرٌ يَزِيدُ بِهِ الْخُدُودُ مُحُولًا
وَقَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبَادٍ : لِعَمْرَى إِنْ أُنْحَوْلَ فِي الْخُدُودِ مِنَ الْبَدِيمِ الْمُرْدُودِ .

وقوله (٧) :

نُهْنِي بِصُورٍ أَمْ نُهْنِيهَا بِكَأْ وَقُلْ لِلَّذِي صُورٌ وَأَنْتَ لَهُ لِكَأْ

وقوله (٨) :

عَذِيرِي مِنْ عَذَارَى فِي صُدُورٍ سَكَنَ جَوَانِحِي بَدَلِ الصُّدُورِ

وقوله (٩) :

مِرْبَابٌ مَحَاسِنُهُ حُرِّمَتْ ذَوَاتُهَا دَانِي الصِّفَاتِ بَعِيدٌ مَوْصُوفَاتُهَا

وقوله (١٠) :

أَيَّا لَا تُعْنَى إِنْ كُنْتَ وَقْتَ اللَّوَائِمِ عَلِمْتَ بِمَا بِي بَيْنَ نِلْكَ الْعَالَمِ

(١) ديوانه : ١ - ٣٥٣ . (٢) المنوطة : المتعلقة . التنادي : يوم القيامة .

(٣) ديوانه : ٢ - ٢٨٢ . (٤) الشنف : ماعلق في أعلى الأذن .

(٥) ٣ - ٣٢١ . (٦) ٣ - ٢٣٢ . (٧) ديوانه : ٢ - ٣٨١ .

(٨) ديوانه : ٢ - ١٤١ . (٩) ديوانه : ١ - ٢٢٥ .

(١٠) ديوانه : ٤ - ١١٠ .

وقوله ^(١) :

ووقتٍ وفي بالدهرِ لي عندَ واحدٍ وقى لي بأهليته وزادَ كثيراً
وقوله ^(٢) :

شديد البعد من شرب الشمول قرئجُ الهندِ أو طلعُ النخيل
وقوله ^(٣) :

أراعَ كذا كلَّ الأنامِ مُهامُ وسحَّ له رسلُ الملوكِ غمام
وقوله ^(٤) :

أؤيِّ بديلٍ من قولتي وإها لمن نأتُ والبديلُ ذِكْراها
فهذه وما شا كلها ابتداءات لا خلاق لها .

فضل
الابتداء
الحسن

وإذا كان الابتداء حسناً بديعاً ، ومليحاً رشيقياً ، كان داعيةً إلى الاستماع لما يجيء بعده من الكلام ؛ ولهذا المعنى يقول الله عز وجل : ألم . وحَم . وطس . وطسم . وكهيمص ؛ فيقرع أسماعهم بشيء بديع ليس لهم بمثله عهد ، ليكون ذلك داعية لهم إلى الاستماع لما بعده والله أعلم بكتابته . ولهذا جعل أكثر الابتداءات بالحمد لله ؛ لأن النفوس تتشوف للثناء على الله فهو داعية إلى الاستماع ؛ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل كلام لم يبدأ فيه بحمد الله تعالى فهو أبتَر » .

فأما الابتداء البارد ، فابتداء أبي العتاهية ^(٥) :

ألا ما لسيدتي مالها أدلت فأحمل إدلالها

الفَصْلُ الثَّانِي

في ذكر المقاطع والقول في الفصل والوصل

البلغة
معرفة
الفصل
والوصل

قيل للغارسي : ما البلاغة ؟ فقال : معرفة الفصل من الوصل . وقال المأمون لبعضهم : مَنْ أَبْلَغُ النَّاسِ ؟ فقال : مَنْ قَرَّبَ الْأَمْرَ الْبَعِيدَ الْمُتَنَاوِلَ ، وَالصَّعْبَ الدَّرَكَ بِالْأَلْفَاظِ الْيَسِيرَةِ ، قَالَ : مَا عَدَلَ سَهْمُكَ عَنِ الْفَرَضِ . ولكن البليغ من كان كلامه في مقدار حاجته ، ولا يجيل الفكرة في اختلاس ماصعب عليه من الألفاظ ، ولا يكره المعاني على إزاليها في غير منازلتها ، ولا يتعمد الغريب الوحشي ، ولا الساقط السوقي ؛ فإن البلاغة إذا اعتزلتها المعرفة بمواضع الفصل والوصل كانت كالآلي بلا نظام .

وقال أبو العباس السفاح لكتابه : قِفْ عِنْدَ مُقَاتِعِ الْكَلَامِ وَحُدُودِهِ ؛ وَإِنَّاكَ أَنْ تَحْلِطَ الْمَرْعَى بِالْهَمَلِ^(١) . ومن حلية البلاغة المعرفة بمواضع الفصل والوصل . وقال الأخنف بن قيس : مَا رَأَيْتُ رَجُلًا تَكَلَّمَ فَأَحْسَنَ الْوُقُوفَ عِنْدَ مُقَاتِعِ الْكَلَامِ ، وَلَا عَرَفَ حُدُودَهُ إِلَّا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ تَفَقَّدَ مُقَاتِعَ الْكَلَامِ ، وَأَعْطَى حَقَّ الْقَامِ ، وَغَاصَ فِي اسْتِخْرَاجِ الْمَعْنَى بِالطَّفِ مَخْرُجَ ؛ حَتَّى كَانَ يَقِفُ عِنْدَ الْمُقْطَعِ وَقُوفًا يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ تَبْيِيعَتِهِ مِنَ الْأَلْفَاظِ ، وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَنْشُدُ :

إِذَا مَا بَدَأَ فَوْقَ الْمَنَابِرِ قَائِلًا أَصَابَ بِمَا يَوْمِي إِلَيْهِ الْمَقَاتِلَا

ولا أعرف فصلاً في كلام منشور أحسن مما أخبرنا به أبو أحمد ، قال : حدثنا الصّولي ، قال : حدثنا محمد بن زكريا ، قال : حدثني العتيبي عن أبيه ، قال : كان شبيب ابن شبة يوماً قاعداً بباب المهدي ، فأقبل عبيد الصمد بن الفضل الرقاشي ، فلما رآه قال : أتاكم والله كليمُ الناس . فلما جلس قال شبيب : تكلم يا أبا العباس ، فقال :

(١) أصله من النثل : « ليس المرعى كالهمل » ، والمرعى : الذي له راع ، والهمل : المتروك

أَمْعَكَ يَا أَبَا مَعْمَرٍ وَأَنْتَ خَطِيئَتُنَا وَسَيِّدُنَا؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ قَلْبًا أَقْرَبَ مِنْ لِسَانٍ ، مِنْ قَلْبِكَ مِنْ لِسَانِكَ ، قَالَ : فِي أَى شَيْءٍ تَحِبُّ أَنْ أَتُكَلِّمَ؟ قَالَ : وَإِذَا شِئْخٌ مَعَهُ عَصَاً يَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا ، فَقَالَ : صِفْ لَنَا هَذِهِ الْعَصَا ، فَحَمِدَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ وَائْتَنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ ذَكَرَ السَّمَاءَ ، فَقَالَ : رَفَعَهَا اللَّهُ بِغَيْرِ عَمَدٍ ، وَجَعَلَ فِيهَا نَجْمًا رَجَمَ نَجْمًا وَنَجْمًا اقْتَدَاءً ، وَأَدَارَ فِيهَا سَرَاجًا وَقَرَأَ مَنِيرًا ؛ لَتَعْلَمُوا عِدَدَ السَّنِينَ وَالْحِسَابَ ، وَأَنْزَلَ مِنْهَا مَاءً مَبَارَكًا ، أَحْيَا بِهِ الزَّرْعَ وَالضَّرْعَ وَأَدْرَجَ بِهِ الْأَشْيَاءَ ، وَحَفِظَ بِهِ الْأَرْوَاحَ ، وَأَنْبَتَ بِهِ أَنْوَاعًا مُخْتَلِفَةً ، يَصْرِفُهَا مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ ؛ تَكُونُ حَبَّةٌ ، ثُمَّ يَجْعَلُهَا عِرْقًا ، ثُمَّ يُقِيمُهَا عَلَى سَاقٍ ، فَيَبِينَا تَرَاهَا خَضِرَاءَ تَرِفُ إِذْ صَارَتْ يَابِسَةً تَتَقَصَّفُ ، لِيَنْتَفِعَ بِهَا الْعِبَادُ ، وَيَعْمَرُ بِهَا الْبِلَادَ ، وَجَعَلَ مِنْ يُبَسِّمُهَا هَذِهِ الْعَصَا . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الشَّيْخِ ، فَقَالَ : وَكَانَ هَذَا نُطْفَةً فِي صُلْبِ أَبِيهِ ، ثُمَّ صَارَ عَلَقَةً حِينَ خَرَجَ مِنْهُ ، ثُمَّ مُضْغَةً ثُمَّ لَحْمًا وَعَظْمًا ، فَصَارَ جَنِينًا أَوْجَدَهُ اللَّهُ بَعْدَ عَدَمٍ ، وَأَنْشَأَهُ مُرِيدًا ، وَوَفَّقَهُ مُسْتَهِلًا ، وَنَقَّصَهُ شَيْخًا ، حَتَّى صَارَ إِلَى هَذِهِ الْحَالِ ، مِنَ الْكِبَرِ ، فَاحْتَاجَ فِي آخِرِ حَالَاتِهِ إِلَى هَذِهِ الْعَصَا؛ فَتَبَارَكَ الْمُدَبِّرُ لِلْعِبَادِ ... قَالَ شَيْبٌ : فَاسْمَعْتُ كَلَامًا عَلَى بَدْيِهِ أَحْسَنَ مِنْهُ .

وَقَالَ مَعَاوِيَةُ : يَا أَشَدُّقُ؟ قُمْ عِنْدَ قُرُومِ الْعَرَبِ وَجَحَّاجِجْهَا ، فَسَلِّ لِسَانَكَ ، وَجَلِّ فِي مِبَادِينِ الْبَلَاغَةِ ، وَلِيَكُنِ التَّفَقُّدُ لِمَقَاطِعِ الْكَلَامِ مِنْكَ عَلَى بَالٍ ، فَإِنِ شَهِدْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْلَى عَلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كِتَابًا ، وَكَانَ يَتَفَقَّدُ مَقَاطِعَ الْكَلَامِ كَتَفَقَّدَ الْمَصْرِمَ صَرِيحَتَهُ .

وَلَمَّا أَقَامَ أَبُو جَعْفَرٍ صَالِحًا خَطِيبًا بِمَحْضَرَةِ شَيْبِ بْنِ شَيْبَةَ وَأَشْرَافِ قُرَيْشٍ فَتَكَلَّمَ ، أَقْبَلَ شَيْبٌ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ أَيْبَنَ بَيَانًا ، وَلَا أَرْبَطَ جَنَانًا ، وَلَا أَفْصَحَ لِسَانًا ، وَلَا أَبْلَّ رِيْقًا ، وَلَا أَغْمَضَ عُرُوقًا ، وَلَا أَحْسَنَ طَرِيقًا ، إِلَّا أَنَّ الْجَوَادَ عَسِيرَ لَمْ يَرْضَ ؛ فَحَمَلَتْهُ الْقُوَّةُ عَلَى تَمَسُّفِ الْإِكَامِ وَخَبْطِهَا ، وَتَرَكَ الطَّرِيقَ الْإِلَاحِبَ ، وَابِمِ اللَّهِ لَوْ عَرِفَ فِي خُطْبَتِهِ مَقَاطِعَ الْكَلَامِ لَكَانَ أَفْصَحَ مِنْ نَطْقِ بِلِسَانٍ .

وقال المأمون : ما أعجبُ بكلام^(١) أحد كاعجابي بكتاب القاسم بن عيسى ، فإنه يُوجز في غير عَجَز ، ويصيبُ مفاصلَ الكلام ولا تدعوه القدرة إلى الإطناب ، ولا تميل به الغزارة إلى الإسهاب ، يُجلى عن مراده في كتبه ، ويصيبُ المغزى في ألفاظه . وكان يزيد بن معاوية يقول : إياكم أن تجملوا الفصل وصلا ، فإنه أشدُّ وأعيبُ من اللّحن .

وكان أكرم بن صيفي إذا كاتب ملوك الجاهلية يقول^(٢) لكتابه افصلوا بين كل معنًى منقضى ، وصلوا إذا كان الكلام معجونا بعبءه يعض . وكان الحرث بن أبي شمير الفسائي يقول لكتابه المرقش : إذا نزع بك الكلام إلى الابتداء بمعنًى غير ما أنت فيه فافصل بينه وبين تبعته من الألفاظ ، فإنك إن مددت ألفاظك بغير ما يحسن أن تمدق به نفرت^(٣) القلوب عن وعيها ، وملكته الأسماع ، واستثقلت الرواة . وكان بزرجهر . يقول : إذا مدحت رجلاً ، وهجوت آخر ، فاجعل بين القولين فصلاً حتى تعرف المدح من الهجاء ، كما تفعل في كتبك إذا استأنفت القول ، وأكملت ما سلف من اللفظ .

وقال الحسن بن سهل لكتابه الحراني : ما منزلة الكاتب في قوله وفعله ؟ قال : أن يكون مطبوعاً محتسباً بالتجربة ، علماً بحلال الكتاب والسنة وحرامها ، وبالدهور في تداولها وتصرفها ، وبالملوك في سيرها وأيامها ، مع براعة اللفظ وحسن التنسيق ، وتأليف الأوصال بمشاكلة الاستعارة ، وشرح المعنى ؛ حتى ينصب صورها ، وبمقاطع الكلام ، ومعرفة الفصل من الوصل ؛ فإذا كان ذلك كذلك فهو كاتب مجيد . والقول إذا استكمل آله ، واستتم معناه فالفصل عنده . وكان عبد الحميد الكاتب إذا استخبر الرجل في كتابه فكتب : خبرك ، وحالك وسلامتك ؛ فصل بين هذه الأحرف ويقول : قد استكمل كل حرف منها آله ، ووقع الفصل عليه . وكان صالح بن عبد الرحمن التميمي الكاتب يفصل بين الآيات كلها وبين تبعاتها من الكتاب ، كيف وقعت .

(١) في « بكتاب » . (٢) في « قال لكتابه » . (٣) في « بدت » .

وكان يقول : ما استؤنف إنَّ - إلا وقع الفصل ، وكان جبل بن يزيد يفصل بين الفاءات كلها ، وقد كره بعض الكتبة ذلك وأحبه بعض ، وفصل المأمون عند « حتى » كيف وقعت ، وأمر كتابه بذلك ، ففعل أحمد بن يوسف ، ووصل حتى بما بعده من اللفظ ، فلما عُرض الكتاب على المأمون أمر بإحضاره ، فقال : لَمَنَ الله هذه القلوب حين اكتبَ المعلوم بزعمكم ، واجتنتُ ثمر لطائف الحكمة بدعواكم ؛ قد شغلتموها باستظراف ما عَزَبَ عنكم علمه عن تفهّم ما رويتموه ، وتفحص ما جمعتوه ، وتعرف ما استقدمتموه ؛ أليس قد تقدمنا إليكم بالفصل عند « حتى » حينما وقعت من الألفاظ ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، قد ينبو السيف وهو صميم ، ويكبو الجواد وهو كريم . وكان لا يعود في شيء من ذلك ، وكان يأمر كتابه بالفصل بين ؛ بل وبلى ، وليس .

. وأمر عبدُ الملك كتابه بذلك إلا « ليس » . وقال المأمون ما أنفَحَصَ من رجل شيئاً كتفحصي عن الفصل والوصل في كتابه ، والتخلص من المحلول إلى المعقود ، فإن لكل شيء جمالاً ، وحلية الكتاب وجماله إيقاع الفصل موقعه ، وشحن الفكرة وإجالتها في لطف التخلص من المعقود إلى المحلول .

المعقود والحلول
وقلنا: إن المعقود والحلول هاهنا هو أنك إذا ابتدأت مخاطبة ، ثم لم تنته إلى موضع التخلص مما عقدت عليه كلامك سمي الكلام معقوداً ، وإذا شرحت المستور وأبنت عن الغرض المزروع إليه سمي الكلام محلولاً .

المثال
مثال ذلك ما كتب بعضهم ، وجَرَى لك من ذكر ما خَصَّكَ الله به ، وأفردك بفضيلته من شرف النفس والقدرة ، وبُعْدِ الهمة والذكر ، وكمال الأداة والآلة والتمهيد في السياسة والإيالة ، وحياسة أهل الدين والأدب ، وإنجاد عظيم الحق بضعيف السبب ، مالا يزال يجري مثله عند كلِّ ذِكْرٍ يتخذ ذلك ، وحديث يُؤثر عنك . فالكلام من أول الفصل إلى آخر قوله « بضعيف السبب » معقود ، فلما انصل بما بعده صار محلولاً . وما كتب بعضهم : ربما كانت مودة السبب أو كد من مودة النسب ؛ لأن المودة التي تدعو إليها رغبة أو رهبة ، أو شكر نعمة ، أو شاكلة في صناعة ، أو مناسبة

بمشاكل مودة معروفة وجوها ، موثوق بخلوصها فتوكدها بحسب السبب الداعي إليها ، ودوامها بدوامه واتصالها باتصاله ؛ ومودة القربى وإن أوجبها اللّحمة ، فهي مشوبة بحسد ونفاسة ؛ وبحسب ذلك يقع التقصير فيما يُوجبُه الحال ، والإضاعة لما يلزم من الشكر ، والله يعلم أنى أودك مودة خالصة لم تدع إليها رغبة فيزيلها استغناء عنها ، ولا اضطرت إليها رهبة ؛ فيقطعها أمن منها ، وإن كنت مرجوا للموهبات بحمد الله ؛ ومقصداً من مقاصد الرغبات ، وكهفا وحرزاً من الموبقات . فهذا الكلام كله معقود إلى قوله : « مشاكلة مودة » فلما اتصل بما بعده صار محلولاً .

وقال بعضهم : انظر سدّدك الله ألا تدعوك مقدرتك على الكلام إلى إطالة المعقود؛ فإن ذلك فساد ما أكتنّته في صدرك ، وأردت تضمينه كتابك . واعلم أن إطالة المعقود يورث نسيان ما عقدت عليه كلامك ، وأرهفت به فكرك .

وكان شبيب بن شبة يقول : لم أر متكلماً قطّ أذكر لما عقّد عليه كلامه ، ولا أحفظ لما سلف من نطقه من خالد بن صفوان ، يُشيع المعقود بالمعاني التي يصعب الخروج منها إلى غيرها ، ثم يأتي بالحلول واضحا ، بيناً مشروحا منوراً . وكان السامع لا يعرف مغزاه ومقصده ، في أول كلامه حتى يصير إلى آخره .

وقال بعضهم : ليس يُحمد من القائل أن يعنى معرفة مغزاه على السامع لكلامه في أول ابتدائه ، حتى ينتهى إلى آخره ؛ بل الأحسن أن يكون في صدر كلامه دليل على حاجته ومُبَيِّنٌ لمغزاه ومقصده ؛ كما أن خير أبيات الشعر ما إذا سمعت صدره عرفت قافيته . وكان شبيب بن شبة يقول : الناس موكّلون بتعظيم جوده الابتداء وبمدح صاحبه ؛ وأنا موكّل بتعظيم جوده المقطع وبمدح صاحبه ؛ وخير الكلام ما وقف عند مقاطعه ، وبَيّن موقع فصوله .

قلنا : ومما لم يبين موضع الفصل فيه فأشكّل الكلام قولُ المخبّل للزبرقان
 ما لم يبين موضع الفصل فيه
 ابن بدر :

وأبوكَ بَدْرُ كَانَ يَنْتَهِسُ الْحَصَى . وَأَبَى الْجَوَادُ رَيْعَةَ بَنِ قِبَالٍ ^(١)
 فَقَالَ الزُّبْرَقَانُ : لَا بَأْسَ ، شَيْخَانِ اشْتَرَكَا فِي صَنْعَةٍ .
 وَقَدْ مَا رَأَيْنَا بَلِيغًا إِلَّا وَهُوَ يَقْطَعُ كَلَامَهُ عَلَى مَعْنَى بَدِيعٍ ؛ أَوْ لَفِظَ حَسَنَ رَشِيقٍ .
 قَالَ لَقِيبُطُ فِي آخِرِ قَصِيدَةٍ : ^(٢)
 لَقَدْ مَحَضْتُ لَكُمْ دَوْدَى بِلَا دَخَلٍ ^(٣) فَاسْتَيْقِظُوا إِنْ خَيْرَ الْعِلْمِ مَا نَفَعَا
 فَقَطَعَهَا عَلَى كَلِمَةِ حِكْمَةٍ عَظِيمَةٍ الْمَوْقِعِ .
 وَمِثْلُهُ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ ^(٤) :
 أَلَا إِنْ بَعْدَ الْمُدَمِّ لِلْمَرْءِ قَنُوءٌ وَبَعْدَ الشَّبَابِ طَوْلُ عَمْرٍِ وَمُلْدَسَا ^(٥)
 فَقَطَعُ الْقَصِيدَةَ أَيْضًا عَلَى حِكْمَةٍ بِالْفِعْلِ .
 وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ الطَّائِيُّ فِي آخِرِ قَصِيدَةٍ ^(٦) :
 كُلُّ شَيْءٍ تَحْتَالُ فِيهِ الرِّجَالُ غَيْرُ أَنْ لَيْسَ لِلْمَنَايَا احْتِيَالُ
 وَقَالَ أَبُو كَبِيرٍ ^(٧) :

فَإِذَا وَذَلِكَ لَيْسَ إِلَّا ذِكْرُهُ وَإِذَا مَضَى شَيْءٌ كُنَّ لَمْ يُفْعَلْ
 فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ آخِرُ بَيْتٍ قَصِيدَتِكَ أَجُودَ بَيْتٍ فِيهَا ، وَأَدْخَلَ فِي الْمَعْنَى الَّذِي
 قَصَدْتَ لَهُ فِي نَظْمِهَا ؛ كَمَا فَعَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ فِي آخِرِ قَصِيدَةٍ يَمْتَدِّرُ فِيهَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَسْتَمِطُّهَا :

نَحْنُ الْفَضِيلَةُ عَنْ ذُنُوبٍ قَدْ خَلَتْ وَأَقْبَلَ تَضَرَّعٌ مُسْتَضِيفٌ تَائِبٌ
 فَجَعَلَ نَفْسَهُ مُسْتَضِيفًا ، وَمَنْ حَقَّ الْمُسْتَضِيفُ أَنْ يُضَافَ ، وَإِذَا أُضِيفَ فَمِنْ حَقِّهِ
 أَنْ يُصَانَ ، وَذِكْرُ تَضَرُّعِهِ وَتَوْبَتِهِ مِمَّا سَلَفَ ، وَجَعَلَ الْعَفْوَ عَنْهُ مَعَ هَذِهِ الْأَحْوَالِ
 فَضِيلَةً ؛ فَجُمِعَ فِي هَذَا الْبَيْتِ جَمِيعُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي طَلَبِ الْعَفْوِ .

(١) انتَهَسَ الْحَصَى : خَضَمَهُ ، وَفِي « يَنْتَهِسُ » . (٢) مَخَارَاتُ ابْنِ الشَّجَرِيِّ ٦ ،
 مَهَذِبُ الْأَغَانِي ١ : ١٥١ (٣) الدَّخَلُ : الْعَشْرُ . (٤) دِيَوَانُهُ : ١٤٢ .
 (٥) الْقَنُوءُ : بِالْكَسْرِ وَتَضَمُّنِ : الْكَسْبَةُ مِنَ الْمَالِ يَقْتَنِيهِ . وَرَوَايَةُ الْدِيَوَانِ : « بَعْدَ الْمَشِيبِ » .
 (٦) مَهَذِبُ الْأَغَانِي ١ : ٨٦ . (٧) شعراء الهذليين ٢ : ١٠٠ .

وقول تأبط شرأ في آخر قصيدته (١) :

لتقرعنَّ عَلَى السِّنِّ من ندمٍ إذا تذكَّرتَ يوماً بعض أخلاقى
هذا البيت أجود بيت فيها لصفاء لفظه ، وحُسن معناه .

ومثله قول الشَّنْفَرى في آخر قصيدة (٢) :

وإني لَحُلُوْهُ إن أريد حَلَاوَتِي ومُرَّتِي إذا نفس المزوف أمرت
أبيُّ لما أبى قريبٌ مَقَادَتِي إلى كل نفس تنتحى في مسرتي
فهذان البيتان أجود ما نخر به من هذه القصيدة .

وقال بشر بن أبي خازم في آخر قصيدته (٣) :

ولا يُنْجِي من الغمراتِ إلا بَرَآكاهُ (٤) القتال أو الفرار
فقطمها على مثل سائر ؛ والأمثال أحب إلى النفوس لحاجتها إليها عند المحاضرة
والمجالسة . وقال الهذلي (٥) :

عصاك الأقاربُ في أمرهم فزایلُ بأمرِك أو خالطِ
ولا تَسْقُطَنَّ سقوط النواة من كف مُرْتَضِخٍ لا قِطِ

فقطمها على تشبيهه مليح ومثل حسن، وهكذا يفعل الكتاب الخذاق، والمترسلون
المبرزون ؛ ألا ترى ما كتب الصاحب في آخر رسالة له : فَإِنْ حَنَنْتَ فَمَا حَلَفْتَ ، فلا
خطوت لتحصيل مجد، ولا نهضت لاقتناء حمد ؛ ولا سَمِيتَ إلى مقام نخر ؛ ولا حَرَصْتَ
على عُلوِّ ذِكْرٍ ، وهذه اليمين التي لو سمعها عامر بن الظرب لقال هي الغموس ؛ لا القسم
باللآت والعزى وَمَنَاة الثالثة الأخرى . فَأَتَى بِأَيْمَانِ ظَرِيفَةٍ وَمَعَانِ غَرِيبَةٍ .

وكتب أيضاً في آخر رسالة : وأنا متوقع لكتابك ؛ تَوَقَّعَ الظَمَانُ لِلْمَاءِ
الزَّلال ؛ والصَّوَامُ لَهْلَالِ شَوَالِ .

وكتب آخر أخرى (٦) ؛ وسأل أن أخلفه في تجشيم مولاي إلى هذا المجمع ليَقْرُبَ علينا تناول

مثال من
النثر

(١) الفضليات ١ : ٣١ . (٢) مذهب الأغاني ١ : ٩٧ . (٣) اللسان (برك) .

(٤) البراكاه : الثبات في الحرب والجد . (٥) ديوان الهذليين ٢ : ١٩٦ . (٦) في ١ «وكتب آخر»

البدن عَشَاهِدته ؛ ولسَ الشمس بفرته . فانظر كيف يقطع كلماته على كل معنى بديع ،
ولفظ شريف .

ومن حسن المقطع جودة الفاصلة وحسن موقعها وتمكنها في موضعها ، وذلك من حسن
المقطع جودة
على ثلاثة أضرب : فضرب منها أن يضيق على الشاعر موضع القافية ، فيأتي بلفظ الفاصلة
وذلك على
قصير قليل الحروف فيتم به البيت ، كقول زهير^(١) :
وأعلم ما في اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عمي
وقول النابغة^(٢) :

كالأفحوان غداة غب سماءه^(٣) جفت أعاليه وأسفله ندى
وقال الأعشى :

وكأس شربت على لذة وأخرى تداوت منها بها
وقول امرئ القيس^(٤) :

مكرّ مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل
وقول طرفة^(٥) :

إذا ابتدر القوم السلاح وجدتني منيما إذا بلت بقائمه يدي
وقول النابغة^(٦) :

زعم الهام ولم أذقه أنه يشقى يبرد لثاتها العطش الصدى
وقال آخر :

ألا يا غرابي بينها لا تصدعا فطيرا جميعا بالندوى أوقعا معا
وقول متمم^(٧) :

فلما تفرقنا كآني ومالكاً أطول اجتماع لم نبت ليلة معا

(١) ديوانه ٢٩ . (٢) ديوانه ٣٧ . (٣) السماء : المطر .

(٤) من المعلقة وديوانه ٣٤ . (٥) المعلقة ٩٣ .

(٦) ديوانه ٣٧ . (٧) مذهب الأغاني ٢ : ١٨٢ .

وقول الأعشى :

فظلمتُ أرهاها وظل يحوطها حتى دنوتُ إذا الظلامُ دنا لها
وقول النابغة^(١) :

لا مرحبا بغدٍ ولا أهلا به إن كان تفريقُ الأحبة في غدٍ
أفدَّ الترحلُ غير أن ركابنا لما تزلُّ برحالنا وكأن قد
وقول ابن أحر^(٢) :

وقال عدى بن زيد^(٣) :

فإن كانت النماء عندك لأمري فقلُّ بها واجز المطالب أو زد^(٤)
وقال ابن أبي حية :

فقلن لها سرا فدينك لا يرحُ صحيحا وإلا تقبله فآلممي
فألت قناعا دونه الشمس واتقت بأحسن موصولين كفٍّ ومعضمٍ
وقالت فلما أفرغت في فواده وعينه منها السحر قلن له قم
فودَّ يجذع الأنف لو أن صحبه تنادوا وقالوا في المناخ له نم
ومن شعر المحدثين قول ابن أبي عينة :

دُنِيَا دعوتك مسمعا فأجيبى وبما اصطفتيك للهوى فأثبي
دومي أدم لك بالوفاء على الصفا إني بعهدك واثق فثقي بي
وقال آخر :

أتنى تؤنبنى في البكا فأهلا بها وبثانيها
تقول وفي قولها حشمة ترانى بعينٍ وتبكي بها
فقلت إذا استحسنتم غيركم أمرتُ الدموع بتأديها

فقوله : « ترانى بعينٍ وتبكي بها » حسن الوقع جدا .

(١) ديوانه ٣٥ . (٢) كذا في الأصول ، ولم يذكر الشعر .

(٣) شعراء النصرانية ٤٦٥ . (٤) في شعر النصرانية : « واردة » .

وقلت :

سيفضي لي رضاك بردّ مالي ويمعدُ حسن رأيك كشفَ ما بي

وقلت :

وذقت مَهْوَى النجم ريقاً خَصِراً لو كان من ناجودٍ نخر ما عدا

وقد تنعمت بنشر عطير لو كان من فارة مسك كان دا

والضرب الآخر : وهو أن يضيق به المكان أيضا ، ويمعز عن إيراد كلمة سالمة
تحتاج إلى إعراب ليتم بها البيت ؛ فيأتى بكلمة معتلة لا تحتاج إلى الإعراب ، فيتمه
به ؛ مثل قول امرئ القيس :

بعيننا ربيا قبل ذاك محملا كذئب الغضا يمشى الضراء ويتقي^(١)

وقول زهير^(٢) :

صحا القلب عن سلمى وقد كاد لا يساو وأقفر من سلمى التعانيق فالثقل^(٣)

ثم قال :^(٤)

وقد كنت من سلمى سنيئا ثمانيا على صير أمير ما يمر وما يحلو^(٥)

وقال :^(٦)

لذي الحِلم من ذبيان عندي مودة وحفظ ومن يُلجِم^(٧) إلى الشر أنسج

مخوف كأن الطير في منزلاته على جيف الحسرى مجالس تنتجى^(٨)

وقوله :^(٩)

وأراك تفرى ما خلقت وبه ضُ القوم يخلق ثم لا يفري^(١٠)

(١) مشى الضراء : ه المشى فيما يواريك ممن تسكبه وتخله .

(٢) ديوانه ٩٦ . (٣) التعانيق والثقل : واديان .

(٤) ديوانه ٩٦ . (٥) صير أمر : متناه وصيرورته . (٦) ديوانه ٣٢٤ .

(٧) اللحمة : ما نسج عرضا . (٨) الحسرى : المعيبة ، تنتجى ، من المناجاة .

(٩) ديوانه ٩٤ . (١٠) الخالق : الذي يقدر للقطع ، وهو مثل .

وقول أبي كبير ^(١) :

ولقد رَبَّأتُ إِذَا الصَّحَابَ تَوَاكَلُوا جمر الظَّهيرة في البقاع الأطول ^(٢)

في رأس مُشرفة القذال كأنما أطرُ السحاب بها رياض المجدل ^(٣)

ومعايلا صُلَعَ الطبات كأنها جمر بمسكة تُشبَّ لمصطلي ^(٤)

فقوله : « لمصطلي » متمكنة في موضعها .

وقول ذى الرمة ^(٥) :

أراح فريقُ جبرتك الجمالا كأنهم يريدون احتيالا

فكدت أموت من حزنٍ عليهم ولم أر حادى الأظمان بالي

فقوله : بالي ، عجيبة الموقع ، أخذه من قول زهير ^(٦) :

لقد باليت مَظعنَ أم أوفى ولكن أم أوفى لا نبالي ^(٧)

وقول الحطيئة ^(٨) :

دع السكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

وقال آخر :

وجؤه لو أن المدلجين اعتشوا بها صدعن الدجى حتى ترى الليل ينجلي

والضرب الثالث : أن تكون الفاصلة لائقة بما تقدمها من ألفاظ الجزء من الرسالة

أو البيت من الشعر ؛ وتكون مستقرة في قرارها ، ومتمكنة في موضعها ؛ حتى لا

يسد مسدها غيرها ؛ وإن لم تكن قصيرة قليلة الحروف ، كقول الله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ

أَضْحَكَ وَأَبْكَى وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ۚ

وقوله تعالى : ﴿ وَ لِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ۚ

(١) ديوان الهذليين ٢-٩٦ . (٢) ربأت ، من ربأ القوم يربؤهم إذا اطلع عليهم من

شرف . وفي الديوان : حم الظهيرة (٣) أطر السحاب : اعوجاج تراه فيه ، والأطر هنا مصدر

واقع في معنى المفعول . (٤) المعالي ، بالفتح جمع معلبة بالكسر ، وهى نصل طويل عريض .

والمسكة : ممر الريح إذا مرت مرا شديدا . (٥) ديوانه ٦٢ . (٦) ديوانه ٣٤٢ .

(٧) باليت ، من المبالاة . مظعنها : مسيرها (٨) ديوانه ٥٤ .

الضرب
الثالث

فأبكي مع أضحك وأحيا مع أمات ، والأنثى مع الذكر ، والأولى مع الآخرة ، والرضا مع العطفية في نهاية الجودة ، وغاية حسن الموقع .

من الشعر

ومن الشعر قول الخطيئة^(١) :

همُ القومُ الذين إذا ألت من الأيام مظلمة أضاءوا

وقول عدى بن الرقاع^(٢) :

صلّى الإله على امرئ ودّعته وأنتم نعمته عليه وزادا

وقول زياد بن جميل :

هم البحورُ عطاء حين تسألهم وفي اللقاء إذا تلقى بهمهم

وهذا مستحسن جداً لما تضمن من التجنيس .

ومن ذلك قول البهتري :

ظلمنا نرجم فيك الظنون أحاجبه أنت أم حاجه

وقول أبي نواس^(٣) :

إذا امتحن الدنيا ليبب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق

الصديق هاهنا جيّد الموقع ؛ لأن معنى البيت يقتضيه ، وهو محتاج إليه .

وقول جميل :

ويُقلن إنك قد رضيت بباطل منها فهل لك في اعتزال الباطل

الباطل ، هاهنا جيد الموقع لمطابقته مع الباطل الأول ؛ وقلت :

وقد زينت أسواقه بطرائف إذا صرفت عنها العيون تمود

تمود ، هاهنا جيّد متمكن الموقع .

(١) ديوانه : ٢٧ . (٢) في ط «الرقش» ، وصوابه في ١ (٣) ديوانه : ١٩٢ .

مما عيب
من القوافي

ومما عيب من القوافي قول ابن قيس الرقيات ، وقد أنشد عبد الملك :
إِنَّ الحَوَادِثَ بِالْمَدِينَةِ قَدْ أَرْجَعْنِي وَقَرَعْنَ مَرَوْنِيَه
وَجَبَبْنِي جَبَّ السَّامِ فَلَمْ يَتْرُكْنِ رِشَاءَ فِي مَنْكِيبِهِ

فقال له عبد الملك : أحسنت إلا أنك تخنثت في قوافيك ، فقال : ما عدوت قول
الله عز وجل : ﴿ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَه هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَه ﴾ ، وليس كما قال ؛ لأن
فاصلة الآية حسنة الموقع ، وفي قوافي شعره لين .

من عيوب
القوافي

ومن عيوب القوافي أن تكون القافية مستدعاة لا تفيد معنى ، وإنما أوردت
ليستوى الروي فقط ، مثل قول أبي تمام ^(١) :

كالظبية الأدماء صافت فأرتمت . زَهَرَ العرار الغصَّ والجُجْجَاتُ ^(٢)

ليس في وصف الظبية أنها ترتمى الجُجْجَاتُ فائدة ، وسواء رعت الجُجْجَاتُ
أو القَلَامُ أو غير ذلك من النبات ، وإذا قصيد لثمت الظبية بزيادة حسن قيل إنها
تغطو الشجر ؛ لأنها حينئذ ترفع رَأْسَهَا ، فيطول جيدها وتظهر محاسنها ؛ كما قال
الطَّرِمَاحُ ^(٣) :

مثل ما عاينتُ مَحْرُوفَةً ^(٤) نَصَّهَا ذَاعِرٌ رَوْعَ مَوَامِر

يصف أنها مذعورة تفتح عينها وتمدَّ جيدها ؛ فيبدو للعين محاسنها .

وقال زهير ^(٥) : وقريب منه قول الآخر :

وسابغة الأذيال زَعْفٍ ^(٦) مُفَاضَةٍ تَسْكَنُهَا مَنَى بَجَادٍ مُخَطَّطٍ

وليس لتخطيط البجاد معنى يرجع إلى الدرع ، ولا إلى السيف .

ومثله قول الآخر :

أأنشر البر فيمن ليس يمرِّفه وأنثر الدر بين النعمى في العَلَسِ

(١) ديوانه : ٦٣ . (٢) الأدماء : البيضاء بسمة . العرار : نبت . الغص : الناعم .
الجُجْجَاتُ : من أحرار البقول . (٣) اللسان (خرف) . (٤) مخروقة : أصابها مطر الخريف .
(٥) كذا في ١ ولسبه زهير ، ولم نثر عليه في الديوان ؛ وفي ط نسبه إلى آخر ، وفي الهامش
ذكر أن قائله علي بن محمد البصري (٦) الزغف : الدرع المحكمة .

ليس لذكر الفلّس مع العمى معنى ؛ لأنّ الأعمى يستوى عنده الفلّس والهجرة ،
ولو قال الفمّش لكان أقرب من العمى ، على أن الجميع لا خير فيه .

ومن هذا النوع قول القرشي :

وَوُفِّيتَ الحُتُوفَ من وَارِثٍ وَا لِ وَأَبْقَاكَ صَالِحًا رَبُّ هُودٍ

ليس نسبة الله تعالى إلى أنه رب هود بأولى من نسبته إياه عز اسمه إلى أنه رب
نوح أو غيره .

وقول ابن الرومي :

أَلَا رُبَّمَا سَوَّتِ الْغَيُورَ وَسَاءَنِي وَبَاتَ كَلَانًا مِنْ أَخِيهِ عَلَى وَحَرٍ

وَقَبِلْتَ أَفْوَاهَا عِذَا بَا كُنْهَا يَنْأِيْعُ خَمْرٍ حُصِّبَتْ لَوْلَوْ الْبَحْرُ

فقوله : « لَوْلَوْ الْبَحْرُ » أفسد البيت وأطفأ نور المعنى ؛ لأنّ اللؤلؤ لا يكون

في غير البحر ، فنسبته إلى البحر لا فائدة فيه إلا إقامة الروى على ما قدمناه .

ورأيت المعنى جيداً فقلت :

مَرَّ بَنَا يَسْتَمِيلُهُ الشُّكْرُ وَكَيْفَ يَصْحَوُ وَرَيْقَهُ خَمْرُ

قَبِلْتُ فِيهِ عَلَى مُرَاقَبَةٍ يَنْبُوعُ خَمْرٍ حَصْبَاؤُهُ دُرٌّ

ومن القوافي الرديئة قول رؤبة^(١) :

* يُكْسِينُ مِنْ لَيْنِ الشَّبَابِ نَيْمًا *

النيم : الفَرُّ ، وأَيُّ حُسْنٍ للفرو فيشبه به شباب النساء ! وما قال أحد :

عليه من الشباب أو من الحسن فَرُّو ؛ وإنما يقال : رداء الشباب ، وَيُرْدُ الشباب ،

وَتَوْبُ الشباب ؛ ولم يقولوا : قيص الشباب ، وهو أقرب من الفَرُّ . ولو قاله قائل

لم يحسن لأنه لم يستعمل ، وإنما احتاج إلى الميم فوقع في هذه الرذيلة .

وهذا باب لو أطلقت العنان فيه لَطَالَ فيشغل الأوراق الكثيرة ، ويصرم فيه

الزمان الطويل ، وفيما ذكرناه كفاية إن شاء الله تعالى .

(١) اللسان (نوم) وقبله : * وقد أرى ذاك فلن يدر ما *

الفصل الثالث

في الخروج من النسيب إلى المدح وغيره

بدء الشعر كانت العرب في أكثر شعرها تبتدئ بذكر الديار والبكاء عليها ، والوجد بفراق ساكنها ، ثم إذا أرادت الخروج إلى معنى آخر قالت : فدع ذا وسلّ الهم عنك بكذا ، كما قال (١) :

فدع ذا وسلّ الهم عنك بجسرة ذمول إذا صام النهار وهجّرا (٢)
وكما قال النابغة (٣) :

فسليت ما عندي بروحة عريس تخبّ برحلى مرة وتناقل (٤)
وربما تركوا المعنى الأول ، وقالوا « وعيس أو وهو جاء » وما أشبه ذلك ، كما قال علقمة (٥) :

إذا شاب رأسُ المرء أو قلّ ماله فليس له في ودّه نصيب
وعنّس برينها كأنّ عيونها قوارير في أدهانها نصوب (٦)
فإذا أرادوا ذكر المدوح قالوا : إلى فلان ، ثم أخذوا في مدحه ؛ كما قال علقمة (٧) :

وناجية أفنى ركب ضلوعها وحارّكها تهجّر ودهوب (٨)
وتصبح عن غبّ السرى وكأنها مولة تخشى القنيص شبوب (٩)

(١) هو امرؤ القيس ، اللسان (صوم) . (٢) الجسرة : الناقة العظيمة . والذمول : التي تسير سيرا ليناً ؛ وصام النهار ؛ إذا اعتدل وقام قائم الظهيرة . (٣) ديوانه : ٥٨ . (٤) العريس : الصخرة ، وشبهت بها الناقة إذا كانت صلبة شديدة ، والمناقلة : أن تناقل يديها ورجليها في السير ، وهو وضع الرجل مكان اليد . (٥) ديوانه : ١٢ . (٦) العنّس : الناقة القوية . (٧) ديوانه : ١١ . (٨) ناجية : ناقة قوية . ركب ضلوعها : ما ركب على ضلوعها من الشحم واللحم . الحارّك : مقدم السنام . (٩) القنيص : الصائد . الشبوب : الحسنة .

فوصفها ثم قال :

إلى الحارث الوهاب أعلت ناقتي لكلكها والقُصَريين^(١) وجيب
وقال الحارث بن حنظلة^(٢) :

أُمنى إلى حَرْفٍ مُدَكَّرةٍ تهضُ الحصَى بمناسم مُلَس
ثم قال :

أفلا نُعدِّيها إلى مَلِكٍ منهم المقادة حازم النفس
ثم أخذ في مديحه .

وربما تركوا المعنى الأول ، وأخذوا في الثانى من غير أن يستعملوا ما ذكرناه ،
قال النابغة^(٣) :

تَقَاعَسَ حَتَّى قَلْتُ لَيْسَ بِمَنْقُصٍ وليس الذى يَرَعَى النجوم بآيبِ
على لعمرو نعمةٌ بعد نعمةٍ لوالده ليست بذاتِ عقاربِ
وقال أيضاً^(٤) :

على حينَ عاتبتُ الفؤادَ على الصُّبا وقُلْتُ أَلَمَّا أَصَحُّ والشيبُ وازعُ
وقدَ حالَ همٌّ دونَ ذلكَ داخلٌ ولوجَ الشَّغافِ تبتغيهِ الأصابعُ
وعِيدُ أبى قابوسَ فى غيرِ كُنْهِهِ أتانى ودُونى رَأْسُ والضواجِعِ^(٥)
والبحتري يسلك هذه الطريقة فى أكثر شعره .

فأما الخروجُ المتصل بما قبله فقليل فى أشعارهم ؛ فن القليل قولُ دجانة
ابن عبد قيس التميمي :

وقال الغواني قد تَضَمَّرَ جلدُهُ وكان قديماً ناعمَ المتبدِّل
فلا تأسَ أنى قد تلافيتُ شَيْبَتِي وهزَّ الغواني من شَمِيطِ مُرَجَلِ

(١) القصريان : ضلعان تليان الترقوتين . والوجيب : الحفنان .

(٢) شعراء النصرانية : ٤٢٠ . (٣) ديوانه : ٣ .

(٤) ديوانه : ٥١ . (٥) زاكس : واد . والضواجع : جمع ضاحجة ، وهى منحى الوادى .

بمشرقة الهادى نبذة عنانها يمين الغلام اللجم المتدل
فوصل وصف الفرس بما تقدم من وصفه الشيب وصلا .
وقال تابط شراً^(١) :

إني إذا خلّة ضنت بنائليها وأمسكت بضعيف الجبل أخذاً^(٢)
نجوت منها نجائي من بجيلة إذ ألقيت ليلّة خبت الرهط أوراق^(٣)
وقرب منه قول أوس بن حجر في وصف السحاب^(٤) :

داني مسفّ فوق الأرض هيدبه يكاد يدفعه من قام بالراح
ثم قال :

سقى ديارى بنى عوف وساكنها ودار علقمة الخير ابن صباح
وقال زهير^(٥) :

إن البخيل ملوم حيث كان ول سكن الجواد على علاته هرم

وأما المحدثون ، فقد أكثروا في هذا النوع ؛ قال مسلم بن الوليد :

إذا شئنا أن تسقياني مدامة فلا تقتلها كل ميت محرّم
خلطناً دماً من كرمه بدمائنا فائر في الألوان منّا الدّم الدّم
ويقضى ثنيت النوم فيها بسكرة لصهباء صرعاها من السكر نوم
فمن لآمني في اللهو أو لآم في الندى أبا حسن زيد الندى فهو ألوم
وقال منصور النمرى في الرشيد :

إذا امتنع المقال عليك فامدح أمير المؤمنين تجدد مقالا
فتنى ما إن تزال به ركاب وضعن مدائحاً وحنن مالا

إسكثار
المحدثين من
هذا النوع

(١) الفضليات : ١ - ٢٦ . (٢) الأخذاق : المتقطع .

(٣) بجيلة : القبيلة التي أسرتة . الحبث : الابين من الأرض . الرهط : موضع .

(٤) اللسان (هذب) ونسبه إلى عبيد بن الأبرص . (٥) ديوانه : ١٥٢ .

وقال أبو الشَّيْص :

أَكَلَ الوجيفُ لحومَهَا ولحومَهُمْ فَأَتَوْكَ أَنْقَاضًا عَلَى أَنْقَاضٍ
ولقد أَتَتْكَ عَلَى الزَّمَانِ سَوَاحِطًا وَرَجَمَنَ عَنْكَ وَهَنٌ عَنْهُ رَوَاضٍ

وقال ابن وهيب :

مَا زَالَ يَلِثُمُنِي مَرَّاشِفَهُ وَيَمِلُّنِي الْإِبْرِيقُ وَالْقَدْحُ
حَتَّى اسْتَرَدَّ اللَّيْلُ خِلْعَتَهُ وَنَشَا خِلَالَ سَوَادِهِ وَصَحُّ
وَبَدَا الصَّبَاحُ كَأَنَّ غُرَّتَهُ وَجْهَ الْخَلِيفَةِ حِينَ يُمْتَدِّحُ

وقال :

[طَلَلَانِ طَالَ عَلَيْهِمَا الْأَمْرُ دُثِرَا فَلَا عِلْمَ وَلَا نَضْدُ]^(١)

لَبِيسَا الْبِلَى فَكَأَنَّمَا وَجَدَا بَعْدَ الْأُحْبَةِ مِثْلَ مَا أُجِدُّ

وقال الطائي^(٢) :

صَبَّ الْفِرَاقُ عَلَيْنَا صَبًّا مِنْ كَثْبٍ عَلَيْهِ إِسْحَاقُ يَوْمَ الرَّوْعِ مُنْتَقِمًا

وقال^(٣) :

إِسَاءَةُ الْحَادِثَاتِ اسْتَبْطِنِي نَفَقًا فَقَدْ أَظْلَكَ إِحْسَانُ ابْنِ حَسَّانٍ

وقال عبد الصمد بن العذل :

وَلَا حُ صَبَاحُ فُشِبْهَتُهُ عَلَى بَنِّ عَيْسَى عَلَى الْمُنْبَرِ

وقال البحتري^(٤) :

كَأَنَّهَا حِينَ لَجَّتْ فِي تَدَقُّقِهَا يَدُ الْخَلِيفَةِ لَمَّا سَالَ وَادِيهَا

وقال^(٥) :

شَقَائِقُ يَحْمِلُنَ الدَّيَّ فَكَأَنَّهَا دَمَوْعُ التَّصَابِي فِي خُدُودِ الْخِرَائِدِ

(١) لم يذكر هذا البيت في ط (٢) أبو تمام ، ديوانه : ٣٠٢ . (٣) ديوانه : ٣٢٤ .

(٤) ديوانه : ٢ - ٣١٩ . (٥) ديوانه : ١ - ١٣٦ .

كَأَنَّ يَدَ الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ أَقْبَلَتْ تَلِيهَا بَتْلُكَ الْبَارِقَاتِ الرَّوَاعِدُ
وقال مسلم :

أَجِدْكَ هَلْ تَدْرِيْنَ أَنَّ رَبَّ لَيْلَةٍ كَأَنَّ دُجَاهَا مِنْ قُرُونِكَ يُنْشَرُ
لَهْوَتْ بِهَا حَتَّى تَجَلَّتْ بِغُرَّةٍ كُفْرَةٌ يَحْيِي حِينَ يُذَكَّرُ جَعْفُ
وقال آخر :

وَكَلَّانَا قَدْ أَحْدَثَ الرَّاحُ فِيهِ زَهُوَ يَحْيَى بْنِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ
وقال أبو البصير :

فَقُلْتُ لَهَا عَبِيدَ اللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَ الْحَادِثَاتِ فَلَا تُرَاعَى
أَصْبَحَ مِنْهُ مَعْتَصِمًا بِجَبَلٍ وَتَقْصُرُ نَعْمَتِي وَيَضِيقُ بَاعَى
كَفَرْتُ إِذَا صَنَائِعُهُ وَظَلَّتْ قَعَاتِهِ الْمُرُوءَةُ فِي اصْطِنَاعِي
وقال البحترى فى ياقوتة^(١) :

إِذَا التَّهَبَّتْ فِي اللَّحْظِ ضَاهِي ضِيَائُهَا جَبِينُكَ عِنْدَ الْجُودِ إِذَا يَتَأَلَّقُ
وقال^(٢) :

وَجَرَ عَلَى الدَّجْنِ هُدَابُ مُرْنِهِ أَوْ آخَرُهُ فِيهِ وَأَوَّلُهُ عِنْدِي
تَأَخَّرَ عَنْ مِيقَاتِهِ فَكَانَهُ أَبُو صَالِحٍ قَدْ بَتَّ مِنْهُ عَلَى وَعْدِ
وقال بكر بن النطاح :

وَدَوِّيَّةٌ خَلَقَتْ لِلْسَرَابِ فَأَمَوَاجُهُ بَيْنَهَا تَزْخَرُ
تَرَى جَنَّتَهَا بَيْنَ أَضْعَافِهَا حُلُولًا كَأَنَّهُمْ الْبَرَبُ
كَأَنَّ حَنِيفَةَ تَحْمِيهِمْ فَالْيَنِّهِمْ خَشَنَ أَزُورُ

وقال دُعْبَل :

وَمِثَاءُ خَضِرَاءَ مَوْشِيَّةٍ بِهَا النُّورُ يَزْهَرُ مِنْ كُلِّ فَنٍّ

ضحوك إذ لاعتبه الرياح تأوّد كالشارب المرجح
فشبّه صبحي نواره بدياج كسرى وعصب الين
فقلت بمدتم ولكنني أشبهه بجناب الحسن
فتي لا يرى المال إلا المطا ولا الكنز إلا اعتقاد المن

قالت وقد ذكّرتها عهد الصبا باليأس تقطع عادة المعتاد
إلا الإمام فإنّ عادة جوده موصولة بزيادة الزداد
وقال غيره :

وكأن الرسوم أخنى عليها بمض غاراتنا على الأعداء
وقال البحرى^(١) :

بين السقيفة فاللوى فالأجرع دمن حبسن على الرياح الأربع
فكأنما ضمنت معالمها الذي ضمنته أحشاء الحب الموجد
وقال^(٢) :

أقول لئجاج النمام وقد سرى لمحتفل الشؤبوب صاب فعمما
أقل أو أكثر لست تبلى غاية تبين بها حتى تضارع هيما
فتى لبست منه الليالي محاسنا أضاء له الأفق الذي كان مظلم
وقال^(٣) :

قد قلت للغيث الركام ولج في إبراقه وألح في إرعاده
لا تعرضن لجعفر متشبها بندى يديه فلست من أنداده
وقال^(٤) :

لعمرك ما الدنيا بناقصة الجدا إذا بقى الفتح بن خاقان والقطر

(١) ديوانه : ٢ - ١٠٠ . (٢) ديوانه : ٢ - ٢٣٣ .

(٣) ديوانه : ١ - ١٢٩ . (٤) ديوانه : .

وقال (١) :

أبرق تجلّى أم بدا ابن مدبرٍ بغرة مسئول رأى البشر سائله

وقال (٢) :

أدارهم الأولى بدارة جُلجلٍ سقاك الحيا روحاته وبواكره
حباؤك يحكي يوسف بن محمد فروتك رياه وجادك ماطره

وقال :

كأن سناها بالمشى لشربها تبلج عيسى حين يلفظ بالوعد

وقال :

آليت لا أجعل الإعدام حادثة تخشى وعيسى بن إبراهيم لي سند

وقال :

أيام غصن الشباب تهتز كأز أسمر في راحة بن حماد

وقال :

لا والذي سنّ للمدامة وال ماء نكاحا بغير تطليق

ما رمقت مقتلئى أسمع في ال مالم من راحة أحمد بن مسروق

وقال علي بن جبلة :

وغيث تأنقه نوءه فألبسه عللا أربدا

تظلّ الرياح تُهادى به إذا ما تميز أو غردا

كأن تواليه بالمرأ تهوى إلى جلمد جلمدا

تداعى تميم غداة الجفا ر تدعو زرارة أو معبدا

وقال علي بن الجهم (٣) :

وسارية تراد أرضاً تجودها شغلت بها عينا قليلا هجودها

أَتَتْنَا بِهَا رِيحُ الصَّبَا فَكَانَهَا فَتَاةٌ تَزْجِيهَا عَجُوزٌ تَقُودُهَا
فَمَا يَرَحَتْ بِغَدَادٍ حَتَّى تَفْجَرَتْ بِأَوْدِيَةٍ مَا تَسْتَفِيقُ مُدُودَهَا
فَلَمَّا قَضَتْ حَقَّ الْمَرَاقِ وَأَهْلَهُ ^(١) أَنَا هَا مِنْ الرِّيحِ الشَّمَالِ بَرِيدُهَا
فَرَّتْ تَفُوتِ الطَّرْفِ سَمْعِيًّا ^(٢) كَأَنَّهَا جُنُودُ عُبَيْدِ اللَّهِ وَلَتْ بُنُودَهَا
وَقَالَ أَيْضًا ^(٣) :

دَبَّرْنَ وَلِلصَّبَّاحِ مَقْبَاتِ تُقَلِّصُ عَنْهُ أَعْجَازَ الظَّلَامِ
فَلَمَّا أَنْ تَجَلَّى قَالَ صَحْبِي أَضْوَاءُ الصُّبْحِ أَمْ وَجْهُ الْإِمَامِ
وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ ^(٤) :

سَقَيْتُ رَبَّاكَ بِكُلِّ نَوْءٍ جَاعِلٍ مِنْ وَبَلِهِ حَقًّا لَهَا مَعْلُومَا
فَلَوْ أَنِّي أَعْطَيْتُ فِيهِنَّ الْمَنَى لَسَقَيْتُهُنَّ بِكَفِّ إِبْرَاهِيمَا
وَقَالَ :

قُلْ لِدَاعِي الْغَنَامِ لِيَبْكُ وَاحِلٌ عُقْلَ الْعَيْسِ كَيْ يَجِيبَ الدَّعَاءُ
وَقَالَ أَبُو تَمَامٍ ^(٥) :

يَا صَاحِبِي تَقْصِّيًا نَظَرَ يَكْمَا تَرَيَا وَجْهَ الْأَرْضِ كَيْفَ تَصَوَّرُ
تَرَيَا نَهَارًا مُشْرِقًا قَدْ شَابَهُ زَهْرُ الرَّبَا فَكَأَنَّمَا هُوَ مُقَمَّرُ
خُلُقٍ أَطْلَ مِنَ الرَّبِيعِ كَأَنَّهُ خُلُقُ الْإِمَامِ وَهَدِيهِ الْمُنْتَشَرُ
وَقَالَ ^(٦) :

فَالْأَرْضُ مَعْرُوفُ السَّمَاءِ قَرَى لَهَا وَبَنُو الرِّجَاءِ لَهُمْ بَنُو الْعَبَّاسِ
وَقَالَ ^(٧) :

نَجَاهِدِ الشُّوقَ طَوْرًا ثُمَّ نَتَّبِعْهُ ^(٨) مَجَاهِدَاتِ الْقَوَافِي فِي أَبِي دُلْفَا

(١) في ط : « وأهله » . (٢) في الديوان : « سببا »

(٣) ديوانه : ٨ . (٤) ديوانه ٢ : ٢٤٣ . (٥) ديوانه : ١٥٧ .

(٦) ديوانه : ١٧٣ . (٧) ديوانه ٢٠١ . (٨) في الديوان : « ترجمه » .

وقال^(١) :

إذا العيسُ لاقَتْ بي أبا دلف فقد تقطع ما بيني وبين النوائبِ

وقال^(٢) :

تداوٍ مِنْ شوقِكَ الأقصى بما فملتُ خيلُ ابنِ يوسفَ والأبطالُ تطرِدُ

وقال^(٣) :

لم يجتمع قط في مصر ولا طرف محمد بن أبي مروان والنَّوَبُ

وقال :

ولقد بلونَ خلائقي فوجدنني سمحَ اليدينِ يبذل وِدَّ مضمرة

يمجِّبنِ مني إذ سمحتُ بمهجتي وكذلك أعجبُ من سماحة جعفر

ملك إذا الحاجاتُ لُذْنَ بيبابه صافَحَنَ كفَّ نواله المتيسر

وقال^(٤) :

لا والذي هو عالم أن النوى صبرٌ وأن أبا الحسين كريم

وقال آخر :

سقيمت أرجاء الميئون تركنني أكابد أسقاماً ولست أعادُ

فيأعجباً إن الأطباء بطرفها تصيد رجالاً والطباء تُصاد

وللبحر ما بين الفرات ودجلة أوْمَل منه الرُّيَّ وهو جَمَادُ

وقلت أذكر الشيب :

أراني منهاج الهدى فسلكته ولم تتشعَّب في الضلال مذاهبي

وخبر أن الجهل ليس بآيب إلى وأن الحلم ليس بعازب

فأفصح من بعد المعجومة مادحي وأعجمَ من بعد الفصاحة عائب

وردَّ إلى خير الأنام مدائحي فخلَّت محلَّ العِقد من جيدِ كائب

وَأُنْجِمَ كَرَبْرَبٍ فِي سَرَبٍ يَحْكُمُ غُرَا فِي جَلَالِ خُطْبٍ
وَالْحَوْرُ تَرْنُو مِنْ خِلَالِ الْحُجْبِ وَعِزْمُكُمْ وَرَأْيُكُمْ فِي الْخَطْبِ
وَيَبْضُكُمْ وَيَبْضُكُمْ فِي الْحَرْبِ

وَمَنْ لَمْ يَوْسِعْ لِلنَّوَابِ صَدْرَهُ أَفَادَتُهُ ضَيْقًا فِي مَرَامٍ وَمَذْهَبٍ
وَإِنِّي إِذَا أَلْقَيْتُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا أَبَا طَاهِرٍ لَمْ تَدْرِ كَيْفَ تَضُرُّ بِي
نَازَعَتْهُ غَلَسُ الظَّلَامِ مُدَامَةً تَتَعَلَّمُ الْإِسْكَارَ مِنْ لَحَظَاتِهِ
وَكُنَّهَا مَمْصُورَةٌ مِنْ خَسَدِهِ مَغْصُوبَةٌ بِالذُّرِّ مِنْ كَلَامَتِهِ
تَشْكُو الزَّمَانَ وَذَاكَ مِنْ لَذَاتِهِ وَبِقَاءِ إِسْمَاعِيلِ مِنْ حَسَنَاتِهِ
هَذَا تَعَدَّى فِي الشَّكَايَةِ ظَاهِرٌ وَلَرُبَّ شَاكٍ مَعْتَدٍ بِشَكَاتِهِ
كَافِي الْكَفَاةِ بِرَأْيِهِ وَعِزِّهِ كَزَمَانِهِ بِخَطْوِيهِ وَهِيَاتِهِ
عَادَةُ الْأَيَّامِ لَا أُنْكَرُهَا فَرَحٌ تَقَرُّنُهُ لِي بِرَحٍّ
إِنْ تَسْكُنُ تُفْسِدُ مَا تُصْلِحُهُ فَكَذَا الدَّهْرُ إِذَا دَرَّ رَمَحٌ
وَإِذَا قَامَ عَلَى النَّهْجِ انْتَهَى وَإِذَا سَارَ عَلَى الْقَصْدِ جَنَحٌ
وَبِرِّيكَ فَلَا تَفْرَحْ بِهِ فَهُوَ كَالْجَازِرِ رَبِّي فَذَبْحٌ
غَيْرَ أَنْ النُّهَى مِنْهُ كُلَّمَا جَمَعَ الدَّهْرُ بَوَادِي كَبَحٌ
وَمَدَّ عَلَيْنَا اللَّيْلَ ثَوْبًا مُنْعَمًا وَأَشْمَلَ فِيهِ الْفَجْرُ فَهُوَ يَحْرِقُ
وَصَبَحَنَا صُبْحٌ كَانَ ضِيَاءَهُ تَعَلَّمَ مِنَّا كَيْفَ يَبْهَى وَيُشْرِقُ
تَوَلَّتْ بِهِ الْأَيَّامُ وَانْجَرَدَتْ بِحَسَنِهِ وَلَمَّاتُ الْبَيْنِ فَانْجَرَدَا
غَدَا لَهُ الزُّنُ مُنْهَلًا بِوَادِرِهِ كَأَنَّ فِيهِ لِيَحْيَى إَصْبَعًا وَبَدَا
تُصَمِّدُ فِيهِ وَهُوَ زُرْقٌ جَاهِمُهُ فَتَحْسِبُ أَنَا فِي السَّمَاءِ نُصَعْدُ
أَطْفَنَّا بِمَحْمُودِ السَّجِيَةِ مَا جَدُّ رِضَاهُ لَنَا نَرْجُو مِنَ الْخَيْرِ مَوْعِدُ
بِمِثْلِ فَلَمَّ السَّحَابُ إِذَا غَدَا يَصْفَقُ فِيهَا رَعْدُهَا وَيَغْرُدُّ